تاريخ الأئمة الهادويين في اليمن

الفكر والتطبيق

أحمد محمد علي الحاضري

إهداء ٢٠١٢
الاستاذ احمد محمد على الحاضرى
اليمن

الأئمة الهادويون

في اليمن

٢٨٤ هـ إلى ١٣٨٢ هـ

الفكر والتطبيق

تاريخ الإصدار ٢٠٠٣م

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

إلى القارئ مع التحية :-

إن الكتابة عن الماضي يجب أن تفسر ظواهره وتعلل وقائعه ومدى امتداده إلى اليوم وأثره عليه ومهما كان موقف الكاتب من الأحداث فأنه لا يخلقها وإنما يتبناها ويستنبط منها العبر بقياس بعضها ببعض لاستنباط الحلول والمعالجات لما هو قائم وما سيأتي وتكمن الصعوبة عند إعطاء مبررات دينية لأحداث التاريخ والمشخصين لأدواره

"إن الماضي الذي يعتصم بجلال القدم والصمت ، تنتسب إليه من الرهبة والخرافات ما يجعله شديد السيطرة ،وبالكتابة عن الماضي تتجلى حقائقه كتاريخ كان حياة أو حياة آلت إلى تاريخ"(١)

"ولا غرابة في تحكم الاستبداد على الحقائق في أفكار البسطاء ، إنما الغريب إغفاله كثيراً من العقلاء ، ومنهم جمهور المؤرخين الذين يسمون الفاتحين الغالبين بالرجال العظام ، وينظرون إليهم نظر الإجلال والاحترام لمجرد أنهم كانوا أكثروا في قتل الإنسان ، وأسرفوا في تخريب العمران .

ومن هذا القبيل فالغرابة إعلاء المؤرخين قدر من جاروا المستبدين ، وحازوا القبول والوجاهة عند الظالمين ، وكذلك افتخار الأخلاف بأسلافهم المجرمين الذين كانوا هؤلاء الأعوان الأشرار"(٢) .ولهذا وجدنا من عارض صدق ووضوح ما كان بين طيات كتابنا هذا نابعاً من التعصب المذهبي أو السلالي. لكن منهجنا أعتمد على قياس الأحداث بثوابت الشريعة السمحاء

داعينّ المولى عز وجل أن يرينا الحق حقاً ، ويرزقنا أتباعه .

احمد محمد علي الجشمي الحاضري

---

(١)- اليمن الجمهوري - عبد الله البردوني

(٢)- طبائع الاستبداد - عبد الرحمن الكواكبي

شكر وتقدير

لا يشكر الله من لا يشكر الناس

وإن أحق الشكر والتقدير أفلاذ الأكباد طالما قدموا خدماتهم للآباء والأمهات .

فلهم الشكر والمحمدة والثناء العريض المستطاب والدعاء المستجاب .

وأخص بالشكر أبنتي أحياها الله طيبة وأكرمها بالسعادة في الدارين وزيادة ، التي قامت بالطباعة و الإخراج والمراجعة مراراً وتكراراً ، وبذلت جهداً شاقاً وعسيراً .

ولا يفوتني أن أزجي الشكر والامتنان المفعم بالتقدير والإكبار إلى أخوتي وأصدقائي الذين كان لهم الأسهام في تشجيعي لكتابة هذا البحث ،وإمدادي ببعض المراجع وإثراء فكرته وموضوعه ،إذ لهم جزيل الثناء ومحمود الذكر وفي مقدمتهم الشيخ/ حمير عبد الله بن حسين الأحمر الذي كان له الفضل بعد الله في إخراج هذا الكتاب.

وهم الأساتذة :-

- أ. طه حسين الهمداني
- أ. علي حميد شرف
- أ. يحيى عبد الله دويد
- عميد/ طه عبد الله هاجر
- أ. احمد ضيف الله العواضي
- أ. محمد عبد الوهاب جغمان
- أ.عبد الله الجوري
- أ.حارث الشوكاني
- أ. ياسر العواضي
- أ. احمد القيز
- كمال الصنعاني
- د. مرهب الأسد
- أ. يحيى الهمداني
- أ. احمد الوزير
- أ. حسن الحكيمي
- أ. عبد الغني الغزي
- د. خالد جار الله
- أ. عبدالله سنبل .
- د. خالد الكروباتي
- أ. مقبل حيدره
- أ. هايل الغابري
- أ. عبد الله محمد أحمد الحاضري
- أ. احمد النويرة
- أ. حسين السوادي
- أ. باكر علي باكر
- أ. زياد أبو الرجال
- أ. محمد حمود السريحي
- أ. محمد الصبري
- محمد فيصل البخيتي
- د. نجيب العوج
- د. خالد الأكوع
- د. يحيى المطهر
- د. محمد المنصوب

الفصل الأول

توصيف البحث من حيث منهجه وأهميته ومحتواه و مقدمة .

- مشكلة البحث
- أهمية البحث
- فروض البحث..
- منهج الدراسة
- مصادر جمع المعلومات.
- أساليب تحليل البيانات
- حدود البحث.
- الإطار الموضوعي للبحث
- تقسيم الدراسة..
- المقدمة.

أولا / مشكلة البحث:-

تسعى هذه الدراسة إلى رصد وتحليل وتفسير أثر التأصيل المذهبي للتميز الطائفي في استحقاق الإمامة أو الخلافة ومن بعده التميز السلالي في استحقاق الإمامة وذلك عن طريق استكشاف العلاقة بين التميز السلالي والفتن والحروب وبين التميز السلالي والفتن والحروب وبين التميز السلالي وجمود تطور الفكر السياسي وبالتالي النظام السياسي.

وكذلك استكشاف العلاقة بين

التميز السلالي في استحقاق السلطة وبين القضاء على الخلافة الإسلامية وبينها وبين اشتعال الفتن في اليمن والقضاء على أي دولة مركزية .

وعليه فالمشكلة البحثية تتمثل في تحديد:-

- رصد مظاهر التأصيل المذهبي للتميز الطائفي والسلالي .
- ومقارنة أُطر الفكر والمعتقدات للمذاهب المؤصلة للتميز الطائفي والسلالي .
- توضيح حدود الاستمرار والتغير لفتنة التميز الطائفي والسلالي عبر العصور .

دراسة الظاهرة كأي نموذجا في اليمن .

ثانيا / أهمية البحث:-

تكمن أهمية موضوع البحث من كون ظاهرة التميز الطائفي أو السلالي إحدى معيقات التطور الإنساني عبر التاريخ والتميز في استحقاق السلطة في طائفة أو سلالة اخطر لأنه نبع للظلم والظالمين يتدفق منه الاستبداد وكبت للحريات في أغلب مراحل التاريخ الإنساني.

ولأن التأصيل المذهبي للاستحقاق الطائفي أو السلالي يجعله حقا إلهياً للحاكم كونه من هذه الطائفة أو تلك السلالات ولما يحمله هذا التأصيل من تبعات ارتبطت به وأهمها انتشار الفكر الهادوي في مسألة الإمامة كثقافة مجتمعية كما سيظهر عند دراسة هذه الظاهرة .

كذلك يعتبر هذا التأصيل اكثر أهمية وخطورة لخروجه على ثوابت الدين الإسلامي المتمثلة في العدل والمساواة والشورى .

ولأن الصراع على السلطة وفقا لما أشاعه المذهبيين من أن استحقاقه تشريع بما أظهروه بروايات عن الرسول "ص" وبما أولوه من الآيات حسب مبتغاهم جعل الطامحون في

السلطة يسلكون مسلكهم بروايات وتأويلات تؤيد طموحاتهم وما جره ذلك من تحميل آيات القرآن لتأويلات لا تعنيها ومن الدس والتزييف في السنة النبوية وبالتالي في التشريع الإسلامي .

ويعتبر هذا البحث من المباحث (الهجين) أو البينية التي تقوم على الإثراء المتبادل بين حقول المعرفة حيث يتداخل في إطار علوم الفقه والتاريخ والاجتماع والسياسة وغيرها .

أهمية هذا الكتاب في كونه جديدا في موضوعه ، فكل الكتابات السابقة في الموضوع إما أنها مدحت المذاهب أو المتبعين لها أو أنها خافت من مناقشة الحقيقة التي يقوم عليها.

ثالثا / فروض البحث:-

الأول –

بعد استكشافي يقوم على أساس استكشاف طبيعة التميز السلالي ودوره في الانقسام المذهبي داخل الأمة الإسلامية مرورا بعلاقة التميز السلالي في إنشاء الدويلات في أجزاء مختلفة من اليمن الإسلامية ، وما صاحبه من حروب وفتن .

الثاني – بعد تفسيري

ويقوم على أساس تفسير دور التميز الطائفي والسلالي في تخلف اليمن ثقافيا واقتصاديا وسياسيا .

وبالتالي تفسير سبب بقاءه لفترة زادت عن ألف عام.

الثالث-

إن البحث يسعى إلى اختيار صحة الفرضيات الآتية :-

١-إن التميز الطائفي يخالف ثوابت الدين الإسلامي عن العدل والمساواة بين البشر في الدنيا والآخرة.

٢-إن مسألة الخلافة أو نظام الحكم أمر دنيوي قابل للإجتهاد والتطور حسب الزمان والمكان ومصلحة الأمة.

٣-إن معيار التمايز بين البشر في الإسلام هو معيار اكتسابي وليس طائفي أو سلالي .

٤- إن نظرية الإمامة الهادوية أدت إلى الحروب والفتن .

٥- أن نظرية الإمامة الهادويه أدت إلى العداء التراكمي بين قبائل شمال اليمن وبينها وبين المناطق الأخرى .

٦- أن الفكر الهادوي أفرز أئمة عزلوا اليمن عن مسيرة التطور الإنساني .

٧- إن مبدأ حرية الاجتهاد الذي تبناه الفكر الهادوي طبق ليحقق للأئمة حرية الاجتهاد في الحكم وتحقيق مصالحه دون قيود فقهيه أو فكرية .

رابعا- منهج الدراسة :-

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي المقارن ومنهج الجماعة ومفاهيم البنائيه – الوظيفية.

خامسا -مصادر جمع المعلومات

- مصادر مكتبية

تم الرجوع إلى كامل ما توفر وأتيح من كتابات فقهية وتاريخية واجتماعية وسياسية عن موضوع البحث .

- مصادر ميدانية –

وقد تم استخدام أداة المناقشة الجماعية بعرض أفكار البحث وفروضة على نخب لها حظ كبير من المعرفة التاريخية والفقهية في الجوانب المختلفة لموضوع البحث .

كما قام البحث باستخدام أداة الملاحظة للآثار الثقافية على اليمنيين التي خلفها نظام الحكم الأمامي السلالي وأساليب هذا النظام في جعل التميز السلالي ثقافة مجتمعية.

سادسا – أساليب تحليل البيانات :-

أستخدم البحث أسلوبي التحليل الكيفي والكمي معا بشكل تكاملي وفقا للملاءمة لما هو متاح من معلومات صحيحة عن الظاهرة موضع التحليل .

سابعاً – حدود البحث :-

* الإطار الزمني:-

رغم معرفتنا الأكيدة للعلاقة العكسية بين أتساع المدى الزمني وصعوبة البحث فكلما قل المدى الزمني للبحث كلما سهل إثراء الظاهرة بالبحث والدراسة وبالتالي سهل تحقيق أهداف البحث .

إلا أننا اضطررنا إلى تحديد هذا المدى الزمني الكبير ابتداء من ٢٨٣ هـ إلى عام ١٣٨٢هـ للأسباب الآتية:-

- إن تاريخ ٢٨٣- هـ هو التاريخ الذي وصل فيه يحيى بن الحسين الرسي إلى اليمن وهو الذي سار على نهجه من بعده الأئمة وبوصوله كانت بداية الفكر الهادوي وأئمته .

- وتم إختيار عام ١٣٨٢ كنهاية للإطار الزمني لهذا البحث كونه العام الذي انتهت فيه الإمامة السلالية في اليمن بقيام ثورة٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م .

*** الإطار الموضوعي للبحث:-**

سيتم التركيز في هذا البحث على دور الفكر الهادوي في التأصيل المذهبي .

- للتميز في استحقاق الإمامة في من هم من البطنين (الحق الإلهي للمصطفين من آل البيت).
- ولمن قام بها ودعا إليها من هم من البطنين
- مبدأ الخروج على الحاكم الظالم (مبدأ الخروج والسيف)
- جواز قيام إمامان في وقت واحد.

واثر ذلك على أثارة الفتن داخل اليمن بإشعال الحروب بين القبائل وبإثارة فتنه الخروج على دولة الخلافة أو على ولاتها أو على الدول التي قامت باليمن .

أو بإثارة الفتن بالصراع بين أبناء هذه السلالة على الإمامة بخروج إمام على الأخر ، وإمام يدعو إلى الحسبة أو بقيام إمامان فأكثر في وقت واحد .

و ما نتج عن ذلك من آثار سياسية واقتصادية واجتماعية على اليمن وعلى الأمة الإسلامية.

- والأثر التبادلي بين النظرية الهادوية في الإمامة والطبيعة القبلية

ثامنا – تقسيم الدراسة:-

- الفصل الأول:-

توصيف البحث من حيث منهجه وأهميته ومحتواه و مقدمة .

- الفصل الثاني :-

نظرية الإمامة عند الهادويون .

- الفصل الثالث :-

العوامل التي ساعدت على دخول أئمة وفكر الهادوية

- الفصل الرابع :-

عهد الهادي وبداية التأسيس .

- الفصل الخامس :-

صراع الهادويون على الإمامة "أبناء الهادي والقادمون إلى اليمن (ق ٤- ق ٩هـ)"

دخل اليمنيون الإسلام طوعاً وحملوا أغلب رايات نشره ولم يكن لهم ما يتناسب مع ذلك وفقاً لمبدأ العمل والقدرة لتأصيل التميز القرشي في استحقاق الإمامة فكان الرفض وأصبحت اليمن بيئة ثائرة فتلقت عنف وجور الأمويين والعباسيين فلم يفلحوا واستخدموا سياسة الاستكفاء (يولى على اليمن والي يكفيهم مشقة حكمها ولا يريدون منه شيء) كانت هذه السياسة إلى بداية القرن الخامس الهجري بعد ذلك أصبحت اليمن شبه مستقلة دون تدخل من دولة الخلافة .

فكانت ملاذاً للخارجين على بغداد أو دمشق فدفعوا القبائل ولم يأتِ أياً منهم بفكر يجمع حوله اليمنيون فتصارعوا فيما بينهم وتصارعوا مع الزعامات القبلية والإقطاعية ، وتكونت دول تتبع إسمياً دولة الخلافة أو مستقلة إلا أن ماعانته اليمن من حروب وتمزق وفقر وجهل خلال ما يزيد على ألف عام جعله غير فاعل في الساحة الإسلامية وقليل التأثر بمتغيراتها ومفعولاً به أحياناً .

وما تفرضه علينا قراءة التاريخ من تساؤلات نتلمس أسبابها من خلال منهجية تاريخية للعامل السياسي (المؤصل مذهبياً للتميز السلالي والطائفي في استحقاق الإمامة) الناتج عن الفكر الهادوي منذ وصول الهادي إلى اليمن مركزين على الأثر التبادلي لهذا الفكر والعوامل الاجتماعية والجغرافية الاقتصادية بقصد الإجابة على تساؤلات أفرزها التاريخ والواقع و أهمها :-

لماذا لم يحصل اليمنيون على ما يستحقون من رقي وغنى الدول الإسلامية ؟

ولماذا لم نجد باليمن أي نمو أو رقي حضاري عما كان بها قبل الإسلام ؟

ولماذا لم يكن لتعاليم الكتاب والسنة أثر كبير في القضاء على النعرات القبلية والطائفية والتميز السلالي ؟ في إطار الأخوة الإسلامية والولاء للأمة الأمر الذي أدى إلى عدم استغلال الجموع البشرية الهائلة وقدراتها الحضارية و القتالية في الساحة الإسلامية وخارجها

وبعد انتشار الفكر الهادوي في الحكم والإمامة كثقافة مجتمعية برزت التساؤلات الآتية:

لماذا لم تستطع كثير من الثورات إحداث تغيير جذري في مختلف المجالات ؟ ولم تستطع نشر مبادئها وقيمها التغيرية بين أبناء المجتمع وتنتهي تلك القيم مع نهاية القائمين بالتعبيرية؟

وكيف استطاعت تلك التمردات والثورات تغيير النظم الحاكمة للأئمة ولم تستطع تغيير الإمامة كثقافة ؟

ولماذا أستمر تأثير مدعي الإمامة الهادويون على قبائل الشمال بالذات رغم ما عانوه من الأئمة من مآسي ومحن خلال مئات السنين ؟

فبرغم قيام دول على انقاضهم امتدت بعضها لأكثر من قرنين.

ثم نتلمس مسببات ثقافة العداء للأخر .

كل تلك التساؤلات وغيرها حتمت علينا دراسة المجتمع وثقافته من خلال التاريخ السياسي القائم على التأصيل المذهبي .

كون المجتمع اليمني مسلما ، ونشأ الإسلام وانتشر فيه وبه .

فهل الانحراف عن مسار الدين الحنيف هو الإجابة عن كل تلك التساؤلات وبالذات انحراف الفكر الهادوي في مسألة الحق الإلهي في الإمامة لسلالة بذاتها ؟ وما بني عليها من التميز وتأصيل الهادي للصراع من أجلها .

وفقاً لمبدأ من قام بها ودعا إليها ،والصراع بين أبناء هذه السلالة ؟ بناءً على مبدأ الخروج على الحاكم الظالم والتنافس عليها وفقاً للمبدأين السابقين ولجواز قيام إمامان في آنٍ واحد عند الهادوية .

فهل الطبيعة القبلية هي التي ساعدت على انتشار وبقاء الفكر الهادوي أم الفكر الهادوي (نظرية الإمامة) هو الذي ساعد على إبقاء القبلية ونما العداء فيما بينها) ؟.

أم أن توزع أدعياء الإمامة وفقهائهم بين تلك القبائل قد عمل على بث تلك الأفكار بديمومة كثقافة مجتمعية بين تلك القبائل ساعد على ذلك بشكل رئيسي عدم فطنة القائمين بالتغيير على وجوب إزالة الفكر الهادوي من عقول وسلوكيات المجتمع وبالذات ما زرعه المستفيدين من هذا الفكر من عداء بين القبائل اليمنية وبالتالي تأصيل الكيانات القبلية والولاء لها على حساب الاخوة الإسلامية ولهذا يجب أن نتكلم في ذلك ويجب أن يتكلم غيرنا وهذا هو الوقت الذي يجب أن نتكلم فيه

وخلال الإجابة على تلك التساؤلات نبين الطرائق والوسائل التي استخدمت للاستحواذ على السلطة .

إن نظرية الإمامة الهادوية كانت نتائجها أظلم من مسبباتها ووسائلها أبشع من غاياتها حيث أنتهي الفاعلون ولم تنتهي أفعالهم ، وتوارثتها الأجيال إن تصحيح العثرات وإبانة

الوهن لا يعتبر تهديماً لمذهب ، ولكن جبراً لصدع وتصحيحا لخطأ، وعبرة لمعتبر والحق إن تبرير الخطأ – حتى السكوت عنه هو الخطر الدائم ، إذ يشكل التبرير والسكوت – ضمنا – شهادة على حسن الندوب وحسن القروح.[1]

ونذكر فيما سيأتي ما نتج عن هذا الفكر من آثار على وحدة الأمة ورقيها اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا محاولين بما وفقنا الله أن نوضح لعقل وقلب كل مسلم وسائل هذه الفتنه ونتائجها للعظة والعبرة فنسوق تسلسل تاريخي لمن أدعى الإمامة منذ ٢٨٥هـ إلى عام ١٣٧٨ هـ موضحين مدعي الإمامة وعلى من خرج .

ومن خرج عليه لنظهر الصورة بجلاء مؤيده بالحدث ومؤرخة لصراع كل مدعي للإمامة مع الدول والزعامات القائمة وصراع أدعياء الإمامة فيما بينهم والأساليب والوسائل التي أستخدمها الأئمة في الوصول و السيطرة على الحكم.

(١) الإسلام في اليمن – بقلم البرفسور ويلفرد مادنولنج في كتاب المسار عند مراجعة المقدمة التاريخية – سبب دخول الفكـر الـشيعي إلى اليمن.

الفصل الثاني

نظرية الإمامة عند الهادويون(*)

المبحث الأول :–

– أهمية نظرية الإمامة.

المبحث الثاني :–

– ركائز الإمامة عند الهادوية.

(*) – نقلاً عن بحثنا بعنوان " الإمامة " الخلافة عبر العصور " – الفصل الرابع المبحث الثاني .

تمهيد :-

لمعرفة أوفى وأدق لتاريخ الأئمة الهادويون الفكر والتطبيق يجب إلقاء الضوء على الفكر الذي قام عليه حكم الأئمة وانتشر كثقافة مجتمعية وهو الفكر الهادوي ومنه بالذات نظرية الإمامة التي كانت الدافع الرئيسي لوجود هذا المذهب الذي أصل التميز السلالي في استحقاق الإمامة تلك النظرية أثرت في كل فروعه وأثر الفكر الهادوي على المستفيدين وعملوا على بث ذلك الفكر كمنظومة كاملة ترسخ التميز السلالي في استحقاق الإمامة واتخذت لذلك وسائل عدة أهمها قصر التعليم الديني على الفكر الهادوي وفقهه و حصر التعليم في سلالاتهم وسلالات فقهائهم وانتشر بمختلف فروعه حتى اصبح فكر التميز ثقافة مجتمعية .

المبحث الأول

أهمية نظرية الإمامة

تحتل نظرية الإمامة مكانة هامة عند الهادويون فكرا وممارسة ، فهي عند الهادي الأساس النظري لحياته الحافلة بالعمل الشاق المضني لتحقيق مشروعه الذي يعد تجسيداً وامتدادا لمشروع شيعي لاقى اخفاقات متتالية ، لما يتطلبه تطبيقه .

ولا يمكننا أن نفصل في دعوة سياسية بين الجانب العملي والجانب النظري ، لأن أي موقف نظري يترتب عليه موقف عملي.

وتظهر أهمية مسألة الإمامة في نتاج الهادي الفكري والفقهي لأنها الباعث لهُ ويؤكد ذلك انه في المرحلة التي تولى فيها الإمامة قد جعل الإمامة أحد الأصول الخمسة للعقيدة ، وهذا يعني أنها أصبحت في مكانة تساوي مكانة التوحيد تلك المكانة أقامها ليجتهد الشرط الرئيسي في استحقاقها لمن هم من البطنيين ويتدرج في فكره بذكر أهميتها ثم شروط القيام بها واستحقاقها ووجوب مناصرة الكافة لمن توفرت به تلك الشروط حيث يبدأ بذكر وجوب قيامها فقال [1] " إنه لابد للناس من واليا إمام يصلي بهم ويقيم حدودهم ، ويجبي زكاتهم ويعطيها فقراءهم ، ويعزز ثغورهم، ويأخذ لضعيفهم من قويهم" .

وأهم ملامح نظرية الإمامة عند الهادوية هي:-

الإمامة حق إلهي لمن هم من البطنين.

(١) - كتاب من اعتزال الشك ، ق١٦٨.

(١) الإمامة لديهم ليست بالنص، إذ لا يشترط فيها أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق بمعنى أنها ليست وراثيه بل تقوم فيمن كان من أولاد فاطمة وفيه شروط الإمامة أي من كان أهلا لها يجوز لديهم وجود اكثر من أمام واحد في وقت واحد في قطرين مختلفين)..وهي حق إلهي لمن هم من البطنين" وتثبت الإمامة للإمام وتجب له من الأنام فيمن كان من أولئك (أي من البطنين)(*) فقدحكم الله له بذلك رضي الخلق أم سخطوا وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام " .

لا يجوز عندهم أن يكون الإمام مستوراً إذ لابد من اختياره من أبناء البطنين ، من قبل أهل الحل والعقد ، ولا يتم اختياره إلا إذ أعلن عن نفسه مبينا أحقيته للإمامة (من قام بها ودعا إليها)

مبدأ الخروج على الحاكم الظالم (مبدأ الخروج والسيف)

فأدى ذلك الفكر إلى خروج أدعياء الإمامة على دول الخلافة والدول التي قامت باليمن وأدى ذلك الفكر إلى الصراع والتنافس بين أبناء هذه السلالة مما أدى إلى اشتعال الحروب والفتن بين أدعياء الإمامة من تلك السلالة منذ أحفاد الهادي ق ٤هـ إلى صراع الإمام احمد حميد الدين وأخوته ق ١٤هـ .

ويؤكد ذلك ما اصله الإمام الهادي يحيى بن الحسين(٢٤٥ – ٢٩٨هـ) في كتابيه الأحكام والمنتخب.

الذي أتى إلى اليمن و أسس فكرا ومنهجا خاصا به لتأسيس دولة لهُ ولسلالته و لم ينتسب إلى فكر الإمام زيد ومبادئه إلا إسميا حيث يقول الإمام الهادي(٢) (وتثبت الإمامة للإمام وتجب له من الأنام فيمن كان من أولئك (أي من البطنيين) (فقد حكم الله له بذلك رضي الخلق أم سخطوا وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام)

وورد في كتاب الثلاثين مسألة ص ٢١ تحت عنوان المسألة السابعة ما نصه (الإمام بعد النبي "ص" هو علي).

---

(١) – موسعة المذاهب والأديان العالمية .

(*) – وقد ذكر معنا من هم من البطنيين " أي أبناء الحسن والحسين " وقيل أبناء البطنين هم أبناء الحسين من أم فارسية ابنة كسرى فارس أي أبناء بيت النبوة وبيت الملك .

(٢) – في المجلد الثاني من كتاب الأحكام ص ٣٦٠.

وفي ص٢٢ تحت عنوان المسألة الثامنة وردىما نصه (أن الإمام بعد علي عليه السلام ابنه الحسن ثم أخوه الحسين عليه وعليهم السلام).

– وأيضا تحت عنوان المسألة العاشرة ورد ما نصه (أن الإمام بعد الحسن والحسين عليهم السلام فيمن قام ودعا الخلق إلى طاعة الله وكان من ولد الحسن أو الحسين عليهما السلام).

ونلاحظ أن تلك الأفكار تخالف فكر الإمام زيد رضي الله عنه حيث يقول (ثم كلنا ذرية رسول الله"ص" من بعدهما ولدا الحسن والحسين ما فينا إمام مفترض طاعته)(١) .

– إن الهادي بقوله " فقد حكم الله له بذلك رضي الخلق أم سخطوا وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام) ، أنهُ بهذا الرأي ينفي مبدأ الشورى الذي نص عليه الله عز وجل في القران ، وينفي أيضاً البيعة التي يقول أنها لا تثبت للإمام بها فما قيمة البيعة إذا قد حكم الله بالإمامة وما قيمة البيعة إذا رضي الخلق أم سخطوا إنه يؤسس للملك عضود يشابه ملك بني أمية وبني العباس فها هو يتراجع عن البيعة وكأنها شعار أتخذ لمرحلة .

ثم ينفي البيعة بهذا الرأي فلم يعد لرأي الناس قيمة وعليه فإن الحكم يستحق بنص إلهي تعالى الله عما يقول الهادي علواً كبيراً

ولا شك أن الهادي حمل بعض أفكار الفرق الزيدية السابقة وبعض الفرق غير الزيدية وتحرك على أساس آخر يحدوه أمل تحقيق إمامة منهم من البطنين في الأرض وقد تسربت إليه هذه الأفكار عبر رسائل ثقافية متعددة وهو – شاء أم أبى – سيتأثر بها لأنه أقبل عليها فتزود منها ونلحظ هذا من خلال رسائله التي يركز فيها على أحقية أبناء فاطمة بالإمامة ويدفع معا رضيهم بالكفر.

ويتضح ذلك مما ذكرناه سابقا ومن رسالة الإمام الهادي التي جعل لها عنوان(مسألة النبوة والإمامة ويتحدث فيها عن أوصياء الأنبياء ويخص بالذكر علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – باعتباره الوصي ويتحدث عن العلامات التي أستوجب بها أن يكون وصيا)(٢)

(١) – انظر ما ذكرناه سابقا (الزيدية) .

(٢)– الرسالة الرابعة من رسائله المعروفة بالمجموعة الفاخرة ص ٤٦ – ٥١ نشرتها مكتبة اليمن الكبرى.

وغلب على اتباعه إتباعه في مذهبه في الأصول والفروع بموجب مقتضى مذهبه ونصوصه التي في كتابي الأحكام والمنتخب .

وأستمر فكر هذا المذهب باليمن لقيام أئمة استفادوا من هذا الفكر فعملوا على نشره في قبائل شمال اليمن مستغلين الطبيعة القبلية واحتكار التعليم في سلالاتهم وسلالات فقهاء ارتبطوا بمصالح مع الأئمة واستوطنوا بين تلك القبائل فيما يسمى (بالهجر) لبث هذا المذهب حتى وصل هذا الانحراف أن يدعو العامة عند الكوارث (يا هادياه)فأين هم من قول الرحمن (ولا تدعو مع الله أحدا).

المبحث الثاني

ركائز الإمامة عند الهادوية

ويمكن أن نتقصى ثلاثة دعائم للإمامة في نظر الهادي :-

الأولى : دعامة النسب "التميز السلالي " القائمة على قرابة الدم مع علي بن أبي طالب ، حين يشترط الهادي أن يكون الإمام من أبناء الحسن والحسين .

الثانية : الدعامة النقلية وفيها يورد الهادي الحجج الشيعية التقليدية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية.

الثالثة: الدعامة المتعلقة بالمؤهلات الشخصية التي يجب توفرها في من يدعي الإمامة مثل العلم والخروج ، والورع ، والتدين ، وغيرها

وسنحاول تبين الحجج التي أوردها الهادي في عرضة لقضية الإمامة منذ البداية حتى نصل إلى استخلاص الشروط التي يشترطها في الإمام .

يبدأ الهادي جدله حول الإمامة بطرح نظرية لفهم النبوة وارتباطها بالإمامة منذ القدم ، والى أن يصل إلى إثبات إمامة علي بن أبي طالب باعتبارها حجر الزاوية في دعوته والأساس الذي يستند إليه وهذا ما عليه الأثنى عشرية ، لأنه إذا سقطت أحقية علي بالإمامة سقطت نظريته في الإمامة بالضرورة، وبالتالي سقطت دعوته .

وللتدليل على الجذر التاريخي للإمامة وارتباطها بالنبوة يورد بعض الآيات القرآنية ،وأحيانا جزء من الآية ويؤولها بطريقة تؤيد ما يذهب إليه ، مثل قوله تعالى (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ، فأتمهن ، قال أني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي ؟ قال لا

ينال عهدي الظالمين) (*) ويعني هنا بجاعلك إماماً أي نبياً قدْوة يتعبك الناس وأنبياء من ذريتك لكن الهادي يؤولها بغير معناها بقولة ، فكانت النبوة والإمامة والوصية والملك في ولد إبراهيم ، وإلى أن **بعث الله محمد "ص" فأفضت النبوة إليه ، وختم الله الأنبياء به ، وجعله خاتم النبيين وسيد المرسلين .**

ثم يورد قوله تعالى(رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ)[1]

ولا تعني هذه الآية تميز سلالي للهادي وذريته أو لمن هم من البطنيين لأن هذه الآية هي قول الملاك لزوجة إبراهيم عليه السلام عندما جاء يبشرها بإسحاق فتعجبت ، فهي تعني لغة وعقلاً إبراهيم عليه السلام وزوجته [2] والهادي يبتر جزء من الآيات ويسردها بتوالي مع آيات وأجزاء من آيات أخرى ليموه بذلك السرد ليصل إلى مبتغاة في التميز السلالي لاستحقاق الإمامة .

وقال (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ)[3]

وفسرها الإمام زيد [4]بخلاف ذلك أي بقاء الحكم في هذه الذرية وفسرها جميع المفسرون بأنها قول" لا أله إلا الله ..."

وقال (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً)[5] ويؤلها الهادي بقوله " فكانت النبوة في إبراهيم ، وثم أفضت إلى إسماعيل ، ثم إلى اسحق ، ثم إلى ابنه يعقوب ، ثم إلى ابنه يوسف ، ثم في بني إسرائيل وبني يعقوب : الأول فالأول ، حتى كان آخرها عيسى ،وهذه الآية تعني الأنبياء وتذكر نعم الله على الأنبياء دون غيرهم وهي واضحة لغة وعقلا ولكن يستمر في سياقه بقوله " ثم حول الله النبوة إلى محمد خاتم الأنبياء فقال سبحانه (محمد رسول الله)[6] ولو ذكر الآية كاملةً لتضح المعنى جليا (محمد رسول الله والذين معهم أشداء على الكفار رحماء بينهم) حيث تصف الآية رسول الله ومن معه فمحمد رسول الله حقاً وصدقاً ولا

(*) – البقرة ١٢٤.

(١)– هود ٧٣.

(٢) – تفسير الجلالين – العلامة جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي .

(٣) – الزخرف ، ٢٨.

(٤) – تفسير الشهيد زيد بن علي المسمى تفسير غريب القرآن – ص

(٥) – النساء ٥٤.

(٦) – الفتح ، ٢٩.

تدل على أي تميز لمن بعده ثم يذكر بعد ذلك قوله تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا)[1]. فياليتهُ أتبع ذلك .

إن الهادي في استدلاله بآية " قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً "[2] وأن الإمامة نبوة كانت في ذرية إبراهيم حتى انتقلت الرسالة "إلى محمد "ص" .

هذه مغالطة كبيرة فلم تكن هناك إمامة بمعنى إرث الحكم في ذرية إبراهيم إنما هي بمعنى نبوة ورسالة فالنبوة والرسالة يضعها الله حيث يشاء ولا تورث

فالهادي عندما يربط النبوة بالإمامة فهو إنما أخذ هذا الأمر من الشيعة الأثنى عشرية الإمامية حيث يرجعون بالإمامة إلى عهد أدم عليه السلام وأن كل رسول معه إمام حتى بعث محمد "ص" والإمام من بعده علي بن أبي طالب فالهادي يلفق حتى يؤصل لنظرية متكاملة في الحق الإلهي في الملك والحكم والتحكم في رقاب الناس وما أضعف أدلته ولكن الجهلاء لا يفقهون

وبعد أن يربط بين النبوة والإمامة منذ إبراهيم يجعل الاعتراف بإمامة علي جزءا من الاعتراف بنبوة محمد .

قال : (ثم يجب عليه (المؤمن) أن يعلم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عبد الله ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وصفوته من جميع بريته ، خاتم النبيين ، لا نبي بعده ، وانه قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ثم قبضه الله حميدا مغفورا .

ثم يجب عليه أن يعلم أن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب أمير المؤمنين ، ووصي "رسول" رب العالمين ، ووزيره وقاضي دينه ، وأحق الناس بمقام رسول الله ، وأفضل الخلق بعده ، وأعلمهم بما جاء به محمد ، وأقومهم بأمر الله في خلقه)[3].

و نلاحظ هنا أن الهادي يرى أن عليا قد كان أحق الناس بخلافة النبي وهو لذلك يسميه بوصية ، ويحول الوصية إلى نظرية شاملة حينما يتحدث عن أنه قد كان لكل نبي وصي ، وهؤلاء الأوصياء يتمتعون ب" العلم بغامض علم الأنبياء ، والاطلاع على خفي أسرار الرسل لأحاطتهم بما خص الله به أنبياءه ، حتى يوجد عندهم من ذلك مالا يوجد عند غيرهم من أهل دهر هم ، فيستدل بذلك على ما خصهم به أنبيائهم ، وألقي إليهم من مكنون علمها، وعجائب فوائدها ، مما أوصى الله به إليهم مما لا يوجد أبدا عند غير

---

(١) – الحشر ،٧.
(٢) – البقرة – ١٢٤
(٣) – رسائل العدل والتوحيد ، ٢/ ٧٤ – ٧٩.

الأوصياء ، من ذلك ما كان يوجد عند وصي موسى وعند وصي عيسى مالا يوجد عند غيرهم من أهل دهرهم ، ومن ذلك ما وجد عند وصي محمد "ص" علي بن أبي طالب منها ما أجاب به عن مسائل الجاثليق ، ومن ذلك ما كان عنده من علم كتاب الجفر ، وما كان عنده من علم ما يكون إلى يوم القيامة ، مما اطلع الله عليه نبيه واطلع نبيه وصيه ، لم يعلمه عن الرسول غيره "(١) .

وبهذا يبني الهادي الأحقية السياسية لعلي بن أبي طالب ، ويبرر العلاقة بين الدم ووراثة الخلافة عن طريق العلم الخاص الذي يعطيه النبي لوصية ، وإدعاء معرفة الغيب ، وقول الهادي ، بحصر الإمامة في أبناء الحسن والحسين كأنما يقتضي احتكار هذا العلم المتوارث في بعض ذرية علي ، وهي حجة واهية لا تستطيع تسويغ هذا الحصر للإمامة

ويسند الهادي نظرية الوصية بأحاديث تنسب إلى النبي "ص" مثل حديث غدير خم : (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه ،وأخذل من خذله وانصر من نصره)

قالت الشيعة و المولى في اللغة بمعنى أولى فلما قال (فعلي مولاه) بفاء التعقيب علم المراد بقوله (مولى) أنه أحق وأولى فوجب أن يكون راءا بذلك الإمامة وأنه مفترض الطاعة ونرد على ذلك بالآتي :

أ) أن سبب هذا الحديث أنها وقعت خصومة بين علي رضي الله عنه وأسامه بن زيد وأسامه وأبوه زيد هما موالي رسول الله فجاء علي رضي الله عنه إلى رسول الله فقال له (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فأنظر إلى سبب الحديث وليس فيه ما يدل على أن الرسول أراد بهذا الحديث إعلان إمامة علي بعده فهذا لم يقل به أحدٌ من الصحابة ولم يحتج به أحد من الصحابة ولم يذكره أحد فعلم أن الرسول لم يرد بذلك الخبر إعلان إمامة علي رضي الله عنه ، ولو كان بما أرادوه لاحتجوا به على خلافة أبا بكر وعمر وعثمان ولعلمه الصحابة

ولا يعقل أن السابقين من المهاجرين والأنصار يعلمون أمراً أو نهياً لرسول الله ولا يعملون به أو يسكتوا عنه .

---

(١) – الهادي ، مسألة النبوة والإمامة ، مخطوط (ضمن مجمعة) ، ق ٨٠ – ٨٢.

ب) أنه ليس بمتواتر وقد أختلف في صحته وقد طعن فيه أبو داوود وأبو حاتم الرازي واستدلا على بطلانه بأن النبي ":ص" قال:-

(مزينة وجهينه وغفار واسلم موالي دون الناس كلهم ليس لهم مولى دون الله ورسوله).

قالوا : فلو كان قد قال : من كنت مولاه فعلي مولاه " فأن أحد الخبرين كذباً [1].

جـــ) ولو افترضنا أن الخبر صحيحاً رواه ثقة عن ثقة فليس فيه ما يدل على إمامته وإنما يدل على فضيلته وذلك أن المولى بمعنى الوالي فيكون معنى الحديث (من كنت وليه فعلي وليه) .

قال تعالى (فأن الله مولاه) أي وليه وكان المقصود من الخبر أن يعلم الناس أن ظاهر علي كباطنه وتلك فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه.

وقوله :(علي مني بمترلة هارون من موسى ، إلا انه لا نبي بعدي) ومترلة هارون معروفة وهو انه كان مشاركاً لموسى عليه السلام في النبوة و لم يكن ذلك لعلي ، وكان أخاً له و لم يكن ذلك لعلي ، وكان خليفة ، فعلم أن المراد بهذا الحديث هو الخلافة .

هذه هي حجتهم بأحقية الإمام علي في الخلافة من هذا الحديث .

أن رسول الله لم يرد بهذا الحديث الخلافة من بعده لعلي وذلك لأن هارون مات قبل موسى عليه السلام كما هو معروف .

أما الخليفة الذي خلف موسى على بني إسرائيل فهو يشوع بن نون فلو أراد الرسول الخلافة لعلي لقال له (أنت مني بمترلة يشوع بن نون من موسى) فلما لم يقل هذا دل على أن الرسول لم يرد الخلافة ولا عناها ولا قصدها ..

أ) أما سبب الحديث فهو عندما خرج الرسول إلى غزوة تبوك استخلف علياً على المدينة على أهله وقومه ، فأرجف به أهل النفاق وقالوا إنما خلفه بغضاً له فخرج علي فلحق الرسول "ص" وقال له : إن المنافقين قالوا كذا وكذا ، فقال الرسول كذبوا بل خلفتك كما خلف موسى هارون وقال(أما ترضى أن تكون مني بمترلة هارون من موسى).

---

(١)– وردت هده الردود في كتاب التفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

ولقد استخلف النبي على المدينة في كل غزوة كان يغزوها أحد الصحابة منهم ابن أم مكتوم ، ومحمد بن مسلمة وغيرهما فلم يقل أحد أنه عندما استخلف هؤلاء أراد لهم الخلافة من بعده .

فلماذا عندما استخلف علياً قالت الشيعة أن الرسول أراد بذلك الخلافة والإمامة.

ب) الرسول "ص" أوتي جوامع الكلم لو أراد أن يكون علياً خليفةً من بعده لقال بصريح اللسان أن علياً هو الخليفة من بعده وأنها في أبنائه إلى أن تقوم الساعة لا ينازعهم إلا ظالم .

كما قال لبني شيبه عندما أعطاهم مفاتيح الكعبة:-

(يا بني شيبه خذوها خالدة تالده لا ينزعها منكم إلا ظالم)

ولا زالت إلى اليوم مفاتيح الكعبة في أيدي أبناء بني شيبه والله أعلى وأعلم .

وقوله: (أنت قاضي ديني ، ومنجز وعدي)[1] ،وقوله: (أني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، أن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) .

وبهذا فقد حل هؤلاء محل سنة الرسول "ص" إضافة إلى أن معنى أهل البيت قد وردت في القرآن بمعنى يخالف ما أرادوه .

أما ما يذكر الهادي ، ما كان عند علي من علم كتاب الجفر فهو كتاب منسوب إليه من قبل الأثنى عشرية ويقولون فيه أن الرسول"ص" خصه بعلم الغيب لا يعلمه إلا علي بن أبي طالب وقد جاء في السنة النبوية .

" سئل الإمام علي : هل خصكم رسول الله بشيء ؟

فقال الإمام علي : لا والله ما خصنا بشيء إلا من ما يؤتيه الله في كتابه وما في هذه الصحيفة ، وكان في الصحيفة آية العقل ، وأن لا يقتل مسلم بكافر "

كما أورد الهادي أحاديث أخرى من تلك الأحاديث التي باتت تشكل حججا تقليدية يحتج بها الشيعة ، وتدور كلها على تأييد دعاوى الأحزاب الشيعية في أحقية علي وذريته في الإمامة .

---

(١)– كتاب الاصول في الدين ، ق ١٠٤ / نقلاً عن كتاب – معتزلة اليمن – علي محمد زيد

وسيتم مناقشة حجج الهادي والرد عليها ، ونبين ما فيها من صحة أو تلفيق ، إلا انه يمكن إيراد ملاحظتين أوليتين ضروريتين في هذا المجال :-

الأولى:-

أن الهادي حين يستشهد بآيات القرآن الكريم لإثبات نظريته السياسية يفرض على الآيات تفسيرات قسرية بحيث يفصلها عن السياق الذي وردت فيه ، وعن أسباب النزول ، ويؤولها بطريقة منافية للعقل ،وبالرجوع إلى جميع التفاسير نجدها لاتعطي المعنى الذي أراده الهادي لا في معنى الآية منفردة ولا في السياق أي انه يناقض منهجه العقلي الذي اتبعه في جدله مع المجبرة والمرجئة وغيرهما (١)، وابرز دليل على ذلك تفسيره للآية القائلة : **(ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا)** [٢] * التي جعلها مبرراً للتميز السلالي في استحقاق الإمامة بقوله أن ورثة الكتاب هم محمد وعلي ، والحسن والحسين ، ومن ولده من الأخيار .[٣]

الثانية:-

أخذه براوية شيعيه خاصة للحديث القائل (**أني تارك ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدى أبدا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي.**)بينما جمهور السنة يروي هذا الحديث رواية أخرى تقول : " أني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا ، كتاب الله وسنتي " ، وهذا يعني أن أحدا الروايتين باطلة ، ولا نستطيع أن نجزم أن رواية غير الشيعة هي الباطلة دون غيرها ، كما أن الهادي يأخذ بأحاديث اقل توثيقا من هذا الحديث ، مع أنه متكلم ، يستخدم العقل في تمحيص المسائل المختلفة .

---

(١) - ، وهو ما أوضحناه عند الحديث عن منهج الهادي في كتابنا الإمامة الخلافة .
(٢) – فاطر ٣٢.
(٣) – رسائل العدل والتوحيد ، ٢/ ٧٤ – ٧٩.

وبناء على هذا التفسير للآيات القرآنية ، وعلى هذه الأحاديث الشيعية يكفر الهادي الخليفة الأول أبا بكر، ويتهمه بالكذب على الرسول في الحديث الذي يقول" نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة) وهذا الحديث الذي اعتمده أبو بكر في أخذ "فدك" وهي ارض كان الرسول قد أخذها لنفسه عند دخوله خيبر فأعتبرها أبو بكر حقا عاما ، ومنع فاطمة من وراثتها (*)،ويجعل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مخالفاً لأنه قال في الستة الذين جعل الشورى فيهم عند موته وقد أوضحنا ذلك في كتاب الإمامة الخلافة .

وبعد أن يثبت الهادي إمامة علي بن أبي طالب ، وأحقيته بالمقام في مقام النبي عقب موته عن طريق الوصية الظاهرة في الأحاديث التي أوردها ، جعل الإمامة بعده في ابنيه الحسن والحسين ، لا بالوصية من أبيهما كما تقول بعض فرق الشيعية الأخرى ، ولكن عن طريق ما يمكن تسميته وصية نبوية غير ظاهرة .

فهو يورد فيهما حديثين أحدهما يقول (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما)(١) والحديث الآخر يقول : (هما إمامان ، قاما أو قعدا)، ويبدوا الحديث الأخير كما لو كان قد جاء ليرد على الذين انتقصوا من حق الحسن لأنه سلم أمر الخلافة إلى معاوية بدون مقاومة مع أن الكثير من المحاربين كانوا لا يزالون مقاتلين بين يديه ، مما أثار حفيظة الكثير من أنصار علي ، وعدوه استسلاما غير مقبول ...ومع أن الهادي يتحدث عن الوصية إلى علي بلفظها الصريح ، إلا انه عند الحديث عن الحسن والحسين لا يتحدث عنها بلفظ صريح مماثل ، وان كان يستخدم في حقهما الحجج نفسها التي يستخدمها لإثبات أحقية أبنائهما في الإمامة (٢) ، لكنه يجعل الإيمان بإمامتهما جزءا من الإيمان حين يقول : " واجبة طاعتهما مفترضة ولايتهما "(٣) .

ويرفض الهادي اتخاذ الإجماع طريقا إلى الإمامة، لأن إجماع المسلمين في نظرة لم يكن يوما طريقا إلى الإمامة ، (ولإثبات ما يقول) يستعرض الخلافات التي تفجرت يوم السقيفة ، وعدم مبايعة علي وأنصاره لأبي بكر واختلاف المهاجرين والأنصار ، والأوس والخزرج ، ورفض سعد بن عبادة مبايعة أبي بكر ، ويشير إلى أن من حضر السقيفة لم يكن جميع المسلمين في المدينة ، فإذا كان هذا في المدينة فكيف بالمسلمين ، وخاصة الصحابة خارج المدينة .

(*) -معتزلة اليمن (دولة الهادي وفكره — علي محمد زيد
(١) — الأصول في الدين ، ق ١٠٤.
(٢) - الأصول في الدين ، نفسه ، رسائل العدل والتوحيد ،نفسه، تثبيت إمامة أمير المؤمنين وتثبيت النبوة ق، ٨٣.
(٣) — رسائل العدل والتوحيد ، نفسه.

وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن الخلافة تقوم ببيعة أغلبية المسلمين ولا تقوم بإجماعهم فأجماع الأمة على أمر بعينه أو شخص واحد أمر مستحيل و لا يقبله العقل .

كما يرفض الاختيار أيضا طريقا إلى الإمامة ، ونحن نرى أن الاختيار هو عملية ترشيح وأما البيعة فأنها تتم من عامة المسلمين ، إما بالبيعة مباشرة أو بالسكوت وعدم المعارضة ونرى أن اجتهادات اختيار وبيعة الخلفاء الثلاثة كانت اجتهادا بشريا لم يصل إلى منتهى المثالية ، ولا يعطي مبررا لجعلها في سلالة بذاتها كما يرى الهادي ، وإنما يؤصل بأن أمر اختيار الخليفة من المباحات قابل للتطور ومتغير حسب الزمان والمكان وقائما على الصلاح والكفاءة .

ورفضه عملية الاختيار لأنها في نظره لم تكن يوما طريقا إليها .

بدليل أن الذين اختاروا أبا بكر لم يشكلوا كل الجماعة الإسلامية في المدينة، في وقت كان فيه كثير من المسلمين ومن الصحابة في مناطق إسلامية أخرى، كاليمامة والبحرين واليمن ، ويمضي من جديد في سرد الخلافات التي دارت يوم السقيفة .

وينفي الإجماع عن خلافة عمر لأن أبا بكر هو الذي اختاره لمنصب الخلافة ، وأمر المسلمين بمبايعته ، وعمر جعلها شورى بين ستة من الصحابة فقط ، [1] ونلخص ذلك في الأتي :-

١- أن الذين اختاروا أبا بكر لم يشكلوا كل جماعة المسلمين ،لأن الخلافة تقوم بالأغلبية وكانت هذه الأغلبية بعد إعلان أبا بكر خليفة لرسول الله بالمسجد ومبايعة بقية المسلمين لمن تم مبايعته في السقيفة هو تأكيد أخر بأن اختيار الخليفة حق للجميع وأن ما روي من أن مجموعه من الصحابة تأخروا عن البيعة والبعض امتنعوا إنما يؤصل لذوي الألباب حرية الرأي ويؤصل قيام الخليفة ببيعة الأغلبية إلى آخره .[2]

وينتهي من هذه المحاججه إلى رفض الإجماع والاختيار متمسكا بنظريته القائمة على الوصية الظاهرة في علي ، فكيف يتأتى ذلك بين أناساً قال الله تعالى فيهم {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } التوبة ١٠٠

(١)- وقد أوضحنا ذلك في كتابنا (الإمامة الخلافة عبر العصور آنموذجاً) في مبحث "الدولة الإسلامية عهد الخلفاء الراشدين "
(٢) - ارجع إلى المصدر السابق " الدولة الإسلامية عهد الخلفاء الراشدين"

وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون وهؤلاء يستحيل أن يخفون أمرا أو يسكتون عنة أو يخالفون أمراً أو نهياً لله أو لرسوله ولو تأمل المدعون ببصيرة نافذة لوجدوا هذه الادعاءات غاية في الخطورة لما يترتب عليها من تبعات تؤدي إلى اهام صحابة الرسول أما بالعصبية أو بالمخالفة أو بالسكوت عن أمرًا قضي به الرسول (ص)،ويرى الهادي وجود الوصية "غير الظاهرة" من النبي إلى الحسن والحسين ، ثم تبقى في ذريتهما حسب توفر الشروط التي وضعها الهادي للإمام [1]

ولا يمكننا الحديث عن شروط ثابتة للإمامة في أعمال الهادي ، محددة بعدد لا تزيد ولانتقص ، ولكننا نحدد شروطا معينة تتردد في كل مرة يتحدث فيها عن شروط استحقاق الإمامة .

وهكذا نجد الهادي يتحدث عن الشروط الواجب توفرها في الإمام بطريقة تلقائية لا تدل على انه قد حدد "شروطا" ثابتة محددة ، لكننا نجد فيما أوردناه من اقتباسات وفي غيرها ، بعض الشروط التي تتردد دون ترتيب وتصنيف ، سنحاول تبينها لنجعل منها شروطه للإمام ، فالإمام هو :-

١-من أبناء الحسن والحسين .
٢-الداعي (الذي يعلن دعوته بالإمامة على الناس).
٣-الذي يخرج ويشهر السيف ويقاتل الظلمة .
٤-العالم .
٥-الشجاع .
٦-الورع .
٧-المباين للظالمين .
٨-الزاهد .
٩-المساوي بين الرعية .
١٠- السخي .

---

(١)- تثبت الإمامة ، ق ١٦٣ - ١٦٧. ففي رسائل العدل والتوحيد نجده يشترط في الإمام : أن يكون " ورعا تقيا ، صحيحا نقيا، وفي أمر الله مجاهدا ، وفي حطام الدنيا زاهدا ، وكان فهيما لما يحتاج إليه ، عالما بتفسير ما يرد عليه ، شجاعا كميا ، بذولا سخيا رؤفا بالرعية ، متعطفا شحسنا حليما ، ومساويا لهم بنفسه ، مشاورا لهم في أمره ، غير مستأثر عليهم ، ولاحاكم بغير حكم الله فيهم ، قائما شاهرا لنفسه ، رافعا لرايته ،مجتهدا ، مفرقا للدعاة في البلاد ، غير مقصر في تأليف العباد ، مخيفا للظالمين ،مؤمنا للمؤمنين ، لا يسامن الفاسقين ولا يأمنونه ، بل يطلبهم ويطلبونه وقد باينهم وباينوه ، وناصبهم وناصبوه ، فهم له خائفون ، وعلى كرهه جاهدين ، يبغيهم الغوائل ، ويدعو إلى جهادهم القبائل ، متشردا عنهم ، خائفا منهم ، لا يردعه عن أمور الله ولا يمنعه عن الاجتهاد عليهم كثرة الإرجاف ، شمري مشمر مجتهد غير مقصر "

ويقع الهادي في تناقض في نظرته لقضية الوراثة في الإمامة ، فهو مثلا يحاج الرافضين لإمامة علي بن أبي طالب عقب موت النبي بالقول انه إذا كانت النبوة لاتورث فإن السلطة ، أو ما يسميها الحكومة ، تورث وعلى ذلك فأهل بيت النبي أحق بميراثه من غيرهم (١)

لكنه حين يأتي إلى الإمامة ينفي أن تنال بالوراثة ، قال: (الإمامة لا تكون في الوراثة)(٢) وعلى هذا فالورثة لا تعد شرطا من شروط الإمام رغم أن الهادي يحصر الإمامة " في موضع مخصوص" كما عرفنا .

وهذا الرفض للورثة مسألة عملية أكثر منها نظرية ، لأن الشروط التي يشترطها مثل العلم ، والورع ، والزهد ، والشجاعة ، والسخاء ، خصائص يكتسبها الإنسان من مجتمعه ، ولا يرثها من آبائه ، كما أن المهمات التي يفرضها على الإمام مثل الدعوة ، والخروج ، وإشهار السيف ، والقتال ، تقتضي توفر شروط وخصائص في المتصدي لهذا المنصب لا تتوفر أيضا بالوراثة بل تعمل على التنافس والصراع بين أبناء هذه السلالة .

ومع ذلك يبقى تسامح الهادي في مسألة الوراثة محددا بحصر الإمامة في أولاد فاطمة ، وإذا كان الهادي يركز في شروطه للإمام على توفر كل مقومات الشخصية القادرة على الوصول إلى الناس والتأثير فيهم وحشدهم للخروج معه ، والقتال تحت قيادته لنشر دعوته ، فانه من الجانب الآخر قد فرض على جميع الناس الجهاد وطاعة الإمام ، ولم يجوز لأحد التخلف أو القعود عن تلبية الدعوة والقتال إلا بأربعة أعذار قاطعة ، حددها بأسمائها وهي : المرض ، والعرج ، والعمى، والفقر المدقع " فمتى كان على واحدة من هذه الأربع الخصال جاز له التخلف عن الواحد ذي الجلال ، ومن لم يكن كذلك وجب عليه فرض المهاجرة والقتال " (٣) وقال : " أن النفير والهجرة في سبيل الله واجب على كل من عرفه ، ممن عدم أربعة أشياء ، وكان سالما منها ، وهي العرج والعمى ، والمرض ، والفقر ، فمن لم يكن من أهل هذه الأربعة الأشياء فالهجرة عليه والنفير واجبان ، والجهاد والقيام لازمان لا يفكه عن فرضهما ولا يريحه عن واجب أمرهما إلا القيام بهما "(٤) .

عندما يحدد الهادي أربعة أسباب كعذر لعدم الخروج للقتال معه ضد المسلمين .

فالله سبحانه يقول في سورة التوبة في جهاد الكافرين :

---

(١)- كتاب من اعتزل الشك ، ق ١٧٠.

(٢) — مسألة النبوة والامامة ، ق ٨١.

(٣)- دعوة إلى احمد بن يحيى بن زيد ، ق ١١٤.

(٤)- مسائل ابي القاسم الرازي ، ق ١٢٦.

" فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾".

والرسول "ص" قال لأحد شباب المسلمين " ولك أبوان ؟ قال :نعم.

- ففيهما مجاهد ".

وهذا عندما يكون الجهاد فرض كفاية ، فالهادي لا يحدد الجهاد بفرض عين وفرض كفاية لأنه يقود حرب عصابات ضد المسلمين فلا بد أن يخترع أسباب من عنده مبيحة لعدم الخروج حتى يحقق مآربه السياسية في الوصول إلى الحكم .

وهكذا نرى أن اغلب شروط الإمام موقوفة على خدمة قضية الخروج ، ذلك لأن الهادي قد صاغها في وقت كان فيه يعد نفسه لثورة شاملة تكتسح الخلافة العباسية ، ولهذا يبدوا الورع والعلم والزهد ، مؤهلات أولية تقرب من يريد الخروج إلى الناس وتجعله مقبولا ،والشجاعة ، والسخاء ، ميزتان ضروريتان لمن يريد أن يجمع الناس من حوله ليخوض بهم ومعهم حربا طويلة طموحة كتلك التي أراد الهادي أن يشنها ابتداء من اليمن وانتهاء بالاستيلاء على الخلافة العباسية .

وشرط الدعوة ليس سوى الخطوة الأولى التي تلي إعداد كل الترتيبات للخروج فيقدم الإمام نفسه إلى أنصاره ، ويعلن عليهم كتاب دعوته ، كما فعل الهادي عند وصوله إلى صعده، ويرسل نسخا منها إلى كل المناطق والأشخاص الذين يدعوهم لمبايعته واتباعه .

وبما أن الهادي كان في حاجة إلى المقاتلين من كل مكان في البلاد العربية والإسلامية ، فقد افترض على المسلمين الهجرة من دار الظالمين واللحاق بالإمام حيثما كان ، يسمي المنطقة التي يسيطر عليها الإمام مركز دعوته"دار الحق والمحقين" (١) وتطبيقا لهذا الفرض هاجر كثير من الطبريين إلى الإمام الهادي في صعدة وقاتلوا معه في معاركه المختلفة ، وهذا المفهوم للهجرة عند الهادي يختلف عن مفهوم الهجرة عند القاسم الرسي ، فهي عند القاسم هجرة فردية يعتزل فيها المرء مخالطة السلطة وتحسين مفاسدها والاختلاط المعيشي معها ، أي اتخاذ موقف تطهري ضميري أكثر منه موقفا عمليا يؤدي إلى حشد الناس في ثورة غايتها تغيير السلطات الظالمة وإزالتها ، أما موقف الهادي من الهجرة فهو موقف سياسي عملي ، يجعلها هجرة تجمع كل الرافضين لسلطة الخلافة العباسية في جمهور مقاتل تحت قيادته ، أنها هجرة شبيهه بهجرة النبي إلا أنها ليست موجهة لمحاربة غير المؤمنين

(١)- رسائل العدل والتوحيد ، ٢/ ١٠٥ – ١٠٦.

بالرسالة المحمدية ، والاختلاف في موقف كل من القاسم والهادي في النظر إلى الهجرة محكوم بالظرف التاريخي الذي عاشه كلاً منهما .

و يشترط في الإمام الدعوة والخروج و كل مستجيب لا بد أن يعلن موقفه بصراحة ، وإذا أكره على اتخاذ مواقف لا تنسجم وقناعته فأن أمامه الهجرة إلى دار الإمام ، ومع ذلك نرى الهادي يبيح شكلا من التصرف يقرب من التقيه ، حيث يقول : (١) و" لا تجوز موالاة الظالمين لأحد من المؤمنين وموالاتهم فهي مودتهم ومحبتهم أما المداراة للظالمين باللسان والهبة ، والعطية، ورفع المجلس ، والإقبال بالوجه عليهم ، فلا بأس " ليس هذا السلوك سوى شكل من أشكال التقية ، وربما سمح بهذا التصرف قبل الخروج لا بعده .

و إذا وقف المخالف للإمام موقفا غير محارب للإمام ، أو موقفا (محايدا) ، فان الهادي يوجب على أنصار الإمام توجيه الضغوط العملية والنفسية المختلفة نحوه ، وجعله في وضع المنبوذ المحارب اجتماعيا وتعريضه للمضايقات المختلفة ، مما لا يجد معه بدا من الاستجابة لدعوة الإمام والقتال معه لينجو من هذه الحالة ، أو الهجرة من منطقة سيطرة الإمام إلى مكان أخر يتوفر له حالة من السلامة والاطمئنان المادي والنفسي بالقياس إلى دولة الإمام.

أما مسألة " المهدي المنتظر" فأن الهادي يرى أن "المهدي " هو آخر إمام من أبناء الحسن والحسين قبل انتهاء العالم (٢) .

ومع ذلك فان شرط الهادي في حصر الإمامة لمن قام بها ودعا إليها من البطنين قد جعل مشكلة تحديد الأحق من هذه السلالة مشكلة لأنه إذا كان الخروج طريق الإمامة فان الأقوى عسكريا هو الذي يستطيع فرض نفسه على الآخرين ، كما حصل في مرات كثيرة فيما بعد (٣) ونقطة الضعف في نظرية الهادي بهذا الخصوص هي أنه لم يحدد الطرق التي يمكن بواسطتها ضمان تسليم السلطة إلى من يتمتع بالشروط والأفضلية على غيره من الخارجين والمطالبين بالإمامة ، وقد قاده التركيز على شروط الخروج وما يقتضيه من توفر أسباب القوة وتحقيق النصر العسكري ، إلى تجاهل المخاطر الجدية على السلطة وعلى المجتمع ، التي يمكن أن يقود إليها خروج اكثر من إمام في زمن واحد وفي مكان واحد

(١) – مسائل الإمام الهادي ، ق ١٠٧.

(٢)– دعوة الهادي إلى احمد بن يحيى بن زيد ، ق ١١٥ .

(٣) – هناك أمثلة عديدة في تاريخ اليمن فرض فيها الإمام الأقل علما ومعرفة وأهلية للحكم ، ولكن الأقوى عسكريا ، سلطته على منافسيه ممن يعدوّن من كبار علماء عصرهم مثل : يحيى بن حمزة [٧٤٧– / ١٣٤٦ (١٣٤٧) ، احمد بن يحيى بن المرتضى [٨٤٠/ ١٤٣٦ (١٤٣٧)].

وخاصة إذا توفرت لهذا المبدأ بيئة قبلية قابلة بطبيعتها للخروج ، فيأتي هذا المبدأ ليعطي المسوغ النظري لانتشار حالة الاضطراب والفوضى السياسية[1]

سنورد ما جره هذا الفكر من حروب وفتن في كتابنا هذا (الأئمة الهادويون الفكر والتطبيق) ، أبتدأ من الفصل الرابع عهد الهادي ٢٨٥هـ إلى نهاية حكم الأئمة بأذن الله ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

(١) – اقرب مثال إلى عصر الهادي تقاتل حفيديه من ابنه احمد الناصر ـ٣٢٢/ ٩٣٣) : يحيى بن احمد بن يحيى الذي تلقب بالمنصور ، والقاسم الذي تلقب بالمختار ، مما أدى إلى سقوط الدولة التي أسسها الهادي وجر على صعدة الخراب .

الفصل الثالث

العوامل التي ساعدت على انتشار الهادوية في اليمن

- صراع العلويين على السلطة (الخلافة)
- الحب المتأصل في الإنسان اليمني للدين والتدين
- تشيع اليمنيين في الإمام علي كرم الله وجهه
- ظلم وجور أغلب ولاة الأمويين والعباسيين
- شعور اليمنيين بالمعاناة والجور لاستئثار القرشيين بالحكم والقيادة.
- حرمان اليمن من التطور الفكري والثقافي
- تشيع الأبناء ومناصرتهم للعلويين
- بعد اليمن عن مركز الخلافة
- التقلبات المناخية
- الصراع القبلي
- وعورة التضاريس في اليمن
- عدم نشوء أي مدن جديده باليمن
- تنمية الفكر الهادوي للصراع القبلي
- دور القبيلة في الإسلام
- تعريف القبيلة
- تركيب المجتمع القبلي.

. الفصل الثالث

العوامل التي ساعدت على انتشار الهادوية في اليمن

إن وصول الهادي يحيى بن الحسن الرسى إلى اليمن لم يكن إلا عندما توفرت له الظروف السياسيَّة و الاجتماعية سواء على مستوى الساحة الإسلامية أو اليمنية تلك الظروف كانت البيئة المناسبة لتحقيق الهادى طموحه في أقامه دوله للعلويين فوصل إلى اليمن مستغلا ما ترتب على ظلم وجور العباسيين والأمويين وولاتهم لكثير من الولايات الإسلامية ومتأثرا بالأفكار والمذاهب التي انتشرت وكان العامل الرئيسي لقدوم عدة أسر ادعت انتماءها إلى هذه السلالة هو انتشار أفكاره التي تؤصل لهم التميز في استحقاق الإمامة ولذلك وجد أتباع لهُ

ومن أهم العوامل لانتشار الهادوية في اليمن ما يأتي :-

١- صراع العلويين على السلطة (الخلافة) :-

كان الطموح في نفوس العلويين أولاد علي بن أبي طالب يداعبهم بين فينة وأخرى للوثوب على الخلافة ، ونزوعهم إليها أكثر بكثير من بني عمومتهم أولاد جعفر بن أبي طالب ومن بني العباس أيضاً لأنهم يرون إنه سلب عنهم الحق الإلهي في الحكم (الخلافة) وأنهم أهلها و أحق بها من هؤلاء ووهؤلاء وساعدهم على ذلك تعاطف المسلمين مع ما حصل للإمام الحسين وزيد بن علي رضي الله عنهما عندما استشهد الحسين سنه ٦٢هـ على يد الخليفة يزيد بن معاوية وقتل أتباعه من أهل المدينة في واقعة (الحره) ثم خروج الإمام زيد بن على رضى الله عنه سنه ١٢٢هـ /٧٤٠م على الأمويين - وقاتل عامل الأمويين يوسف بن عمر الثقفي في خلافة هشام بن عبد الملك وكانت نهاية خروجه أن قتل بعد ثلاثة أيام من القتال في الكوفة.

فاستغل ذلك التعاطف لنشر الفكر الشيعي النابع مما بثه عبد الله بن سبأ والفكر الساساني الفارسي القائم على أحقيتهم في إرث النبوة والحكم ولذلك استمر صراعهم على الحكم ومنازعة الأمويين ثم العباسيين ولم يفلحوا فشكلوا خطراً على الأمويين والعباسيين فلاحقوهم وفتكوا بهم وكان سبب ذلك ما ظهر من دعاوى العلويين لاستحقاق الخلافة وخوف الأمويين ومن بعدهم العباسيين على ملكهم أو من مشاركة العلويين لهم مما دفع العلويين للجوء إلى اليمن وبعض أقطار الدولة الإسلامية مثل فارس، مصر،المغرب وعملوا على نشر أفكارهم لتحقيق حلمهم في الوصول إلى الحكم .

ومن خرج على العباسيين محمد بن عبد الله ابن الحسن في المدينة وأخوه إبراهيم بن عبد الله في البصرة أيام المنصور العباس ١٤٥هـ /٧٦٢م وكان مصيرهما القتل.

وكذلك الحسين بن على الفخى ١٦٩هـ / ٧٨٥م أيام الهادي العباسي.

ثم محمد بن إبراهيم بن إسماعيل في الكوفة سنة ١٩٨هـ ٧٤٥م في أيام المأمون.

ثم محمد بن محمد بن زيد بن علي سنة ١٩٩ هـ ٨١٥م بالبصرة وانتهى في سجن المأمون [١].

ملاحقة العباسيين للقاسم بن إبراهيم في عهد المعتصم ٢١٨ – ٢٢٧هـ / ٨٣٨ - ٨٤١م رغم أنه لم يقوم بالخروج وبقي متنقلا في الصحراء ومتخفيا بها.وغيرهم من العلويين في فترات زمنية مختلفة، وخرج إلى اليمن دعاه للإسماعيلين هم منصور حوشب وعلي بن الفضل سنة

وخرج في طبرستان **الحسن بن زيد** ٢٥٠هـ -٨٦٤م أسس دولة زيدية وحينما قتل تولي بعده أخوه **محمد بن زيد**٢٧٢هـ - ٨٥٨م إلى ٢٨٧هـ -٩٠٠م ولم تعترف الزيدية بهما إمامان.

ثم ظهر الهادي يحيى بن الحسين عندما بايعه العلويين من الزيدية في الحجاز سنة ٨٩٣ م / ٢٨٠هـ ولقب **الهادي إلى الحق** وأتجه إلى طبرستان فلم يستطع إكمال دعوته فعاد ثم أتجه إلى اليمن ٢٨٠هـ ففشل ثم عاد مرة أخرى إلى اليمن عام ٢٨٤هـ فنجح في إشعال الحروب ونشر فكره القائم على التميز السلالي في الاستحقاق الإلهي لهذه السلالة في الحكم وساعده على ذلك عدة عوامل نذكرها فيما سيأتي ، وانقسم العلويون إلى فرق ومذاهب أهمها " الشيعة والإسماعيلية والهادوية يجمعهم هدف واحد هو السلطة والحكم ومن أجل ذلك أشعلوا الحروب ضد العباسيين وولاتهم وفيما بينهم

٢-الحب المتأصل في الإنسان اليمني للدين والتدين :-

إن من أوائل الأسباب التي أدت إلى انتشار التشيع في اليمن الحب المتأصل، في الإنسان اليمنى للدين والتدين [٢] و الفطرة السليمة الممتزجة بالعاطفة و النصرة للمستضعفين هذه الصفات من أهم ما أدركها مؤسسي الفكر الهادوي والإسماعيلي إن الأمر لن يتم لهم إلا من حيث تم أول مره ويؤكد ذلك ما قاله ميمون القداح لمنصور حوشب عندما أرسله إلى

---

(١) - أبن المرتضى – المنية والأمل.

(٢) - اليمن الجمهوري – عبد الله البردوني .

اليمن حيث قال: إن الأمر لا يتم إلا من حيث بدأ أول مره ويعني بذلك مناصرة الأنصار لرسول (ص) ونشر الدعوة بهم وباليمنيين من بعدهم.

٣–تشيع اليمنيين في الإمام علي كرم الله وجهه :–

ومن الأسباب التي استفاد منها من أسس الفكر ألها دوى هي حب اليمنيين للإمام على كرم الله وجهه والتشيع فيه والذي بدأ منذ زيارة الإمام علي لليمن ومشاركة اليمنيين له في معاركه فقد روت كتب السيرة والتاريخ أن علي كرم الله وجهه قد خرج لليمن مرتين وكانت لمعرفة اليمنيين له أثر في التشيع به.

وكان قد لقي استقبالا وحفاوة لم يلقاها خالد بن الوليد عندما خرج لليمن أو غيره من الصحابة فصا حبه كثير من اليمنيين مثل حجر بن قيس المدري من أهالي قرية مدر قبيلة أرحب وله عنه روايات وكان من أجل الفقهاء وكان يراجعه طاووس [(١)] فيما دونه من أحاديث عن الإمام علي وكذلك ناصرة كثير من اليمنيين أثناء خلافته ومشاركتهم له في حروبه ضد الخوارج و معاوية فقد روي أن سعيد بن قيس الأرحبي كان سيد همدان أيام (صفين) وكذلك تعاطف اليمنيين مع العلويين لما أصابهم من قتل وتشريد من قبل الأمويين والعباسيين وقد زاد التشيع في علي كرم الله وجهه خاصة بعد استشهاده عام ٤٠ هـ ويؤيد ذلك استشارة الحسين لأبن عباس عند خروجه من مكة إلى العراق حيث قال ابن عباس : أرى يا ابن أخي أن تقر في مكة حتى يأتي الناس إليك فإذا لم يكن لك مناص من الخروج فأذهب ومن معك من المقاتلين تاركا أهلك في مكة وإذا أردت أحسن الأمور قصدا فلترحل إلى اليمن حيث شيعة أبيك.

إن حب اليمنيين لعلي كرم الله وجهه كان من العوامل التي ساعدت الهادي يحيى بن الحسين على جمع الأنصار حوله محاولا إقامة دوله باليمن وبالتالي مكنته من بث أفكاره فيما بعد ومما ساعد على ذلك ما شاع من أن عليا كرم الله وجهه قد قال في همدان يمدحهم لشدة بأسهم ونصرهم له وقتالهم معه ومما روي أنه قال فيهم :–

فوارس من همدان ليسوا بعزل غداة الوغى من شاكر وشبا ومن أرحب الشم المطاعين بألقن وهم وأحياء السبيع ويام.

حتى قال :

فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان أدخلوا بسّلام

(١) – كان من أوائل من جمعا الحديث عن الرسول (ص)

وقد أختلف في نسبة هذه الأبيات إلى علي كرم الله وجهه.

٤- ظلم وجور أغلب ولاة الأمويين والعباسيين :-

ومن الأسباب التي ساعدت على قدوم الهادي وانتشار فكره ما كان من ظلم وجور الولاة الأمويين والعباسيين وما قاموا به من تعسف وسفك دماء بالإضافة إلى عدم رؤية اليمنيين فيهم القدوة الحسنه الموجبة لطاعتهم ومنها ما كان يفرضه ولاة الأمويين من إجبار الخطباء على لعن علي مثلما كان أيام ولاية محمد بن يوسف الثقفي أخا الحجاج على صنعاء حين أجبر حجر بن قيس أن يلعن عليا فموه بقوله:- إن الأمير محمد بن يوسف أمرني أن العن عليا فالعنوه عليه لعنة الله [١].

ويؤكد ذلك ما روي أن سوده بنت عمارة بنت الأشتر اليمانية ذهبت إلى معاوية فقالت له :-[٢] لا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسلطانك فيحصدنا حصد السنابل ويسومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة هذا ابن أرطاة قدم بلادي وقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعه فأما عزلته فشكرناك وأما لا فعرفناك ، فقال معاوية: إياي تهددين بقومك والله لقد هممت أن أردك إليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك.

وحبهم المتأصل للدين والتدين وما صنعه الولاة كان سببا في ثورة اليمنيين على الخلافة القرشية الأمر الذي جعلهم يأملون في وصول يحيي بن حسين الرسي بديلا عن ظلم وجور الولاة أمثال : معن بن زائدة وما عرف عنه من بشاعة في سفك الدماء وخاصة بجزرة حضرموت وقد لقبه اليمنيون بالجزار.

ونتيجة لمثل هذه الأفعال كان اليمنيون يثورون على الولاة حتى أن أبا جعفر المنصور أستدعى قائدة معن بن زائدة وقال له : أريد أن تسمعني أصوات أهل اليمن ولم ينجح معن رغم ما فعل في تحقيق غاية مولاه بل خرج من اليمن فارا ولقي مصرعه على أيدي يمنيه ومثل معن هذا يحيى بن موسى الوالي على اليمن أيام المأمون الذي لقبه اليمنيون بالجزار ونتيجة لظلم الولاة لم تكن اليمن مرتبطة بمركز الخلافة إلا اسميا.

وظهر ذلك في القرن الثامن الميلادي أيام الزياديين الذين حكموا اليمن وفقا لسياسة (الاستكفاء)أي أنهم كانوا يحكمون اليمن ولا يرتبطون بمركز الخلافة إلا اسميا.

---

(١)- مساجد صنعاء — محمد بن احمد الحجري .

(٢)- العقد الفريد — لإبن عبد ربه .

٥- شعور اليمنيين بالمعاناة والجور لاستئثار القرشيين بالحكم والقيادة:

كانت ثورة اليمنيين نتيجة لعدم معاملة الأمويين والعباسيين لهم بالتساوي ، وحرمان اليمن من الغنى والرقي الذي شهدته الدولة الإسلامية فلم يكن لها نصيبا من الاهتمام الفكري أو المادي من قبل الأمويين والعباسيين فلم نجد فيما ذكره المؤرخون أي منجزات باليمن تدل على اهتمام الخلفاء العباسيون أو الأمويون باليمن تلك الأوضاع كانت أهم دوافع الثورات اليمنية مثل ثورة الهيصم بن عبد الحميد المنتاب ومثل ثورة قبيلتي عك والأشاعره في تهامة وما حولها في عهد المأمون.

إن ما تركه الأمويون وغذوه من صراع بين القيسية واليمنيين واعتبار اليمنيين قوى عليها أن تحارب وتعاني دون أن تشارك في الحكم أنعكس ذلك إلى داخل اليمن فأصبحت اليمن شبه ثائرة على هذا التمييز فكريا وماديا مما دفع بعض رموز الفكر اليمني إلى الدفاع عن الهوية اليمنية بإبراز أصالة ماضي الإنسان اليمني كردة فعل على التميز الطائفي الذي تبناه الأمويون ابتداء مما رواه معاوية في الأمراء من قريش.

إن ما عاناه اليمنيين من التعالي والاستئثار بالأمر من قبل الأمويين والعباسيين عبر عن ذلك كثير من اليمنيين فكرا وشعرا فيقول ابن معد كرب:

نعطى السوية في طعن لـــه نفـــذا	ولا نساوى إذا تعطـــى الـــدنانير
وإن نمت يوم طعن دون ســـيدهم	قالت قـــريش ألا تلـــك المقـــادير

وقد عبر عن هذا الاتجاه بعض العلماء المعاصرين وأحفاد القوى اليمنية التي هاجرت وحاربت في صف الإسلام نتيجة الشعور بالمعاناة والاضطهاد في الأمصار عند استئثار القرشيين بالحكم والقيادة وغنائم الحروب وبالتالي ما تركه الصراع الذي افتعلته وغذته السلطة الأموية بين القيسية واليمانية في نفوس اليمنيين المهاجرين الذين كانوا يضطرون للدفاع عن أنفسهم – كأي أقليه تعاني الاضطهاد – بالافتخار بماضيها الحضاري مقابل انتقاص القرشيين لهم واعتبارهم قوى مأجورة عليها أن تحارب وتكدح دون المشاركة في الحكم وقد أنسحب هذا الشعور نفسه إلى داخل اليمن(١) فكانت ثورة اليمنيين وعدم خضوعهم.

٦- حرمان اليمن من التطور الفكري والثقافي :-

لم تزدهر الحركة الفكرية والثقافية باليمن مثلما ازدهرت في بغداد والكوفة و البصرة وغيرها نتيجة للأسباب السابقة ولعدم اهتمام دولة الخلافة باليمن أصبحت اليمن بيئة ثائرة و لا تتبع مذهبا معنياً في جميع أرجاء اليمن ، إن مرور قرنين ونصف من الزمن على اليمن في ظل وضع من عدم الاستقرار نتيجة لما سبق جعل اليمن بيئه خصبه لأي مذهب تتلقفه

---

(١) – مراجعات نقدية حول الثقافة والفكر في اليمن : تأليف محمد بن محمد الشعيبي .

بالقبول مهما كانت اتجاهاته وساعد على ذلك الروح القتالية لليمنيين وخاصة في قبائل شمال الشمال التي كانت عاملا في تحقيق أهداف الخارجين على الخلافة الأمر الذي ساعد الهادي على نشر دعوته بين تلك القبائل وبالتالي إقناعهم بمناصرته.

٧- تشيع الأبناء [١] ومناصرتهم للعلويين :-

يبدوا أنه كان للعلويين وأنصارهم بعض الصلات بالأبناء [٢] منذ وقت مبكر وكان هؤلاء الأبناء رغم قلة عددهم يحتلون مراكز اقتصادية مرموقة لاستحواذهم على أخصب الأراضي في صنعاء وذمار واشتغالهم بالتجارة في عدن وغيرها وعملهم في التعدين في مناجم الذهب والفضة والحديد وكونهم أقليه تمسك بأهم النشاطات الاقتصادية في مناطق وجودهم و هم الذين وصلوا إلى اليمن قبل الإسلام مع سيف بن ذي يزن عند ثورته على الأحباش وقد دخل الإسلام اليمن وحاكم صنعاء من الأبناء وهو باذان فأقره الرسول (ص) على صنعاء وفقا لنهج الإسلام القويم القائم على العدل والمساواة و الأخوة الإسلامية وقد مالوا عن الحق بتوارث حكم صنعاء وظهر منهم بعض التعالي فأدى إلى قيام بعض الحروب بينهم وبين السكان ويبدوا أن الأبناء قد تأثروا بالتشيع الذي أنتشر ببلاد فارس وأيا كان صحة هذا القول فقد وقفوا مع أول داعيه علوي [٣] وصل اليمن وخرج بها وهو إبراهيم بن موسى الذي قدم إلى اليمن داعيا لمحمد بن إبراهيم طبا طبا الخارج بالكوفة مع أبي السرايا أيام المأمون سنة ١٩٨هـ / ٨١٤ م وقد كان هذا مهووسا لأنه عمد إلى الإسراف في القتل وسفك الدماء فقتل المئات من الشهابيين والآكيليين وبني الحارث بنجران و السليمانيين بعيان والعلويين بريده والكباريين بأثافث بظهر والحواليين ببيت ذنحار وبنى نافع بالسر و وحمير[*] أما صعده فقد خفت من سكانها ((و لم يبق إلا جماعه بحيدان)) وهدم سد الخانق ودمر المدينة لذلك سمي هذا الداعية في كتب التاريخ بإبراهيم الجزار، فجهز العباسيون جيشا أغلبه من اليمنيين بقيادة محمد بن عيسى بن ماهان فوقعت معركة بين الفريقين هزم على أثرها إبراهيم بن موسى وأُسر بقرية جدر من مديرية بني الحارث بمحافظة صنعاء ، وكان طبيعيا أن ينتهي هذا العمل الجنوني إلى هزيمة الجزار وانتهاء أمره فالمجازر التي أرتكبها دفعت اليمنيين لقتاله و إخراجه ،وبهزيمة الجزار (انتهت أمور العلوية باليمن) آنذاك لكنه حين جاء كان القتال مندلعا بين بني فطيمه والأكليين

(١) - هم يمنيون من أصل فارسي ويقال أنهم يمنيون كانوا بفارس وعادوا مع سيف بن ذي يزن .
(٢) - الاكليل ١/ ٣١ه الهمداني .
(٣) - المحلي الحدائق الوردية ١/ ٢١٦ الهمداني اللاكليل ١٠/٤٠٤ ، ١٣١ ، ١٣٣، ٨/ ١١٥ ، الأشعري ص ٨١ ، الرزي ، تاريخ صنعاء ص ٢٣٦.
(*) - غاية الأماني / ١/ ١٤٨- ١٤٩.

وهما حيان في صعده فدعم بني فطيمه ونكل بالأكليين ولهذا الأمر أهميه كبرى بالنسبة لموضوعنا ، وذلك لأن بني فطيمه هم الذين استدعوا فيما بعد الهادي يحيى بن الحسين إلى صعده ليجعل منها قاعدة لدولته وناصروه بحماسه لم تظهرها أي قبيلة أو جماعه يمنيه أخرى وهذا لايعني أن الجزار خلال إقامته القصيرة في اليمن قد جعل من بني فطيمه أنصار أبديين متشيعين للعلويين ولكنه خلق بداية علاقة لعلها استمرت وتوطدت حتى خروج الهادي إلى صعده سنة ٢٨٤ /٨٩٧(*)

٨- بعد اليمن عن مركز الخلافة :-

كان للموقع الجغرافي لليمن البعيد عن مركز الخلافة أثر في عدم قدرة الدولة المركزية علي السيطرة عليه وساعد على ذلك فساد الولاة ووعورة الطبيعة الجغرافية وتشتت التجمعات السكانية تلك البيئة كانت مأوى صالحا للعلويين الهاربين من بطش الأمويين والعباسيين ابتداء من بداية القرن الثاني الهجري سنة ١٩٨هـ حيث خرج إلى اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن الحسين بن علي وكان من مساندي دعوة الإمام محمد بن إبراهيم بن طباطبا ، والذي أجتذب بعض القبائل كما سبق وكما خرج إلى اليمن منصور حوشب الذي سعى إلى إقامة دولة إسماعيلية باليمن.

٩- التقلبات المناخية:-

إن التقلبات المناخية وخاصة انخفاض معدل سقوط الأمطار خاصة في شرق وشمال اليمن كان يؤدي إلى مجاعات إذ يعتمد اليمنيون على الزراعة والمرعي كباقي المناطق فإذا قلت الأمطار أو انعدمت أستغل الهادي و أدعياء الإمامة من بعده ذلك الوضع فكان يتم دفع قبيلة أو مجموعه من القبائل لبث دعوتهم منين تلك القبائل بمغانم عند الغزو بها لإخضاع المناطق الأخرى خاصةً أن دعوة الخارجين كانت تبدأ في قبائل المناطق قليلة الموارد فتدفع لنشر دعوتهم في المناطق الخصبة ،تلك التقلبات المناخية و ما ينتج عنها ساعدت أدعياء الإمامة على استغلال حاجات تلك القبائل لتحقيق مقاصدها.

١٠- الصراع القبلي :-

كان الصراع بين القبائل السبب الرئيسي في عدم خضوع قبيلة للأخرى أو لزعامة من القبيلة الأخرى وتكونت أحلاف رئيسية بين القبائل عملت على الردع المتبادل ذلك الواقع ساعد على انتشار الفكر الهادوي و أنصاره من جانبين:

(*) - معتزلة اليمن – علي محمد زيد.

الأول : استغل الهادويون الوضع القائم فالتجئوا إلى قبيلة ودفعوها ضد الأخرى ونشروا أفكارهم وجعلوا للصراع مبرراً مذهبياً فتراكمت العداوات وأصبحت القبائل مهيأة لاستخدام إحداها ضد الأخرى وخاصة في مسألة إحياء الجوانب السلبية للقبيلة والقبلية على حساب ما قام به الإسلام من استغلال للجوانب الإيجابية للقبيلة والقبلية كمكون أساسي للمجتمع على أساس المساواة والأخوة الإسلامية والولاء للأمة تحت هدي الإسلام .

الثاني : ربطت زعماء القبائل بمغانم سياسية (بإقرارها على المناطق التي تحت يدها و أحيانا يقتطع لهم مناطق أخرى) فعمل هؤلاء على تجميع القبائل ودفعها لقتال القبائل والمناطق الأخرى

خاصة في ظل التركيبة القبلية لشمال اليمن تلك الأسباب ساعدت على انتشار الهادويه بالإضافة إلى تخلي الولاة العباسيون والأمويون عن مسئولياتهم والذي كان نتيجة إهمال الدولة المركزية ولموقع اليمن الجغرافي ولوعورة تضاريسها كل تلك الأسباب جعلت اليمن محط أنظار الخارجين والطامحين إلى الحكم سواء الخوارج أو الشيعة أو الولاة والقادة أو الزعامات القبلية المحلية.

١١ – وعورة التضاريس في اليمن:-

نظرا لطبيعة اليمن الجغرافية وتضاريسها الوعرة المكونة من جبال شاهقة و أودية وشعاب ومناطق ساحليه حارة ومناطق صحراويه قاسية المناخ.

تلك الطبيعة كانت بيئة صالحه لحماية الخارجين على الخلافة الأموية والعباسية وساعد على ذلك أيضا وجود المئات من الحصون المعينية السبئيه والحميرية التي كانت ملاذا آمنا للإسماعيليين والهادويين بالإضافة إلى أن آلاف القرى هي عبارة عن حصون على قمم الجبال ويؤكد ذلك ما أشار به ميمون القداح على منصور حوشب أن يبدأ دعوته من (عدن لاعه) وعدن لاعه هو حصن منيع في محافظة حجه يقع في أعالي جبال شامخة يصعب اقتحامها أو سقوطها وما يؤكد ذلك أن الغالبية العظمى من الأئمة الهادويون ادعوا الإمامة أو الحسبة من حصون منيعة تقع على قمم الجبال الشامخة ومنها دفعوا القبائل اليمنية لشن الحروب لفرض سيطرتهم وهذه الحصون والجبال الشامخة هي التي حققت لهم حماية الاستمرارية في البقاء وإثارة الفتن ،فقد خرج الهادي من حصون صعده وخرج آخرين من حصن ناعط ومن حصن قوارير وذي مرمر والظاهر ومسور ودعان وهران وغيرها الكثير الكثير ،وقد ذكرنا كثيرا من الحصون ومن خرج منها من الأئمة في ما سيأتي .

ويؤكد مناعة تلك الحصون صمود المطهر في حصن ثلا أمام بارود ومدافع العثمانيين سنين طويلة وعجز العثمانيين عن اقتحامه لاحتواء هذا الحصن اليمني القديم على كل متطلبات الحياة من المنشآت السكنية وخزانات المياه الضخمة والمعمورة بأسلوب فني فريد يجعلها تختزن كميات كبيرة من الأمطار وكذلك مخازن الأطعمة المنحوتة في الصخر والمعدة بطريقه تحافظ على الحبوب سنين طويلة بالإضافة إلى المساكن المنحوتة بالصخر، زد على ذلك أسوارها وبوابتها المنيعة و المبنية بطرق هندسية وعسكرية يستحيل اقتحامها وهذا الحصن يقع فوق جبل صخري يرتفع أكثر من ألفين متر فوق سطح البحر ومدخل سلالمه من داخل مدينة ثلا وهذه المدينة أيضا محصنه بسور ضخم وبواباتها مبنية بنمط هندسي يصعب اقتحامها.

١٢- عدم نشوء أي مدن جديده باليمن :-

مما ساعد على بقاء وانتشار الفكر الهادوي وأئمته في مناطق صعدة وما حولها هو بقاء المناطقيه والقبلية باليمن وعدم اختلاط سكان تلك المناطق بالآخرين الأمر الذي أدى إلى عدم احتكاكهم وتأثرهم بأفكار وثقافات تقف أمام الفكر الهادوي وكان ذلك نتيجة لعدم تأسيس تجمعات سكانية جديدة (مدن) منذ دخول الإسلام اليمن ما عدا مدينة زبيد التي أسسها الزيادي سنة ٢٠٣هـــ.

إن تأسيس مدن جديده كان سيؤدي إلى استقرار الناس فيها من مناطق وقبائل مختلفة وسيؤدي بالتالي إلى امتزاج الثقافات والعادات والتقاليد وبالتالي سيؤدي إلى القضاء على الولائات الضيقة للقبيلة أو المنطقة ، وسيؤدي إلى رقي هذا المجتمع وذلك بتأثير من يحملون فكرا وثقافة أعلى على من هم أدنى (تكوين ثقافة مشتركة)

١٣- تنمية الفكر الهادوي للصراع القبلي :-

إن المتتبع لمسيرة التاريخ اليمني بعد الإسلام يجد أن أهم عاملين أثرا في تقدم وتخلف المجتمع اليمني وفي حالتي الحرب والسلم هما ما أصله الفكر الهادوي في مسألة التميز السلالي في استحقاق الإمامة وما ترتب عليه من تمايز بين أبناء المجتمع نتيجة لفرض هذا الفكر بالقوة ، والقوة هي القبيلة فنما الفكر الهادوي الطبيعة القبلية واستغل التركيبة القبلية للمجتمع اليمني و لم يعملوا بما جاء به الإسلام المتمثل في إحلال رابطه الولاء للعقيدة محل رابطة الولاء للقبيلة (النسب والدم) وجاء الإسلام بفكرة "الأمة" الإسلامية كشكل

اجتماعي أرقى متجاوز للقبيلة تطويرا لا إلغاءً[1] ولكن الفكر الهادوي وأئمته عملوا عكس ذلك فعملوا على إبقاء الولاء للقبيلة والمذهب وتعاملوا مع القبيلة ككيان و لم يعملوا على دمجها إطار الأمة فظلت الكيانات القبلية بانتشار ذلك الفكر وأئمته فكلا العاملين ساعدا على إبقاء ونماء الأخر.

فإذا كانت الطبيعة القبلية هي البيئة الحاضنة للأئمة الهادويون وهي الأرض الخصبة فقد أستغلها الأئمة لبذر أفكارهم الهادفة إلى ترسيخ مسألة التميز السلالي القائم على أنهم ورثة النبوة (الحكم والعلم)

تلك الأفكار ما كانت لتنمو وتنتشر إلا بعمل الأئمة على إثارة النعرات القبلية وتأجيج العداء المتبادل بين القبائل الذي عملوا من أجله وقاموا به .

إن القبيلة كانت الأداة المنفذة لفكر الهادي القائم على التميز السلالي باستحقاق الإمامة لمن هم من البطنين .

و لم تكن القبلية أداة لتنفيذ ذلك الفكر إلا بعد أن تأصلت العدوات والانقسامات كثقافة يستحيل معها خضوع تلك القبائل لأي زعيم من إحداها ، ذلك الناتج حتم قبول القبائل بحكم أو سلطة أي شخص لا ينتمي إلى إحداها ، وهذا ما حدث حين نشبت الحرب بين الفطاميين والاكليين (هما القبيلتين اللتان تسكنان صعدة سنة ٢٨٥) ، تلك الحرب بين الفصيلين دفعت إحداهما " الفطيميون" إلى استقدام الهادي يحيى ابن الحسين .

تلك الحرب التي أنهكت كلا الطرفين مع عدم رضوخ إحداهما للأخرى ذلك الصراع كان السبب في القبول بحكم الهادي الذي بذر البذرة الأولى لفكره ومضى الأئمة من بعده على نفس النهج ، ومثل صعده كانت بقية مناطق قبائل شمال الشمال فقد كان الصراع على أشده بين الدعام ابن إبراهيم زعيم بكيل واحمد بن محمد الضحاك زعيم حاشد فنفس السبب أفرز نفس النتيجة.

فاستمال الهادي الدعام ، وقبل الدعام مناصرة الهادي لكي لا يرضخ للضحاك ومال الضحاك للهادي كي لا يكون السبق للدعام ، وعمل الهادي على إنماء الكيان والنعرة القبلية للردع المتبادل بين القبائل ولاستخدام قبيلة لإخضاع الأخرى حال تمردها أو خروجها عليه ولم يعمل على دمجها في كيانٍ واحد وتحت راية واحدة ، وكان يتخذ مبدأ فرق تسد ..

(١) – راجع : رضوان السيد – الامه والجماعه والسلطه ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ ، محمد عماره – معالم المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ص ١٧٧

وكان ينمي ذلك بإبقاء نفوذ زعماء القبائل على مناطقهم وبما يبيحه لهم من مغانم يحصلون عليها من القبيلة أو المنطقة المغلوبة ، و إذا كان الهادي لم يستطع أن يخضع تلك القبائل لحكمه فمرده إلى :

*لم يكن قد تمكن من بث فكره وبالتالي لم يجد رجالا يؤمنون بفكره فأعتمد على الطبريين لأن فكره لم يستطع أن يصنع ولاءً دائم لغموضه بادئ الأمر ولاستخدام القوة في فرضه أضف أن نتيجته كانت قتل المسلم للمسلمٍ وتولية الغريب على اليمنيين فأفرزت تلك الحالة ثورة اليمنيين عامة والقبيلة خاصةً .

*عدم قدرة القبيلة أو مجموعة من القبائل الموالية لهُ السيطرة على القبائل الأخرى.

* وجود زعامات يمنية طموحه لحكم هذه البلاد مثل بني يعفر وبني طريف و انتشار الإسماعيلية بزعامة ابن حوشب (منصور اليمن) وتمركزها في مسور وما حولها

إلا أن ارتكاز دعوة الهادي على أساس ديني في صورة تميز طائفي سلالي قد تطابق مع الطبيعة القبلية ونماها وأدى استيطانه واتباعه من الطبريين وغيرهم فيما يسمى (الهجر) ذلك الاستيطان للهادي واتباعه قد مهد لسلالته واتباعهم في السير على خطاه في نشر فكره السياسي في مسألة الحق الإلهي في الحكم لسلالته وساعده على ذلك أخذه بفقه المذهب السائد (الحنفي) مما أدى إلى عدم استفزاز الناس وأظهر في بادئ الأمر اعتدال نهجه في الفقه وأصول الدين مقارنة بما قامت عليه الدعوة الإسماعيلية من تشيع وفكر منحرف عن ثوابت الكتاب والسنة .

وإذا كان بقاء القبلية باليمن بجانبها السلبي إلى تاريخ قدوم الهادي كان نتيجة لجور وظلم الولاة الأمويين والعباسيين وحرمان اليمنيين من حقهم في رقي وغنى الدولة الأموية والدولة العباسية .

وإذا كانت الطبيعة الجغرافية والنزعة الاستقلالية والثورية للقبائل اليمنية سببا في ثورة اليمنيين فإن الهادي استغل هذا الحال محاولا تحقيق طموحه في تكوين دولة لهُ ولذريته تحت شعار إعادة حق العلويين في الحكم ، ونشر فكره فيما بعد وبالتالي أدت الطبيعة القبلية آلي استمرارية أدعياء الإمامة والخارجين عليهم .

إن ما تأصل من ممارسات سلبية للقبيلة وما سار عليه الأئمة فكرا وعملا كان أهم عاملين في إشعال الفتنه باليمن لأكثر من ألف عام.

وكان من الواجب على الأئمة الهادويون أن يعملوا وفقا لشرع الله الذي جعل القبيلة قيمة إيجابية في تنمية ورقي وقوة الأمة على النحو الأتي :-

- دور القبيلة في الإسلام :-

جاء الإسلام مُقرا لتعدد وتنوع الروابط الاجتماعية المختلفة كرابطه (العائلة – العشيرة – القبيلة – القومية – الوطن – المعتقد – اللغة) فعالمية الإسلام تقوم على وحدة البشرية وهي وحدة تعترف بتعدد الألسن والشعوب والأقوام .

قال تعالى(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ)(١) .

وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)(٢) .

لذا فقد قدم الإسلام مشروعا توحيديا شاملا لهذه الروابط المتعددة باعتبارها جزءا من كل بحيث ينظم وجودها ودورها ضمن الكل الموحد الذي جاءت به العقيدة الإسلامية(٣).

وقد رأى الإسلام عشية نزول الدعوة أن الوضع الاجتماعي السائد في جزيرة العرب وضع فاسد لكن فساده لا يرجع إلى فساد الإطار الاجتماعي القبلي بل إلى فساد الديناميات الداخلية في الوحدة الاجتماعية (القبيلة والعشيرة) أما الوحدة الاجتماعية العصبية فهي عاديه أو طبيعية رغم عدم تحقيقها للاندماج الكامل في المركز (٤) لقد سلك الإسلام في تعامله مع المجتمع العربي "القبلي " وقيمه طريقين متوازيين (٥) .

الأول/ الإبقاء على الأشكال والتنظيمات الاجتماعية القائمة مع تطوير وتغيير مضامينها فقد أبقى الإسلام على القبيلة ولم يلغى أسسها التنظيمية بل حيد مضمونها الإنطوائي أو الولائي واخرج القبيلة في صياغة تنظيميه جديده مكنها من بعث القوى الكامنة فيها وانتقل بها إلى مستوى حضاري أرقى حيث حافظ على قيمتي التماسك والتضامن مع تقويم الأسس القائمة عليها لتحل رابطه الولاء للعقيدة محل رابطة النسب والدم.

(١) – سورة الروم آيه ٢٢.
(٢) – سورة الحجرات آية ١٣.
(٣)– منير شفيق – الاسلام في معركة الحضارة (تونس : دارالبراق للنشر ، الطبعه الأولى ١٩٩١) ص ١٠٠ – ١٠٢هـ.
(٤)– رضوان السيد – الامة والجماعة والسلطة مرجع سابق ، ص ٢٦.
(٥) – منى ابو الفضل ، مرجع سابق ص ٢٢– ٢٤.

الثاني / بلورة أشكال تنظيميه جديده فقد جاء الإسلام بفكرة "الأمة" الإسلامية كشكل اجتماعي أرقى متجاوز للقبيلة تطويرا لا إلغاءً [*] لأن الأمة كمفهوم يتجاوز القبيلة ويعلو عليها ولكنه لا يلغيها إذ ليس من شرط قيام الأمة انتفاء القبيلة فكما تتكون الأمة من المسلمين كأفراد متضامنين فإنه لاشيء يحول دون بقاء هؤلاء الأفراد مرتبطين بـــ" القبيلة" كإطار اجتماعي داخلي

ولذا فقد سعى الإسلام إلى إقامة الوحدة بين فئات الأمة وليس دمجا لهذه الفئات إذابه لها [1] ومن ثم حدث تدرج في الانتماءات وارتقاء الولاء إلى مستوى أعلى وأسمي فبعد أن كانت الانتماءات الفردية تتطابق مع الولاثات وتنحصر حول محور القبيلة فحسب، اصبح قيام الأمة الإسلامية يمثل تعددا في الانتماء (من القبيلة)إلى الأمة ، أما الولاء فقد صار خالصا للأمه المجسدة للأخوة الإسلامية[2]فالإسلام لم يسع لتحطيم تلك الروابط أو إلغائها بل ضبطها وشذبها وطور مضمونها بحيث لا تطغى وتستبدل بل تقوم بدور إيجابي في تعزيز الوحدة الإسلامية الشاملة [3].

وفيما يتعلق بموقف الإسلام من القيم القبلية يلاحظ انه اقر القيم الإيجابية (التماسك والتلاحم ، المروءة والوفاء ، العفة والشرف ، إكرام الضيف وحماية الضعيف ، الحرية والشجاعة والإباء) بعد أن عدل وطور منها بحيث تغدو منسجمة والقيم الإسلامية وتعمل في إطار الأمة الإسلامية وليس على مستوى القبيلة فحسب فمثلا قيمتا التماسك والتضامن بعد أن كانتا تعملان في إطار قبلي ضيق طورها الإسلام ووظفها لتفيد الإسلام أمة وعقيدة [4] وبالمقابل رفض الإسلام القيم والأعراف القبلية السلبية ودعا إلى إحلال قيمة ومفاهيمه الجديدة مكانها .

ومن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على هذا الإحلال والرفض للقيم والأعراف القبلية :-

- قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)" سورة الحجرات آيه ١٣.

(*) – راجع : رضوان السيد – الامه والجماعه والسلطه ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ ، محمد عماره – معالم المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ص ١٧٧

(١) – رضوان السيد – الامة والجماعة والسلطة ، مرجع سابق ص١٥٥.

(٢)– منى ابو الفضل ، مرجع سابق ص٢٣.

(٣) – منير شفيق – الاسلام في معركة الحضارة ، مرجع سابق ص ١٠٠ .

(٤)– قال الله تعالى (إنما المؤمنون اخوه ....) سورة الحجرات من اية ١٠.

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا .....) سورة آل عمران من اية ١٠٣.

- قال تعالى :(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً) سورة الفتح آية ٢٦.

-قال تعالى (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) المجادلة آية ٢٢.

- قال تعالى (مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً) سورة المائدة من الآية ٣٢.

ومن أحاديث الرسول "ص":-

- قال رسول الله "ص" (ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبيه) رواه أبو داو ود .

- ورُوي أن الرسول (ص) سئل : ما العصبية ؟ فأجاب :" أن تعين قومك على الظلم" رواه أبو داو ود .

- وقال رسول الله"ص" (أيها الناس إن ربكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على اسود ولا اسود على احمر إلا بالتقوى) رواه احمد

ومن ذلك :-

*- رفض العصبية القبلية الضيقة المفرقة وإحلال الولاء الديني محل الولاء القبلي وفكرة الأمة بدلا من القبلية ومن ثم تمحور الولاء والانتماء حول العقيدة لا صلات القرابة والنسب [1] .

*- منع الأخذ بالثأر وفقا للعرف والقيم القبلية وأوكل مهمة الآخذ به لولي أمر المسلمين،[2]

(١) – محمد سليم العوا – في النظام السياسي للدوله الاسلامية (القاهرة : دار الشروق الطبعة الاولى ١٤١٠هـ – ١٩٨٩،ص ٥٥ –٥٦ ، ٦٨ .

(٢)– جواد على – مرجع سابق ص ٣٩٨.

وجعل السلطة بيد الدولة بدلا من الفرد والقبلية في تطبيق القانون وتنفيذ العقوبة.[١]

*-ابطل مفهوم الغزو وفرض الجهاد للدفاع عن العقيدة وحفظ الأمة التي غدت غير محدده بحدود بشريه أو أرضيه بل تتفق وانتشار الإسلام [٢] أيد نصرة القريب حين ظلمه وفقا لمقولة (انصر أخاك ظالما) أو مظلوما ولكنه أي الإسلام فسر نصرة الظالم تفسيرا إسلاميا إذ جعل نصرة الظالم منعه من الظلم .[٣]

ولذلك فمن الموجب دراسة القبيلة في اليمن تعريفا وتركيبا ودورها اجتماعيا وسياسيا خلال فترة الفتنه السلالية للأئمة الهادويون .

تعريف القبيلة :-

عرف علماء اللغة القبيلة بأنها:-

جماعة من الناس تنتسب إلى أب أو جد واحد كقبائل العرب وأخذ بذلك المعنى كثير من المؤرخون والنسابون ، وهو أمر افتراضي يستحيل إثباته .

* ويتكون المجتمع من :-

فخذ ثم عمارة ثم قبيلة ثم شعب .

وعلى ذلك فأن القبيلة في اليمن هي عبارة عن مجموعة من البشر تقطن على بقعة جغرافية وتجمعهم عادات وتقاليد ولهجة مشتركة ويتناصرون فيما بينهم (وينتمون حقيقة أو وهما آلي اصل مشترك ويشعرون بانتسابهم إلي أب أو جد أعلى).

وقد ذهب المؤرخون والناسبون أن العرب ينقسمون إلى جدين هما قحطان وعدنان[٤].

وانتشار الاهتمام بالأنساب كان من أسبابه ما روج كثقافة مذهبية لتميز من هم من البطنين فكان أدعياء الانتساب إلى البطنين يعملون على وضع أنساب تصلهم بهذه السلالة ليحصلوا على المكانة الاجتماعية والمغانم التي اصلها فكر الهادي.

---

(١)- حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في عصر الجاهلية (بيروت المؤسسه الجامعيه للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى سنة ١٩٨٤ ، ص٨١ .

(٢)- عبد العزيز الدوري التكوين التاريخي للأمة العربية مرجع سابق ص ٣٧ -٣٨.

(٣)- قال رسول الله "ص" :- انصر اخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يارسول الله انصره إذا كان مظلوما ، أرايت إن كان ظالما كيف انصره؟ قال "ص" تحجره أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره) رواه البخاري .

(٤) - جواد علي / المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الرابع ، (بيروت : دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ ص ص ٣١٣-٣١٤ ، عمر فروج ، تاريخ الجاهلية (بيروت دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ ، ص ١٤٩ فيليب حتى (وأخرون) تاريخ العرب ، الجزء الأول (بيروت : دار الشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢، ص ٣٣.

توفر القبيلة إطار لهوية مشتركة وترتب حقوقا والتزامات على أفرادها ،وأهم عامل تقوم به القبيلة هو المصلحة المشتركة .

تركيب المجتمع القبلي :-

تتكون القبيلة من :- الأسرة فالرهط فالفخذ فالبطن .

أما التقسيم في اليمن : فتتكون القبيلة من أرباع أو أخماس وكل قسم له أسم.

وكل قسم (الربع أو الخمس) يتكون من عدة قرى تزيد أو تنقص وكل قرية تنقسم إلى أربعة أرباع غالبا وقد يكون تقسيم القرية على أساس النسب أو الموالاة ويكون رأس كل قبيلة شيخ، ويكون لكل قسم من أقسام القبيلة شيخ يسمى شيخ الربع أو الخمس ويكون لكل قرية شيخ وعلى راس كل ربع من أبناء القرية عاقل .

وتتكون أكثر القبائل من عدة قبائل صغيرة بداخلها تكنى ببني فلان أو آل فلان أو ذو أو عيال وهناك قبائل داخل القبيلة الكبيرة لها أسماء بدون كناية مثل : مراد وقيفة ، ورداع ،و سنحان ، وهمدان

وتنقسم قبائل اليمن إلى ثلاث قبائل رئيسية هي:

مذحج وبكيل وحاشد ، تضم أغلب سكان اليمن وتتميز القبيلة بالتضامن والشعور بروح الجماعة وهي تشكل تنظيما منقسما إلى شرائح اجتماعية متعددة يشتمل على الفئات التالية[1] :

* **زعماء القبيلة ومشائخها** ويمثلون السلطة السياسية والناطقين السياسيين باسم قبائلهم .

***الفرسان أو المحاربون** : وهم القاعدة العسكرية للقبيلة التي تتكون من أبناء القوى الاجتماعية ذات النفوذ الاقتصادي و الاجتماعي المحلي وهم في الغالب من أبناء زعماء القبائل والبطون والأفخاذ والأسر والعائلات .

* **العامة** : وهم سواد القبيلة وحاملو الأعباء فيها كالرعاة والمزارعين والحرفيين.

---

(١) – مسعود ضاهر (القبيلة كمؤسسه سلطوية في المشرق العربي الحديث " مجلة الوحدة(المغرب) السنة الأولى ، العدد (١) أب / اغسطس ١٩٨٥ ص ٥-٦ .

***العبيد** : وهم موالى القبيلة والملحقين بها يشاركونها سراءها وضراءها،[1] و لم يعد لهذا القسم وجود باليمن .

وهكذا فأن وحدة القبيلة لا تنفي التخصص الفئوي بين أفرادها وفقا للتقسيم السابق، حيث أن التوازن الدقيق بين الفئات الاجتماعية يكفل تأمين الاستمرارية الاقتصادية — الاجتماعية للقبيلة ودورها السياسي .

*فلكل فرد في القبيلة موقع اجتماعي خاص به يصعب تجاوزه بسبب الموروث القبلي الذي يمثل دور الضابط القانوني لعمل القبيلة العربية وديمومتها[*] .

والقبائل اليمنية عرفت أنماط ثلاث للإنتاج هي الرعي والزراعة والصيد ، ويسود في أغلبها نمط الزراعة والرعي .

وانتشرت الحرف والصناعات الأولية وخاصة بين القبائل الأكثر استقرارا.

وكانت ظاهرة الغزو من الوسائل التي استخدمتها القبائل اليمنية لكسب الرزق عندما لا تقوم الدولة بفرض هيبتها ولا تقوم بواجباتها حينما تنعدم مصادر الكسب ، وخاصة عند الجدب وعدم سقوط الأمطار .

*وقد عُلل استمرارية النظام القبلي :-

- إلى عدم وجود دولة متكاملة الأركان تعمل على دمج أفراد القبائل في كيان واحد (الدولة أو الأمة) ذلك الكيان الذي يقوم على المساواة ومشاركة الجميع في مختلف تكوينات الدولة بما في ذلك الحكم

- ملائمة النظام القبلي لطبيعة بلاد العرب ومنها اليمن والتي يغلب عليها الجفاف ونلاحظ ذلك بإبقاء القبيلة بشكل فعال في المناطق قليلة الخصوبة وضعف دورها وتماسكها في المناطق الخصبة من اليمن

- انتشار الفكر الهادوي القائم على التميز السلالي واعتماده على القبيلة ككيان وقوة تحقق مبتغاة .

إن القبيلة موجودة كمكون أساسي للمجتمع ولكن استمرارها عمليا ككيان يستأثر بولاء الأفراد على حساب الولاء للأمة قد ظل نتيجة لعدة عوامل أهمها :

---

(١)- محمد زهير مشارقه ، الحياة الإجتماعية عند البدو في الوطن العربي (دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمه والنشر ، الطبعة الاولى ١٩٨٨) ص٨٩.

(*) - مسعود ظاهر (القبيلة كموسسه ٣.

– جور وظلم كثير من الدول مما جعل القبيلة هي المدافع عن حقوق الأفراد والطوط المنيع الواقف أمام ظلم واستبداد الحكام

– لضعف دور الدولة في أغلب تاريخ اليمن الإسلامي .

–لاعتماد كثيرا من الحكام على القبيلة بدلا من تكوين الجيوش.

– لانتشار الفكر الهادوي بين تلك القبائل وخاصة في مرتكزا ته القائمة على :

أن الإمامة تجب لمن قام بها ودعا إليها لمن هم من البطنين وهذا جعل أدعياء الإمامة يلتجئون إلى القبيلة في تأسيس حكمهم وفرض سلطانهم .

– جواز مبدأ الخروج على الظالم والحسبة عليه بدون ضوابط أو شروط مما دفع الخارج أو المحتسب إلى الالتجاء إلى قبيلة تحقق له الضغط على الإمام القائم أو خلعه .

– معاملة الأئمة للقبلية ككيان موحد في اخذ ولاء القبيلة أو في حربها أو في جبايتها .

– عدم قيام حكام اليمن على أساس تنمية القبيلة اقتصاديا واجتماعيا وخاصة التعليم والتنشئة الدينية القائمة على ثوابت الشرع في المساواة والأخوة في الله .

– استخدام الأئمة القبائل في ردع بعضها البعض وتحفيزها بإباحة السلب والنهب للقبيلة أو القبائل الموالية للأئمة.

– وما يؤكد أن الفكر الهادوي هو العامل الرئيسي لإنماء الجوانب السلبية للقبلية هو **أن القبائل التي لم ينتشر بها الفكر الهادوي لم تقم بعمليات الغزو والسلب والنهب للمناطق الخصبة** والمثل على ذلك قبائل المناطق الشرقية باليمن (البيضاء – مأرب – شبوه) وهي قبائل ذات كثافة بشرية وقدرة قتالية ومناطقها جافة يغلب عليها التصحر ، وهذا يرد ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن القبيلة كانت أحيانا تدفع أدعياء الإمامة لإشعال الحروب والفتن وإذا كانت بعض القبائل قد قامت بمثل ذلك فمرده إلى الفكر الهادوي المنتشر بها كمذهب وتمرسها على القتال والغزو نتيجة لقيم ذلك الفكر الذي يدعوا إلى وجوب مناصرة الإمام القائم والقيام مع الخارج عليه ولجواز قيام إمامان في آن واحد ولأن هذا الفكر يؤصل للصراع على السلطة بين أبناء هذه السلالة.

– تلك الأسباب أدت إلى بقاء القبيلة قوة فاعلة في الصراع السياسي وبالتالي أفرزت نمو سلطة المشائخ ودورهم داخل القبيلة وعلى مستوى المجتمع مما عاد بالقبيلة في مجال الغزو والسلب إلى ما قبل الإسلام .

وتحولت الزعامة القبلية من مكانة يحصل عليها الشيخ برضا واختيار أفراد قبيلته أو صفوهم بناء على معايير الشجاعة والأقدام والتضحية (أي منصب يستحقه بخصاله وكفاءته) فتحولت إلى نمط وراثي أفرز مصالح ومكانه للمشايخ داخل القبيلة وعلى مستوى الدولة ووصلوا إلى مرحلة فرضوا أنفسهم قسرا على الحاكم وأبناء القبيلة، ففرض الشيخ مصالحه على الدولة بالقبيلة وفرض نفسه على القبيلة بنفوذه بالدولة والسبب تدني أو انعدام عدل وقدرة الدولة فتحولت القبيلة من دورها الإيجابي إلى الدور السلبي في إشعال الفتن وعدم الاستقرار فكانت نتيجة لما أصله الفكر الهادوي للصراع على السلطة.

وسيتضح دور الفكر الهادوي وأئمته في دفع القبيلة لإشعال الحروب والفتن منذ وصول الهادي ٢٨٥هـ حتى سقوط أخر الأئمة البدر محمد احمد حميد الدين ١٣٨٢هـ كما سيأتي في تاريخ الأئمة الهادويون.

الفصل الرابع

عهد الهادي وبداية التأسيس

المبحث الأول :-

الهادي يحيى بن الحسين ٢٤٥-٢٩٨هـ

- ظهور الهادي
- سعي الهادي لمد نفوذه نحو الجنوب
- دخول الهادي صنعاء
- توسع نفوذ الهادي

المبحث الثاني:-

صراع الهادوية والإسماعيلية

- بداية الإسماعيلية وانتشارها (٢٦٨هـ)
- ظهور الإسماعيلية باليمن
- انحصار دولة الهادي
- نهاية علي بن الفضل

الفصل الرابع

عهد الهادي وبداية التأسيس

المبحث الأول / الهادي يحيى بن الحسين ٢٤٥-٢٩٨هـ

- ظهور الهادي:-

بدأ ظهوره عندما بايعه العلويين من الزيدية في الحجاز سنة ٨٩٣ م / ٢٨٠هـ وعمره خمسة وثلاثون سنة مع وجود أبيه وأعمامه على قيد الحياة ولقب **الهادي إلى الحق**.

ويرجح أن الدوافع لهذه البيعة هي :-

١-ظهور داعي في طبرستان هو **الحسن بن زيد** ٢٥٠هـ -٨٦٤م أسس دولة زيدية وحينما قتل تولي بعده أخوه **محمد بن زيد** (٢٧٢هـ - ٨٥٨م) إلى (٢٨٧هـ - ٩٠٠م) و لم تعترف الزيدية بهما إمامان .

واكتفيا بلقب (داع) ولذلك عمل بني القاسم الرسي على تنصيب **يحيى بن الحسين** لكي لا يخرج الأمر من أيدهم خاصة في عدم وجود إمام ، لاسيما وان ظهور الزيدية كان بسبب إرسال جدهم القاسم بن إبراهيم الدعاة إلى طبرستان .

٢-السبب الثاني في تنصيب الهادي يحيى بن الحسين هو استغلال ضعف الخلافة العباسية وتفككها بسبب الثورات والانتفاضات التي أدت لتأسيس دول وظهور ممالك .

وقد قام الزيديين بالخروج ومحاولة إقامة دول في بعض الأقاليم مستغلين جور العباسيين وولاتهم ولما أنتشر من تشيع لهم بين الفرس .

٣- لاعتقاد الزيديين من العلويين أنهم أصحاب حق ولاعتقاد الهادي نفسه وأشياعه بحقهم في استعادة ميراث النبي لذلك سارع آل الرسي إلى مبايعة **يحيى بن الحسين بن القاسم** وسارع هو في نفس عام تنصيبه إلي القيام للمناطق المهيأة للخروج لدعوتهم لمناصرته لإعلان الدعوة .وكانت أول المناطق هي طبرستان لانتشار الدعوة الزيدية بها بواسطة العلويين الذين أرسلهم جده القاسم بن إبراهيم فأنطلق إليها آملاً في أن ينتزعها من ابن عمه محمد بن زيد [1] .

---

(١) - سيرة الهادي - أحمد العلوي.

وأختار تلك المنطقة لما عاني أهلها من جور ولطبيعتها الجغرافية كمكان نائي يصعب على الجيوش الوصول إليها وإذا وصلت تصل منهكة وقد خرج إلى طبرستان في موكب رتب بعناية في جماعة من بني القاسم بينهم أبوه وأعمامه ليوقع في نفوس الناس أثرا حسنا، وبالغ أبوه وأعمامه في تعظيمه لإظهاره إماما واجب الطاعة وكان أبوه يعظمه كل التعظيم.

ووصف ذلك الحجوري بقوله:(ولم أسمع انه بلغ من تعظيم بشر لإنسان ما كان من تعظيم أبوه وعمومته له ،وما كانوا يخاطبونه إلا بالإمام) وكانوا يريدون بهذا التبجيل التأثير على أنصاره فتجمهروا حول الهادي ينظرون إليه ويستفسرون عن مقاصده.

وهكذا فإن الهادي قد بدأ ادعاءه الإمامة متأثرا بما عمله الخلفاء العباسيين من تبجيل لأنفسهم وتفخيم بإطلاق الألقاب على أنفسهم وما صنعوا من هالة متأثرين بعادات الفرس نحو حكامهم و هو بذلك أسس الهالة والتبجيل والتفخيم والتعالي للأئمة من بعده.

فلما خشي محمد بن القاسم[1] على أمر طبرستان وأحس بخطورة الهادي كلف وزيره الحسن بن هشام بن سارية فكتب إلى الهادي (إن هذا مما يمس ابن عمك) فقال (ما جئنا ننازعكم ولكن ذكر لنا أن بها أهل وشيعة فقلنا عسى الله أن يفيدهم منا فخرجوا مسرعين وثيابهم عند القصار وأخفافهم عند الأسكاف ما استرجعوها).

وهكذا نستنتج مدى خوف محمد بن زيد من قدوم الهادي وخيبة أمل الهادي وخروجه بهذه السرعة وأن الهدف هو السلطة والصراع عليها ، فلو وجد الهادي فرصة لأنقض على ابن عمه حتى قال عن الحسن بن زيد ومحمد بن زيد :" ما مترلة الحسن بن زيد ، ومحمد بن زيد الحسنيين ، أميري طبرستان ، عند الله إلا كمترلة ... عبدين لبني العباس ، مملوكين من تحت أيديهم ، بل هما أعظم جرما لقرابتهما من رسول الله"

ومع أن هذه الرحلة قد أفشلت الهادي و آل الرسي في تحقيق حلمهم في تنصيبه إماماً معترفا به لإقامة دولة للعلويين .

إلا انه استطاع أن يكسب أنصارا في طبرستان كانوا له العون في ترسيخ أقدامه في اليمن .

---

(١)- معترلة اليمن – محمد بن زيد .

ولابد أنهُ لم يذهب إلى طبرستان إلا وقد أتصل بمن مناه و مهد لهُ لانتشار الزيدية بتلك المناطق ولوجود أشياع لجده القاسم بن إبراهيم ويؤيد ذلك قدوم الطبريين إلى اليمن لمساندة الهادي في فترات مختلفة كما سيأتي.

وعاد إلى المدينة ولكنه ظل يحدوه الأمل في أن يحقق حلمه في إقامة دولة لآل البيت .

فلم يجد إقليم أفضل من شمال اليمن لوعورة طبيعتها الجغرافية وبعدها ولوجود صراع قبلي ناتج عن عدم قدرة الدولة العباسية وولاتهم باليمن من الزياديين[*] على فرض وجودهم .

ونتيجة لتلك الأسباب ولوجود بعض التشيع كانت رحلته الأولى إلى اليمن في نفس عام ادعاءه الإمامة فخرج إلى صعدة ثم توجه نحو صنعاء وما ذكر عن هذه الرحلة إلا القليل لكنه يظهر أنه لم يستطع جذب أنصار له ولفكره و لم يعد العدة والآليات التي تتناسب مع المجتمع والطبيعة الجغرافية ، فوصل إلى قرية الشرفة بمديرية بني حشيش محافظة صنعاء وأقام بها فترة يسيره حتى خذله أهل البلاد فعاد إلى الحجاز.[١]

ولعلهُ عمل خلال زيارته الأولى لليمن على تثبيت العلاقة مع أنصار العلويين من آل ابي فطيمة الذين قاموا مع إبراهيم الجزار العلوي وأخربوا صعده معه [٢]

إن هذه الرحلة كانت مخيبة لأمال الهادي إلا أنها جعلته يحتاط لنفسه ويتثبت لنفسه في الخروج القادم إلى اليمن ،لأن طموحه مازال متوقدا وبالذات عندما رأى الطبيعة الجغرافية والنزاع القبلي وضعف العباسيين وولاتهم في هذه المنطقة وأفادتهُ هذه الرحلة أيضا في تكوين صورة كاملة الملامح عن المنطقة وظل في المدينة حتى جاءه وفدا أرسله أحد الفريقين المتقاتلين في مدينة صعدة وهم الفطيميون يطلبون منه الوصول إلى قبا لمبايعته سنة ٢٨٣هـ - ٨٩٦م [*] ولا بد أن اليمنيين لم يعرفوا به إلا من خلال الرحلة الأولى أو أنهُ وجد أتباع له روجوا له ودفعوا الفطيميين لطلبه .

(*) - دولة بني زياد (مركزها زبيد) ٢٠٥هـ - ٤٠٢هـ ، ومن أشهر حكامها :-

- محمد بن عبد الله بن زياد ٢٠٥-٢٤٢ هـ
- إبراهيم بن محمد بن عبد الله ٢٤٢ - ٢٨٩هـ
- إسحاق بن إبراهيم بن محمد ٢٨٩- ٣٩١هـ
- الحسين بن سلامة ٣٩١- ٤٠٢هـ

(١)- روضة الحجوري - علي بن محمد العلوي "سيرة الهادي"

(٢) - الهمداني الأكليل ١/ ٤٢٥ .

(*)- الهمداني -، المحلى - الحدائق الوردية .

وكانت أجزاء من اليمن تعاني من القحط والصراع بين الزعامات نتيجة لإهمال الدولة العباسية وضعف ولاتها وحاول الهادي إظهار عدم الاندفاع بالقبول ليزيد من إلحاح من وصلوا إليه فقال : "كنت قد أُثنيت عن الخروج إلى اليمن وعزمت أن اصرف رسل اليمن للذي كان قد بدا لي من شر أهل اليمن وقلة رغبتهم في الحق [(1)]".

لكن الطموح كان أقوى من التردد ومن النكسات المؤقتة فأتصل بالعلويين في المدينة وطلب منهم نصرته سنة ٢٨٣ هـ – ٨٩٦م .

وكان منهم محمد بن عبيد الله العلوي والد مؤلف سيرة الهادي وكان لهذا أثر فعال في تثبيت أقدام الهادي في اليمن بما قام به في معارك الهادي وأعماله .

وأرسل الهادي قبل قدومه إلى اليمن محمد بن سليمان الكوفي (بنيف وخمسين يوما)[(2)].

ويبدوا انه أرسله للاستطلاع ومعرفة الأوضاع عن كثب وبعد ذلك وصل إلى صعده في شهر صفر ١٢٨٤هـ – ٨٩٧م ، وقال له **محمد بن القاسم** (لو حملتني ركبتي لجاهدت معك ، يا بني أشركنا في كل ما أنت فيه من كل مشهد تشهده وفي كل موقف تقفه).

وقال (يا أبا الحسين أتراني أعيش إلى وقت توجه ألي مما غنمته ولو بمقدار عشرة دراهم أتبارك).

وخرج الهادي ومعه جماعه من العلويين ومواليهم مستغلا أخطاء العباسيين وولاتهم التي أدت إلى التنافس والحروب بين الزعامات القبلية وعدم رضوخ إحداها للأخرى وساعد على ذلك الطبيعة القبلية والتركيبة السكانية فعمل على جذب بعضها ودفعها لإخضاع البعض الآخر ، وعلى ذلك سار أتباعه من بعده

وبوصوله عمل على إخراج المشروع العلوي من عالم الخيال إلى عالم التجسيد[(3)]

وقد وصل الهادي صعده والحرب قائمة بين الربيعه ومنها الاكيليون وسعد ومنها الفطيميون وهما من قبيلة خولان الشام والقحط شديد ، والأرض جدباء وكان ذلك

(١)- علي بن محمد العلوي – سيرة الهادي ص ٣٩ .
(٢)- علي بن محمد العلوي- سيرة الهادي ص ٦٥.
(٣)- علي بن محمد زيد –معتزلة اليمن ص ٦٣.

وقت الزرع فرأيت المزروع قد يبس بعضه عطشا ورأيت البهائم تهافت موتا فخرج إليه (أي الهادي) أهل صعدة الذين كانت بينهم الفتنة وهما سعد والربيعة والتقوا بأجمعهم[(١)] .

فأستغل تلك الحال التي وصل إليها الفريقان فقد أنهكتهم الحروب وتدهور الحالة الاقتصادية الأمر الذي هيأهم لقبول أي حلٍ ليستريحوا من عناء الفتنة وكان أول ما فعله الهادي أن أمر بمصحف فاستحلفوا بعضهم البعض بترك الفتنة والعداوة فحلفوا ثم أحلفهم هو لنفسه على الطاعة له والمناصرة والقيام بأمر الله والمعاضدة فبايعوه في موضعه .

و لم يظهر في هذه الأثناء مبادئه وخاصة الحق الإلهي في الحكم لهذه السلالة .

ومن صعدة وجه إلى أهل اليمن جميعا كتاب دعوة يدعوهم فيه لمناصرته ويحضهم على الجهاد معه وصارت هذه الدعوة تقليدا يتبعه كل إمام عند إعلان دعوته وتولي أمر الإمامة[(٢)]

وفي هذه الأثناء مأخوذا بنشوة النجاح الأولى الذي حققه قال أبياتا من الشعر يمكن منها التعرف على بعض ملامح فكره:-

ألا بلـــغ ولاة الجـــــور عــــني   مقالـــة صـــادق فيمـــا أقــــول

ثم قال:

تــــروني في كتائـــب مرغمـــا   أنـــوفكم إذا حـــضر الـــصقيل
من اليمن الذي فـــيه مقـــال   من الرحمن جـــاء بـــه الرســـول
عـــليهم كل سابغـــة دلاص   يرون الكفـــر منـــهم أن يـــزول
فـــأيـــــدهم بـــواتر قاطعـــات   بها من ضـــرب هامـــاكم فلـــول

ونرى من ذلك أن فكره بدأ يظهر جليا بتكفير الآخرين واستخدامه القوة والقتال وسيلة لتحقيق مأربه مستغلاً القدرة القتالية لتلك القبائل التي رأى أثارها من الدمار الذي حل بصعدة .

وهذا ما سار عليه من جاء بعده ولكنه لم يظهر التميزالسلالي له في استحقاق الخلافة وهذا أمرا طبيعيا لأنه لم يكن قد بث ورسخ أفكاره.

(١)- سيرة الهادي – علي بن محمد العلوي ص ٤١- ٤٢
(٢)- سيرة الهادي – علي بن محمد العلوي.

وظل في صعدة من يوم وصوله يدعو المناطق المجاورة إلى طاعته ويحاول جذب القبائل من حوله حتى ٦جمادي الآخر من السنة نفسها حيث سار بأبناء تلك القبائل إلى نجران وكانت تدور حرب طاحنه بين قبائلها فقبلوا بصلحه ودعاهم إلى نصرته وعاد إلى صعدة في رمضان من ذات العام وترك في نجران أحد العلويين ليتولى أمورها .

وفي شوال توجه إلى وشحه في المنطقة الجبلية غرب صعدة وكانت تابعة لبني يعفر الحواليين (١)

ودعا أهلها إلى نصرته وترك بها محمد بن عبيد الله العلوي ، وفي شهر صفر سنة ٢٨٥هـ - مارس ٨٩٨م توجه إلى برط شرق صعدة فدخلها بعد مقاومة غير منظمة فحين سأل بعض الأسرى عمن ينظم مقاومتهم وتمويلهم وجد أنهم يقاومون بمبادرة ذاتية لنفورهم ممن يريد الاستيلاء على مناطقهم .

وهذه السهولة التي قابلها الهادي بداية فرض نفوذه بدأت تتعقد شيئا فشيئا .

فقد تمردت وشحه على عامل الهادي ورفضت دفع الزكاة وغيرها من الضرائب التي فرضت عليهم ذلك لأن تلك القبائل لم تجد هدفاً مقنعاً للهادي تلتف حوله .

فدفع القبائل بقيادة أخوه عبد الله ابن الحسين لقمع انتفاضتها ،وما لبث التمرد أن أندلع في نجران فقد ثارت جماعة في قرية شوكان فأندفع الهادي بجمع من قبائل صعدة لقمع هذا التمرد وانزل بهم اشد العقوبات لأن نجران هي طريق النجاة بين صعدة ومسقط رأسه .

لذلك هدم بيت قائد المتمردين وقطع نخيلهم وأعنابهم حتى وصل ما قطعه على أحدهم حوالي ٤٠٠ نخلة وحقلي كروم (٢).

وقد عمل هذا العنف على تهدئة الأوضاع في نجران مؤقتا لكنها تركت أثار مدمرة على نفوذ الهادي هناك وجعلت العلاقة بين نجران والهادي وأبنائه في حالة من العراك المستمر الذي لا يهدأ إلا فترة حتى يشتعل من جديد (٣) .

---

(١)- بني يعفر (الحواليين) وبدأ عهدهم منذ ٢٢٥- ٣٩٣هـ

(٢)- سيرة الهادي - علي بن محمد العلوي.

(٣)- معتزلة اليمن - علي محمد زيد .

ومن الجدير بالملاحظة أن أساليب الهادي التي أستخدمها في قمع المتمردين عليه والتي تمثلت في القتل وتدمير المنازل وقطع الأشجار قد سار عليها اتباع فكر الهادي وكأنها تعاليم واجبة التنفيذ .

أن المسلمين في حروبهم مع غير المسلمين كانوا لا يقومون بمثل هذه الأفعال .

- سعي الهادي لمد نفوذه نحو الجنوب:-

وأستمر الهادي في استغلال الظروف القائمة لتوسيع منطقة نفوذه فقد وجد الفرصة سانحة أمامه لتوسيع نفوذه نحو الجنوب حين وصلته رسالة من الدعام بن إبراهيم زعيم بكيل من همدان المقيم بريده (مديرة بمحافظة عمران) وكان الدعام في حالة صراع مع آل طريف حكام صنعاء باسم العباسيين ظاهريا وعمليا مستقلين تماما ، وكانوا مواليين أسميا بني زياد في زبيد(*) .

وكان الدعام أيضا في صراع مع بني يعفر الذين يحاولون استعادة نفوذهم وكان مركزهم في جبل ذخار كوكبان .

ونتيجة لتلك الظروف فقد توجه الهادي في جماد ٢٨٥هـ إلى خيوان وادي بمديرية حوث بمحافظة عمران .

وفي شعبان خرج إلى بطنت حجور وولى عليها أحد العلويين وهو عمر بن علي ثم سار منها إلى أثافث (منطقة بمديرية سفيان بمحافظة عمران) .

ثم استولى على حوث وبعد ذلك لقي مقاومة من الدعام بن إبراهيم الذي كاتبه للاستعانة به فإذا بالهادي يحاول السيطرة على بلادة وقامت الحرب بين الهادي والدعام وأثافث وخيوان ، ورفض أهالي خولان الخروج مع الهادي لقتال الدعام وكان مما يسهل مهمة الهادي في توسيع منطقة نفوذه هو عدم قبول كل قبيلة الخضوع للأخرى .

ولم يتمكن الهادي من التقدم إلا بعد أن وصلت إليه مساعدة من أبي العتاهية عبد الله بن بشر بن طريف حاكم صنعاء وذلك للمساعدة في القضاء على خصمه الدعام ابن إبراهيم.

(*)- بني زياد هم الذين أسسوا الدولة الزيادية ٢٠٥- ٤٠٢هـ وأول من أسسها " محمد بن عبد الله بن زياد ٢٠٥- ٢٤٢هـ

فأصبح الدعام يواجه الهادي من الشمال وأبي العتاهية من الجنوب وفي ذات الوقت يتصارع مع منافسه على زعامة همدان أبي جعفر الضحاك أكبر زعيم قبلي في حاشد ،وكان يأمل الدعام في وصول حملة عباسية .

وكما ذكرنا في العوامل التي ساعدت على وصول الهادويون إلى اليمن أن الأبناء كان لهم دور ولعل هذا كان في وصول جماعات من أنصار الدعوة الزيدية في طبرستان إلى اليمن في ذي الحجة ٢٨٥هـ - ديسمبر ٨٩٩م وسماهم الهادي المهاجرون ويعرفون في كتب التاريخ بالطبريين .

ووصل معهم **علي بن محمد العلوي** وكان لوصولهم أهمية لدى الهادي لأنه لم يكن قد كون له أنصار يمكنه الوثوق بهم حيث ظل يولي العلويين الآتين معه أو القادمين بعد خروجه .

فبوصول الطبريين أصبحوا الحرس الشخصي للهادي وأصبحوا خاصته وقادته وولاته ،فوصلوا و الهادي بخيوان ،وبوصول الطبريين وجد الهادي أنصار يمكن الركون إليهم لأنه سبب وجودهم في هذا البلد الغريب ولأنهم مصدر التشيع .

وقوي حلم الهادي بالتوجه إلى الجنوب نحو صنعاء خاصة حين أضطر الدعام أن يغير موقفه ويتحالف مع الهادي وقاتل معه وقد أضطر الدعام إلى ذلك حين تكالب الخصوم عليه من كل جانب .

فقاتل الدعام مع الهادي ولكن أبنه أرحب أبن الدعام رفض الصلح وتوجه إلى قتال محمد أبن الهادي بخيوان .

وأثناء ذلك اضطربت صعدة وتمردت نجران فعاد إلى صعدة ومنها إلى نجران وسانده **محمد ابن الدعام وأبن بسطام** الذي كان قد أشترك في تمرد نجران السابق فساعد على إخماد تمرد نجران وظل بها إلى رجب ٢٨٦هـ - ٨٩٩م ثم عاد إلى صعدة وترك بنجران **محمد بن عبيد الله** واليا وتوجه إلى خيوان ثم إلى حوث محاولا إخضاع المناطق المجاورة لها وعادت نجران للانتفاضة من جديد ، وأخرجوا أخو الهادي **عبد الله ابن الحسين** وعامله منها * .

وفي هذا الوقت تمرد الاكليين بقيادة أحمد أبن عبد الله بن عباد في صعدة نفسها فأسرع الهادي بالعودة إلى صعدة تاركا أبنه محمد في خيوان واخمد هذا التمرد بقسوة شديدة .

* - مصدر الأحداث التاريخية سيرة الهادي علي بن محمد العلوي .

وأتجه نحو نجران لإخماد تمرد بني الحارث بنجران بقيادة أبن بسطام مستعينا بابن الدعام ، ولكن الدعام أستخدم اللين وضم أبن بسطام مع الهادي وعاد إلى صعدة في جماد ٢٨٧هـ [١].

وفي هذه الأثناء تصالح أبو جعفر احمد بن محمد بن الضحاك زعيم حاشد مع محمد بن الهادي خوفا من استعانة منافسه الدعام بالهادي لفرض زعامته على همدان وخوفا من منافسه بني يعفر وبني طريف وبهذا استغل الهادي الوضع السياسي بتصالحه مع الدعام وأبن بسطام وابن الضحاك خلال عام ٢٨٧هـ - ٩٠٠ م وأمضى معظم هذا العام وهو يعد العدة للذهاب إلى صنعاء [٢] .

فهل جاء الهادي ليقاتل جور وظلم العباسيين الذين نكلوا بالعلويين أم جاء ليقاتل أبناء هذه المنطقة ويفرض سيطرته بالقوة وهذه بعض ملامح فكر الهادي وستظهر بوضوح في تطبيقه من قبل من جاء بعده من الأئمة

دخول الهادي صنعاء :-

بعد تلك الأحداث التي أستغل فيها الهادي النزاعات والحروب بين قبائل صعدة وزعامات بكيل وحاشد من ناحية وبين هذه الزعامات وبني يعفر وبني طريف دفعه طموحه إلى مد نفوذه بجمع تلك القبائل حوله للتوجه إلى صنعاء بعد أن قوى مركزه بوصول الطبريين وبعض العلويين حيث جمع زعماء قبائل نجران وصعدة وكذلك الضحاك والدعام وبالذات بعد تصالح أبو جعفر احمد بن محمد الضحاك زعيم حاشد مع محمد أبن الهادي خوفا من استعانة منافسه الدعام بالهادي وهكذا استطاع الهادي ضم أكبر زعيمين لهمدان بالإضافة إلى تمكنه من إقناع أبو العتاهية المسيطر على صنعاء للتحالف معه .

تهيأت له الظروف فأنطلق في حملته إلى صنعاء في أول عام ٢٨٨هـ -٩٠١م[٣]

(١) - سيرة الهادي
(٢) - معتزلة اليمن - علي بن محمد زيد .
(٣) - سيرة الهادي

فتحرك من صعده متجها نحو صنعاء فوصل إلى العمشيه منطقة بمديرية سفيان — محافظة عمران فالتقاه الدعام بن إبراهيم بمن معه من بكيل وتوجه إلى خيوان [1].

ومنها إلى أثافث ثم دخل ريده واستولى على البون [2] وشرقه وكان النزاع على تلك المناطق بين الدعام وبني طريف بقيادة أبي العتاهية ومن ريده توجه إلى مدربأرحب ثم إلى منطقة قرب مدينة شبام وهناك التقى بابي العتاهية وتفاوض معه وكان لهيبة الجموع الكبيرة من القبائل المحتشدة حوله أثرها في تسليم ابي العتاهية للهادي والدخول تحت إمرته فدخل شبام دون قتال وتوجه مباشرة إلى صنعاء وهكذا دخل الهادي صنعاء ٢٣ محرم ٢٨٨هـــ ١٧ يناير ٩٠١م.

وكان مما دفع أبي العتاهية للوقوف مع الهادي هو الخلاف المستمر بين بني طريف أنفسهم وبينهم وبين الزعامات القبلية ولم يكن دخول الهادي إلى صنعاء إلا بما دبرهُ **أبو العتاهية** من خديعة لابن عمه **عبد الله بن جراح** وذلك بأن أوعز له الخروج من صنعاء بحجة نصب كمين لقوات الهادي وان يلتقيا غرب صنعاء بالقرب من شبام وكان اتفاق أبو العتاهية مع الهادي أن يسلمه ما كان يحكمه.

وبذلك دخل الهادي إلى صنعاء وكانت صدمة شديدة لبني طريف ونتيجة لذلك اقتطع كل واحد من بني طريف منطقة ، الأمر الذي ادخل اليمن في صراع وحروب.

فلما بلغ الخبر إلى عبد الله بن جراح من بني طريف والجنود الذين كانوا معه بالسر بدخول الهادي إلى صنعاء اقبلوا من السرَ يركضون بخيولهم إلى صنعاء وهم يقولون : لا نريد العلوي أن يدخل بلدنا وكذلك كان قول آل طريف جميعا.

ودخلوا صنعاء ينهبون عسكر الهادي ويريدون الحرب فلما خرج إليهم أبو العتاهية شتموه وهاجموه ورموه بالنبال حتى كادوا يقتلونه لكنه استرضى البعض بأن يعطيهم اكثر من ما كان يعطيهم من الأرزاق.

وأصر الغالبية على الرفض وهاجموا الهادي وانضم إليهم جماعة من أهل صنعاء ونشب القتال بالقرب من الدار التي كان يسكنها الهادي ولم يبقى معه مستميتا سوى الطبريون.

وكان بني طريف يحرضون الناس قائلين : انصرونا على هذا الغريب نخرجه من وطننا وبلدنا إلى بلاد الرسّ .

---

(١)– وادي بمديرية حوث – محافظة عمران .

(٢) – تاريخ اليمن – عبد الواسع الواسعي .

فهل كان ذلك يحصل لو كانت تلك الجموع موالية للهادي ومؤمنة بما جاء من أجله أم أن قوة عبد الله بن جراح وأتباعه كانت قوة لا يستطيعون دفعها .

دافع أبو العتاهية مع الهادي لأنه يدافع عن نفسه و لم يستطيع بنو عمومته الحصول على نجده من العباسيين أو من الزياديين ولرغبة الدعام وقبائله والضحاك وقبائله واليعفريين في إنهاء دولة العبيد لأن بني طريف كانوا من عبيد بني يعفر وقادت جيوشهم قبل أن ينفصلوا عنهم ويوالون الزياديين والعباسيين وبذلك استطاع الهادي إخماد انتفاظة صنعاء فأحس بالزهو نتيجة لسهولة سيطرته على صنعاء بدون قتال فدفعه ذلك إلى اعتقال مجموعه من رؤساء القبائل التي ساندته ربما لما صدر منهم أثناء رحلته من صعدة إلى صنعاء.

ونلاحظ من ذلك أنه لم يكن قد توفر للهادي قاعدة شعبية بل استغل صراع الزعامات و لم يكن له من الحجج القادرة على إقناع أهالي المناطق التي دخلها لإتباعه فلم يذود عنه باستماته إلا الطبريون.

وهذا يشير إلى أن قبائل حاشد وبكيل لم تكن تحمل لهؤلاء محبة وولاء بالإضافة إلى أن حال صنعاء كان مستقرا و لم يكن لقدومه معنى يدفع أهالي صنعاء للالتفاف حوله ،ويظهر ذلك من وقوفهم مع بني طريف.

ويلاحظ أيضا أنه جمع القبائل ممنيهم بمغانم يحصلون عليها من سلب ونهب المناطق التي سيدخلوها لأنه لم يكن يملك جيشا ولا يملك ما يدفعه لتلك القبائل وبذلك بدأ سنة دفع قبيلة على أخرى فأجج العداوة بينها ونما ما هو قائم.

وكذلك قام باعتقال رؤساء القبائل عندما حس بالانتصار بدخوله صنعاء بالإضافة إلى ما ابتدعه من هدم الدور وقطع الأشجار والأسر والتنكيل بالقتلى(*) تلك الأساليب أتبعها الأئمة الذين جاءوا من بعده وساروا على فكره ومذهبه واعتبروه قدوة فكرروا تلك الأساليب والوسائل وزادوا عليها كلا حسب ما توفر له من ظروف وقدرة كما سيأتي.

توسع نفوذ الهادي :-

بعد سيطرة الهادي على صنعاء دفعه ذلك الانتصار السهل والسريع وطموحه في تكوين دولة للعلويين إلى توسيع نفوذه .

(*) - فقد كان يرسل رؤوس القتلى إلى صعدة ونجران وهذه أفعال تخالف الشريعة الإسلامية وخالف ما كان من علي كرم الله وجهه في حربه للخوارج ومعاوية.

وخرج من صنعاء في صفر ٢٨٨هـ فبراير ٩٠١ إلى شبام معقل بني يعفر وعين فيها العمال وترك بها أبنه محمد خوفاً من أي مقاومة لبني يعفر ثم عاد إلى صنعاء فعين عليها أخاه عبد الله ابن الحسين واتجه بجموع القبائل جنوبا وكلما وصل منطقة عين عليها حتى وصل ذمار فأقام بها أياما واتجه نحو منكث في قاع كتاب [1] وفيها سانده زعيم قبلي هو ابن الروية " بقبائل "من مراد ورداع واستمر حتى وصل جيشان وهي المدينة التي سيخرج منها علي أبن الفضل ومنها أرسل عاملا إلى عدن [2] ولكن لا يبدوا انه وصل إلى عدن فلم يذكر أي مؤرخ أن عدن خضعت للهادي.

وعين على جيشان أحد الطبريين هو أبو عبد الله الرازي ونتيجة لما أضافه الهادي على رعية المناطق التي سيطر عليها من أعباء كضرائب وزكوات ولم يأتيهم بجديد ولعل حججه وخطبه لم تمكنه من كسب ولائهم .

الأمر الذي جعل تلك المناطق تخرج على الهادي بسرعة وسهوله اكبر من سهولة سيطرته عليها .

ولعل من أسباب خروج تلك المناطق ممارسات الهادي وجنده المتمثلة في هدم المنازل وقطع الأشجار وإرسال رؤوس القتلى كما ذكرت سيرة الهادي ما صنعه في نجران .

فبعد سيطرته على جيشان عاد راجعا إلى صنعاء فوصلها في ربيع سنة ٢٨٨هـ يملأه الزهو والحماسة لما حققه من نصر سريع قليل التكلفة ويظهر ذلك جليا بإرساله لطلب حاشيته من الحجاز حيث أرسل لهم بقصيدة مع أخيه عبد الله يقول فيها :-

وأرقـــني أن لا صـــديق ولا أخ   يشاركني فيمـــا تحـــن الأضـــلع

وبعد أن يصف غربته وإحساسه بالوحشة وقيامه بهذا العمل من اجل العلويين يصف الحالة التي وصل إليها العلويين بقوله :- [3]

وآل رســـول الله قـــد شـــغلتهم   عيـــون وأمـــوال لهـــم ومـــزارع
وحقد وأحياء الــضغائن بينـــهم   ولم يجمعوا فيـــه وقـــل التطـــاوع

ورغم ذلك فيستثير حمية العلويين ويمنيهم بملك عظيم بقوله :-

هلموا إلى ما يورث الفخر والسنا   فما عز قـــوم أمـــرهم متنـــازع

---

(١) - يسمى الآن قاع الحقل .
(٢) - ذكر ذلك صاحب السيرة .
(٣) - معتزلة اليمن — علي بن محمد زيد .

فلـــو عـــضدتني عـــصبة طالبيـــه | لها شيم محمـــودة ودســـــائع[1]
إذ ملكـــوا الـــدنيا وذل عـــدوهم | ولم يرى في روضاقم وهو رائـــع

إن الملك وحب الدنيا والنعرة العصبية تظهر بجلاء في شعر الهادي هذا ويظهر كذلك ما وصلت إليه حالة العلويين من حب الدنيا وما كان عليه الحال فيما بينهم من حقد وضغائن ورغم ذلك فعصبيته تحثهم نحو ما يورث الفخر والسنا .

فالدنيا والملك هدف الهادي وليس الدين وما أوجبه الله .

ثم يذكر في هذه القصيدة سوء ظن العلويين به ونقمتهم عليه لأنه لم يمنحهم من العطايا ما يرضيهم .

فإن أنـــتم لم تـــشكروا لعطـــيتي | فلا يكفرلها عازب الرشد قـــاطع
ونقمتم علينا في العطيـــة فـــاسمعوا | فما القول إلا ما رعتـــه المـــسامع

إلى أن قال :-

وإني لكم عند المكـــارم والعـــلا | وأحمى علـــى أحـــسابكم واراد ع

ولم يستمر زهوه ونشوته بالنصر السهل والسريع فبينما هو يوسع نفوذه نحو الجنوب فر من سجنهم من بني يعفر وبني طريف وهربوا نحو الغرب إلى قرية بأطراف تهامة والى البون بمحافظة عمران فالتف حولهم الناس فاستولى أهالي ريدة بقيادة صعصعه بن جعفر علي خيل وطعام ومؤن للهادي واستولوا على البون .

وفي جماد الآخر ٢٨٨هـــ جمع بني يعفر أنصارهم واستولوا على شبام وقتلوا عامل الهادي **محمد بن عباد** واخرجوا المسجونين وتوجهوا إلى وادي ظهر القريب من صنعاء فهرب عامل الهادي بها واخرجوا المساجين ومنهم أبوالغشام بن طريف ومن كان معه من بني يعفر فأضطر الهادي إلى الخروج من صنعاء نحو شبام وترك أبن عمه علي بن سليمان و أرسل ابنه محمد لقتال الثائرين في البون .

(١) - فضائل ومكارم .

وأثناء ذلك تزعم احمد بن محفوظ تمرد أهل صنعاء على عامل الهادي وكسروا السجن واخرجوا المساجين من بني يعفر وسلموا صنعاء لعبد القاهر بن احمد بن يعفر [1] وخرجت بقية القبائل الشمالية ثائرة (كل قوم على من كان عندهم من عمال الهادي و أخرجوهم واخذوا ما كان معهم من دواب ومتاع)[2] وعند وصول الهادي إلى شبام أطلق من تبقى في بعض السجون التي لم يهاجمها الثائرون ومنهم اسعد بن أبي يعفر الذي سيلعب دورا مهما فيما بعد ، ويذكر الهمداني أن الهادي كان ينوي قتل المساجين قبل هروبه ولكن الدعام توسط للإفراج عنهم [3] .

وهجم الناس على الهادي محاولين سد طريق الانسحاب أمامه أثناء هروبه مع أبو العتاهية ولكن مكانة الدعام القبلية ساعدت على نجاة الهادي وأبو العتاهية .

إن الشدة والقسوة وسجن أكابر القوم في المناطق التي سيطر عليها والجباية التي فرضها لم تتوافق مع طبيعة اليمنيين الاستقلالية والثائرة زد على ذلك أن ما دعا به الهادي لم يجد الملتقي لعدم وجود مبرراته ولعدم شعور اليمنيين بأي إصلاح مادي أو ديني ولعدم اقتناعهم بقتال الهادي لزعمائهم وما صنعه من سجن وقتل وأهم هذه الأسباب ما كان من الهادي من استعلاء وتميز على اليمنيين وجعل خلصائه من الفرس وأعراب الحجاز .

ونعود إلى أحداث هذه الفترة فقد وصل أخوه عبد الله مع المقاتلين الذين أرسله ليأتي بهم من الحجاز في هذه الأثناء.

ولكنهم لم يصلوا إلا وهو في مدر[4] متقهقرا نحو صعدة [5] ، فلم يكتفي بما كان من الفتن وما سفك من الدماء فحمسه وصول أخوه عبد الله بن الحسين ومعه الحجازيون فعزم بهم نحو صنعاء من جديد ودخلها سنة ٢٨٨هـ -٩٠١م .

لكن الحرب ظلت مشتعلة واتسعت دائرة المقاومة اليمنية وشنت الهجمات ضده في صنعاء ،جنوبا من بيت بوس ، وشرقا من جبل نقم ، وغربا من وادي ظهر .

وتزامنا مع ذلك ثار بنو الحارث في نجران على عامله محمد بن عبيد الله وأبنه علي (مؤلف سيرة الهادي) .

---

(١)- سيرة الهادي .
(٢) - سيرة الهادي .
(٣)- الإكليل ١٠/ ١٨٥ - ١٨٦ .
(٤)- منطقة بأرحب .
(٥)-سيرة الهادي.

وكانت ثورة نجران بقيادة ابن بسطام الذي كان ثائرا في وجه الهادي منذ مقدمه وقام معه ابن حميد واتسعت دائرة المقاومة وأخرجوا عامل الهادي من مناطقهم (ونجران قاومت الأئمة الهادويون على مر الزمان ولم تعتنق مذهبهم).

واشتدت الثورة حول صنعاء ومني الهادي بهزائم لم يشهد لها مثيل منذ بدأ بإشعال الحروب في اليمن .

ففي معركة جبل حدّين جنوب صنعاء قتل أخلص أعوانه ومقاتليه مثل علي بن سليمان العلوي عامله على صنعاء وأبو العتاهية الذي سلمة صنعاء دون قتال وجمعٌ من الطبريين وكاد الهادي أن يقتل حين سقط مغشيا عليه من على فرسه [1] .

وخاضت المقاومة اليمنية حرب استنزاف حقيقيه قادها بنو يعفر وبني طريف من شبام[2] .

وتوالت الهجمات من حدة ونقم وبيت بوس ووادي ظهر فضعف جند الهادي وارتبكوا وأنهكت قواهم وتفرقوا عنه ولم يعد قادرا على السيطرة على مدينة صنعاء ، فوصل مهاجرون جدد من طبرستان لمساعدته على الهجمات المستمرة للمقاومة اليمنية ولكن وصولهم لم يغير من الأمر شيئا .

ويصف صاحب السيرة حالة الهادي في جماد الآخر سنة ٢٨٩هـ الموافق ٩٠٢ م فيقول (اتصل الخبر بالهادي في الليل وهز يمته مع ابن الروية (الذي كان يقود عسكر الهادي في هذه المعركة بسبب إصابة الهادي) وما نال القوم ، وقد كان مريضا شديد المرض وقلت به النفقة للعساكر وطلب من أهل صنعاء العون والسلف فلم يعطوه درهما واحدا وقد كان العسكر أقام اضاق فوق القدر (أي بدون نفقه) ، فلما علم انه لا مقام للعسكر إلا بنفقة وانه لا يقدر لهم على شيء شاور أصحابه في الأمر فلم يروا أوفق به من الخروج ورأى هو رأيا لما كان به من العلة ، وكان به عله شديدة لا يكاد يثبت على الفرس طرفة عين مع قلة ذات اليد فعزم على الخروج من صنعاء وكان قبل ذلك أرسل إلى الدعام في ريده طالبا المعونة بالرجال والمال والطعام فلم يجبه وتعلل عليه بعلل فسار الهادي إذ لم يجد له عونا)وتوجه إلى صعده فوصلها جماد الآخر ٢٨٩هـ / مايو ٩٠٢م ، وترك ابنه محمد واليا عليها وتوجه إلى نجران لإخضاعها لأنها طريق النجاة في حال اضطراره

(١)- سيرة الهادي — ص ٢٣٩ .
(٢) – معتزلة اليمن — علي بن محمد زيد .

للانسحاب ولأهمية نجران كان يرسل رؤوس القتلى لإرهاب أهلها حتى لا تحدثهم أنفسهم باستغلال انشغاله بالحروب في أماكن أخرى.

وباستقرائنا لما سبق نجد أن الهادي لم يخرج على الدولة العباسية و لم يجد للدولة العباسية أثرا بل جاء خارجا على الشعب اليمني بما جمعه من أتباعه الفرس والأعراب و لم يسائل نفسه إذا كانت قيمة وما يدعوا إليه تتمثل في تصويب انحراف عن دين الله أو إزالة مظلمة عن هذا الشعب .

فلماذا لم يستجب له من وصفهم الرسول ﷺ بالإيمان والحكمة؟

وهكذا تدهورت آمال الهادي في تحقيق مشروعه الذي جاء يقاتل من اجل تحقيقه وهو إقامة دولة للعلويين فقد تراجع إلى إمارة صغيرة ما بين صعدة ونجران وهذه المنطقة حاول اليمنيون إخراجه منها فقد وصل **احمد بن عبد الله بن عباد الاكيلي** سنة ٢٨٩هـ ومعه **مدر بن طريف** ومن تهامة **ابن الحكمي** عندما قام الاكيليون بانتفاضة ما لبثت أن اتسعت لتشمل مناطق أخرى حول صعدة مثل كتاف ووائله والمضلاع وكانت أخطر الانتفاضات التي واجهها الهادي في صعدة فقاتل مستميتاً مع أتباعه من الفرس وأعراب الحجاز القادمين إليه بغرض الحصول على الرزق ومساندة بني فطيمة من خولان الذين استدعوه للقدوم إلى اليمن .

فأتجه إلى وادي علاف فقطع أعناب الاكيليين وهدم منازلهم ثم سار إلى وائلة وكتاف والمطلاع فهدم المنازل وقطع الزرع واعتقل العديد من الناس وهرب ابن عباد إلى تهامة ثم العراق قاصدا المعتضد العباسي (٢٧٧- ٢٩٠هـ) (٨٩١-٩٠٣م)مستنجدا به على الهادي فوجده قد مات فبويع للمكتفي (٢٩٠-٢٩٦هـ) (٩٠٣-٩٠٩م) فوصل الخليفة كتاب **أبي مزاحم عج بن ساج** عامل الحرمين يخبره أن الهادي قد خرج من صنعاء ففتر عزم المكتفي عن ذلك التجهيز إلى اليمن وأنشغل بحرب القرامطة في الشام .

وكأن العباسيين أرادوا أن يشغلوا اليمنيين عنهم بالهادي ويشغلوا الهادي باليمنيين أو لمعرفتهم بعدم قدرة الهادي على جمع اليمنيين من حوله وبالتالي فلن يشكل عليهم خطورة وربما لضعف الدولة العباسية في هذه الفترة .

ونرجح أن عدم قيام الأمويين ومن بعدهم العباسيين بالقيام بواجبهم نحو اليمن هوالذي أوصل اليمن إلى هذه الحالة من الصراع وبالتالي وصول الهادي .

و لم ييأس الهادي و لم يكل وكأنه أراد أن يجعل من نفسه مثلا وقدوة لمن يأتي من بعده في إشعال الفتن واستغلال ظروفها كلما أتيحت الفرصة المواتية .

فبعد خروجه من صنعاء أختلف بني يعفر[*] وبني طريف ووقف **ابن الضحاك** بحاشد مع بني طريف ، بينما وقف الدعام مع بني يعفر فطلب اليعفريين من الدعام مساندتهم مع الهادي فتردد الهادي متذكرا تجاربه السابقة إلا انه اقتنع لدوافعه التي جاء من اجلها ولرغبته في الانتقام من بني طريف الذي قال فيهم :

غر العبيـــد بـــني طريـــف علـــيّ   مع محنـــة دامـــت علـــى ليـــالي
وأنا الذي عرفوا وسوف أزورهـــم   بالخيـــل عابـــسة وبالأبطـــال

حتى قال :-

لست أبن احمد ذا المكارم والعـــلا   إن لم أثـــر نقعـــا بـــصحن أزال

تلك الروح المصرة على الحرب وإشعال الفتن بالإضافة إلى إقناع الدعام له حيث قال:- (قد استوت لك الأمور وقد استوثقت لك من القوم وليس عاد إلا النهوض)[1].

فخرج من صعدة بداية سنة ٢٩٠هــ فبدأ بمحاربة ابن الضحاك ومن معه من حاشد مستغلا رغبة الدعام ولكنه لم يستطع التقدم فتوجه إلى مشرق خولان ابن عامر وعاد من طريق أخرى إلى مدر بأرحب .

وقال صاحب سيرة الهادي (وكان كل ما وصلت رسله إلى قرية من همدان نهض أهلها إلى بني طريف واجمع عليه همدان للطمع وقرب منطقة "اتوه" دارت معركة انهزم فيها الهادي وقتل كثيرا من الطبريين والأعراب واسر ابنه محمد واخذ مع الأسرى إلى صنعاء وعرضوا في شوارعها وأسواقها وانصرف الهادي راجعا إلى صعده وقضى ما تبقى من عام ٢٩٠ هــ في عراك مستمر مع القبائل حول صعده وخاصة وائله التي أرادت الانتقام لما حل بها من قتل وخراب على أيدي أتباع الهادي .

ورغبة الانتقام زرعها الأئمة الهادويون في القبائل اليمنية فجمع القبائل وتوجيهها نحو بعضها البعض قد بدأ من عهد الهادي .

(*)- دولة بني يعفر (مركزها شبام ثم صنعاء) ٢٢٥- ٣٩٣هــ وأهم ملوكها :-
- إبراهيم بن يعفر (و) إبنه عبد الرحيم بن إبراهيم - ٢٢٥- ٢٦٠هــ .
- يعفر بن عبد الرحيم - ٢٦٠ - ٢٨٢هــ .
- أسعد بن أبي يعفر - ٢٨٢- ٣٣١ هــ .
- عبد الله محمد بن قحطان - ٣٣١ - ٣٨٧هــ .
- أسعد بن عبد الله - ٣٨٧ - ٣٩٣ هــ .
(١) - يحيى أبن الحسين ابن القاسم - غاية الأماني ١٨٧/١ .

وكان مما ساعد الهادي في حروبه وما مد أمله هو الصراع بين بني يعفر وبني طريف ويذكر أن المكتفي في بداية ولايته قد أعطى ولاية اليمن **لأسعد بن يعفر وعثمان بن أبي الخير بن يعفر** [١] وكان العباسيون قد أرسلوا **علي بن الحسين جفتم** فلما وصل إلى قرية أرتل جنوب صنعاء خرج بنو طريف كالمسلمين عليه فألقوا القبض عليه وانضم باقي عسكرة إليهم وظل في السجن حتى تمكن اسعد بن أبي يعفر من دخول صنعاء فأفرج عن جفتم وعن محمد ابن الهادي و أرسله إلى أبيه في صعدة[٢].

تم تقاتل اسعد بن يعفر وممثل الخليفة العباسي جفتم وكان النصر لأسعد بن يعفر فقتله واستولى على السلطة وهنا يبرز دور أسعد كشخصيه مهمة لعبت دورا في تاريخ هذه الفترة.

وفي عام ٢٩١هـ أختلف الحكمى وهو من زعماء تهامة مع بني زياد فأراد الاستعانة بالهادي فأرسل الهادي الصوارخ من خولان ابن عامر يمنيهم بالمغانم وتحرك الجمع إلى تهامة فلما وصلوا إلى طرطر نهاية الجبال وبداية الشريط الساحلي إلى الجنوب الغربي من صعدة انقلبت الأحوال ونشب القتال بين الحكمى والهادي ويبدو أن هذه الغزوة انتهت إلى الإخفاق ولم نجد في كتاب سيرة الهادي ذكر لنتائج هذه الغزوة.

ومما يجدر ملاحظته أن الهادي لم يستطع أن يفرض نفسه زعيما سياسيا ولا إماما دينيا ربما لوجود عددا ممن ينافسوه على الحكم أو لأن فكره أصطدم بالمذهب السني السائد .

إن الفترة الممتدة من ٢٩٠- ٢٩٣هـ هي التي استقر فيها الهادي بصعدة منذ وصوله إلى اليمن وهي التي رجح انه بدأ فيها كتابة مؤلفاته بعد أن كان يشارك في المعارك باستمرار ويتولى قيادتها بنفسه.

إن هذه الفترة قد أتاحت له الفرصة للتأمل والكتابة والتعليم وكان للمعاناة التي لا قاها أثناء حروبه في الفترة السابقة أثر كبير على فكره المؤصل للصراع من أجل السلطة والحكم و نجح في بث أفكاره بين بعض القبائل بالإضافة إلى العمل على إبقاء سيطرته على المنطقة الباقية تحت سلطته ورعاية شئون القضاء ونراه فيما بعد يميل إلى تكليف ابنه محمد بقيادة المقاتلين في المعارك ولا يقوم إلا في المعارك الضرورية و الفاصلة حتى انه عندما دعي إلى قيادة حلف واسع وعريض سنة ٢٩٣هـ -٩٠٥ م للحرب ضد **علي ابن**

(١) -قرة العيون ص ١٧٥-١٧٨ .

(٢)- قرة العيون ص٢٠٥

الفضل في صنعاء ونواحيها أرسل ابنه محمد حتى إذا تأكد أن صنعاء قد أصبحت تحت سلطته توجه إليها بنفسه.

المبحث الثاني :- صراع الهادوية والإسماعيلية

بداية الإسماعيلية وانتشارها (٢٦٨هـ):-[١]

مما يجمع الإسماعيلية والهادوية هو أن الدعوتان قائمتان على الحق الإلهي لهذه السلالة في الحكم (العلويين).

وفي إرث النبوة وحمل راية العلم والدعوة ، ويختلفون في من يستحقها من هذه السلالة وفي كيفية استحقاقها.

فالهادوية ترى أن الإمامة (الخلافة) حقا لمن قام بها ودعا إليها ممن هم من ذرية الحسن والحسين وتشترط شروطا أهمها بلوغ مرتبة الاجتهاد.

أما بالنسبة للفقه والعقائد فالهادوية تقوم على أساس الفكر المعتزلي وفقهها سني (وتميل إلى الفقه الحنفي) وتضع بعض الاجتهادات لتظهر نفسها كمذهب وتقر بخلافة الشيخين (أبا بكر وعمر) فهي أقرب في هذا الجانب إلى السنة والجماعة .

ويرون جواز قيام إمامان في آن واحد .

* و أما الإسماعيلية فإنها ترى أن الإمامة تكون في الابن الأكبر لمن هم من ذرية **محمد بن إسماعيل أبن جعفر الصادق.**

* الإسماعيلية فرقه باطنية، انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق ،ظاهرها التشيع لآل البيت .

وتتلخص أفكار هذه الفرقة :-

ضرورة وجود إمام معصوم منصوص عليه من نسل محمد بن إسماعيل على أن يكون الابن الأكبر وقد حدث خروج على هذه القاعدة عدة مرات.

يؤولون المعاصي والأخطاء بما يناسب معتقدهم .

---

(١) – الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة .

من لم يعرف إمام زمانه و لم يبايعه مات ميته جاهلية ويضفون على الإمام صفات ترفعه إلى ما يشبه الإله ويخصونه بعلم الباطن ويدفعون له خمس ما يكسبون .

يؤمنون بالتقية والسرية ويطبقونها في الفترات التي تشتد عليهم فيها الأحداث و الإمام هو محور الدعوة ، ومحور العقيدة .

الأرض لا تخلو من إمام (ظاهر أو باطن) فان كان الإمام ظاهراً جاز أن يكون حجته مستوراً، وان كان الإمام مستوراً فلابد أن يكون حجته ودعاتهُ ظاهرين .

يقولون بالتناسخ والإمام عندهم وارث الأنبياء جميعاً ووارث كل من سبق من الأئمة والهادي يقول في ذلك التميز (وجعلهم " الله" الهداه إليه وأمر بسؤالهم والالتجاء بكل علم فرائضه إليهم وجعل عندهم علم الكتاب وفصل الخطاب وتمييز ما ألتبس من الأسباب يهدون إلى الرحمن فيدعون إلى البر والإحسان" نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ") والهادوية ترى أن الإمامة لمن قام بها ودعا إليها ممن هو من البطنيين والإسماعيلية يكون عندها الإمام ظاهرا أو مستوراً ، فهم يتفقون على التميز السلالي في استحقاق الإمامة وأرث النبوة .

ونتيجة لأن دعوة الإسماعيليين قائمة على السرية فلا يعرف عنهم الكثير بدقة وإذا سئلوا عما نسب إليهم ينكرونه .

ظهور الإسماعيلية باليمن :-

كان أول انتشارها على حيز الواقع باليمن على يد **علي بن الفضل** [١] وزميله **الفرج بن حوشب (منصور حوشب)** وذكر أن أول اتفاق لهما كان عندما ذهب علي ابن الفضل بعد حجه لزيارة مشهد الحسين بالنجف فالتقى **بميمون القداح** بجوار الضريح ومعه ولده **عبيد** فظهر من **علي ابن الفضل** تشيع فاستماله ميمون القداح ويبدوا انه وجد فيه ضالته لما كان له من فصاحة لسان ومعرفة ولما أظهره من إيمان بما يدعو إليه ميمون القداح وهو رغبته في قيام دولة لولده عبيد يتوارثها بنوه فلما قدم ابن فضل صحبه وكان بصحبة ميمون من قبل **منصور بن زادان بن حوشب** وكانا يسكنا على تربة الحسين

(١)- وقد أختلف المورخين في الاسم الصحيح لأبن فضل وابن حوشب فيسميه ابن خلدون وابن الأثير وعمارة اليمني يسمونه علي والجندي والخزرجي والمسعودي ويرجح أن اسمه علي ابن الفضل الدني الختفري الجيشاني أما ابن حوشب فقد سمي بعدة أسماء منها منصور اليمن وسماه الخزرجي بالمنصور ونسبه منصور بن الحسن صاحب (دستورالمنجمين) أبو القاسم الفرج بن حسن بن حوشب بن زادان الكوفي ويسميه المقريزي أبو القاسم الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي وابن الأثير يسميه رستم ابن الحسين .

بكربلاء ، فلما قدم ابن الفضل رأى فيه الرجل الذي سيحقق مبتغاة لأنه من أهل اليمن وخبير بأهله فقال ميمون [1] لمنصور :-

يا أبا القاسم إن الدين يماني والحكمة يمانية ، والركن وكل أمر يكون مبتداه من قبل اليمن فهو ثابت لثبوت نجمة[2] .

وقد رأيت أن تخرج أنتٍ وصاحبنا علي بن الفضل وتدعوان إلى ولدي فسيكون لكما به شأن وسلطة وأوصى كلاً منهما بصاحبه خيرا .

وقال لمنصور:- متى دخلت سترت أمري حتى ابلغ غرضي وقال لي :- الله الله صاحبك (يعني) ابن الفضل احفظه واحسن إليه وأمره بحسن السيرة فإن له الشأن ولا أمن عليه .

ثم قال لأبن الفضل :- الله الله أوصيك بصاحبك خيرا ، وقره، واعرف حقه ، ولا تخرج عن أمره ، فأنه اعرف منك ومني فإن عصيته لم ترشد.

ثم ودعنا وخرجنا من الحج حتى أتينا مكة ثم سرنا مع حجاج اليمن حتى جئنا غلافقه ثم تواصينا لا ينسى أحد منا صاحبه ولا يقطع خبره عنه .

وكان ميمون القداح قد أوصى منصور حوشب بأن لا يبدي أمره إلا في بلد يقال له (عدن لاعه)[3] .

فقصد عدن أبين وسأل عنها فقيل له إنها في جهة حجة ، فسال عمن قدم من أهلها واجتمع بهم وصحبهم وفي أثناء الطريق أتحفهم بالأخبار وأمهم بالصلاة وأظهر لهم ورعا وزهدا فلما وصل لزم مساجدها واقبل على العبادة حتى مال إليه جمع من الناس (فلما علمت انه قد استحكمت محبتي في قلوبهم أخبرتهم بأني قدمت عليهم داع للمهدي الذي بشر به النبي (ص) فحالفت منهم جمعا على القيام ، فصار يؤتي لي الزكاة فلما أجتمع لي منها شيء كثير ، قلت :أنه ينبغي أن يكون لي معقلا يحفظ به هذه الزكاة يكون بيت مال المسلمين ، فبنيت عُبر محرم وهو حصن كان لقوم يعرفون ببني العرجا ونقلت إليه ما كان قد تحصل عندي من طعام ودراهم فحين سرت إليه بما معي ،وقد عاهدني خمسمائة رجل على النصر و صعدوا معي الحصن بما معهم من مال وأولاد فأظهرت حينئذ الدعوة إلى

---

(١)- وقد اختلف في نسبه وقد أنتسب إلى العلويين وأكثرهم ينكر ذلك والله اعلم وقال بعضهم أن أصله يهودي (المرجع السابق ص٢٠٤

(٢)- أخبار القرامطة في اليمن — السلوك من طبقات العلماء والملوك — بهاء الدين الجندي .

(٣) — حصن في مديرية سور محافظة عمران .

عبيد الله المهدي ابن الشيخ ميمون القداح ومال إلى موافقتي خلق بأسرهم [1] ،فلما استقام أمره كتب إلى ميمون القداح يخبره بذلك .

وبدأ نفوذه يمتد إلى المناطق المحيطة بمسور حتى المحويت وتهامة وعمران.

وهكذا انتقل الصراع على الحكم في صور مذهبية شيعية بين العلويين اتفقوا على التميز السلالي في استحقاق الحكم ،واختلفوا فيمن يستحقها ونلاحظ من انتشار دعوة منصور حوشب ضعف الحكم العباسي في اليمن وضعف نفوذ ولاتهم من الزياديين .

وبدأ ابن حوشب (منصور اليمن) بإشعال أول شرارة لفتنة التشيع من أجل الحكم والسلطة ببث دعوته المنحرفة والمخالفة لشريعة الإسلام السمحاء بما اظهر من دعوته وبما لم يظهره حيث تقوم الدعوة الإسماعيلية على السرية في مبادئها وعقائدها فأشعل منصور حوشب فتنة بينه وبين الزياديين والزعامات القائمة ثم بينه وبين الهادي يحيى بن الحسين ومن جاء من بعده وكان صراعا من اجل من له الحق الإلهي في الإمامة والحكم من العلويين .

ومن أهم الفروق بين منصور اليمن و الهادي في نشر مبادئهما هو أن فكر الهادي في الإمامة يقوم على مبدأ(من قام وبها ودعا إليها فهي دعوة علنية وأما الإسماعيلية فهي تقوم على السرية إلى أن تتمكن من جذب الأنصار وتستوثق لنفسها ولذلك فإن ابن حوشب بدأ بالدعوة وجذب الأنصار مدة طويلة وبأسلوب سلمي باستمالة عواطف الناس دون إظهار مقصده منذ البداية ودون إظهار العقائد الإسماعيلية على العامة مستغلا كثيرا من العوامل مثل حب اليمنيين للدين والتدين وتشيعهم في علي كرم الله وجهه ، والطبيعة الجغرافية ، وضعف نفوذ العباسيين في اليمن وجور ولاتهم والطبيعة القبلية وغيرها من العوامل التي ذكرناها وساعدت على انتشار التشيع باليمن.

وهي نفس العوامل التي ساعدت الهادي يحيى بن الحسين على بث ونشر الحركة الهادوية وفكرها وبالذات في مسالة الاستحقاق السلالي في الإمامة.

أما الهادي فقد بدأ دعوته وفقا لفكره في مسألة استحقاق الإمامة الذي يقوم على مبدأ من قام بها ودعا إليها شاهرا سيفه .

فبدأ دعوته كما أسلفنا بدفع القطيميين من أهالي صعده المناصرين له لإخضاع المناطق المجاورة لصعدة لنفوذه بالقوة والحرب .

---

(١) – حسن سليمان محمود –تاريخ اليمن (أخبار القرامطة– بهاء الدين الجندي ص٢٠٦

وأما علي أبن الفضل الداعي الإسماعيلي فإنه لما فارق منصور في غلافقه ذهب إلى الجند ثم إلى أبين وهي بيد رجل من الأصابح (**محمد بن أبي العلى**) فخرج منها إلى يافع ولمعرفته بطيبتهم وتدينهم ، فقد بدأ يتعبد في بطون الأودية فكانوا يأتونه بالطعام فلا يأكل إلا اليسير .

وأظهر التقوى والورع فأعجبوا به ودعوه إلى مسا كنتهم فذكر لهم : إنما يمنعه عن مسا كنتهم عدم امتثالهم بالمعروف والنهي عن المنكر وشرب الخمر والتظاهر بالفجور ، فحلفوا له على الطاعة وألا يخالفوه بأمر فوعدهم خيرا ، وصاروا يجمعون له زكوا تهم حتى اجتمع له شيء جيد [(١)] ويبدو أن فترة تنسكه قد طالت لأن الفترة الفاصلة بين عام وصوله ٢٦٨هـ- وعام خروجه محاربا تقرب من أربعة عشر عاما وزادت مكانته والتف الناس حوله بمرور الأيام .

وكان قد أمرهم بعمارة حصن في ناحية (السرو) ففعلوا [(٢)] حتى إذا جاءت سنوات القحط والمجاعة بين عام (٢٩١-٩٠٣م) (٢٩٢-٩٠٤م) وشاهد الناس يموتون جوعا دعاهم لقتال الظلمة فهاجم سلطان لحج وقتله واستولى المحاربون الفقراء على ما كان يختزنه من طعام وأموال فانتشرت هذه الثورة فهجم على سلطان (الدملوه) ابن المفلس وسلطان المعا فر ابن الكر ندي .

وبعد هذه الانتصارات توجه شمالا ليتصل بمنصور اليمن الذي تجمدت دولته في مسور بعودة نفوذ بني يعفر على يد اسعد بن أبي يعفر الذي كان يسيطر على صنعاء ويبدو أن إهمال العباسيين لليمن وجور ولا تهم قد عمل على تقسيم اليمن إلى زعامات إقطاعية وقبلية وما صاحبها من صراع تلك الأوضاع هيأت اليمن للطامحين إلى السيطرة والحكم باسم الدين .

وأثناء تقدم **علي ابن الفضل** حاول **منصور اليمن** الاستيلاء على شبام ، فاستولى عليها ونقل ما بها من أسلحة ومؤن إلى مسور وخرج منها سنة ٢٩١هـ ولم يعاود مهاجمتها إلا عندما دخل ابن الفضل صنعاء .

وفي سنة ٢٩٢هـ استولى ابن الفضل على مخلاف جعفر الخصيب بالمنطقة الوسطى ، وكان يحكمها إقطاعي هو **جعفر بن احمد المناخي** وهو الذي نافس بني يعفر والزياديين

---

(١)- تاريخ اليمن – دكتور حسن سليمان محمود .
(٢)-الربيع- قرة العيون .

واستطاع ابن الفضل أن يستولي على المذيخرة فهرب المناخي إلى الزياديين طالبا العون[1] فلم يلبوا طلبه و لم يقدروا حجم ثورة ابن الفضل .

فعاد المناخي إلى أطراف مخلا فه فحرض أنصار ابن الفضل الفلاحين للثورة عليه فقتل وقتل معه جماعة من أركان دولته[2] وهرب ابنه علي (إلى العراق "بأربعة أحمال دنانير مطوقة يريد الاستنجاد بالمكتفي الخليفة العباسي فقتله القرامطة بالطريق إلى العراق ، وبهذا سيطر :

ابن الفضل من عدن إلى السحول .

ومنصور اليمن من عمران إلى شبام .

والهادي في حروبه حول صعده كما أسلفنا .

الصراع الهادوي الإسماعيلي:

أشعل أدعياء التميز السلالي والاستحقاق الإلهي للحكم والإمامة الفتنه والحرب من عدن إلى صعدة وحولوا الحرب من صراع بين الزعامات الإقطاعية والقبلية إلى حرب مذهبية:-

حيث استمر **علي بن الفضل** في توسيع نفوذه فسيطر على ذمار التي كانت تابعه **لاسعد بن أبي يعفر** وكان يتولى قيادها **عيسى بن معان اليافعي** ، فتراجع اليافعي أمام ابن الفضل ثم أنضم بقواته لابن الفضل .

وكانت مفاجأة لاسعد حيث كان يتوقع الخطر من **الهادي والدعام** أو من **الضحاك** أو من **منصور اليمن** .

إن قوة ونفوذ ابن الفضل شكلت ظاهرة جديدة في الصراعات باليمن حتى ذلك التاريخ فقد كانت الزعامات الإقطاعية أو القبلية هي التي تشن الحروب لتحافظ على نفوذها أو لتوسع هذا النفوذ .

فقد استعان الهادي ومنصور اليمن بهذه الزعامات دون أن يمس نفوذها .

كما أن من أسباب نجاح **ابن الفضل** انه كان يقود جيشا من الفقراء والمعدمين وهو ينتمي إليهم .

---

(١) –سيرة الهادي – ص ١٨٩ – الهمداني الإكليل ٢/ ٩٣-٩٤.

(٢) – معتزلة اليمن – علي بن محمد زيد

أما **الهادي** فكان يشعر الآخرين بأنه صاحب حق في الحكم لأنه من سلالة نبوية وادعى كذلك ابن حوشب ، وأعتمد في إخضاع الناس لدعوته بالقوة مستعينا بمن أتى معه من الطبريين ومستغلا الصراع بين الزعامات القبلية **ومنصور اليمن** أدعى انه من سلالة **جعفر بن أبي طالب** .

وكان شعار **ابن الفضل** تمكين عباد الله في مال الله ومثل هذه الشعارات كان لها أثرها بين الفلاحين والفقراء في ظل ما تظهره الزعامات الأخرى من إستعلاء وتميز سلالي .

ولذلك استمر ابن الفضل في التقدم واكتساح الزعامات التقليدية فدخل صنعاء في سنة (٢٩٣ — ٩٠٥) وخطب في المسجد الجامع [١]وقد كف ابن الفضل أصحابه عن النهب وكفوا عن القتل فلم يقتل إلا نفر قليل[٢] وهرب اسعد واتباعه إلى شبام فأتجه منصور اليمن إليها فأضطر اسعد الهرب إلى الدعام بن إبراهيم والذي كان على علاقة طيبة مع الهادي وبني يعفر .

أما **ابن كباله** من بني طريف فقد والى **ابن الفضل** وقاتل معه فتوجه إلى ما حول شبام والتقى بمنصور اليمن ثم أتجه نحو صنعاء في ٣ ربيع ٢٩٣هـ وحاول الاتجاه نحو تهامة وفيما ابن الفضل يواصل انتصاراته على الزعامات القبلية والإقطاعية المختلفة ، ويمد نفوذه إلى ما حول صعده .

استطاع الهادي جمع هذه الزعامات الذي قضى على مصالحها ابن الفضل وأغراها بإباحة الفيء والنهب خلال الحرب ،كما أن الهادي يحمل دعوة عقديه شمولية تستند إلى أساس إسلامي كان قد بثها إلى حد ما بين قبائل شمال الشمال خلال حروبه السابقة (يستطيع بها أن يقف في وجه الدعوة العقدية الشمولية التي جاء بها ابن الفضل)[٣] لتستهوي الناس وتحقق نجاحا سريعا مذهلا وركز على تقويض سلطة الزعامات التقليدية وإباحة ممتلكاتها للفقراء .

ومما ساعد الهادي على جمع الزعامات القبلية و الإقطاعية لتحقيق مقصده بعد فشله، عدم دخول ابن الفضل إلى مناطق قبائل شمال الشمال اليمني وبث مبادئه بينهم فقد وصل إلى صنعاء ثم توجه غربا نحو تهامة وترك القبائل القوية والمؤثرة الواقعة شمال وشرق صنعاء فاستطاع أبن كبالة بالتعاون مع العلويين إخراج من تركهم علي بن الفضل بصنعاء وقتلوا

---

(١)– سيرة الهادي ص– ٣٨٨ — ٤٠٤ ، الهمداني — الإكليل ٨/ ١٢٠، يحيى بن الحسين بن القاسم – غاية الأماني

(٢) – سيرة الهادي .

(٣)–علي بن محمد زيد — معتزلة اليمن .

عدد منهم ونهبوا ما كان بحوزتهم في ربيع الآخر سنة ٢٩٣هـ أي بعد اقل من شهرين من دخول ابن الفضل صنعاء .

ونتيجة لما أصاب كبراء أهالي صنعاء ومشائخهم من رعب من ابن الفضل ابلغوا الهادي بتحالفهم معه ونصرته ودعمه ماديا بشرط أن يلتزم الهادي بمذهبهم "مذهب الجماعة" ويحذروه من البدع فرد عليهم قائلا :- جاءني كتابكم تحذرون من البدع المضلة والأهواء المغويه والآراء المحدثة والميل إلى الخلاف والفرقة وتحثون على لزوم الجماعة الأبرار الذين كانوا أعلام الهدى ومصابيح الدجا وذلك عندما بلغكم من اجتماع الناس على غبني وطعنهم علي وتنقصهم إياي وشتمهم لي من غير حدث أحدثته ولا خلاف أظهرت ولا رأي قبيح ابتدعت ، وزعموا أني تركت المنهاج الأكبر و أني سلكت الطريق الأوعر وسألوني ما أنا عليه وما أنا متمسك به وأوضح ذلك من لدن التوحيد إلى آخر فريضة وقد فسرت جميع ذلك في كتابي هذا حسب طاقتي [١] ثم يمضي في شرح معتقده فيما يشبه الاعتراف بأنه مسلم وانه يؤمن بالله وبنبيه وبالوحي وبالجنة والنار وبالوعد والوعيد وبالفرائض المختلفة من صلاة وصيام وحج و أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ...ثم يعرج على ذكر آل البيت لإثبات حجتهم في أحقيتهم بالإمامة لأنه بدون هذه الأحقية يفقد أساس دعوته لهم بالطاعة والتسليم لدولته [٢].

وتهيأت الفرصة وتكون حلف واسع ضم غالبية الزعامات القبلية والإقطاعية وتولى الهادي قيادته ودخل صنعاء في ٤جماد الآخر سنة ٢٩٣هـ/ ٢إبريل٩٠٦م وحوله أركان الحلف من بني يعفر والدعام بن إبراهيم وولده من همدان وأبناء الروية من مراد ورداع وابن جعفر بن إبراهيم المناخي من مخلاف جعفر (العدين بإب) ووجوه اليمن [٣] وانتعشت أحلام الهادي من جديد وتحرك بسرعة لتوسيع سلطته فأرسل ابنه محمد جنوبا إلى ذمار وعمل على مد نفوذه في المناطق المجاورة لصنعاء وفرض على جميع سكان صنعاء (ربع أموالهم إفراز ومقاسمة)[٤] وبهذا نلحظ استغلال الهادي للظروف وحرصه على جمع الأموال ، بفرضه على أهالي صنعاء ربع أموالهم ليحقق حلمه في إنشاء دولة لآل البيت وهذا هو التطبيق لفكره الداعي إلى حرية الاجتهاد فهي حرية تحقق مقاصد الإمام وهي حرية تعطي صلاحيات مطلقة للإمام دون قيود من الأحكام الشرعية التي تحدد مقدار الجباية أو ما أصل في المذاهب التي كانت سائدة .

---

(١)- جواب أهل صنعاء مخطوط (ضمن مجموعة) ق ١٠٢-١٠٣ .

(٢)- علي بن محمد زيد – معتزلة اليمن .

(٣)- سيرة الهادي .

(٤) سيرة المهدي احمد بن الحسين (علي محمد زيد – معتزلة اليمن

أما ابن الفضل فواصل انتصاراته في تهامة ضد بني زياد فاستولى على بلد حكم في جماد الآخر ٢٩٣هـ -إبريل ٩٠٦م وتوجه جنوبا مستوليا على مدن تهامة الواحدة تلو الآخرى فاستولى على الكدراء والمهجم ودخل زبيد واخرج منها بني زياد ثم عاد إلى المذيخرة واكمل بذلك دائرة كاملة .

وحين عاد إلى مذيخرة علم بدخول محمد بن الهادي إلى ذمار فتوجه نحوها فهرب منها أبن الهادي ولحق بوالده في صنعاء ولما يثيره ابن الفضل من ذعر في نفوس خصومة أرسل المتحالفون مع الهادي أبا العشيرة احمد بن محمد ابن الروية إلى رداع لجمع القبائل لأشغال علي بن الفضل عن التوجه إلى صنعاء فأرسل ابن الفضل قوات بقيادة ابن ذي الطوق فهزمت ابن الروية وقتلته في التاسع من ذي الحجة ٢٩٣هـ -١١أكتوبر ٩٠٦م .

وعاد حلم الهادي للاضمحلال فخرج من صنعاء بدون قتال كما دخلها بدون قتال سنة ٢٩٤-١٣١اكتوبر ٩٠٦م نتيجة لعدم قدرته في القبض على زمام الأمور لتعقيدات الوضع لأن الزعامات التي تحالفت معه إنما فعلت ذلك للضرورة .

فقد عادت الزعامات القبيلة والإقطاعية إلى مناطقها وقوات ابن الفضل لا تزال على مقربه منه لتوفير الأموال اللازمة للمحاربين حتى لو بوسائل النهب .

كما أن ابن كباله من بني طريف أراد أن يستعيد السلطة على صنعاء وهو الذي تجاسر على مهاجمة ابن الفضل والاستيلاء على صنعاء فأخرج الهادي ولكن سرعان ما عاد أسعد بن أبي يعفر إلى صنعاء وجراح بن طريف بعد هزيمته في شبام أمام منصور اليمن فأقام الثلاثة في صنعاء واستطاعوا صد هجمة أبن ذي الطوق أحد قادة أبن الفضل فلم يستطيع دخول صنعاء فأنطلق أبن الفضل بنفسه من المذيخرة فدخلها في رجب ٢٩٤هـ - أبريل ٩٠٧م.

وسيطر على صنعاء أبن الفضل مدة ثلاث سنين وتمكن أبن الفضل أن يمد نفوذ دعوته إلى نجران فأشترك أنصاره مع بني الحارث في التمرد على ، محمد بن عبيد الله عامل الهادي على نجران [1] (وقيل أن المذهب الإسماعيلي بنجران إلى اليوم فهل كان انتشاره من ذلك التاريخ أم من قبل ذلك أم من بعد).

وخلال مدة سيطرته على صنعاء أنصرف للسيطرة على تهامة فما كاد ينصرف منها سنة ٢٩٣هـ -٩٠٦م حتى عاد احمد بن علي بن زياد إليها من جديد حتى شهر صفر

(١) – سيرة الهادي .

سنة ٢٩٧هـ- ٩٠٩م حينها توجه أبن الفضل وقائدة ذي الطوق إلى زبيد فاستولى عليها وعاد إلى مذيخرة وترك عاملاً عليها لكن الزياديين هاجموه وأخرجوه[١] .

وفي سنة ٢٩٧هـ - ٩٠٩م (٩١٠) اجتاح صنعاء وباء قضى على كثير من الناس ومنهم عامل أبن الفضل فضعفت سلطته على صنعاء فأرسل الهادي علي بن محمد العلوي مع الدعام بن إبراهيم فدخلوا صنعاء بسهولة في رجب ٢٩٧هـ .

ثم أرسل ابنه محمد في جماعة من خولان ابن عامر وهمدان فدخل صنعاء في العاشر من شعبان فتوجه نحو حراز فأخذها من أيدي عمال ابن الفضل فلما علم ابن كبالة من بني طريف الذي كان عند الزياديين في تهامة خرج لقتال محمد ابن الهادي والتف حوله كثير من الناس فأخرج أتباع الهادي من حراز واستولى عليها .

وحين طلب أبن الهادي من أبيه النجدة أمره بالانصراف فخرج من حراز ومن صنعاء في شوال سنة ٢٩٧هـ ولم يتوقف إلا بصعدة .

وتركت صنعاء بلا سلطة فجاءها جماعة من أنصار ابن الفضل أرسلهم منصور اليمن من شبام مكثوا بها أربعة عشر يوما وخرجوا حين قدم جراح بن طريف وبعدما دخل اسعد بن أبي يعفر وتولى السلطة في صنعاء .

ونلاحظ هنا تهافت الهادي وتلك الزعامات على المناطق الغربية من صنعاء لخصوبتها لجمع الجبايات ولما ستنالهُ القبائل المناصرة لهم من مغانم من تلك المناطق عن طريق النهب والسلب ولا يندفعون نحو المناطق الشرقية من صنعاء لقلة خصوبتها .

كما نلاحظ أن الهادي اصبح اكثر حذرا واقل اندفاعا لعدم قدرته على نشر فكره في أغلب مناطق اليمن وبالتالي عدم قدرته على تكوين أنصار له في هذه المناطق فأصبح همه الأساسي منصبا على الاحتفاظ بصعدة ونجران .

ولم يستطيع أن يبث أفكاره ويكون له أنصار إلا بصعدة ولذلك أصبحت المركز الرئيسي للفكر الهادوي لبثه بين أبنائها ولإستيطان أنصاره من الفرس في (الهجر)[٢]

---

(١)- سيرة الهادي .

(٢)- الهجر :- وهي قرى موزعة داخل القبائل القوية بعضها أنشأها أبناء تلك السلالة وأتباعهم من الطبريين وفقهاء الأئمة المرتبطين معهم بمصالح .

وعمل سكان تلك الهجر على نشر الفكر الهادوي بالدعوة إليه أو بتعليمه في مساجد تلك الهجر لأبنائهم ومن يصتفون ، ومخرجات تلك الهجر هم أعوان الأئمة الدعاة والعمال والحكام .

واستطاعت تلك الهجر أن تحمي نفسها بأن عملت على بث ثقافة مجتمعية بين القبائل مفادها أن الهجرة لا تشارك في القتال والصراع بين القبائل وأنه عيب وعار على لقبائل قتال أهالي الهجر وبذلك حمو أنفسهم حتى في عدم وجود دولة قادرة على حمايتهم بفرض النظام .

واحتكروا لأنفسهم التعليم والقضاء والإرشاد والإفتاء وجعلوا لأنفسهم مكانة على قمة الهرم الاجتماعي بما بثوه من تلك الثقافة.

اللذين أتوا مقاتلين مع الهادي، أو القادمين من طبرستان وبلاد الديلم مدعيين بأنهم علويين.

إن مرحلة الأفول لحلم الهادي الكبير بدأت حين فقد الحماس الذي كان يدفعه للاستيلاء على الخلافة بإعادتها إلى أصحابها الشرعيين حسب زعمه عند خروجه إلى اليمن وقد أنكمش طموحه إلى مستوى صعده ونجران التي كانت أخر ملاذ له فكان يتعامل مع أي تمرد في هذه المنطقة بشراسة وكان أهم عوامل خذلانه هي عدم قدرته على بث ونشر فكره بين أبناء المناطق اليمنية بالإضافة إلى منافسه الدعوة الإسماعيلية عن طريق منصور اليمن وحركة علي ابن الفضل " ولم يكن لأي من الفرق المتصارعة هدف أو دعوة تصويبية يلمس الناس جدواها الأمر الذي أدى إلى عدم ثبات أهالي المناطق مع هذا أو ذاك.

وبعد أن بلغ اليأس مبلغا من الهادي لعدم قدرته في محاولاته المتعددة وغير اليائسة لفرض سيطرته وتكوين دولة نتيجة للأوضاع القائمة على الساحة اليمنية وعلى رأسها الدعوة الإسماعيلية و طموحات الزعامات اليمنية في الحكم المماثلة لطموحه ولخذلانه من آل الحسين الذين لم يستجيبوا لدعوته التي وجهها إليهم لمشاركته بتأسيس دولته وربما كان السبب كثرة الحروب وما جرته من إفقار له يجعله غير قادر على جذب الطامحين من العلويين والمحاربين من الطبريين والبدو لأن الهادي لم يستطع أن يزرع في اليمنيين حماس لمشروعه حتى يعتمد عليهم (١) .

لذلك وجه بعد يأسه من دعم الحسينيين قصيدة له إلى الحسنيين عسى أن يجمعوا له من الأنصار ما يساعده على الصمود حيث إن الحروب التي خاضها نفرت الكثير من العلويين والطبريين وإذا جاءوا فإنما يأتون للحصول على ما يمكنهم الحصول عليه من عطايا ويعودون من حيث أتوا فقال مخاطبا أبناء الحسن (٢) .

أبلغ بني حسن الأخيـــار مالكـــه　　　عن ناصح لهم ذي منطـــق ذرب

إلى أن قال :-

أهل النبوة مـــا بـــالي وبـــالكم　　　وكيف خفتم على مثلي بلا سبب

---

(١) – علي بن محمد زيد – معتزلة اليمن .

(٢)– علي محمد زيد – معتزلة اليمن.

حالفتم الخفض واللذات وان غمدت عني سيوفكم في ساعة التعب

ثم ادعيتم أمور غير واضحة قبل البراهين هذا أعجب العجب

إن هذا الموقف للعلويين سيتبدل بعد انتشار الفكر الهادوي بين القبائل اليمنية وسيتسابقون على القدوم إلى اليمن نتيجة لما سيحصلون عليه من نذور ومكانة لما بثه هذا الفكر من أهم ورثة النبوة والدين .

ونعود إلى تاريخ هذه الفترة فقد أمضى اسعد بن أبي يعفر اشهر في صنعاء .

ثم خرج لقتال جيش منصور اليمن الذي يحتل شبام في ربيع الأول (٢٩٨هـ-٩١٠) وولى على صنعاء جراح بن طريف وعلى ذمار ابن كبالة وظلت الحرب سجال بينه وبين منصور اليمن .

انحصار نفوذ الهادي :-

عاد الهادي إلى صعدة تحت وطأة الشعور بالغربة والإخفاق يتميز غضبا فتعامل مع الانتفاضات التي قامت بنجران وحول صعده بشدة وقسوة زادت كثيرا عما عرف عنه من شدة وقسوة فيضيف هدم البيوت وقطع الزروع وتخريب الآبار ومصادر المياه وتدمير قرى بأكملها قرية قرية [1] .

وقد زاد من قسوته انتشار أنصار علي بن الفضل حول صعده بنجران وكذلك قلة موارده وعليه التزامات مالية نحو العلويين والطبريين وزعماء القبائل والمحاربين ولانحسار نفوذه على نجران وصعده وما حولها فقد عمل على زيادة الجباية لتغطية ذلك وعندما لم يستطع أباح عامله في نجران نهب السكان وكان هذا التصرف الشرارة التي أطلقت تمردا شاملا في نجران وكان نتيجة ذلك أن كتب عامل الهادي قصيدة يطلب من الهادي إبادة النجرانيين .

وهنا نرى مدى الابتعاد عن قيم الإسلام وثوابته في العدل والحوار والتسامح وخيم الحقد والكراهية إلى حد المطالبة بإبادة أبناء البلد من السكان لكنهم أقوى من أن يبادوا فكما أطلق الهادي الجنود لنهبهم أطلقوا هؤلاء أيديهم في رجاله فقتلوا منهم ما قتلوا وهرب الباقون وتوجه الثائرون بقيادة ابن حميد لمحاصرة محمد بن عبيد الله حتى قتلوه وانهوا

---

(١)- سيرة الهادي ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

سلطة الهادي في نجران لفترة وظل مصرا على فكره وحلمه فنراه يرسم صوره واضحة لخيبة أمل شاملة يعاني منها لسقوط مشروعه لإقامة خلافة علوية فيقول:

والله يعلم ما تركـــت جهـــادهم زهـــدا ولكـــن قلـــة الأعـــوان
ولقد حرصت بأن ألاقي جمعهـــم فأبت علـــي عجـــارف الأزمـــان

ومرض الهادي ومات يوم ٢٠ من ذي الحجة سنة ٢٩٨هـــ - ١٩ أغسطس ٩١١م[1] مخلفا ورائه دويله متدهورة اقتصاديا وماليا ومعتمدة كليا على غير اليمنيين من العلويين والطبريين وقله ممن تبعوا الهادي من اليمنيين فانتشروا في مختلف قبائل الشمال .

وظلوا يبثون فكر الهادي مهادنين الظروف حتى أتيحت لهم الفرصة في إدعاء الإمامة من مناطق صعده وما حولها مرتكزين على ما بثوه وعملوا من اجله و المتمثل في ترسيخ القبلية وبث العداء التراكمي والثارات بين تلك القبائل مع تجهيلها وحصر التعليم على سلالاتهم وسلالات فقهائهم وكان ذلك يسهل إدعاء الإمامة وبث الفتنة كما سنرى فيما سيأتي :-

نهاية علي بن الفضل :-

وفي سنة ٣٠٣هـــ قتل علي بن الفضل في مذيخرة بالسم على يد رجل يسمى حسن، .يقال أنة أرسلة الأمير اسعد ابن أبي يعفر وكان واليا على صنعاء من قبل علي بن الفضل حيث قال هذا الرجل لأسعد أنا أقتله بالسم ، فقال له أن فعلت ونجوت سالما قاسمتك مالي وان قتلت فعند الله الجزاء الأوفر.
فعزم الشريف إلى حضرة ابن الفضل وكان طبيبا ماهرا في مداواة الجراح فما زال يداوي المرضى والجرحى حتى اشتهر في المذيخرة فاحتاج ابن الفضل إلى الفصد فوصف له الشريف فاستدعاه وقد عرف ما يريد فجعل السم في أطراف لحيته ودخل علية ومص المبضع بحضرته كما يصنع عند الملوك لرفع الشكوك ثم جفف المبضع في لحيته حتى عرف أنه قد علق السم في المبضع ففصده وخرج عنة ففشي السم في بدن ابن الفضل ومات فأُمر بإرجاع الطبيب فهرب فأُدرك في السحول وقتل هناك شهيدا[2] وكان ابن الفضل قد فتح جميع المدن اليمنية وقضى على الدول المناوئة له ، وبعد موت علي بن الفضل قام

---

(١)- سيرة الهادي .
(٢) - تاريخ عمارة .

أسعد ابن أبي يعفر باستنفار القبائل وهجم على مذيخرة وانتهت حركة على بن الفضل وأستمر القتال بين الجموع المواليين للناصر بقيادة الضحاك [1] .

*** ونلخص سيرة الهادي في الآتي :-**

ظهر الإمام الهادي عام ٢٨٤هـ ، وحاول إقامة دولة منفصلة عن الدولة العباسية وقام على مذهب خاص به فلم يكن على مذهب الإمام زيد نفسه ولاعلى مذهب جده القاسم وكان له حروب مع اليعفرين آل الحوالي المواليين للزياديين ودخل صنعاء ثم أخرجه منها اليعفريين وبني طريف و علي ابن الفضل .

وأرسى الحق اللاهي في توارث الحكم في البطنين كما أوضحنا سابقا في فصل نظرية الإمامة عند الهادويون في كتابه الأحكام والمنتخب ورسائله.

وكان قيامه خروجاً على الدولة العباسية وخروجا على ولاتها الزياديين و تزامنا مع اليعفريين في شبام ،وقبل الهادي خرج إلى اليمن منصور حوشب وعلي بن الفضل كداعيين لميمون القداح لينشئ المذهب الشيعي الإسماعيلي والهدف الجامع للفرقين هو الخروج عن ثوابت الدين الحنيف المرتكزة على المساواة بين البشر الراسخة في محكمات الآيات القرآنية وفي صحيح سنة رسول الله ((صلى الله علية وسلم)) والمقلدة لكبر الشيطان ، وتميز اليهود العنصري على سائر الأجناس ، وقام الفريقان بعمل إبليس في بث الشقاق والفتنة على مستوى الأمة الإسلامية بالخروج على راية الخلافة من ناحية ، ومن أخرى بتمزيق الأمة اليمنية حيث اصل مذهبيا للتميز السلالي ، كما يقول[2] الإمام الهادي في المجلد الثاني من كتاب الأحكام ص ٣٦٠ مؤكد نزوعه الثيوقراطي الرافض للشورى فيما تثبت به الإمامة للإمام ممن كان من البطنين بإنها تثبت من الله وليس من الناس أي تفويض إلهي " وتثبت الإمامة للإمام وتجب له من الأنام فيمن كان من أولئك (أي من البطنين)[*] فقدحكم الله له بذلك رضي الخلق أم سخطوا وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام " .

وأصل لمبدأ الخروج والسيف ولمبدأ جواز قيام إمامان في وقت واحد ولمبدأ الإمام القائم والقاعد وغلب على من جاء بعد ظهور الهادي إتباعه في مذهبه وإدعاء الإمامة خارجين على الدول القائمة أو على بعضهم البعض فكان في أغلب المراحل التاريخية إمام وخارج عليه أو عدة خارجين أو عدة أئمة كما سيأتي من عهد أحفاد الهادي وبهذا بث هذا الفكر الفتنة لأكثر من ألف عام كان وقودها دماء اليمنيين حتى تنشئة الطائفية والقبلية التي كان الإسلام قد أطفأ جذوتها باعتصام المسلمين بحبل الله في إطار الأخوة الإسلامية و الولاء للأمة القائمة على المساواة بين البشر في الدنيا والآخرة على أساس أن التميز أمرا كسبياً لا قسرياً .

---

(١) - تاريخ عمارة .

(٢) — حارث الشوكاني (مقالة بجريد ة الثورة ٢٠٠٥ م .

(*)- وقد ذكر معنا من هم من البطنين " أي أبناء الحسن والحسين " وقيل أبناء البطنين هم ابناء الحسين من أم فارسية أبنة كسرى فارس أي ابناء بيت النبوة وبيت الملك .

الفصل الخامس

صراع الهادويون على الإمامة

أبناء الهادي والقادمون إلى اليمن

ق٤– ق ٩هـ

المبحث الأول :–

(صراع أبناء و أحفاد الهادي على الإمامة)

المبحث الثاني :–

صراع أدعياء الإمامة القادمين من العراق وفارس

المبحث الثالث :–

حروب أدعياء الإمامة مع الصليحيين

المبحث الرابع :–

استعانة الهادويون بالأيوبيين على اليمنيين

المبحث الخامس :-

صراع أدعياء الإمامة الهادويون مع الرسوليين

المبحث الأول

(صراع أبناء و أحفاد الهادي على الإمامة)

أثر الفكر الهادوي على أمن واستقرار الهاشمين ذلك لأنه كان الباعث لدوافع الصراع على السلطة بين الهاشميين ذلك لأن الفكر السياسي الهادوي يقوم على مبادئ تؤدي إلى تنافس العلويين على السلطة منها

١- الإمامة لمن قام بها ودعى إليها (وهذا المبدأ أدى إلى صراع العلويين فيما بينهم) كما سنرى في مختلف العصور .

٢- مبدأ الخروج والسيف (وهذا أدى إلى خروج أحد العلوين على الإمام القائم في مختلف الأزمنة كما سنرى) ، إضافة إلى الخروج باسم الحسبة ولأن هذه النظرية تقوم أساساً على الحق الإلهي لمن هم من البطنين فقد جعلت كل إمام يخشى أي علوي يكون له شأن أو نفوذ ، الأمر الذي أثمر معاناة الهاشميين أثناء حكم الأئمة كما عانت اليمن أرض وإنسانٌ ويتضح ذلك بجلاء ابتداءً من أحفاد الهادي .

١- الأسرة الأولى:-

وعملٌ بذلك الفكر أدعى الإمامة محمد بن يحيى بن الحسين في شمال الشمال متزامناً مع الزياديين وفي عهده وعهد أبيه رفض اليمنيون منطق التمييز السلالي مادياً بعدم الرضوخ ثم فكرياً ومن أوائل من حمل هذه الراية **أبو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني** صاحب الإكليل وصفة جزيرة العرب.

والجوهرتين وبدامغته الشهيرة وبخلقه الإسلامي رد عليهم في الدامغة بمناقب اليمنيين المتعددة في مناصرة رسول الله ((صلى الله عليه وسلم) ودورهم في قيام الدولة الإسلامية وفتح مشا رق الأرض ومغاربها دون أن يذكر أو يرمز إلى أي مثالب في نسب الأئمة وسبقه آخرون في ذلك كما ذكرناه في فصل ثورة اليمنيين على التميز السلالي عبر العصور و لم ترضخ اليمن لحكم الهادي أو لأبنه من بعده فكان يدخل المناطق والمدن غازياً فيخرجه أهلها و لم تستقر له إلا صعده وما حولها وهي المناطق التي استطاع أن يبث مذهبه فيها.

وأدعى الإمامة الابن الثاني للهادى وهو **احمد بن يحيى بن الحسين ولقب بالناصر** وتوفي سنة ٣٢٥هـــ وسلك نفس الطريق الذي سلكه والده في الخروج على الخلافة وولاتها من

الزياديين ، وطوال فترة ادعائه للإمامة استمرت الحروب بين القبائل التي جمعها إلى جواره وبين اتباع منصور حوشب "بمدينة حجة" من جهة وبين اليعفريين في صنعاء فتارة يهادنهم مستعينا **بأحمد بن محمد الضحاك الحاشدي** .

ونود أن نشير هنا إلى أن بث الفكر الهادوى كان قد أنتشر في المناطق المحيطة بصعدة بين العامة من قبائل حاشد وبكيل بوسائل النشر المقتصرة على فكر هذا المذهب عن طريق من تم تهيائهم وربطهم بمصالح مع الأمام ممن يسموا بالفقهاء والقضاة والذين سميوا فيما بعد بأهل الحل والعقد والذين اقتصر التعليم في أبنائهم فيما بعد وكانوا كالمحلل للفكر الهادوي ، والذين استوطنوا في تلك المناطق بنظام يحميهم من اعتداءات القبائل ولا يشاركون في حروب القبائل فيما بينها وسميوا مع المناطق التي يسكنونها "بالهجر" ومفردها "هجرة" واحتكروا التعليم في أبنائهم .

و ما يؤكد اعتناق ذلك الفكر أن الضحاك كان اكثر قوة من أي أمام عاصرة ولكنه كان يعقد الإمامة إلى رجل ينتمي إلى هذه السلالة .
ووصلت جموع الضحاك ومن ساندة من اليمنيين إلى عدن وخلال فترة **احمد بن يحيى ابن الحسين** كان المتقاتلون على الساحة اليمنية فيما بينهم ومعه **علي ابن الفضل والمنصور بن الحسن وعبد الحميد المسوري وابن أبي ملاحف وأسعد بن يعفرالحوالي** في المرتفعات من صنعاء إلى عدن وعاصرهم في تهامة إسحاق ابن إبراهيم الزيادي ابن أبي الجيش في زبيد ووصلت النجدة العباسية إلى زبيد لمعاونته على الخارجين، وتوفي **احمد ابن الهادي أبن الحسين** في ذي القعدة سنة ٣٢٥هـ وأدعى أولاده الإمامة كلاً لنفسه.

وقسموا المقسم وأشعلوا فتنة في أجزاء الفتنة المشتعلة أصلا فأدعى الإمامة **ابنه يحيى ولقب بالمنصور** وخرج عليةِ أخوه ولقب **بالمختار لدين الله** وخرج عليهما الحسن وكان بينهم حروب

ومنذُ هذا التاريخ بدأ صراع الهادويون فيما بينهم وفقا لمبدأ الهادي في الإمامة القائم على (من قام بها ودعا إليها)كما سنرى فيما سيأتي :-

وتوفي **الحسن بن احمد** ٣٢٧هـ واسر الضحاك الحاشدي **القاسم بن احمد ابن يحيى ابن الحسين الملقب المختار لدين الله** في حرب بينهما ثم قتلة سنة ٣٤٥هـ وقام بعد المختار لدين الله ابنه **المنتصر لدين الله ابن القاسم** ابن **احمد يحيى ابن الحسين** سنة ٣٤٥هـ واستمرت نار الحرب بينه وبين عمه واستمال إليه **قيس ابن الضحاك** على أبيه

واعتنق الأخير المذهب الها دوي وتعصب له وقامت بينهم واقعة في نجران قتل فيها الضحاك الأب

ثم أدعى الإمامة **يوسف بن يحيى بن احمد بن يحيى الحسين** ولقب **بالداعي** توفي ٣٦٧هـ .

المبحث الثاني

صراع أدعياء الإمامة القادمين من العراق وفارس

بعد توطن أبناء الهادي صعده وما حولها وانتشار فكر الهادي كثقافة بين أبناء تلك المنطقة وبالذات استحقاق الإمامة لمن هم من البطنيين في مرحلة لم تستطع أي من الزعامات المحلية والدويلات القائمة فرض سلطتها وتطبيقا لفكر الهادي بأن الإمامة لمن قام بها ودعا إليها ممن هم من البطنيين ، كل ذلك جذب من يدعون الانتساب إلى الحسنين أو من ينتسبون فعلا إلى القدوم إلى اليمن للصراع على الإمامة مع الأسرة الأولى.

٢- الأسرة الثانية (العيانيين)[١]:-

وهنا قذفت أطماع الحكم والإمامة بمدعى للإمامة جديد **هو القاسم بن علي العياني بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم** منافسا **الإمام يوسف بن يحيى بن احمد بن يحيى بن الحسين** ولقب **بالداعي** توفي ٣٦٧هـ .

وقامت الحروب بين يوسف بن يحيى وبين العياني وبين العياني وبين الإسماعيليين في نجران وبينه وبين الزعامات القبلية والدولة القائمة وتغلب القاسم بن علي العياني على يوسف بن يحيى. ودخل القاسم بن علي العياني صنعاء ثم توفي سنة ٣٩٣هـ وانتهى أمر الحواليين في عهده.

وبدخول هذا المدعي للإمامة دخلت أسرة أخرى تنافس الأولى وكان من أسباب قدوم هذا الداعي ما تهيأ للهاشميين من تشيع خلال المدة المحصورة من قدوم الهادي إلى هذا التاريخ الأمر الذي جذب أفراد وزرافات من الهاشميين أو ممن يدعون انهم هاشميون من العراق وفارس كما سيرد في حينه.

---

(١)- تاريخ اليمن - عبد الواسع يحيى الواسعي اليماني .

أشعل الطرفان نار الفتنه بين اليمنيين يؤجحوها جيل بعد جيل ويدفع ثمنها اليمنيون جيل بعد جيل وترسخ تبعاً لذلك النعرات القبلية وتتراكم الأحقاد بينها وتتأصل كثقافة ولا ذنب لهذه الأمة سوى أنها ناصرت الهاشميين العلويين عندما شردهم ونكل بهم أبناء عمومتهم العباسيين أثناء فتنة التميز السلالي التي اشتعلت داخل البيت الهاشمي والتي كانت نتيجة للتمييز السلالي داخل البيت القرشي.

ونلاحظ هنا أنه لم يتعظ من أحداث الصراع أيا من المتنازعين على الإمامة بحيث يجتهدوا طرق أو آليات لانتقال السلطة أو يجتهدوا شروطا أكثر دقة للخروج .

ولو وجد منذ الهادي الإمام العادل و القدوة لأتبعه الناس عن اقتناع ولحصل على ولاء الناس ولكنهم فرضوا هيبتهم وسلطتهم بالقوة الأمر الذي أدى إلى خروج معظم المناطق والقبائل عن طاعتهم عندما تخفت أو تنعدم القوة .

والأمر الآخر:هو أن الامتيازات والمغانم التي كانت تتمتع بها القبيلة المناصرة كانت تدفع القبائل الأخرى لمناصرة أي مدعي للإمامة أملا في أن يتحقق لها نفس الامتيازات والمغانم ، وكان يدفع القبائل إلى ذلك أيضا الثأر من القبائل التي أخضعتها للإمام القائم ، وعارض **القاسم بن علي العياني** وخرج عليه **القاسم بن الحسين الزيدي** .

ربما يختلف القادة والأعداء [(١)]

في الألوان والشارات

إلا في السواد

وتدمير البلاد .

٣- الأسرة الثالثة(أبناء القاسم بن الحسين الزيدي" أبناء الزيدي"[(٢)] :

وخرج على القاسم بن علي.العياني ، **القاسم بن الحسين الزيدي من ولد الحسين بن زيد بن علي** وهذه سلالة ثالثه دخلت اليمن لتزيد محنة اليمن وقد أدعى في ذمار وصنعاء ثم تنحى عن كل شيء وعاصروا أواخر أيام **أبو الجيش إسحاق ابن إبراهيم الزيادي** ثم أيام مولاه **الحسين بن سلامه** صاحب الأيادي البيضاء في أعمار البلاد بالمساجد وتأمين طرقات الحجاج والبر والإحسان بالرعية كما ذكر عمارة في تاريخه أنه قد عاصرهما ابن الضحاك وابن الدعام وبني المنتاب وبني الحناط الحجوري وأسعد ابن أبي الفتوح أخر أيام

(١)- قصائد قصيرة – احمد ضيف الله العواضي " أستبدلنا كلمة " خيانات " بتدمير

(٢) – تاريخ اليمن – عبد الواسع يحيى الواسعي اليماني.

عبد الله ابن قحطان اليعفري ، وكان الصراع بين أدعياء الإمامة وهذه القوى وبين القاسم الزيدي و القاسم العياني وأدعى الإمامة بعدهما ابنيهما فأدعى الإمامة **الحسين بن القاسم بن علي العياني** و أدعى الإمامة معه **محمد بن القاسم بن الحسين الزيدي** فكان الصراع بينهما فقامت الحروب و استمرت الفتن التي كان وقودها اليمنيون إلا أن هذه المرة يسيل دم محمد ابن القاسم ابن الحسين الزيدي مع دماء اليمنيين وقد قتلهُ الحسين بن القاسم العياني بصنعاء وعمره ٣٠سنة وأما الحسين بن القاسم بن علي العياني فقتل في معركة بالبون ٤٠٤هـ وأدعى أنصاره أنه المهدي المنتظر وبالغوا في التشيع له وأطلق على أتباعه الحسنيين وهذه إحدى فرق الهادويه وتصديقاً لمدعاة السذج من أن الحسين بن القاسم بن علي السابق ذكره هو المهدي المنتظر(المشهور بمهدي ريده) قام بأمر الفتنه بعده محسن ابن القاسم بن علي العياني و لم يدعى الإمامة تصديقا للأكذوبة السابقة.
وقد ظهرت ثورة فكرية تخالفهم الرأي تمثلت في أراء إبراهيم بن محمد الوزير الذي رد عليهم و رأى عدم جواز الخروج إلا إذا ظهر ما يوجبه مع انه متفق معهم في انحصار الإمامة في البطنين وظهر رفض السلالية ودحض مبرراها في فكر وشعر نشوان بن سعيد الحميري وسترد أفكاره في فصل الثورة الفكرية على الهادويه عبر العصور.

٤- الأسرة الرابعة (أبو هاشم وأبنائه ٤١٨هـ):-

ونتيجة لفكر الهادي المؤصل لتميز أبناء هذه السلالة في استحقاق الإمامة على أساس النسب ولانتشار ذلك الفكر كثقافة جعلت لكل أدعياء الإمامة هيلمان ومغانم تلك البيئة جذبت هؤولاء إلى اليمن على أساس الانتساب إلى البطنين .

ولذلك قذفت أطماع الحكم بمدعي جديد استفاد من كل ما أصله الأولين وأصبح كأعراف قبلية ومذهبية (ثقافة مجتمعية) أبرز سماها أن الإمامة لا تجوز إلا لمن هم من البطنين والوسيلة هي استباحة دماء المسلمين بالقتال مع الخارج ضد الإمام أو مع الإمام ضد الخارجين فإحدى الفريقين يقاتل الإمام الظالم وفقا لفكر الهادي والآخر يقاتل مع الإمام الخارجين بدعوى إخضاعهم لشرع الله.

ومن هؤلاء **أبو هاشم الحسن ابن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم** ومعه أبنائه **حمزة وعلي** وهذه الأسرة الرابعة ودخلت في الصراع على الإمامة مع أبناء الأسر السابقة فأدعى **أبو هاشم الحسن** الإمامة سنة ٤١٨هـ بناعط (قرية بها حصن حميري بمديرية خارف بمحافظة عمران) وتلقب بالمعيد لدين الله ودعوته لم

تزيد إلا الفتن وسانده مشايخ همدان وابن أبي الفتوح وعاصره في الطرف الآخر **نجاح**(*) **مولى بني زياد وبني الحناط وبني معن وبني الكريدي والحسين ابن عامر وابن الأسد الزواحي** ، وكانت الحروب بين أدعياء الإمامة فيما بينهم وبينهم وبين القوى المعاصرة لهم.

وقام بالاحتساب **القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي العياني** و لم يدعي الإمامة واستمرت الفتنه به وقامت بينه وبين من سبقه وبينهما معا وبين الناجاحيين و الصليحيين وأمواج الفتنه تتأصل كثقافة وسلوك خاصة في القبائل الواقعة في شمال الشمال وتأصل العداء المتبادل بين القبائل اليمنية نتيجة للجوء كل مدعي للإمامة إلى قبيلة أو مجموعه قبائل ولجوء الخارج عليه إلى قبيلة أو قبائل أخرى؟ فتراكمت الثارات والخراب والدمار في معمور هذه المناطق وكحتمية تدهورت أحوال مواطني هذه القبائل اقتصاديا فتهيأت لأتباع منشئي الفتن(أدعياء الإمامة)وغيرهم الظروف المواتية لإشعال الحروب أملا في مغنم من سلب أو نهب نتيجة الغزوات المتبادلة بين أدعياء الإمامة من ناحية وبينهم وبين القوى الحاكمة لبعض المناطق وعلى رأسهم النجاحيين والصلحيين وقد أصل السلاليون المتصارعون على الحكم مبدأ استباحة ممتلكات المنهزمون ودمائهم ، وأصل نتيجة لذلك الفكر والممارسة التمايز بين القبائل باستعلاء إحداها على الأخرى .

٥- الأسرة الخامسة (أبو الفتوح الديلمي) ٤٣٠هـ :-

هذا المناخ المفعم بالفتن الناتجة عن تهيئة البيئة بنشر الفكر الهادوي في مسألة الإمامة واستحقاقها (لمن هم من أبناء الحسن والحسين ولمن قام بها ودعا إليها منهم) ذلك الفكر أغرى مدعين آخرين فانطلقت بهم أطماع الإمامة و الحكم من بلاد فارس ومنهم **أبو الفتوح بن الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن زيد بن علي- بن الحسين بن علي بن أبي طالب** والمشهور **بأبو الفتوح الديلمي** وذكر بأنه[1] أختلف في نسبة (وقيل غير ذلك في نسبه) ويا ليت

(*)- دولة بني نجاح - (٤٠٣ هـ ٥٥٥هـ) :-
*- الأمير نجاح - ٤٠٣ - ٤٥٢ هـ .
١. سعيد بن نجاح (الأحول) - ٤٥٢ - ٤٨١ هـ
٢. جياش بن نجاح - ٤٨٣- ٤٩٨ هـ .
٣. فاتك بن جياش - ٤٩٨- ٥٠٣هـ
٤. منصور بن فاتك - ٥٠٣ - ٥٢١ هـ
٥. فاتك بن منصور - ٥٢١ - ٥٤٠ هـ
٦. فاتك بن محمد بن فاتك - ٥٤٠ - ٥٥٥هـ .

(١) عبد الواسع الواسعي في كتابه تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن.

شعري هل الوافدين ينتسبون إلى سلالة الحسن والحسين أم أن تشيع اليمنيين في أبناء هذه السلالة وما ترتب عليه من مغانم هو الدافع في انتماء الوافدين من أصقاع الأرض إلى هذه السلالة فالخلاف في انساب الوافدين كثيرة واكثر منه عددهم وما تبعه من توافد المنتسبين إلى العباسيين والى **الحمزة بن أبي طالب** والى **جعفر** والي غيرهم من الهاشميين .

المبحث الثالث

حروب أدعياء الإمامة مع الصلحيين(*)

وبوصول **أبو الفتوح** إلى اليمن دخلت أسرة خامسه تنافس علي الإمامة داخل اليمن حيث شاركت مع من قبلها في تمزيق الممزق وزيادة ثروة اليمنيين من الفتن .

فقام الديلمي وأدعى سنة ٤٣٠هـ بذمار وسانده القاسم بن جعفر واخوة محمد بن جعفر وقام بإشعال الحروب مع الصلحيين وكان ينطلق من حصن ظفار وأدى دوره في إشعال الحروب كأسلافه حتى قتل في معركة مع الصلحيين سنة ٤٤٤هـ (1) بنجد الحاج من بلاد عنس .

واستمرت حروبه ١٤سنه وزادت محنة اليمنيين بمجاعة انتشرت أواخر أيامه .

وبعد قتله قام بالسير على خطاه بالقيام بما يسمى بالحسبة القاسم بن جعفر بن القاسم العياني وقام معه اخوة ذو الشرفيين محمد بن جعفر وهؤلاء قاموا بالحسبة داعيين باسم الحسين بن القاسم العياني (مهدي ريده) تصديقا أنه المهدي المنتظر ولا يصح في اعتقاد هذه الفرقة (2) إدعاء الإمامة (وهم يشابهون في معتقدهم هذا الشيعة الإمامية وإدعاء الحسبة يتيح الخروج لمن لا تتوفر فيه شروط الإمامة وخاصة شرط العلم والاجتهاد .

فالفكر الهادوي قد فتح المجال لمن لا يتوفر فيه شيء من علم أو معرفة ، أن يقوم بالخروج باسم الحسبة فزاد في عدد المتنافسين على الإمامة .

(*)- دولة بني الصليحي (٤٣٩ — ٥٣٢هـ):

١. علي بن محمد الصليحي ٣٩ — ٤٨٥ هـ
٢. المكرم بن علي بن محمد - ٤٥٨ — ٤٨٤ هـ .
٣. سبأ بن أحمد بن المظفر - ٤٨٤ — ٤٩٢ هـ .
٤. أروى بنت احمد الصليحي — ٤٩٢ — ٥٣٢ هـ

(١) - عبد الواسع الواسعي - تاريخ اليمن .

(٢) — هذه فرقة من فرق الهادوية تسمى الحسينية

ولاحق الصليحيون القاسم بن جعفر بن القاسم العياني وقبضوا عليه (بوادعه) من بلاد حاشد بمحافظة عمران فأسروه فيها وتحصن والتجأ أخوه ذو الشرفيين بشهارة وهي مدينة متحصنة في قمة جبل شامخ تسمى "مديرية شهارة بمحافظة عمران".

وكانت الحصون القائمة على الجبال الشامخة تساعد مدعي الإمامة عندما يقل أتباعهم.

ويلاحظ أن اغلب أدعياء الإمامة بدءوا دعوتهم من تلك الحصون وكانوا غالبا ما يشنون غاراتهم منها عندما تتوفر الفرصة

وبعد ذلك فك علي بن محمد الصليحي اسر القاسم بن جعفر بن القاسم العياني و أطلق سراحه.

وقام بالسير على خط من سبقه الوافد من الحجاز والذي سبق ذكره أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن القاسم بن إبراهيم وهو الذي انتسب إليه من يسمون بالحمزات وقام هذا بدعوى الحسبة ، وادعاء الحسبة أو الإمامة اختلت فيها المعايير والأحقية والزمن والمكان ومن لهم الحق في تنصيبه محتسباً أو إماما ولم نعثر في ما أصله الهادويون أجابه على تلك التساؤلات.

أفلم ينظروا هؤلاء إلى عاقبة هذا الفكر و ما جره من فتن ومحن ولم يعلموا أن روح الإسلام الحنيف المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه قائم على العدل والمساواة بين البشر وحرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم تطبيقا لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ((الفتنه نائمة لعن الله من أيقظها)).

واستمر **أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن** بالفتنة والخروج على الدولة القائمة باليمن وهي الدولة الصليحيه حتى قتله الصليحيون بناعط (مديرية خارف في محافظة عمران) وقد قتله عامر بن سليمان الزواحي أخو السيدة بنت احمد ٤٥٩ هـ
(*)وفي نفس العام قتل علي بن محمد الصليحي على يد سعيد بن نجاح وأخيه جياش [1]في المهجم بتهامة وقتل معه أخوه عبد الله الصليحي فاستلم راية الفتنه القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي العياني مره أخرى بعد أن كان قد أسره الصليحيون وأطلقوه وناصره اخوة محمد بن جعفر وظل كعهد أسلافه يؤجج نار الفتنه حتى قتله بنو الدعام[2] من

(*) - واختلفت المصادر التاريخية في تحديد تاريخ وفاة أبو هاشم بن عبد الرحمن بين ٤٥٨ أو ٤٥٩
(١)- انتقاما من علي بن محمد الصليحي الذي قضى على دولة العبيد من بني نجاح واستولى على زبيد - زبارة - أئمة اليمن .
(٢) كانوا مشايخ بكيل في هذه الفترة

ناحية الجوف في سنة ٤٦٨هـ فاكمل المسيرة أخوه ذو الشرفين محمد بن جعفر وأستمر في الصراع على الحكم وعمل مثل أسلافه وبنفس أسا ليبهم

واستمر محمد بن جعفر في الخروج إلى أن توفي سنة ٤٧٨ هـ[1] وكان أثناء خروجه على تحالف مع النجاحيين ضد الصليحيين أيام **المكرم ابن علي ابن محمد الصليحي** .

ثم قام بعده بالحسبة وادعاء الإمامة ابنه **جعفر بن محمد بن جعفر**

وقد قتل في أثناء خروج **جعفر بن محمد بن جعفر** سنة ٥١١ هـ القائد الصليحي **عامر الزواحي** وتباهي شاعر هم بقتله فقال:

نحن قتلنا عامر وأبنه يحيى وكانا ملكي حمير[2]

ومازال يشعل الفتن حتى قتله أهل صعده واستمرت الفتنة بعد موته بين أتباعه وعلى رأسهم **الشيخ محمد بن عليان سعيد النجري الخولاني** حتى خربت أجزاء كثيرة من مدينة صعده وقتل في هذه الفتنه حاتم اليامي .

وهنا يفرض على المتتبع للتاريخ سؤالا إذا كان سعيهم بالخروج والحرب وسفك الدماء لغرض إنشاء دوله افضل مما هو قائم في أي عصر فقد أقاموا دول فما هو الذي حققهُ هؤلاء في مختلف نواحي الحياة للمسلمين في هذه البقعة من أرض الإسلام فلم نجد لهم أثرا يضاهى الزياديين أو الصلحيين أو الرسوليين أو الطاهريين .

وقد جاء الهادي خارجا على الدولة العباسية ليحقق حلمه بانتزاع الخلافة منهم ، ولكنه لم يخرج ومن جاء من بعده إلا على اليمنيين و لم يقاتل إلا اليمنيين .

ويصف الشاعر أدعياء التميز بقوله:-

وعلى حجرٍ هشةٍ تعتلي !
لترمم هيكل أنسابها الجاهلي[3].

- دعوة أبي طالب الأخير من بلاد فارس :-

وفي سنة ٥١١ هـ نفثت بلاد الديلم دعوة من يسمى أبي طالب الأخير وهو **يحيى بن محمد بن الإمام المؤيد بالله بن احمد بن الحسين الهاروني** الذي أدعى من بلاد الديلم وبعث

(١) عبد الواسع الواسعي – تاريخ اليمن .
(٢) – عبد الواسع الواسعي – تاريخ اليمن
(٣) • قصائد قصيرة – احمد ضيف الله العواضي .

بدعوته إلى اليمن فقام بها **المحسن بن الحسن بن الناصر** داعياً للإمام أبي طالب الهاروني ثم أدعى بعد ذلك إلى نفسه فأين الحق للداعي أم للمدعو له؟ .

وثار عليه أهل صعده ثم قتلوه ، وقامت حرب بين أتباعه وأهل صعده وخربت صعده نتيجة تلك الفتنة .

من دمي صنع الخصم خنجره[1]

وما سبب إصرار أدعياء الإمامة على قيامهم من اليمن رغم عدم نجاح أيا منهم إلى هذا التاريخ؟ .

وهل ثمار الفتن باليمن تستحق كل هذا التهافت للمدعين من الحجاز وبلاد فارس ومن أصقاع الأرض ؟.

وقد عمل تأصيل الفكر الهادوي إلى تصارع أبناء الأئمة على الحكم الذي قام على نقض العهود ويظهر ذلك عند خروج الابن على أبية والأخ على أخيه وكأن حب الدماء وإزهاق الأرواح قد زرعه هذا الفكر في جيناهم يورثونه جيل بعد جيل.

وهذه من الصفات التي تجمعهم حيث لا يجمعهم لون ولا ملامح يميزهم عن إخوانهم اليمنيين إلا ما أصل لهم الفكر الهادوي من تميز في استحقاق الإمامة على من آواهم في بلادهم.

ولذلك قام محتسباً **علي بن زيد بن إبراهيم المليح بن الناصر لدين الله الهادي** وسانده **احمد بن سليمان** وقام بإنشاء القصائد التي تؤيد التميز السلالي العنصري والتي تدعو العلويين إلى العمل من أجل اشعال نار الفتن وقتل **علي بن زيد بن إبراهيم المليح بن الناصر لدين الله** (بشظب)[2] سنه ٥٣١هـ

وأدعى بمنطقة حيدان بصعده في أثناء هذه الفترة **احمد بن سليمان** ٥٣٣هـ[3] ،وهو الذي أفتى بجواز قتل القحطاني[4] إذا تزوج من علوية .

وكانت فتنه هاذين قد عاصرت أخر أيام **سعيد بن نجاح** وأيام **جياش بن نجاح** وابنه **فاتك بن جياش** ثم **فاتك بن منصور** وفي الجانب الآخر **المكرم احمد بن علي الصليحي**

---

(١)– نفس المرجع السابق .

(٢)– شظب قرية بمديرية السودة من محافظة عمران .

(٣) – عبد الواسع الواسعي – تاريخ اليمن

(٤) – (كما ذكر في كتاب الدامغة لأبو الحسن الهمداني تحقيق محمد علي الأكوع) .

والداعي **سبأ بن المظفر** أثناء حياة **السيدة بنت احمد** ، وأشعل الفتنه أيضاً مع **حاتم بن الغشم الهمداني** وقد ملك صنعاء بعد بني الصليحي

وفي سنة ٥٣٢هـ توفيت **الملكة سيدة بنت احمد الصليحي** .

وأستمر بإدعاء الإمامة **احمد بن سليمان ابن محمد ابن المطهر ابن علي ابن الناصر ابن احمد ابن الهادي ابن الحسين** وطريقته طريقة أسلافه وزاد عليهم بفتاواه الشيطانية وأدعى في سنة ٥٣٣هـ[1] ويقال انه دخل زبيد عندما طلب منه النجاحيون أعانتهم فاشترط عليهم أن يقتلوا فاتك بن محمد بن فاتك النجاحي فقتلوه فدخلها وهرب منها خلسة في سواد الليل[2] وأستمر في إشعال الحرب بتأليب القبائل ضد الصليحيين وكذلك أشعل الحروب مع **حاتم بن احمد بن عمران اليامي الهمداني** [*]وكان ملكا على صنعاء وتزامن مع ابنه علي بن حاتم وكانت بينهما معارك عديدة ودخل صنعاء واعمل فيها الخراب ومن ضمنها قصر حاتم وفر أهل همدان إلى الجبال والحصون وتزامن عهده مع الزريعيين **محمد بن سبأ بن زريع بن عباس** [**] في عدن .

---

(١) - عبد الواسع الواسعي – تاريخ اليمن

(٢) - تاريخ بني رسول – مؤلف مجهول " تحقيق محمد الحبشي "

(*)- دولة بني حاتم (في صنعاء) :-	**٤٩٢ - ٥٦٩هـ**
- حاتم بن علي الهمداني	٤٩٢-٥٠٢هـ
- عبد الله بن حاتم بن علي	٥٠٢- ٥٠٥هـ
- معن بن حاتم	٥٠٥- ٥١٠هـ
- هشام بن القتيب	٥١٠- ٥١٨هـ
- حماس بن القتيب	٥١٨- ٥٢٧ هـ
- حاتم بن احمد بن عمر اليامي	٥٣٣-٥٥٦ هـ
- علي بن حاتم بن احمد	٥٥٦-٥٦٩هـ
(**)- دولة بني زريع :-	**٤٧٠-٥٦٩هـ**
١. العباس بن المكرم (في حصن التعكر)	٤٧٠ - ٤٧٧هـ .
٢. المسعود بن المكرم (في حصن الخضراء وعدن)	٤٧٠ - ٤٨٠ هـ
٣. زريع بن العباس	٤٧٧ - ٤٨٠ هـ
٤. أبو الغارات بن المسعود	٤٨٠ - ٤٨٥ هـ
٥. أبو السعود بن زريع	٤٨٥ - ٤٨٨ هـ
٦. محمد بن أبي الغارات	٤٨٨ - ٤٨٩ هـ
٧. علي بن محمد بن أبي الغارات	٤٨٨ - ٤٨٩ هـ
٨. الداعي سبأ بن أبي السعود	٤٨٩- ٥٣٣ هـ
٩. محمد بن سبأ	٥٣٣ - ٥٥٠ هـ
١٠. عمران بن محمد بن سبأ	٥٥٠ - ٥٦٠ هـ
١١. أبو الدار جوهر المعظمي	٥٦٠ - ٥٦٩ هـ

المبحث الرابع

استعانة الهادويون بالأيوبيين على اليمنيين (*)

ثورة الرعيني واستعانة الهادويون بالأيوبيين :-

كان نتيجة للحروب التي أشعلها أدعياء الإمامة والنجاحيين والصليحيين والزعامات الإقطاعية أن تدهورت أحوال الناس وذاقوا وبال ذلك

الأمر الذي حتم قيام ثورة شاملة تزعمها من مدينة المهجم بتهامة على كل الفرق المتناحرة **علي بن مهدي الرعيني وابنه مهدي بن علي** فبدأها على النجاحيين ودخل الرعيني زبيد وملكها ودانت له أغلب بلاد اليمن ولاحق احمد بن سليمان وأخرجه من صنعاء ، و انتهى بأحمد بن سليمان المطاف بإصابته بالعمى ودفن بحيدان مديرية بمحافظة صعده ٥٦٦هـ.

وذكرت بعض الروايات أنهُ تشدد في مذهبه وكفر معارضيه وغير ذلك (١) وهذه الآراء فيها نظر لأننا اعتدنا في التدوين التاريخي المبالغة في التهم لمخالفي الهادويه و استطاع الرعيني إزالة دولة العبيد (النجاحين) واستولى على حصون الصليحيين ومن والاهم من الزريعيين وسيطر على صنعاء واجتث اغلب الخارجين والمدعيين للإمامة أو الحسبة من العلويين ولاحق الصليحيين وبقية الزعامات في عدن وغيرها والتف حوله الناس ، وقام من بعده **ابنه عبد النبي ومهدي** وكانت هذه أول ثورة يمنيه على من مزقوا اليمن وأشعلوا الفتن بها من أصحاب الأفكار المنحرفة حتى سقطت دولتهم عند دخول الأيوبيين .

ولم يستطع أدعياء الإمامة التغلب عليه لأنه واجه فكرهم بفكر وخروجهم بالسيف ، مما دفعهم إلى الاستنجاد بالأيوبيين ، ففي هذا الزمن **قام قاسم بن يحيى بن حمزة السليماني** بالتوجه إلى مصر للاستنجاد بالأيوبيين وكان لسان حالهم يقول:-

---

(*)- دولة بني ايوب	٥٦٩- ٦٢٦هـ
- المعظم توران شاه بن أيوب	٥٦٩-٥٧٠هـ
- العزيز طغتكين بن أيوب	٦٧٩- ٥٩٠هـ
- المعز إسماعيل بن طغتكين	٥٩٤-٥٩٩هـ
- الناصر بن طغتكين	٥٩٩- ٦١١هـ
- المسعود يوسف بن الكامل	٦١٢ - ٦٢٦هـ

(١) - د. السروري - المظاهر الحضارية في اليمن القرن الخامس .

لن نترك بابا أو سبيل لسفك دماء المسلمين باليمن إلا سلكناها وعلى اثر ذلك دخل الأيوبيين اليمن سنه ٥٦٩ هـ وأخذوا زبيد عاصمة دولة **علي مهدي الرعيني**

دخول الأيوبيين إلى اليمن :-

(١) دخل الأيوبيين اليمن بقيادة توران شاة زبيد سنة ٥٦٩هـ ثم سيطر على عدن التي كانت تحت أيدي بني زريع وسيطر على صنعاء وبلغ الجوف وتصالح مع السلاطين من بني حاتم وعاد إلى مصر سنة ٥٧١هـ وبقيت اليمن تحت ولاية الأيوبيين وأرسل بعد ذلك **طغتكين بن أيوب** سنة ٥٧٥هـ فسيطر على جميع أرجاء اليمن وبنى الدار السلطانية غربي سائلة صنعاء ويعرف الآن باسم بستان السلطان وكثيرا من المؤرخين ينقلون أن البادئ في تأسيس المدارس الإسلامية المستقلة عن المساجد هو الملك الأيوبي المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب حيث بنى مدارس السيفيه والمعزية أو مدرسة الميلين ووصفه كتاب الأئمة بالظلم والجور كما وصفوا كل من خالفهم أو تغلب عليهم من الملوك والدول بالألقاب و المذاهب المارقة والأفعال المشينة.

وقام بعده ابنه إسماعيل طغتكين وظل على الأمر إلى أن قتل سنة ٥٩٨هـ وقام بعده **الناصر أيوب طغتكين** الذي قتل سنة ٦١١هـ على يد وزيره **بدر الدين غازي جبريل** ونصب نفسه فقتله مماليك بني أيوب بعد شهر وكان ذلك في عهد **السلطان أيوب بن آبي بكر بن أيوب بن شادي** فوجه ابن **أبيه السلطان المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل** في جيوش كبيرة وصلت زبيد سنة ٦١٢هـ ثم دخل تعز ثم صنعاء وبقيت في بلاد اليمن.

وقبض فيها على **بدر الدين حسن بن علي بن رسول وأخويه موسى وفخر الدين** وسجنهم بتعز ثم أرسلهم إلى مصر وولى على اليمن **عمر بن علي بن رسول** وعاد الملك المسعود إلى مكة ومات فيها سنة ٦٢٥هـ .

وكان قد أدعى الإمامة **محمد بن الفضل بن الحجاج بن علي بن يوسف الداعي ابن يحيى المنصور بن احمد الناصر بن الهادي احمد بن الحسين ولقب بالعفيف** وتوفي في وقش مديرية بني مطر سنة ٥٩٩هـ.

وعبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم خرج على الأيوبيين ٥٦١-٦١٣هـ وعاصر **إسماعيل بن طغتكين** ودخل صنعاء وقتل أتباع فرقة المطرفية وخرب مساجدهم وسبى نسائهم

(١)- مجلة المسار – العدد الثاني " المدارس الإسلامية في اليمن : ٥ .

وقد نشأت فرقة المطرفيه [1] في ظل المذهب الهادوي وهي لا تختلف عن بقية الفرق إلا فيما نادت به من رأي – بالنسبة للإمامة وعدم حصرها في أبناء فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

ظلت هذه الفرق تواجه حربا شعواء لاهواده فيها وسلطت السيوف على رقاب أتباعها حتى أرهقتهم واستأصلت جذورهم وأفنتهم عن أخرهم .

ومازالت ديارهم بلواء حجة "وهجرهم " في بني شهاب (بني مطر حاليا)مخربة إلى اليوم .

وقد بلغ الحقد أشده على المطرفية والكيد لهم أيام **عبد الله بن حمزة** الذي كان يحرم عليهم دخول المساجد ويسجل على واجهة مسجده :–

أقسمت قسمة حالف بر وفي لا يدخلنك ما حييت مطرفي

و تغلب عبد الله بن حمزة على **السلطان علي بن حاتم اليامي الهمداني** وقد مثل الفكر العنصري السلالي في آبهى صوره مخالفاً فيما اصله في كتابه (الشافي) وأفعاله التي قام بها كتاب الله وسنة نبيه وما قال به علي كرم الله وجهه.
وما اجتهد به علي كرم الله وجهه في حرب المسلم للمسلم في حربه مع الخوارج وفي حربه مع اتباع معاوية فقد كان علي كرم الله وجهه لا يهدم مسجدا ولا دار ولا يقتل أسير وحين سئل عن مصير القتلى من جنده ومن جند معاوية قال "أسأل الله لهم الجنة"

إن من أعظم الأسباب التي أشعلت الفتن بين المسلمين تكفير المخالف ذلك السلاح أستخدمه الطغاة جزافا لكل من خالفهم الرأي أو نازعهم السلطان .

ونرجح أن سبب المبالغة في التنكيل بفرقة المطرفية هو عدم إقرارها بفكر الهادي القائل بالحق الإلهي لمن هم من البطنين .

وعبد الله بن حمزة خرج على الأيوبيين [2] وكذلك قام باستخدام أساليب الأئمة الذين سبقوه واصل واجتهد ابشع صور قتل النفس التي حرم الله وسبي النساء وهدم الديار.[3]

أن أعظم أنواع الاستبداد هو الاستبداد الديني المذهبي المؤصل للتميز السلالي .
وقد نسبت إلى **عبد الله بن حمزة بن أبي هاشم** بعض المؤلفات التي اصل فيها فكره مثل

---

(١) – ابن الأمير وعصره " حسين احمد السياغي و محمد بن علي الاكوع " و آخرون .
(٢) – الذين قاموا ببناء الكثير من المآثر والمساجد مثل سور صنعاء وباب اليمن
(٣) – معتزلة اليمن علي محمد زيد ، الشامي الأدب اليمني في العصر العباسي .

كتاب الشافي وهو إجابة على الرسالة الخارقة لابن أبي القبائل وهو القائل عندما سئل هل تجوز الإمامة في القحطاني إذا توفرت فيه شروط التقوى والعلم والكفاءة :-

يا قوم ليس الدر قدرا كالبعر   ولا النضار الابرزي كالحجر

كلا ولا الجوهر مثل للمــــرر   فحا ذروا في قولكم من صقر

سبق ذكر القصيدة وفرقة المطرفيه عند ذكر فرق الهادوية

وبذائتة في الوصف ابلغ تصوير على مكانته و أحلاقه الناتجة من أساليبه الاستبدادية.

و لم يطبق أدعياء الإمامة مبدأ حرية الاجتهاد الذي قال به الفكر الهادوي إلا في اجتهاد مبررات وأساليب التنكيل بمخالفيهم .

وقام بعده **محمد بن عبد الله بن حمزة** وتلقب **بالناصر لدين الله** سنة ٦١٤هـــ واستمر في سفك الدماء بتأليب القبائل .على الأيوبيين

وخرج علية **المعتضد أبو الحسن يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن عبد الله بن المنتصر ابن المختار لدين الله بن الناصر الهادي** وأستمر الاثنان في سفك دماء اليمنيين باستمالة كل واحد مجموعة من القبائل ودفعها ضد الأخرى وضد الأيوبين وقد عاصر الملك المسعود وتوفي سنة ٦٢٣هـــ.

إنها فتنة الفكر الهادوي إنها أطول حرب عانى منها شعب وقام من بعده أخوه **شمس الدين عبد الله بن حمزة وأسمه الحقيقي احمد** و انتهى أمرهما معا (أي شمس الدين مع المعتضد بعد حروب بينهما) .

ومما أجتهد به الأئمة ابتدأ من عبد الله بن حمزة إضافة إلى ما أُصل بأن حكمهم حقا إلهي هو تكفير كل من يناوئهم وإباحة دمائهم وهكذا جعلوا ديمومة فكرهم المتمثل في أساليبهم القائمة على إثارة العداوة والاقتتال بين القبائل في شمال الشمال ،ونشر ذلك الفكر وعزلهم عن التيارات الفكرية القائمة في المناطق الغربية والوسطى من اليمن وخلقوا حواجز تمنع التبادل الفكري بابتكار مسميات مذهبيه أو طائفية ترسخ البغضاء والكراهية بين أبناء الأمة المسلمة في الشعب الواحد بتسمية ذلك الجزء الواقع تحت نفوذهم باسم مذهبي وبقية اليمن بمذهب آخر وبجعل اليمن عبارة عن قبائل متناحرة

حيث تم تقسيم كل قبيلة إلى قبائل اصغر وجعلوا العداوة بين القبائل الكبيرة والتنافس ومثل ذلك فعلوه بالقبائل الصغيرة داخل القبائل الكبيرة فكان العداء بين القبائل السبب الرئيسي في عدم رضوخ قبيلة للأخرى أو رضوخ بقية القبائل لأي زعامة من أي قبيلة تحاول إنشاء دوله أو كيان سياسي.

والسبب الآخر التأصيل مذهبيا لعدم جواز ولاية القحطاني وهذا يفسر قيام دول وصلت بعضها إلى درجه كبيرة من الرقي والقدرة في المناطق الغربية والوسطى

المبحث الخامس

صراع أدعياء الإمامة الهادويون مع الرسوليين (*)

وفي هذا التاريخ ٦٢٥ هـ تأسست دوله بني رسول الذين ينسبون إلى **الأسد بن غوث** واستمرت إلى عام ٨٥٨هـ / ١٢٢٩ – ١٤٥٤م .

وخرج على الرسوليين تسعة عشر مدعي للإمامة أولهم "المعتضد يحيى بن المحسن" وأخرهم " المنصور الناصر بن محمد "

وطعن الهادويين في نسب الرسوليين بأنهم غير يمنيين ورد الرسوليين بأن الهادويين هم بلخيين (1) .

وكان الرسولين من قادة جيوش صلاح الدين الأيوبي ، وكانوا يتميزون بالبطولة والسياسة والشهامة ، وابتدأ أمرهم بتولي **عمر بن علي بن رسول** بعد أن توفي الملك المسعود بمكة فضرب العملة باسمه وخطب لنفسه وتلقب بالملك المنصور.

وحارب الأيوبيين حروب كثيرة بمكة وأسس دوله قوية باليمن وظل ملكاً من سنة ٦٢٥ – ٦٤٩ هـ وهي السنة التي قتل بها في مدينة الجند وخلفه **يوسف بن عمر وتلقب بالمظفر** إلى سنة ٦٩٤ هـ.

(*)– دولة بني رسول (في تعز):–	٦٢٦–٨٥٨هـ
– المنصور عمر بن علي بن رسول	٦٢٦–٦٤٧هـ
– المظفر يوسف بن عمر	٦٤٧–٦٩٤هـ
– (الأشرف الأول) عمر بن يوسف	٦٩٤– ٦٩٦هـ
– المؤيد داوود بن يوسف	٦٩٦– ٧٢١هـ
– المجاهد علي بن المؤيد	٧٢١ – ٧٦٤هـ
– الأفضل عباس بن المجاهد	٧٦٤– ٧٧٨هـ
– (الأشرف الثاني) إسماعيل بن العباس	٧٧٨– ٨٠٣هـ
– الناصر احمد بن الأشرف إسماعيل	٨٠٣ – ٨٢٩هـ
– المنصور بن الناصر احمد	٨٢٩–٨٣٠هـ
– (الأشرف الثالث) إسماعيل بن المنصور	٨٣٠–٨٥٠هـ
– المسعود أبو القاسم بن الأشرف إسماعيل	٨٥٠– ٨٥٨هـ

(١) – عبد الله البردوني اليمن الجمهوري .(بلخ هي منطقة ببلاد فارس)

ونتيجة لقوة دولة بني رسول وما وصلت إليه من رقي في مختلف المجالات اختفى أدعياء الفتنه في جحورهم لفترة ،ثم بدءوا بالظهور كما سيأتي .

ثم قام بعد يوسف بن عمر أبنه عمر وتلقب **بالملك الأشرف** وأستمر حكمه إلي سنة ٧٢١هـ وقام بالأمر بعده ابنه علي الملقب بالمجاهد وحكم إلى سنة ٧٦٤هـ وخضع له أدعياء الإمامة ومنهم احمد بن محمد بن مطهر بن يحيى الملقب المظلل بالغمام وقام بعده أبنه الملك الأفضل وكان هذا شاعرا وأديباً وله كتاب نزهة العيون في تاريخ **الطوائف والقرون** وكتاب **العطايا السنية** في المناقب اليمنية ذكر فيه طبقات ملوك اليمن وفقهائها واختصر **وفيات ابن خلكان وكتز الأخيار** وتوفي في شعبان سنة ٧٧٨هـ .

وقام بعده ابنه الملك الناصر وفي عهده برز بنو طاهر بن معوضه وهذا جد الطاهريين الذين أسسوا دولتهم بعد دولة بني رسول وتوفي السلطان الناصر سنة ٨٢٩ هـ ثم قام بالأمر بعده ابنه عبد الله إلى أن توفي سنه ٨٣٠هـ وقام بعده الأشرف وكان صغير السن فعجز عن إكمال مسيرة آبائه فعين بدلاً عنه عمه **يحيى بن إسماعيل الأشرف بن العباس الأفضل، بن علي مجاهد الرسولي** وتزوج بابنة الشيخ طاهر ابن معوضه ومات بتعز وقام بالملك بعده ابنه الأشرف إلى أن توفي سنة ٨٤٥هـ وقام بعده الملك **المظفر يوسف بن المنصور الرسولي** واضطربت أحوال المملكة وظلت في ضعف إلى سنة ٨٥٨هـ إلى أن سطع نجم بني طاهر وتميز حكم الرسوليين بالأتي :-

١- عم الرخاء اغلب فترة حكمهم (١) .

٢- بنيت المدارس وكان يؤمها جميع طبقات الشعب

ولم يقتصر بناء المدارس على الملوك فقط ، فهناك مدارس أسسها الأمراء والوزراء ، والقضاة ، والحجّاب ، والأميرات ، والأغنياء من الرجال والنساء ، والتجار والعلماء ، وقد عدّ القاضي إسماعيل الأكوع المدارس في اليمن بالقرنين السادس والسابع حوالي(٨٤) مدرسة في مختلف المدن والقرى اليمنية (٢) ، أما بعد تلك المدة فقد بلغت أكثر من (١٩٣) مدرسة ، بالإضافة إلى المساجد المنتشرة في أنحاء اليمن ، والتي كانت وما زالت مكانا للتعلّم والتعليم ، ولا شك أنّ تهيئة المناخ المناسب للتعلم عامل رئيسي في تطوره ورقيه .

---

(١) - تاريخ بني رسول مؤلف مجهول - تحقيق أ . محمد الحبشي .
(٢)- مجلة المسار " المدارس إسلامية في اليمن ٢٠٠ .

٣- استطاعت أن توحد اليمن في أغلب فترة حكمها

٤- لم تعتمد على التميز السلالي المؤصل مذهبيا بل سعى الحكـــام إلى الانـــدماج في الشعب و افتخروا بالانتساب إلى اليمن(وسواء صح انتسابهم أم لا فقد استحقوا المواطنـــة في اليمن الميمون وفقاً لنهج الإسلام القائم على الأخوة الإسلامية والولاء للأمة .

٥- كان نظام الحكم وراثياً

وهذه الصفة هي التي رجحت لدينا نقل نبذة عن تاريخ دولة الرسوليين حيث أن توارث الحكم (رغم انحرافه عن الشرع إلا أنه كان سبباً في الاستقرار مقارنة بصراع أدعياء الإمامة على السلطة الذي أصله الفكر الهادوي بأن السلطة " الإمامة " حق لمن قام بها ودعا إليها ممن هم من البطنين فكانت هذه المنهجية المؤصلة في المذهب الهادوي هي السبب في تنافس الهاشميين فيما بينهم من أبناء الهادي وأبناء الأسر الوافدة إلى اليمن في تواريخ مختلفة .

وكذلك قام الصراع بين أبناء الأسرة الحاكمة من هذه السلالة فتنافس الأخوة بل وأيضا وصلت إلى التنافس بين الابن وأبيه كما سيأتي لاحقا فهذا الفكر جلب الويل على الهاشميين واليمنيين معاً وصدق جل علاه {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } الأنفال٢٥

ونعود إلى محترفي الفتنه من الأئمة السلاليين اللذين كانوا ينجحوا تارة ويخفقون أحياناً كثيرة في إشعال الفتنه فقد حاول إثارة الفتنه (المعتضد بالله يحيى بن المحسن ٦١٤ — ٦٣٦ هـ) أيام الملك المسعود الأيوبي وبعضاً من عهد عمر بن علي بن رسول وتوفي سنة ٦٣٦وحاول الخروج على الدولة الرسولية أيضاً **احمد بن عبد الله بن حمزة** وظلوا يشعلون الفتنه في عهد الملك عمر بن علي رسول إلى سنة ٦٤٦ هـ ثم حمل راية الخروج والفتنه **المهدي لدين الله احمد بن الحسين بن القاسم بن عبد الله بن القاسم بن احمد بن إسماعيل بن أبي البركات بن احمد بن القاسم بن محمد بن القاسم .**

وقام بتجميع قبائل الشمال وتأليبها على الخروج على الدولة الرسولية بشن حرب عصابات على جيوش دولة بني رسول وخرج عليه أولاد الأمام عبد الله بن حمزة ونكثوا العهد[1] وغدروا كما يفعلوا من اجل الإمامة جيل بعد جيل فأنقسم الخارجون على بعضهم واشتعلت فتنه داخل فتنه ودخلوا في طاعة الملك المظفر ضد المهدي لدين الله احمد

(١) – عبد الواسع الواسعي – تاريخ اليمن .

بن الحسين حتى قتلوه بمحل شوابه (بمحافظة عمران) سنة ٦٥٦هـــ وقبر بذيبين وهي الآن مديريه بمحافظة عمران .

وقبل وفاته بسنه حصل قحط ومجاعة في المناطق التي كان يسيطر عليها وتوفي بعده سنه ٦٠١هـــ احمد بن عبد الله بن حمزة وأثناء هذه المدة دخل التتار بغداد فقاومهم أهالي مصر والشام حتى هزموهم واليمن معزولة عن العالم الإسلامي بشأنها الداخلي المتأجج بالفتن التي أشعلها أدعياء الإمامة في ذات الفترة وما سببوه من إنهاك الشعب اليمني و مقدراته منذ دخول الهادي يحيى بن الحسين إلى هذا التاريخ " هدم أغلب أدعياء الإمامة الكثير من الحصون وكان هدمها وسيلة استخدمها الأئمة عبر الزمن لعقاب المتمردين عليهم وكذلك صنعوا بالقرى والمدن.

وأدعى الإمامة **يحيى بن محمد السراجي بن أحمد ابن عبد الله بن الحسن ، وهو سراج الدين بن محمد بن عبيد الله بن الحسن ، وقيل الحسين بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب** وتمرد خلال الفترة ٦٥٦ – ٦٦٠ هـــ بصنعاء وأدى دوره في إشعال الفتن .

وقاتل الدولة الرسولية أيام المظفر حتى قبض عليه و سمل عيناه وأصبح أعمى (*)و أطلقه وتوفي سنة ٦٩٦هـــ وكانت اليمن موحدة أيام الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ما عدا خروج أصحاب مذهب الفتنه السلالية الذين أشرنا إليهم في عهده

وادعى الإمامة الحسن **بن بدر الدين ولقب بالمنصور بالله** وبدأ تمرده ٦٦١هـــ و توفي سنة ٦٧٠هـــ وذكر الواسعي أنهُ بدأ دعوته سنة ٦٥٧هـــ.

وكأن الفكر الهادوي لا يعرف اليأس في دفع مدعياً للإمامة أو داعياً لأخر أو محتسبا لإثارة الفتنه عبر العصور.

وأحيانا لم يكن لهذا المدعي أو ذاك أي شان في السيطرة على مساحة كبيرة من شمال الشمال بل أقتصر دوره على إبقاء شرر الفتنه إلى أن يستلمها مدعي آخر للإمامة أو تتهيأ له الظروف .

(*)– ذكر الواسعي أنه قيل أن الملك المظفر يُسمع في قبره وهو يقول (مالي ولك يا ابن تاج الدين ، ومالي ومالك ياسراج الدين)وإكمالا للتبجيل والهالة قبر بمسجد الأجذم الذي سمي فيما بعد بمسجد الوشلي .

وهذا مدعي آخر للإمامة هو **إبراهيم بن تاج الدين احمد بن بدر الدين محمد بن احمد يحيى** والتجأ إلى القبائل ودفعها للخروج والحرب إلى أن أسره المظفر غربي ذمار سنة ٦٧٤ هـ وحبسه بتعز إلى أن توفي ٦٨٣ هـ بالسجن.

ويتضح مما سبق انهم خرجوا في فترات متزامنة أو متلاحقة على بعضهم البعض أو على الدولة الرسولية كما أصل لهم المذهب الهادوي وأدعياء الإمامة على النحو :-

١-٦٤٦ –٦٥٦ – المهدي لدين الله احمد بن الحسين بن القاسم

٢-٦٥٧-٦٧٠ – المنصور بالله الحسن بن بدر الدين .

٣-٦٧٠ –٦٧٤- المهدي بدين الله إبراهيم بن تاج الدين احمد بن بدر الدين محمد بن احمد يحيى .

٤-٦٥٩-٦٩٦ – الإمام السراجي .

وخرج في نفس الفترة **المطهر بن يحيى بن المرتضى بن القاسم بن المطهر بن علي بن الناصر ابن الهادي** وتمرد خلال الفترة ٦٦٧ - ٦٩٧ هـ وهذه الفتن كانت من صنع الفكر الهادوي الذي دفع أبناء هذه السلالة للتنافس على الإمامة وهو الذي جعل القبائل اليمنية تمتهن الغزو والحروب بمناصرتها لأدعياء الإمامة ولعدم قيام أدعياء الإمامة بالدعوة والعمل على إذابة النعرة القبلية في إطار الاخوة الإسلامية ، وقد توفي المطهر سنة ٦٩٧ هـ وقبر (بذروان بمحافظة حجه ولقب بالمظلل بالغمامة (قيل أن غمامه أخفته أثناء مطاردة جيش المظفر بقرية تنعم بني سحام من خولان) وكان قد توفي الملك الرسولي المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول سنة ٦٩٤ هـ وتولى بعده ابنه عمر بن يوسف ٦٩٤- ٦٩٦ هـ وقام بعد المطهر بالخروج ابنه محمد وتمرد خلال الفترة ٦٩٧ – ٧٢٨ هـ وكان ذلك أيام الملك **المؤيد داوود بن يوسف الرسولي** ٦٩٦ – ٧٢١ هـ وبداية ملك ابنه المجاهد ٧٢١ – ٧٦٤ هـ وتوفي محمد بن المطهر سنة ٧٢٨هـ وقبر بذي مرمر حصن في مديرية بني حشيش مدينة صنعاء (١) ثم أدعى الإمامة **علي بن صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين** وأدعى معه في نفس الوقت **الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم بن محمد بن إدريس بن علي بن جعفر الزكي بن علي التقي بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب** وقد دعا في سنة ٧٢٩هـ - ٧٤٩ هـ(*)

---

(١) - ثم نقل قبره إلى صنعاء فقبر بجامعها بالعوسجة وكان يتم ذلك من قبل أبناء الأئمة لأطفاء هالة وتبجيل عليهم بدفنهم بالمساجد وكانت هذه سنتهم منذ الهادي يحيى بن الحسين قبر بمسجد الهادي بصعده إلى الإمام يحيى قبر بمسجد الرحمة بصنعاء ١٩٤٨ هـ، وكانوا يبنون على قبورهم مباني سقوفها قباب ويشيدون على القبر داخل المبنى أضرحة من الخشب المنقوش ليكملوا مسيرة الإنحراف بالتميز والاستعلاء احياء وأموات فلم يتركوا وسيلة لبث التميز والاستعلاء كثقافة .

(*) وذكر الواسعي أن تراب قبره يقضي على الثعابين وما زال ذلك منتشر بين العامة وتتبعنا ذلك الموضوع فوجدنا أن الهادويون يقومون بنقل تراب من أحد الجبال إلى فوق القبر ومن خصائص تلك التربة أنها تنفر الزواحف .

وهنا نود أن نشير إلى أن هذا هو من سلالة جديده دخلت اليمن من الهاشميين والذين يدعون الانتماء إلى الحسين بن علي بن أبي طالب وهو ثاني إمام من الحسينيين وقبله **علي بن صلاح** .

وكان هذا الأمام أكثر العلويين في اليمن ورعا وتقوى وكان معتدلا في آرائه وله الكثير من المؤلفات وتوفي بذمار ودفن بها ٧٤٥هـ
وذكر في ترجمة المؤلف في كتاب **(تصفية القلوب من ادران الأوزار والذنوب)** أن والده قدم من العراق في القرن السابع الهجري وتزوج بأخت **الإمام محمد بن يحيى السراجي** وذكر مثل ذلك في كتاب أئمة اليمن لزبارة وعاصر أيام الملك المجاهد علي بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ٧٢١-٧٦٤ هـ والذي ذاع صيته في الآفاق ولقب بالتبع الأصغر.

وادعى الإمامة يحيى بن حمزة وخرج عليه **علي بن صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين** ٧٣٠ هـ وعارضهما معا.

وأدعى الإمامة **الإمام الواثق المطهر بن محمد المطهر الملقب بالفصيح** وعارضهما وأدعى الإمامة **احمد بن علي بن أبي الفتح** ونشب القتال بين المدعيين وأشعلوا الفتن والتمرد على بني رسول حتى تغلب عليهم **يحيى بن حمزة** وأستمر في دعوته .

وقام بالأمر بعده **المطهر بن محمد المطهر بن يحيى** محتسبا من سنة ٧٣٠ - ٧٥٠هـ محتسباً سنة ٧٤٩ هـ وإماماً في سنة ٧٥٠هـ وخرج عليه **الإمام احمد بن علي بن أبي الفتح** ٧٣٠ - ٧٥٠هـ من قرية وقش في مديرية بني مطر محافظة صنعاء .

وخرج في جهة أخرى وأدعى الإمامة **المهدي علي بن محمد بن علي بن يحيى بن منصور بن المفضل بن الحجاج بن علي ابن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن احمد ابن الهادي** ثم بايعه بن أبي الفتح والإمام الواثق.

واستمر خارجاً على الدولة حتى أصيب بالفالج وتوفي بذمار سنة ٧٧٣هـ وحمل منها إلى صعده وأدعى الإمامة بعده **الناصر لدين الله محمد** وله اسم آخر **صلا ح الدين بن المهدي علي بن محمد**

وكان خروجه ٧٧٣ - ٧٩٣ هـ على **المجاهد علي بن داوود ٧٢١ - ٧٦٤ هـ وابنه الملك الأفضل عباس بن المجاهد ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ وأبنه الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل** ٧٧٨ - ٨٠٣ هـ ودفن بمسجد صلاح الدين .

وكان من أفظع الأئمة في سفك الدماء بعد عبد الله بن حمزة حيث أثار الفتنه وجمع القبائل على قبيلة همدان وأعمل فيهم السيف والنهب وقتل منهم أعداداً كبيرة
ولا يعني تسلسل مدعيي الإمامة أنه كان لهم شأن في كل الأوقات حيث كان كثيرا منهم يدعي في نطاق جغرافي ضيق وأحياناً في قرية بذاتها مستغلين الطبيعة الجغرافية و ما رسخه أسلافهم للنعرات القبلية والعداء للآخر .

لكن السبب في استمرارية هؤلاء الأدعياء هو انتشار الفكر الهادوي كثقافة مجتمعية في شمال الشمال والذي غذيا بما تبثه هجر العلم التي أستوطنها المستفيدين من هذا الفكر .

وساعد على استمراره عدم مواجهته بفكر تصويبي تقوم عليه التنشئة الدينية لأبناء تلك المناطق

وقد يذكر في كتب مؤرخي الأئمة فلان من الأدعياء للإمامة بغرض إثبات بقاؤهم في العصور المختلفة .

وليس من المرجح لدينا أن يستطيع أحد من مدعي الإمامة أن يسيطر أو يمد نفوذه في عهد **الملك المظفر الرسولي** [١]الذي ذاع صيته ولقب يتبع الأصغر وكانت الدولة الرسولية في عهده باسطة نفوذها على جميع الأراضي اليمنية بما فيها ظفار ومكة.

وكان عددا ممن يروى ادعائهم الإمامة أو يوصفوا بهذا الوصف عبارة عن عمال لدى تلك الدول ويظلون متربصين لأي طارئ يحصل لبث الفتنه .

وجاء بعد **صلاح الدين بن المهدي علي بن محمد** مدعي للإمامة لقب نفسه **الإمام حقا المهدي لدين الله صدقاً، احمد بن يحيى المرتضى بن المفضل بن منصور بن المفضل بن الحجاج بن علي بن يحي بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى المنصور بن احمد الناصر ابن الهادي** ، من ٧٥٧-٨٤٠هـ.[٢]

وقد ادعى الإمامة وعمره ثمانية عشر عاماً

وهو مؤلف **متن الأزهار** والذي أصل فيه الفقه الهادوي إجمالا وفي مسألة الإمامة أصل وجوب طاعة الإمام وحبه ووجب مبايعته حيث يذكر (تجب طاعته ونصيحته أو بيعته أن طلبها . وتسقط عدالة من أباها ونصيبه من الفيء) ،(ويؤدب من يثبط عنه أو ينفى).

(ومن عاداه فبقلبه مخطئ وبلسانه فاسق وبيده محارب).

ومما أصل فيه عدم كفاءة القحطاني للهاشمية وقد رد عليه الإمام محمد علي الشوكاني في كتابه السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار والذي أوضح فيه أن كثيرا مما أورده **احمد بن يحي المرتضى** في كتابه متن الأزهار ما هو إلا اجتهادات شخصيه منه

لا تستند إلى أدلة من كتاب الله وصحيح السنة في كثير من المسائل التي احتواها ،

وقد أنقسم فريقا مع **احمد بن يحي المرتضى** وفريقا مع **علي بن صلا ح** ، وانتهت الحرب بينهما إلى أسر الأمام احمد بن يحيى المرتضى سنة ٧٩٤هـ وسجن في قصر صنعاء سبع سنوات ، وهذا ممن ألف كثيرا من الكتب التي ساعدت في تأصيل الفقه الهادوي (وأتخذ كتابه متن الأزهار أصل للمذهب)

وأدعى بعده **علي بن المؤيد بن جبريل بن الأمير الخطير فقيه آل محمد المؤيد بن احمد بن يحيى ولقب نفسه بالهادي ولا هادي إلا الله** وكان يتنازع مع الإمام الذي قبله علي بن صلاح إلى أن توفي سنة ٨٤٠هـ وفي هذه السنة وقع طاعون في اليمن ومات من نتيجته علي بن علي صلاح واحمد بن المرتضى وكانت دعوة على بن المؤيد في بعض الحصون بين حجه و المحويت وتوفي سنة ٨٣٦هـ وقبر في فلله (منطقة بمديرية حجة) وأدعى بعده ابنه **محمد بن علي بن المؤيد** حوالي أربعين يوما ولم ينجب أحدا.

---

(١) - عبد الواسع الواسعي – تاريخ اليمن .

(٢)- وهنا نلاحظ أن شرط العلم والاجتهاد قد خالفه أدعياء الإمامة في أغلب الأزمنة وحتى حين يوجد هذا الشرط في أحد أدعياء الإمامة مثل الإمام يحيى بن حمزة أو احمد بن يحيى المرتضى فأنهم لم يجدوا من ينافسهم في الإمامة بل وتم خلعهم.

وعاصر هؤلاء بقية أيام الملك الأشرف إسماعيل ابن العباس ٧٧٨- ٨٠٣هـ وأيام ابنه الملك الناصر أحمد ٨٠٣- ٨٢٩هـ .

وأيام ابنه المنصور بن الناصر احمد ٨٢٩- ٨٣٠هـ

وأيام ابنه الاشرف إسماعيل بن المنصور ٨٣٠ - ٨٤٢ هـ

وأيام الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل ٨٤٢-٨٥٠هـ

وخرج أواخر أيام الظاهر يحيى بن الأشرف المطهر بن محمد بن سليمان (*) أثار الفتنة خلال المدة ٨٤٠ - ٨٧٩هـ ادعى الإمامة بعد موت علي بن صلاح وموت الإمام أحمد بن يحيى المرتضى وتوفي بذمار سنة ٨٨٦ هـ وعاصر أيام المسعود أبو القاسم بن الأشرف إسماعيل ٨٥٠-٨٥٨ هـ أخر ملوك الرسوليين وبداية الدولة الطاهرية .

إن صراع أدعياء الإمامة كان نتيجة لما أصله الفكر الهادوي لذلك الصراع المتمثل في مبدأ من قام بها ودعا إليها دون ضوابط أو معايير تحدد عملية اختيار الأصلح من بينهم

إن السبب الرئيسي في استمرارية أدعياء الإمامة هو عدم قيام الرسوليين بعملية التنشئة الدينية التصويبية لقبائل شمال الشمال مما ساعد على إبقاء تلك القبائل بيئة صالحة لأدعياء الإمامة .

فعمل الرسوليين على ملاحقة أدعياء الإمامة وإخضاع تلك القبائل بالقوة فعملوا على مكافحة النتيجة و لم يعملوا على استئصال السبب ، فالسبب في قدرة أدعياء الإمامة على دفع تلك القبائل هو انتشار الفكر الهادوي كثقافة ويؤيد ما ذهبنا إليه أن قبائل مأرب والبيضاء وشبوه رغم تشابهها مع قبائل الجوف وصعده وعمران وصنعاء إلا أنها لم تنجر مع أي داع للإمامة لعدم انتشار الفكر الهادوي فيها .

(*)- هو المتوكل على الله ابن يحيى بن الحسين بن حمزة بن علي بن محمد بن حمزة بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم .
وهذا ليس من سلالة الهادي يحيى بن الحسين .

الفصل السادس

حروب وفتن الهادويون

ق ٩ – ق ١١

المبحث الأول:–

استعانة الهادويون بالمماليك على الطاهريين

المبحث الثاني :–

حروب وفتن أدعياء الإمامة أثناء الحكم العثماني الأول ٩٤٥هـ - ١٠٥٤ هـ......

المبحث الثالث :–

صراع القاسميون بعد خروج العثمانيين

المبحث الأول/

استعانة الهادويون بالمماليك على الطاهريين [1]

- خروج أدعياء الإمامة على الطاهريين :

وبدأت الدولة الطاهرية سنة ٨٥٨ هـ على يدي عامر وعلي أبناء طاهر بن معوضه ومن جاء بعدهم الذين عملوا بقوة من ذلك التاريخ على حكم اليمن كاملة.

ومنذُ ذلك العام استطاع **علي بن طاهر وعامر بن طاهر** أن يؤسسوا دولتهم ويسيطروا من عدن إلى صنعاء وكانت دولة الطاهريين من الدول القوية التي وحدت اليمن ونمى في عهدها الرخاء و الاستقرار وعمرت المدارس وقلت الفتن والحروب ماعدا ظهور أدعياء للإمامة هنا أو هناك واستطاعة هذه الدولة أن تثبت أركانها نتيجة لقدرة بنو طاهر السياسية والعسكرية على بسط هيمنتهم ونفوذهم على أغلب الساحة اليمنية ، وأستمر حكمهم قويا إلى سنة ٩٤٥هـ والطاهريون هم يمنيون ينتمون إلى مديرية جبن محافظة الضالع .

ولكن أدعياء الإمامة كعهدهم ما أنفكوا يتحينوا الفرص للانشقاق على هذه الدولة وإثارة الفتنة بالالتجاء إلى قبائل الشمال مستغلين ما أسسوه من مذهبيه ونعرات قبلية والظروف المعيشية لتلك القبائل والطبيعة الجغرافية ،فينقضوا لإشعال فتيل الفتنة عندما تتهيأ أول فرصه.

وحمل الراية على ذلك **المنصور الناصر بن محمد ٨٤٠ –٨٦٦هـ** مشعلا للفتنه وخارجا على الطاهريين ثم فر إلى ذمار ثم تحصن خوفا من بني طاهر في حصن هران فترة ثم هرب منه باتجاه صنعاء من طريق غير معتاد من وسط بلاد الحداء فعلم به أهالي قرية عرقب فقبضوا عليه وسلموه إلى الإمام المطهر فأودعه سجن كوكبان حتى مات بعد سنتين من سجنه وقبر بمسجد صلاح الدين بصنعاء وكانت وفاته سنة٨٦٦هـ.

وكان ممن أدعى الإمامة زمن الطاهريين **المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان** وكان قد بدأ دعوته أخر أيام الدولة الرسولية وقام بالدعوة بعد موت علي بن صلاح وموت الإمام

---

(١) – الدولة الرسوليه مؤلف مجهول ، تأليف مجهول ، تحقيق محمد عبد الله الحبشي .

المهدي وتوفي بذمار سنة ٨٧٩هـ[١].

وعارضه **الناصر بن محمد بن أحمد بن المطهر بن يحيى ولقب بالمنصور بالله** وقد قصده الإمام المهدي صلاح الدين بن علي إلى صنعاء فوقعت الحرب بينهم في (علب)[٢] جنوب صنعاء بميلين فأسر الإمام المهدي بصنعاء حتى مات سنة (٨٦٦هـ). .

وقد أسر الناصر أيضا الإمام المتوكل على الله المطهر وحبسه في حصن (الربعه) من مغارب ذمار وأخرجه صاحب الحصن بعد مده.

وأستمر الخلاف بين الإمامين حتى أُسر الإمام المطهر بن محمد بن سليمان ، المنصور الناصر بن محمد في بلاد الحداء بقرية تسمى (هداد) وقاتل بني طاهر لما بلغوا به إلى الإمام المطهر فحبسه بكوكبان حتى توفي سنة (٨٧٢هـ) عاصر هؤلاء بقية أيام بني رسول وأياما من أيام بني طاهر[٣].

نلاحظ هنا أن المطهر بن محمد بن سليمان قد سجن المنصور بن الناصر بن محمد انتقاما من الأخير الذي سجن المطهر في حصن الربعة في ذمار وقام المؤيد ابن المنصور بن الناصر بن محمد بالانتقام من أهل الحداء بقتلهم وهدم قراهم.

وقام المؤيد محمد ابن الناصر هذا ببيع صنعاء مقابل مبلغ من المال وسلمها لعامل عبد الله بن عبد الوهاب الطاهري ، ثم غدر بعامل الطاهريين فأغاروا عليه وأخرجوه من صنعاء فحاصره الطاهريون فأستنجد **بمحمد بن عيسى بن زيد** من أهالي بلاد بني شهاب المعروفة الآن ببني مطهر مديرية من مديريات محافظة صنعاء ووافت المنية عامر بن عبد الوهاب ففشلت جيوش الطاهريين في الدخول وظل المؤيد متحصنا بصنعاء وتوفي سنة ٩٠٧هـ [*] وأثار الفتن بعد هذه المدة أولاد المطهر بن محمد بن سليمان وكانوا ولاة للطاهريين على ذمار بعد أبيهم فتمردوا ثم فروا إلى صنعاء وبعد ذلك أدعى الإمامة أيام المؤيد **إمام ناصر آخر هو محمد بن يوسف بن صلاح الدين ابن حسين ابن علي بن يحيى أبن منصور** سنة٨٧٩هـ وعارضه إمام آخر هو **إدريس بن عبد الله بن محمد بن علي بن وهاس ولقب بالمهدي** وتوفي الناصر محمد بن يوسف في ثلاء سنة ٨٩٦هـ وتوفي الإمام المعارض للناصر محمد بن يوسف وهو **الهادي لدين الله عزا لدين بن الحسن بن الهادي**

---

(١) - وذكر الواسعي في تاريخ اليمن – أنه توفي سنو ٨٨٦هـ

(٢) - علب أكمة في قرية دار الحيد بمديرية سنحان وهي منطقة أثرية .

(٣) - عبد الواسع الواسعي- تاريخ اليمن

(*) - وقيل ٩٠٨ هـ

بن علي بن المؤيد ابن جبريل سنة ٩٠٠هـ ودفن في فلله من قرى محافظة صعدة وذكر الواسعي في تاريخه " وكان هؤلاء جامعين للشروط المشترطه للإمامة ، وطريقتهم طريقة أبنائهم وكلهم بالمحل الرفيع الذي يقاس بهم غيرهم " وذلك يظهر مدى ما أصله الفكر الهادوي لصراع أبناء هذه السلالة على السلطة فكلهم جامعين للشروط فقيامهم حق والمذنب هو دم اليمني الذي يسيل عند إدعاء كل إمام إن جمود ذلك الفكر قد جعل تاريخ اليمن يوم واحد تتكرر أحداثه بتكرر ظهور أدعياء الإمامة وصراعهم على السلطة فيما بينهم أو مع الدول القائمة .

ونلاحظ هنا أن كل إمام كان يدعي في مساحة صغيرة لا تصل إلى مساحة المديرية وكثيرا منهم كانوا ولاة للدولة القائمة حيث يتنافسوا كأئمة في رقعة صغيرة في ظل وجود دول بحجم الدولة الرسولية أو الطاهرية .

وقام بأمر الفتنة بعده الإمام الناصر لدين الله الحسن بن عزا لدين وتوفي سنة ٩٢٩هـ وأدعى معه في نفس الفترة **محمد بن علي بن محمد أحمد بن يحيى السراجي " الوشلي "** .

وفي هذه الفترة تم القبض على الو شلي من قبل الطاهريين وبنو الناصر ومحمد بن زيدان الملقب شارب وأخذوه إلى تعز سنة ٩١٠هـ وأنقطع أمرهم.

وكان محمد بن علي الوشلي قد خرج على عامر بن عبد الوهاب سنة ٩٠٠هـ[1]

أما الناصر بن عز الدين فدخل في صراع مع أعمامه وأثناء ذلك الصراع ظهر مدعي للإمامة سنة ٩١٢هـ هو المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين بدأ تمرده على الطاهريين من مديرية مسور بمحافظة حجة ثم من ثلا .

وعمل على إدخال المماليك وتحالف معهم ضد الطاهريين .

---

(١) - روح الروح – عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين.

والذين أشعلوا الفتن والحروب من أدعياء الإمامة منذ بداية الدولة الطاهريه هم :-

الاسم	مدة تمرده
- المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان	٨٤٠-٨٧٩هـ
- المهدي صلاح بن علي	٨٤٩- ٨٤٩ هـ
- المنصور الناصر بن محمد	٨٤٠-٨٦٦هـ
- المؤيد محمد بن الناصر	٨٦٦- ٩٠٨هـ
- الهادي عز الدين بن الحسين	٨٧٩-٩٠٠هـ
- الناصر حسن بن عز الدين بن الحسن	٩٠٠ -٩٢٩هـ
- محمد بن علي الوشلي	٨٨٠-٩١٠ هـ
- المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين	٩١٢- ٩٦٥هـ.

- تحالف الأئمة الهادويون [1] والمماليك ضد الطاهريين [*] :-

فكما استعان الأئمة الهادويون بالأيوبين ضد علي بن مهدي الرعيني حين أرسلوا(قاسم بن يحيى بن حمزة السليماني) إلى مصر لاستدعائهم فوصلوا سنة ٥٦٩هـ كذلك قام

***المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن احمد أبن يحيى أبن المرتضى ٨٧٧- ٩٦٥هـ**.بدفع المماليك لدخول اليمن .

وكان هذا الإمام هو الذي كاتب المماليك من الشراكسة وأغراهم بالدخول إلى اليمن وذلك بأن دبر مكيدة بين قائد المماليك الذي كان في جزيرة كمران بقيادة **حسين بك** عندما كان يلاحق البرتغاليين وبين الملك الطاهري.

والجراكسه كما يسمهم المؤرخون هم جنود سلطان مصر قانصوه الغوري " فكاتبه

(١) - روح الروح - عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين .

(*)- دولة بني طاهر	٨٥٨- ٩٣٣هـ
- الظافر (الأول) عامر بن طاهر	٨٥٨- ٨٧٠هـ
- المجاهد علي بن طاهر	٨٧٠- ٨٨٣هـ
- المنصور عبد الوهاب بن طاهر	٨٨٣-٨٩٤هـ
- الظافر(الثاني) عامر بن عبد الوهاب	٨٩٤-٩٢٣هـ
- عامر بن داود	٩٢٣-٩٣٣هـ

الإمام شرف الدين واستعان به على عامر بن عبد الوهاب وذلك سنة ٩٢١ هـ فكانت أول حرب بينه وبين بني طاهر بتهامة "[١]

وقد أغرى شرف الدين جنود المماليك بخيرات وأملاك عامر بن عبد الوهاب وإنه سيقاتل الطاهريين مع المماليك ،ودخل المماليك نهاية سنة ٩٢١هـ ووقعت أول حرب بينهم وبين بني طاهر فأنهزم عبد الوهاب بن عامر وعمه عبد الملك بن عبد الوهاب وتبعهم المماليك إلى هناك وقاوم الطاهريين المماليك ولكن المماليك تفوقوا بامتلاكهم البنادق و لم يكن اليمنيين يمتلكون البنادق ولا عهد لهم بها وقتل عبد الوهاب بن عامر إثر جرحه في معركة زبيد.

وأستمر القتال بين المماليك والطاهريين في تعز وبلاد رداع وفي مختلف المناطق حتى معركة قاع صنعاء ٩٢٣هـ [٢]فالتقى الجمعان وكان الجنود اليمنيون بقيادة عامر بن عبد الوهاب وأخيه عبد الملك وقاتلوا ببطولة واستبسال شهدت لهم معاركهم بالفروسية ولكن تفوق المماليك بالبنادق كان سبب عدم تكافؤ التسليح واستمر عامر بن عبد الوهاب في المقدمة حتى استشهد بمنطقة سعوان من ضواحي صنعاء وبذلك نجح الإمام شرف الدين في سفك دماء اليمنيين وإدخالهم في فتنة جديدة وهو مختبئ بحصن مسور من بلاد حجة مواليا للمماليك وغايته السلطة بأي ثمن كان كعهد أجداده وأسلافه حتى جاءت الأخبار بدخول السلطان العثماني سليمان خان مصر واستيلائه عليها فهيج شرف الدين الناس وبدأ بالخروج من جحره بعد أن كان قد خرج جزءا من المماليك فهاجم من تبقى في صنعاء منهم فقتلهم في بيوتهم وتحصن بعضهم بقلعة صنعاء فحاصرهم وأطلقهم بضغط من همدان وحاشد بعد أن أستغاث المماليك بهاتين القبيلتين وكان في هذه الفترة كما أسلفنا **الناصر بن الحسن بن عز الدين** بصعدة فقام أبنه **مجد الدين بن الحسن بن عزا لدين** وعارض الإمام شرف الدين ، وبقي الطاهريو ن يحكمون جنوب اليمن وتعز وإب حتى رداع.

وقامت حروب بين الإمامين من ناحية حتى أختبئ مجد الدين في فلله بصعدة وبين شرف الدين والطاهرين.

واستعان مدعي الإمامة عز الدين بن الحسن والأمير محمد بن عبد الله الشويع بالجراكسة و ألتلفوا على حرب شرف الدين ومن أجل السلطة والحكم وفقاً لما اصله

(١) – تاريخ اليمن – عبد الواسع الواسعي .

(٢)– روح الروح – عيسى بن لطف الله شرف الدين .

الفكر الهادوي ضل الصراع بين أدعياء الإمامة بأي وسيلة ومهما كان الثمن والضحية اليمن أرض وإنسان ، أما أدعياء الإمامة فإذا قبض أحدهم على الأخر يعفو عنه كما رأينا سابقاً وكما كان في زمن أيام شرف الدين حيث ادعى إمام في عر الحيمة يقال له أحمد بن الهادي ويصفهُ عيسى بن لطف الله شرف الدين في كتاب روح الروح بأنه " أظهر عقائد فاسدة وأجاز نكاح الواحدة والعشر والمائة " وأنتقل هذا الداعي إلى جبل اللوز بخولان فقبض عليه عامل شرف الدين وأمر الإمام بدخوله إلى صنعاء مقيداً وطاف به في أسواق صنعاء ثم سجنه في" مسجد قصر صنعاء " ثم أطلقه من الأسر ووعظه وزجره وأحسن إليه .

أما اليمنيين عندما يحصل منهم تمرد فتقطع رؤوسهم وأيديهم وأرجلهم وتخرب دورهم ويقطع مغروسهم حتى أطفالهم تقطع أيدهم وأرجلهم كما سيأتي : فأي بغي بلغ هذا البغي

مجازر المطهر :-

وكانت الفتنة التي أشعلها الإمام شرف الدين بيئة خصبه لأبنه المطهر وتعددت حروبه فقاتل اليمنين والمماليك والعثمانيين وأبوه وأخوه الذي كان السفاح الثاني بعد **الإمام عبد الله بن حمزة** حيث كان متعطشا لسفك الدماء واتسمت أفعاله بالوحشية والبشاعة وسنورد مقتطفات من أعماله البشعة حسب ما رواها أبن أخيه **عيسى بن لطف الله بن شرف الدين** في كتاب **روح الروح** فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح .

وفيها خرج المطهر لأخذ عمران ، فلما وصلها قاومه أهلها "[١] فحمل عليهم بجنوده فأخذها أخذة رابية وأسر من فيها بعد أن قد كان قتل من قتل ، وعاد وقد تركها أطلالا دراسة وخرابات عابسة ، وغنم فيها سلاحاً ونقداً وبقراً وغنماً وخيلاً .

وقد أصيبت اليمن بالطاعون سنة (٩٢٩هـــ)فلم تقتصر محنتهم على طاعون الطغاة بل ابتلوا بطاعون ذهب بأرواحهم ولا حول ولا قوة إلا بالله ،ومن المجازر التي قام بها .

- قام بدفع القبائل الموالية له لإخضاع القبائل الأخرى وبدأ ذلك مستغلاً حصول الطاعون فهاجم اليمانيتين من بلاد خولان والكميم من بلاد الحداء وكان غير قادر عليهم قبل دخول الطاعون وكذلك صنع بعنس وهبها وبسط على صوافيها وهب أغنام منطقة أسناف من خولان وقبض على خمسة عشر ممن تبقى من أعيانهم وقطع أيديهم وأرجلهم

(١)- كتاب روح الروح — عيسى بن لطف الله شرف الدين .

وأتفق مع جند المماليك وتحالف معهم على قتال الطاهريين والغاية سفك دماء اليمنيين بأي وسيلة وكان قد أباح نهب الممتلكات من معبر إلى بلاد الشعر ودمت ومن بشاعة أفعاله كان الناس يفرون قبل وصوله وقد أخذ من بلاد ودور بنو طاهر المكتبات التي جمعوها (وجمع من كتب العلوم في كل فن مالا يكاد يقل حامله وينوء به وقد كان عامر بن عبد الوهاب أخذها من جميع الآفاق وأستنسخها فإنه وجد في غمدان من الكتب شيئا لا يفنيه العد وأرسل به إلى تلك البلاد[٣] ودخل رداع وأخرب قلاعها وحصونها وكذلك فعل بعراس في (منطقة يريم محافظة إب) ولم يخضع له أهالي خولان وكان المطهر قد أخذ منهم ٨٠ طفل كرهائن ولما رفضوا الخضوع له وقد تحشدوا ولم يستطيع قتالهم قام بقطع أيدي وأرجل الرهائن فأي جريمة أبشع مما صنع فبافتراض أن أهالي خولان قد ارتكبوا أي جرم فبأي ذنب قام بقطع أيدي وأرجل الأطفال الرهائن وبأي مذهب أو دين في ناموس الإنسانية فما بالك بعدل ورحمة الإسلام الذي باسمه يفعل الطغاة من أمثال المطهر هذه الأفعال " وهم يدعون أنهم ورثة الملك والدين " ، وبهذه الأفعال هم يعتبرون أنفسهم متميزون على بقية المسلمين (تبت يدا المطهر) ،وأثناء ذلك حاول أهالي خولان حرق باب اليمن والدخول إلى صنعاء ولكنه استعصى عليهم فقام بجمع القبائل لقتال خولان "ودارت بينهم الحروب فدخل بلادهم ودمر ديارهم وقطع أعنابهم وأشجارهم واستأصل المغروس والمعمور وتركها خاوية"، فاستسلموا له فلم يكتفي بما صنعه بأطفالهم وبلادهم فأمر بقطع أيدي وأرجل ثلاثمائة من أعيانهم ومشائخهم سنة ٩٣٤هـ ولم يقف عند هذا الحد بل الزمهم بإحضار الذي قام بحرق باب اليمن فقام بالتنكيل به بأبشع صورة فسمره حيا في باب اليمن حتى أدركته الوفاة .

فمن أظلم من المطهر ورغم ذلك يتفاخر كتاب الأئمة بتلك الأفعال .. .. ولو لم يذكر هذه الأفعال أبناءه ما صدق بها أحد .

فبأي دين صنع ذلك فديننا الإسلامي يحرم علينا فعل ذلك في قتال الكافرين فهل يجوز ذلك في قتال المسلمين ....

ويعبر عن ذلك الحال إمام العلم والحق ابن الأمير الصنعاني:-

أَنَافَسْتُم الحجّاجَ في قُبحِ فعْلِه ... فَفِعْلُكُم في الجَوْر فعلُ مُفاخِرِ
يُفديكمُ إبليس حين يَرَاكُم ... يقول بِكُمْ والله قرّتْ نواظِرِي

(١)- روح الروح لعيسى بن لطف الله شرف الدين

نبذتم كتاب الله خَلْـفَ ظُهُـركم   ولم تعلموا منـه بِـنَصٍّ وظـاهِرِ

وفي الجانب الآخر بصعدة يتسابق أدعياء الإمامة لسفك مزيدا من الدماء فيجمع القبائل فيها مدعي الإمامة **مجد الدين أبن الحسن أبن عز الدين المؤيد** ويخرج على الخارجينْ وتنشأ بينه وبين المطهر من أبشع المعارك التي تسفك فيها دماء اليمنيين وتزهق أرواحهم وما هذه البشاعة في القتل والتنكيل إلا ثمرة ما بذرة الأئمة السلاليون من بذور العداوة والبغضاء بين القبائل اليمنية بشكل تراكمي حتى اصبح العداء بينها اكثر جيلا بعد جيل ثم في سنه ٩٣٣هـ دخل الطاعون للمرة الثانية خلال عهد هذا الطاغية فأستغل ما صنع القدر في اليمنيين من تفشي هذا المرض فواصل حربه على صعده والجوف.

وكان قد خرج في مأرب **الناصر بن احمد** على طاعة المطهر وكان هؤلاء الخارجون قد جمعوا قبائل لهم وما حولهم ودَهْم يقودهم أشراف الجوف فهزمهم

واتجه إلى صعدة لقتال من حشدهم المؤيد فأسر مجموعة وقطع أيديهم وأرجلهم أما أدعياء الإمامة مشعلي الفتنة فسيعفي عنهم كما هي عادتهم كما سنرى ودخل صعدة وفر منها بيت المنصور (وكأنهم عاقدون العزم على أن لا يبقوا شبر في اليمن دون أن يسفكوا فيه الدماء).

ويتضح في هذا السياق أن هؤلاء السلاليين هم الذين احترفوا الفتنة بتأليبهم هذه القبيلة أو تلك في سباق على انتزاع السلطة ففي معارك صعدة تم العفو عن آل المؤيد الذين خرجوا على المطهر وقادوا القبائل لقتاله وقابلهم الإمام شرف الدين وابنه المطهر بالإجلال والاحترام "وأستاذنوه بالعودة إلى ديارهم فأذن لهم" ولما فروا بيت المنصور من صعده جمعوا قبائل سحار ما حولها إلى قرية الحسينيات بمديرية سحار بمحافظة صعده وقامت معركة بينهم وبين المطهر فقتل منهم آلف قتيل واسر ستمائة وضرب أعناقهم في مخيم أبيه وتعرف بقتلة (المخلاف) وبعد هذه المجزرة التي كانت بين بيت المنصور والمطهر والتي كان ضحاياها اليمنيين كالعادة طلب

بيت المنصور العفو من المطهر فأجابهم إلى ذلك واليمنيون لا وزن لهم لدى عنصرية الأئمة الهادويه.

ويقول الناهي عن المنكر شيخ الإسلام ابن الأمير الصنعاني في وصف أمثالهم :

فيا عُصبةً ضلّت عن الحق والهُدَى   ومالت إلى أَفْعَالِ طـاغٍ وفـاجِرِ
بأَيِّ ملوكِ الأَرضِ كان اقتْـداؤكم   فما لَكُمُ في فعلكُمْ مـن مُنـاَظِرِ

وأصيبت القبائل التي تقاتل مع المطهر بالمرض مات منه أكثرهم.

قال تعالى {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا} محمد١٠

وقال تعالى {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ}[1] وفي الجانب الآخر كان يحيى السراجي يؤلب من تبقى من الطاهريين ويحثهم على الحرب وقد وصفه صاحب كتاب روح الروح (هو ممن باع الهدى بالضلالة ونكث عهود الإمام لا أب له)، وهذا أصدق قول لوصفهم جميعا وكان قد عاد الطاهريون واستولوا على المناطق الوسطى والجنوبية من اليمن فلما علم المطهر بذلك جمع قبائل من حاشد وبكيل من مناطق صعده والجوف وعمران والتقى بالطاهريين ومعهم السراجي في قرية موكل من بني عامر مديرية رداع بمحافظة البيضاء.

ففاجئهم المطهر لاعتقادهم أنه سيتأخر بالوصول من نجران إلى هذا المكان وكانت الغلبة للمطهر وقد قتل أثناء المعركة (٣٠٠) من جيش الطاهريين وأستسلم (٢٣٠٠) فأمر بقطع رؤوس (١٠٠٠) من الأسرى وأمر بأن يحمل كل أسير رأسا مقطوعة وأخذهم إلى صنعاء ثم إلى صعده.

فأي بشاعة عرفتها الإنسانية أعظم من هذا الطاغية وأستمر في سفك الدماء على طول اليمن وعرضها دون أن تخضع له أي منطقه وكان للمطهر حروبا مع بقايا جند المماليك الذين بقوا بمدينة زبيد وما حولها وقامت بينهم وبين المطهر حروب أهزم.

وما ذكرنا من طغيانه إلا النذر اليسير ،ومشعلوا الفتن خلال هذه الفترة ٩١٢-٩٤٥هـ :-

- المتوكل على الله شرف الدين يحيى وأبنه المطهر
- احمد بن الهادي .
- الناصر بن الحسن بن عز الدين "المؤيد" بصعدة وأبنه مجد الدين بن الحسن بن عزا لدين .
- الأشراف بني المنصور وبني الشويع متحالفين مع

(١) – النمل٦٩

المبحث الثاني

حروب وفتن أدعياء الإمامة

أثناء الحكم العثماني الأول ٩٤٥هـ - ١٠٥٤ هـ:-

وفي هذا التاريخ دخل العثمانيون اليمن وكان المطهر يصالحهم تارة ويقاتلهم تارة واغلب أيامه في عهد العثمانيين قضاها مختبئا في حصن ثلا وقد خرج المطهر على أبوه الإمام شرف الدين حين قام الإمام شرف الدين بتولية أبنه شمس الدين ودارت حروب بينه وبين والده ثم بينه وبين أخوه شمس الدين واخوته الآخرين.
فعمت فتنة هذا السفاح اليمن من نجران إلى عدن إلى تهامة ،تطبيقاً للفكر الهادوي الذي أصل لصراع هذه السلالة على الحكم وكان دخول العثمانيين سنة٩٤٥هـ.
وأياً كانت المثالب التي ترصد على العثمانيين في اليمن فإنهم لن يصلوا إلى بشاعة ما صنعه طغاة الأئمة بأي حال من الأحوال.

وهكذا استمر في إشعال الفتنه والحرب مع القبائل اليمنية ومع ملوك دولة الطاهريين ومع المماليك ومع أبوه ومع أخوته ثم مع العثمانيين إلى أن توفى سنة ٩٨٠هـ.
وأكمل مسيرة التمزيق والفتن لهذه الأمة أولاده **يحيى ولطف الله وغوث الدين وعبد الرحمن وحسن الدين** كلا سعى إلى السلطة في حصن أو قبيلة حتى أسرهم الوزير حسن باشا، وشاركهم في نشر الفتنه المدعي للإمامة الناصر لدين الله الحسن بن المؤيد حتى أسره العثمانيون بجبل الأهنوم سنة ٩٩٣هـ وأرسلهم حسن باشا إلى القسطنطينيه حتى توفوا بها.

وهدأت اليمن واستقرت في عهد الوزير حسن ، ومثلما استطاع عبدة السلطة من السلاليين أن يبثوا مذهبهم كثقافة استطاعوا أن يبثوا العداء و القتال والفرقة بين القبائل اليمنية في شمال الشمال وبين تلك القبائل وسكان المناطق الوسطى .

كذلك دفعوا اليمنيين لقتال العثمانيين فنشأت العداوة بين اليمنيون و العثمانيون فجعلوا بذلك اليمن خارجه عن الخلافة وعاملا لإضعافها دولة الخلافة وزرعوا العداء بين اليمنين وجند الخلافة العثمانية فكانت اليمن بصنيع الأئمة في خندق واحد مع الصليبيين في قتال جيوش الدولة الإسلامية.

ويا ليت هذا الفكر وأئمته قد صنعوا لليمنيين عدلا أو مجداً فلم نجد لأتباعهم تفاخراً إلا بطغيانهم .

وأشعل الحرب والفتن من أدعياء الإمامة فيما بينهم ومع الطاهريين والمماليك والعثمانيين خلال الفترة ٩٦٥- ١٠٠٦ :

الاسم	مدة تمرده
- المتوكل يحيى شرف الدين بن المهدي احمد	٩١٢- ٩٦٥هـ
- المطهر بن شرف الدين	٩٦٥- ٩٨٠هـ
- أولاد المطهر (يحيى ولطف الله وغوث الدين وعبد الرحمن وحسن الدين)	
- الحسن بن علي بن داوود	٩٨٦ - ٩٩٣ هـ
- المنصور القاسم بن محمد	١٠٠٦ - ١٠٢٩هـ

إنهم يستنسخون أفكارهم وأساليبهم وفتنهم فتكررت أفعالهم وتكرر التاريخ ليروي نفس الأحداث مع تغير الفاعلين فظل الأمس ومرت السنون والقرون.

وقد سفكت دماء اليمنيين في كل المعارك التي أشعلها شرف الدين وأبنه المطهر والحسن بن علي بن داود والقاسم بن محمد أثناء حروبهم فيما بينهم وحروبهم مع المماليك وحروبهم مع العثمانيين وحروبهم مع اليمنيين تلك هي النتيجة للفكر الهادوي الذي اصل وعمل على سفك دم المسلم للمسلم وسيستمر في ذلك كما سيأتي .

و لم ييأس أدعياء الإمامة فيغيب إمام ويظهر آخر فقد أدعى الإمامة **القاسم بن محمد** (مولده سنة ٩٦٧هـ) من ذرية **الناصر بن الهادي وأسمه القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي بن الرشيد** كما يقال وقد أختلف في نسبه [1] ولقب نفسه بالمنصور بالله، وقد طعن بعض معا رضيه بحجة أنهم لم يسمعوا بأن من ذرية الهادي من سمي بالرشيد ، وأسرة القاسم نشأة في بني مديخه من بلاد الشرف (محافظة حجة) ، وأستوطن هناك محمد بن علي بن الرشيد في أول القرن العاشر و لم يكن هناك أية أسرة من أبناء الهادي قبل ذلك والقاسم ابن محمد كان طموحا فطاف بالبلاد ليظهر الورع والتقوى للناس ، فكل إماماً يدعي أو يملك تنطلق ألسنة الدعاة من حوله تروي عنه الكرامات والشواهد على

(١) - حسين أحمد السياغي و محمد علي الأكوع وآخرين — ابن الأمير وعصره .

صحة إمامته فكانوا يختارون القصص القريبة من أذهان الشعب التي تضفي الهالة عليه[1] وقد أُلفت الكتب التي تمجده وترد على من يتساءل عن نسبه من العلويين مثل (بغية المريد في من ولده السيد علي بن محمد بن علي بن الرشيد) وقال في مقدمته " فإنه لما طرق سمعي من أبناء السادة الأعلام أهل الوقت يسأل عن نسب بعض أهله من عصبته ونسبه بصيغة الاستنكار علم يقينا أنه قد جهل النسب من نفسه وأهله فضلا عن غيره " وقد بدأ حياته السياسية عندما كان أحد أعوان الإمام الحسن بن علي بن داو ود الذي قبض عليه الأتراك وأرسلوه إلى الإستانه ومات هناك فتهيأت له الفرصة لإدعاء الإمامة .

ومن أوائل ما فعله لتحقيق مبتغاة هو إبعاد الأسر الرئيسية المنافسة الذين كان أدعياء الإمامة منها مثل (بني شمس الدين أهل كوكبان ، وأبناء القاسم العياني وغيرهم) ذلك الهدف.هو تطبيق لفكر الهادي الذي أصل الصراع على الحكم بين أبناء هذه الأسر .

وقد هيأت للقاسم الظروف المواتية لإدعاء الإمامة ثم تقلدها وأهمها:

- خلت الساحة اليمنية من أي دولة أو زعامة منافسة لأدعياء الإمامة بعد أن زالت الدولة الطاهرية على يد المماليك وشرف الدين وأبنه المطهر ثم دخول العثمانيين .

- أنهكت الحرب أسرة شرف الدين والأتراك .

- وصل العداء التراكمي إلى ذروته بين القبائل اليمنية والأتراك .

فما ايسر على القاسم والحالة هذه أن يستغل الظروف ويدعي الإمامة لنفسه فاستطاع إخضاع القوى المؤثرة أو التخلص منها [2] بحجة الغيرة على الدين ولتلك الظروف و لما قام به فما أن طل عام ١٠٠٦ هـــ حتى أعلن نفسه إماما على اليمن وعمره ٤٠ سنة .

ودفع القبائل لمحاربة العثمانيين حتى إذا وقع الصلح الذي حصل بموجبه على هدنة مع العثمانيين قام بالسيطرة على منطقة شهارة وما حولها وبتحقيقه هذه المكاسب تجاهل ما أصاب البلاد في سبيل هذا المكسب .

إن هذا الإمام الذي أسس لأبنائه من بعده أساليب ووسائل سارو عليها كان أهمها الإفراط في القتل والتنكيل بمن يخالفه بدفع قبيلة على أخرى الأمر الذي بث العداوات

(١) - يمكن الرجوع إلى الجرموزي مؤلف سيرة القاسم ليرى إلى أي مدى وصلت المبالغة في خوارق هذا الإمام التي كانت تنشر على أيدي الرواة وعلى ألسنة الرواة عن القاسم نفسه

(٢) - الجرموزي — سيرة القاسم .

والأحقاد بين القبائل ويظهر ذلك من كتاب القاسم إلى الشيخ أبو زيد فيصف ما فعله أتباعه باليمنيين من خصومه [1]فيقول :(وبقية من المخذولين في بلاد وادعة صار القتل فيهم كل يوم وقد قتل جند المنصور إلى اليوم فوق مائة قتيل وتغنموا منهم غنائم حسنة من السلاح والدراهم) .

ثم لا يكتفي بالجريمة التي ارتكبها هو وجنوده في وادعة بل شاء ضميره أو شاءت له أطماعه أن ينتقل بالقتل والنهب إلى جهة أخرى .

واليك جزءاً من الرسالة تتعرف من على هذه الحقيقة :

(وكذلك إذا تفضلتم أن تتقدموا إلى حجور وتخربوا بيت ابن عرجاش وتنهبوا ماله وتأخذوه خاسئا ذليلا خاسرا في الدنيا والآخرة وأنتم تقدرون على ذلك).

ثم هاهو القاسم لا يريد أن يترك للرجل بقية من تردد إلى ما يدفعه إليه دفعا فيواصل رسالته : (وليس في تراخيكم وصيانتكم لبلاد أعداء الله فائدة فإن أهل البلاد لا يحنوكم " لا يتركونكم " إن ظفروا بكم والعياذ بالله).

ثم يضيف (وكذلك أخربوا أموال أهل بيت مأخوذ وبيت جحوش وسحنة أقماهم الله " أحرقهم " وبعدهم من رحمته وأسكنهم النار بحق جدي محمد رسول الله).

أرأيت كيف كان الأئمة يدفعون قبيلة ضد أخرى وكيف كانوا يبيحون قتل المخالف لهم ونهب ماله وخراب داره وهم بهذا يسيرون على نهج الهادي الذي فعل مثل ذلك بأبناء القبائل وخاصة نجران وسيأتي أبناء القاسم ويفعلون نفس الأفعال .

وقد قتل القاسم بنفسه [٢] رجلا يخالفه المذهب (حكى الحسن بن الحسين حفيد القاسم أن صوفيا بصنعاء كان شديد الخلاعة وكان يأكل الحشيش أكل الحمار ويستبيح المحرمات عامة فكمن له الإمام القاسم في بعض الأزقة كمون الأفعوان حتى إذا مر به ضربه بعمود فأخرج دماغه من بين الآذان ،ثم خرج من المدينة خائفا يترقب).

كأن المسألة غيرة على الدين فحسب وإزالة للمنكرات ولكن القصة إذا تناولها القارئ المدقق تكشف له بعض الضوء الذي يمكن أن ينير الطريق . فغالب الظن أن هذا المتصوف كان — القاسم يخشى منه على السياسة التي وضعها لنفسه فإذا علمنا أن بعض الرواة

---

(١)- بغية المريد — الجرموزي " ابن الأمير وعصره "- حسين أحمد السياغي ومحمد بن علي الأكوع وغيرهم .
(٢) - محمد بن علي الشوكاني البدر الطالع " ترجمة القاسم بن محمد "

الآخرين يذكرون أن الرجل كان تركيا تكشف لنا السر في اختيار هذا الصوفي دون بقية الأتراك من القادة والمحاربين .

فقد كانت خطة القاسم أن يوهم الشعب بأن الأتراك كفار ولا صلة بينهم وبين الدين.

فإذا ظهر منهم رجل متصوف حوله الأتباع ويكثر في حضرته المريدون بدأ كثير من الناس يترددون في تصديق ما يشيعه القاسم عن كفر الأتراك .[1] هذا هو القاسم وهذا هو فكرهُ الهادوي الذي سار على خطاه وأضاف إليه فكرا وتطبيقا من أجل السلطة والحكم القائمة على التميز السلالي حيث قال :

لا تعــدلن بـــآل أحمـــد غيرهـــم وهل الحـــصاة تـــشاكل الياقوتـــا

والإسلام لا يعرف في الناس حصى وياقوتا ولا أسود ولا أبيض ولا عربي ولا عجمي إن المسلمين سواسية كأسنان المشط لا فضل لفرد على آخر إلا بالتقوى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات ١٣.

ونعود إلى زمن القاسم وأحداثه :

فقد عاصر أيام الوزير حسن الذي لاحق هذا الإمام واسر عمه عامر وحاصره في شهاره وأسر ابنه محمد وجميع أهله وحبسوا بكوكبان

وأستمر إشعال الفتنه في تقدم ،وتراجع خلال عهد سنان باشا إلى أن توفي الباشا سنة١٠١٦هـــ.

وجاء الوزير جعفر ولاحقه بقوه وعزيمة إلى أن اسر ابنه الحسن وظل يثير الفتن أيام جعفر باشا وأيام إبراهيم باشا حتى قدم إلى اليمن محمد باشا فتوفي هذا الإمام بشهاره سنه ١٠٢٩ هـــ.

وقام بحمل راية المحن لهذا القطر من الأمة الإسلامية ابنة **محمد ابن القاسم ولقب بالمؤيد بالله** وأدعى الإمامة سنة ١٠٢٩ هـــ وقبر بذي مرمر مديرية بني حشيش محافظة صنعاء.

وقام بمحاولة جمع القبائل ومحاربة العثمانيين في عهد الوالي فضل باشا إلى أن توفي سنه ١٠٥٤هـــ.

---

(١)- " ابن الأمير وعصره "- حسين أحمد السياغي ومحمد بن علي الأكوع وغيرهم .

فأدعى الإمامة **أخوه احمد ابن القاسم** سنة ١٠٥٤ هـ بشهاره ثم تنحى لاخوة **إسماعيل ولقب بالمتوكل على الله.**

المبحث الثالث

صراع القاسميون بعد خروج العثمانيين

المتوكل على الله إسماعيل :-

وكان ادعاؤه للإمامة سنه ١٠٥٤هـ من ضروان آنس.

وخرج عليه **إبراهيم بن محمد بن عز الدين** من صعدة "فما زال أمره يضطرب فتارة يبايع وتارة يبقى على دعوته وتكرر منه ذلك ولم يكن معه ما يعول به من جند ولا أتباع"[(١)]

وخرج على المتوكل إسماعيل أيضا أخوه أبو طالب احمد بن القاسم من شهاره ودارت بينه وبين أخيه حروب ولم تكن كفة الحرب في صالحه فتوسط بعض حاشيتهما فاجتمع الأخوان وتناظرا حتى يتبين أصلحهما فحكم بالغلبة لإسماعيل صاحب النفوذ الأقوى والنفوذ الأكثر .

ويصف شيخ الإسلام ابن الأمير الصنعاني بقوله :

ويا عُصْبةً من هاشم قَاسميّة إلى كَمْ تَرَوْنَ الجَوْر إحْدىَ المفاخر

أما ابن أخيه محمد بن الحسن بن القاسم في بلاد تعز وما حولها فسرعان ما تنازل له حتى يغمض المتوكل عيناه عما كان يفعل بالبلاد التي تحت يده وبقي من أكبر قواد إسماعيل.

وقد سار سيرة عمه في اليمن الأسفل وكان حكمه بلاء وشقاء وقال فيه **محمد بن علي الغرباني:-**

ومثل ما يفعل نجـل الحسن في ... اليمن الأسفل من أرض اليمن
من حيل للمال سرا وعلن ... كثيرة تجري على غير سنن

(١) - البدر الطالع - محمد بن علي الشوكاني .

إلى آخر القصيدة التي شرح فيه الداعي محمد الغرباني مساوئ **أبناء القاسم محمد** هذا وتولى أخيه **أحمد ابن الحسن** وضل الرجلان يعيثان في اليمن الأسفل فساداً بسفك الدماء والاعتداء على الحرمات في ظل الشعارات الدينية للمتوكل إسماعيل بقوله كفار تأويل نواصب بغاة منافقون لا يمتثلون لأحكام الشرع إلا كرها وخوفا من جند الإمام كما لا عهد لهم ومضوا على نهج المذهب الهادوي الذي اصل مذهبيا بجواز خروج إمامان في آن واحد وبذلك صرح هذا المذهب بنقض العهود والفتنه تصريحا مطلقا بدون ضوابط

وبعد أن أدعى **إسماعيل بن القاسم** وخرج عليه أخيه وابن أخيه كما ذكرنا وقاما بدورهما في إشعال المشتعل من الفتن ثم اتفقوا على تقاسم السلطة.

وفي عهده خرج الأتراك من اليمن وقد عمروا بها كثيرا من الحصون والمساجد وبعض الهياكل الأساسية للدولة وتركوا بعضا من إشعاع الحضارة بما تعلمه اليمنيين من علوم أثناء حكم العثمانيين لليمن وكذلك ما تركوه من نظام عسكري وإداري وعتاد و كانوا هم من اخضع اليمن لسلطه مركزيه واحده في أغلب هذه المرحلة من الحكم العثماني الأمر الذي هيأ لهذا الإمام بسط نفوذه على اليمن من نجران فعسير فحضرموت حتى وصل إلى صلالة بظفارفي بعض الفترات كذلك فإن المماليك والعثمانيون من بعدهم قد قضوا على آخر الدول اليمنية "الطاهريون" فلم يعد هناك منافس للمتوكل على الله إسماعيل .

واستمرارا لتطبيق فكر الهادي القائم على أن الإمامة تستحق لمن قام بها ودعا إليها من أبناء الحسنين كان تنافس أبناء القاسم وغيرهم كما رأينا على الإمامة أو بالأقل على إبقاء مصالحهم بسيطرهم على ما تحت أيديهم ويؤيد ذلك أنهُ عندما استبدل المتوكل إسماعيل ابن أخيه علي بن أحمد بن القاسم بابنه الحسن وكان قد أقطعه البلاد الشامية(صعده) منذ ١٠٦٦هـ فأخضعها بالقمع والإرهاب فلما استبدله خرج عليه ودعا لنفسه واشتعلت الحرب في هذه المنطقة إلى آخر أيام المتوكل إسماعيل.

ولما أبتدعه الفكر الهادوي ببدعة الحق الإلهي للأئمة في الحكم وما ساروا عليه من جمع السلطات في يد الإمام بشكل مطلق وما روجه الفكر الهادوي لمبدأ (حرية الاجتهاد) الذي تمثل في أن ما يراه الإمام هو حكم شرعي واجب التنفيذ .

فقد أبتدع المتوكل على الله إسماعيل كأسلافه بدعة جديدة حيث حكم [1] بتحويل أرض اليمن من أرضي عشريه إلى أرضي خراجية بحجة أن اليمن أنتزع من الأتراك ، والأتراك كفار ينطبق عليهم ما ينطبق على كفار خيبر ونرى هنا مدى تجاوز الأئمة في

(١) - غاية الأماني — محمد ابن الحسين .

البغي والتعصب حتى يطلقون على دولة الخلافة الإسلامية صفة الكفر وأرض اليمن أرض كفريه فيخالفون ثوابت الشرع وسنة النبي الكريم ويجعلون لأنفسهم حق التشريع بالإضافة إلى ما أصل لهم من تميز واستعلاء في استحقاق الحكم فقد حكم هذا الإمام وطبق " حكمه الشهير " الذي يتلخص في الآتي :

ا) إن الجيوش التي تغير على أرض المسلمين الآمنين جيوش مجاهدة في سبيل الله.

ب) كل ما يفرضه الإمام على الناس عامه أو على الخاصة حق مستحق ودين لازم يقدم طوعا أو يأخذ كرها.

جـــ) أن يتحكم الإمام في أموال الناس وما يملكون من أرض وتجاره وحيوان تحكم السيد في عبده .

د) الجهاد لا يقتصر علي جهاد الكفار والبغاة ولكنه يصل إلى جهاد المنافقين وهم في نظر الإمام الذين لا يمتثلون لأحكام الشريعة إلا كرها أو خوفا من صولة الأمام وجنده إلى آخر هذا الحكم الذي عارضه أحد العلماء الأحرار وهو **السيد العلامة الهادي الحسن الجلال رحمه الله.**

وبهذا الحكم أصبحت اليمن ملك له وأبنائها عمالا في ملكه فهو يملك ويحكم وقراره تشريع فأي بغي أكثر من هذا.

وهم بهذا قد اغتصبوا السلطة واغتصبوا حرية الناس واغتصبوا أموالهم ..وعملوا عكس ما أراد الله بهذا الدين للناس .بأن يخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد والله خلق الناس أحراراً وهم عملوا عكس ذلك فخالفوا ثوابت الدين ومقاصده وأصوله .

واستطاعوا بهذا الجبروت أن يخضعوا اليمن كاملة بما فيها ظفار وصلالة .

و لم يطبق حكمه هذا إلا بعد أن كسب ولاء القبائل بما مناهم من مغانم وبما بث بينهم بأن طاعة الإمام هي تشيع لآل البيت وهي طاعة لله (**حديث الهادي من أحبنا أحبه الله** ......).

والمهمة الأخرى لأي إمام هي تدعيم مركزه الروحي بين القبائل تحت ستار التشيع لآل البيت حتى يرسخ في عقلية الشعب بالقسم الأعلى أن الإمام ظل الله حقا وأن منزلته كمنزلة رسول الله ينظم علاقته بالناس ومركزه فيهم تشريع إلهي ويؤل الآية الكريمة :

{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً } [الأحزاب : الآية ٣٦]

فكل ما ورد في طاعة الله ورسوله ينطبق على الإمام لأنه نائب الله وخليفته وتقترن هذه التعاليم الروحية في القسم الأعلى بالحملات الطائفية ضد ما يسمونهم " كفار تأويل".

والذين يدينون بالمذهب الأمامي هم أكثرية البطش والسلب التي لابد لكل إمام من تجريدها ضد المزارعين الآمنين من أبناء الشعب في اليمن الأسفل وتهامة)[1]

ويخاطبهم ابن الأمير الصنعاني ناهيا عن منكرهم بقوله :

أما فيكم من يستحي من إلهه ... أما فيكم من يرهب الغزي في غدي
أما فيكم من راقب الله ساعة ... وتاب فقد أفسدتم الأرض عن يد

إن إعطاء حق التشريع والاجتهاد للإمام قد استغل أشنع استغلال وضربنا لذلك مثلا واضحا بالحكم الذي أصدره المتوكل إسماعيل والذي أدرك خطورته الهادي الجلال فعارضه مدعما رأيه بالأدلة الواضحة من الكتاب والسنة .

وسنرى فيما بعد أن هذا الحكم قد ساق الأئمة إلى ألوان من الجور والفساد كان لهما أسوأ الأثر على الشعب وعلى أسلوب الحكم حتى إذا جاء عهد المهدي صاحب المواهب ومن بعده القاسم الرهيب والمنصور حسين تحولت اليمن إلى مجموعة من الإقطاعيات يسام الناس فيها سوء العذاب .

واضطر العلماء إلى مهاجمة المتوكل إسماعيل – حتى بعد مماته – والحكم الذي نادى به وما جره على البلاد من ويل وفساد .

ويصف الحسين بن عبد القادر الروضي ذلك الحكم بشعر يقطر سخرية وسخطا وألما للحالة التي وصلت إليها البلاد :

قالوا إمامهم إسماعيل عالمهم ... أفتاهم بمقال فيه برهان
يقول إن جنود الترك كافرة ... دانت لهم من جميع القطر بلدان
وبعدهم قد ملكناها بقوتنا ... صارت إلينا حلالا بعدما بانوا
وكل شخص من الزراع عاملنا ... على الذي بيديه أينما كانوا
أصولنا تقتضي هذا فلا حرج ... بما أخذنا ولا والقول بهتان
إبليس سول هذا والنفوس دعت ... إليه رغبتها فيها لها شان

(١) – الإمامة وخطرها على وحدة اليمن – أبو الأحرار محمد محمود الزبيري .

هذه الخيالات لا تجدي ليوم غــد   إذا قضى بين أهــل الأرض ديــان

وصورة أخرى عرفناها مما سبق وهي تلك الكرامات التي كانت تقترن بكل إمام عن استخدامه للجن ومؤازرة الملائكة له والرؤى التي تدعم أصالته في الإمامة وتضفي عليه صفات يقبل بعضها العقل في تحفظ وينكر أكثرها في غير تحفظ .

وكانت تعاليم المذهب تلزم الناس بالطاعة العمياء وتطالبهم بالانقياد الأعمى لكل داع من هؤلاء الدعاة .

حتى أصبح كل مواطن يجد حرجا في دينه ألا يلبي دعوة الإمام ، وأضطرب على الناس الأمر اضطربا شديدا فكانت تصلهم دعوات متعددة من عدد من الأئمة المطالبين بالحكم فيسارعون بالبيعة لهم جميعا خوفا من أن تفوتهم إحدى البيعات فيتهمون في عقيدتهم في أبسط الاحتمالات أو يتهمون في ولائهم إن قدر لهذا الداعي الوصول إلى الحكم فينتقم لنفسه شر انتقام من فرد تأخر عن الاستجابة له ولدعوته ، وسنرى بعد هذه الفترة التي نؤرخ لها أن عشرات من الأئمة قاموا في وقت واحد [1].

وتوفي المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم سنة ١٠٨٧هـــ وقبر بضوران آنس .

ومن بعده أصبحت الإقطاعيات الكبرى مستند لأبناء القاسم يرتكزون عليها في طلب الملك فإن لم يصلوا إليه فلا أقل من أن يوسع الإمام الجديد دائرة إقطاعهم .

- صراع بني القاسم على الإمامة :-

وأدعى بعد موته **القاسم بن محمد بن القاسم دعا لنفسه بشهارة وتلقب بالمنصور و أحمد بن الحسن بن القاسم** بصنعاء **وتلقب بالمهدي** .

و علي بن أحمد بن القاسم الذي ظل على دعوته في صعده من أيام عمه .

وبايع ابن الإمام المتوفي **محمد بن إسماعيل المتوكل المهدي احمد بن الحسن** وفي نفس الوقت سانده الحسين بن الحسن بالمال وكان برداع ودارت رحى الحرب **بين القاسم بن محمد واحمد بن الحسن** (ووجه القاسم أخاه إلى مدينة خمر في جند واسع وانفذ من رؤساء

---

(١) - ابن الأمير وعصره " حسين احمد السياغي و محمد بن علي الاكوع " وآخرون .

حتي المساجد لم تسلم من ظلم الأئمة ، رحم الله القاضي علي بن صالح أبي الرجال رأى المساجد في صنعاء قد اهملت أهمالا شديداً حتى كادت تتداعى وحرمت من الفرش والأنارة والمياه وهدمت وخربت مرافق المياه فيها مع كثرة أوقفها ،ولكن الأوقاف عدا عليها السادة مــن بيــت القاسم يأكلون خيرها ولا يجدون راعيا لها يقول لهم : قد قسوتم على الناس فرفقاً بالمساجد   وسرقتم الأحياء فعفوا عن الأموات

الأهنوم رجل يقال له أبو راوية إلى بلاد حجة لحفظ تلك الأطراف ،وأهزم جند القاسم وقتلوا أبا راوية[1].

وبعد أن مات أحمد بن الحسن (١٠٩٢هـ) بدأ الصراع بين أبناء القاسم بهدف الملك فإن نجحوا فخيرا وإلا استبقوا ما بأيديهم من الإقطاعيات وكان التنافس بين القاسميين هدفه الوصول إلى إحدى أمرين :

- إما أن تمكنهم الظروف من الوصول إلى الحكم .
- وإما أن يساومهم الإمام الأقوى فيقرهم على ما تحت أيديهم

ويصف ابن الأمير الصنعاني حالة البلاد بقوله :

ملأتم بلاد الله جوراً وجئتم بما سودت وجه الدفاتر

ووليتم أمر العباد شراركم وخولتم كل أعمالكم كل ماكراً

وقام بعده ابن عمه **محمد بن إسماعيل ابن القاسم** ولقب بالمؤيد ويقال بأنه كان ورعا وتقيا إلا نه مات مسموما بحمام علي وقبر بجوار أبيه بضروان آنس سنة ١٠٩٧هـ[2]

وخرج عليه الحسين بن الحسن ثم بايعه ثم التقى القاسم بالمؤيد في السودة واتفقا أن تكون البيعة للمؤيد [3]

وأدعى الإمامة أيضا **يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل**

ونازعه في دعوته **محمد بن الحسن بن القاسم** المعروف **بالمهدي صاحب المواهب** ودخل في دائرة الصراع خلال هذه الفترة :

- علي بن أحمد بن القاسم من صعده.
- الحسن بن الحسين بن القاسم من رداع .
- الحسن بن المتوكل إسماعيل من اللحية.
- الحسين بن عبد القادر من كوكبان .
- الحسين بن محمد بن احمد بن القاسم من خمر .

وكان هؤلاء قد تجمعوا في صف واحد ضد صاحب المواهب و اتجهوا إلى مقره بمنطقة المعافر(الحجرية) وكان قد وصلها صاحب المواهب ١٠٦٦هـ فجمع الأموال وجار في جبايتها .

---

(١) نشر العرف – لزبارة
(٢)– أبو طالب تاريخ اليمن –و– ابن الأمير وعصره " حسين احمد السياغي و محمد بن علي الاكوع " وآخرون
(٣) – نشر العرف – لزبارة

وتقدم تحالف المتنافسين له للهجوم عليه بهذه المنطقة فتغلب عليهم بعد سفك دماء اليمنيين وأرواحهم وما صاحب ذلك ونهب وسلب وخراب للمعمور .

ولما تحقق له الأمر أعمل سيفه في المعارضين وفتح أبواب السجون .

الفصل السابع

حروب وفتن الهادويون فيما بينهم

ق ١١- ق ١٢

المبحث الأول :-

حروب أدعياء الإمامة "من زمن صاحب المواهب إلى زمن المنصور حسين

المبحث الثاني:

حروب أدعياء الإمامة "١١٦١هـ المهدي عباس إلى ١٢٢٤هـ وفاة المنصور علي

المبحث الثالث :-

حروب أدعياء الإمامة "١٢٢٤هـ المتوكل احمد إلى ١٢٥١هـ وفاة المهدي عبد الله

المبحث الأول

أثر فكر الهادي في حروب أدعياء الإمامة فيما بينهم

حروب أدعياء الإمامة "من زمن صاحب المواهب إلى زمن المنصور حسين ":-

هو **محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم** الملقب **بصاحب المواهب** وفي عهده كثرت الفتن لكثرة أدعياء الإمامة وكان هذا الإمام غير سوي فكان مما روي عنه أنه كان يقول بأنه يأتيه هاتف في المنام وعندما يصحا يعزل هذا أو يقطع رأس هذا وعندما كان ينظر إلى جموع الجيش الموالي له يسجد لله شكرا فلقب **بصاحب السجدة** .وكما ذكرنا سابقاً فإن أهم المتصارعين على الحكم هم :-

الحسين بن محمد بن احمد القاسم وخرج عليه وبدأ دعوته من عمران ومات سنة١١٠١هـ .

وخرج أيضا **الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الأمام شرف الدين** وبدأ دعوته من كوكبان ومات ١١١٢هـ ودفن بشبام كوكبان.

وخرج عليه أيضا **الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم** وبدأ دعوته من رداع وسجنه صاحب المواهب نحو عشر سنين ثم أطلقه ومات بصنعاء سنة ١١٢١هـ ،وما أصدق ابن الأمير عندما يصور حالة وطنه بقوله مخاطبا أفراد هذه الأسرة

مزقتم شمل هـذا القطـر بينـكم ... كل لـه قطعـة قفـر وعمـران
وكلكم رقي في الظلـم قطعتـه ... مراقيا مـا رقاهـا قبـل خـوان
فقدموا العدل والأنصاف في أمـم ... قد طال منكم لهم ظلم وعـدوان

ولم تسلم هذه البلاد حتى من فتنة السحرة .

ففي عصر إمام المواهب كان له مواهب في سفك الدماء فقد قام عليه تمرد بقيادة أحد أبناء هذه السلالة **إبراهيم المحضوري**[1] ولقبه مؤرخي الأئمة بأنه ساحر لما كثر له الأتباع والمؤيدين وقتل في هذه الفتنه أكثر من عشرين ألف مسلم حسبما ترويه كتب التاريخ وبعد طول حرب قُتل المحظوري بصعده ومات صاحب المواهب سنة ١١٣٠هـ.

(١) - أبو طالب – تاريخ اليمن فيما بعد المائة العاشرة

وأهم العبر من حياة هذا الإمام هي :

-قام هذا الإمام بمناصرة القاسم بن محمد على أبيه بعد موت المتوكل إسماعيل وأراد الله أن يمثل ابنه معه نفس الدور فعندما وجهه إلى حرب منافسيه بمنطقة إب فإذا بابنه ينظم إلى خصومه ويبايع يوسف بن المتوكل .

-ويطلب ابنه المحسن فيحبسه ويضيق عليه حتى يموت في سجن ذمار .

ويسلط ابن أخيه القاسم على البلاد ويعلم الله كم سفك القاسم من دماء وخرب من ديار وارتكب من جرائم في سبيل عمه صاحب المواهب .

فيداهم قبائل المشرق ليلا حتى إذا أصبح الصباح عاد بالرؤوس محمولة والأسرى مغلولة والأسلاب مسوقة .

ويشترك في حرب الناجم إبراهيم المحظوري فيفتك به وبالقبائل التي التفت حوله فتكاً ذريعاً ثم يتولى البلاد التي كانت تحت يده .

ويذهب إلى قبائل وادعه فيخرب الديار ويقيد المشايخ ويفرقهم على السجون .

كل هذا حتى إذا أحس المهدي خطرا من ناحية القاسم حبسه في المواهب وشدد عليه.

وكان من قواده صالح بن هادي حبيش يرسله لخراب البلاد وقتل العباد فينطلق في سبيل ذلك دون وازع من دين أو ضمير ، أمره بتخريب حوث فخربها .[1]

وكان يعطيه العدد الكثير من الحوالات لا تدخل تحت مقدور على الضعفاء والمساكين ببلاد المغرب يحملها الرجل ويتقاضاها من الشعب أضعافاً مضاعفة .

ومع ذلك لما أحس أن الرجل قد كبر حتى أصبح يخشى منه على الملك فأوعز إلى ابن أخيه القاسم فما زال يداهنه حتى سلط عليه عبيده فاغتالوه ووضعوا سلاسل الحديد في رقاب أعوانه .

وقام بعد صاحب المواهب **الحسين ابن القاسم أبن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الملقب بالمنصور بالله**

وأدعى الإمامة سنة ١١٢٤هـــ بالعصيمات من حاشد وهي الآن مديرية العشه والقفله من محافظة عمران وحلت بينه وبين إمام المواهب معارك وتوفي سنه ١١٣١ هـــ.

---

(١)- أبو طالب – تاريخ اليمن فيما بعد المائة العشر

ودعونا نسمع شهادة إمام على ظلم إمام وهي شهادة المنصور حسين على ظلم وطغيان الإمام الذي قبله والتي أوردها في الوثيقة التي أدعى بها لنفسه حيث يقول "أما بعد: يا أمة الإجابة ويا أيها المخاطبون بأركان الإسلام وبالتوبة والإنا به .

فأنكم تعلمون ما قد اشتهر من الضلالة والمظالم وما قد انتهك لله سبحانه مما قد نهى عنه من المحارم .

حتى لقد نبذت الشريعة الغراء واتخذت ظهريا . وعد كلام الله من القول اليقين قولا فريا . وتعدى على الضعفاء بهتك أعراضهم واستئصال أموالهم وتشريدهم أشتاتاً في المفارز لا يرثى لحالهم ،ولويت الصدقات عن مصارفها الثمانية القرآنية (ولم نجد إمام منذ عهد الهادي إلى عهد احمد حميد الدين يقوم بصرف الصدقات حسب مصارفها القرآنية) فأخذت أضعافا مضاعفة حتى لم يبق لأرباب الأموال من الأصل بقية [1].

وهجرت الواجبات فلا صلاة لأكثرهم تامة ، وصارت هذه المفاسد بقرى المسلمين وأمصارهم عامة . وأصبح مال الله دولا ونهباً وبين الفساق وعباده خولا . قد استعبدهم أهل العتور والسقاق .

والفقراء باستبداد من لا نصيب له فيها في فاقة شديدة ، والأيتام والأرامل في بلايا من الاحتياج عديدة قد حرموا جميع ما يستحقونه ، بل صودروا بأخذ ما يملكونه .

وعطلت الأحكام والحدود الشرعية وارتكبت جميع المآتم ويا لها من مصيبة على الإسلام ورزية وتهالك في اغتصاب الأموال وتضييع الشرائع من الراعي والرعية).

وهذا هو وصف كل خارج مدعي للإمامة للإمام القائم تطبيقاً لمبدأ الهادي (الخروج على الحاكم الظالم) وعندما يصل إلى الحكم يصنع مثل الذي قبله وأحيانا أشد .
وقام معه وبعده **القاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم** وأدعى في صنعاء سنة ١١٢٨هـ وأدعى في عصر إمام المواهب وموته عام ١١٣٩هـ وقبر بصنعاء.

وبدأ بتحسين صورته بالتخلص من أبناء عمه (أبناء صاحب المواهب) بزرع الفرقة وتشتيتهم في المناطق المختلفة ثم قام بالتخلص من صالح بن حبيش الذي كان يشابه القاسم في البطش والتنكيل بتوجيهات صاحب المواهب .

---

(١) – نشر العرف – للعمراني

وقد أغتال القاسم صالح بن حبيش بواسطة خدمه وعبيده فاستدعاه إلى خيمته وفصله عن أعوانه الذين حضروا معه في خيمة منفصلة واجتروا رأسه ثم انقلبوا على أعوانه يسوقونهم في سلاسل الحديد وقد شدت إلى رقابهم .

وقام القاسم بذلك ليمتص السخط الشعبي بأن يدفع ضحية تتصدر كواجهة للظلم فترة من الزمن ويظهر هو الحريص على مصالح الشعب المدافع عن الضعفاء من الناس .

وكان الصراع بين أبناء صاحب المواهب والقاسم وكان النجاح حليف القاسم نتيجة لبطشه وماله الذي جمعه أثناء عمله مع عمه فعرضت عليه الإمامة وقد تظاهر بالتعفف وأعتذر عن قبول الإمامة في البداية [1] [لأنه لم يكن في العلم مستوفيا للاجتهاد محيطا بما يحتاج إليه في الإصدار والإيراد بل أمرهم بمبايعة الحسين بن القاسم بن المؤيد صاحب شهارة ومن أسباب عدم ادعاءه الإمامة في هذه الفترة هو شهرته بالبطش والتنكيل بأبناء الشعب عندما كان أهم قادة (صاحب المواهب)].

وأجتمع **بالحسين ابن القاسم أبن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الملقب بالمنصور بالله** يومين فعلم المهدي (صاحب المواهب) فسجنه في صنعاء ثم نقله إلى ذمار وكان يسانده وزيري عمه الحريبي والحبيشي .

وعندما ثار الناس في صنعاء وما حولها على المهدي أرسل إبراهيم أبنه على رأس حملة فلما لم يستطع قمعها أشار الزيران على الإمام أن الأمر لا يصلح إلا بإطلاق القاسم وإطلاق يده في القبائل ومن يؤلبونهم عليه ، فخرج القاسم ثم لم يلبث أن عاد مع الثائرين على عمه حتى أنتزع الملك **للحسين بن القاسم بن المؤيد بالله** وكانت مساندته للمنصور بالله حسين مرحلة لتحقيق حلمه في الانقضاض على الإمامة وللقضاء على القوى المتصارعة على الإمامة وأهمها أبناء إسحاق ومحمد بن الحسين بن عبد القادر المتربص من كوكبان ومحمد بن عبد الله بن الحسين الملقب بالمفتي ، ولما كان القاسم هو الذي قاد جموع الثائرين فإنه لم يدع السلطة تفلت من يداه ولم يكن للحسين إلا اسمها فقط أو (النظر) [2] .

وأشتد الصراع بين المنصور ويناصر ظاهريا القاسم وبين المتطلعون للإمامة من أبناء صاحب المواهب وأبناء إسحاق على الإقطاعيات التي تحت أيديهم فكلا يحاول السيطرة على ما تحت يده والقاسم يحاول انتزاعها فبدأ القاسم بإقناع المنصور أن يغدر بالمهدي في

---

(١) – البدر الطالع – الشوكاني .
(٢) – نشر العرف – زبارة .

بعض الإقطاعيات مثل ريمه وبيت الفقيه [1] وكان له ذلك فأرسل القاسم عماله لتستولي على تلك الإقطاعيات .

وأحس المنصور بالله الحسين بن القاسم بالخطر فجمع حوله أبناء إسحاق وكان صراع دمويا بينهم وبين القاسم ، أضاف إلى محنة الشعب محن فسفك الدماء ودفع كل قبيلة أو مجموعة من القبائل .

بعد ذلك أرسل القاسم الحسن بن محمد المتوكل وأحمد بن عبد الرحمن الشامي ومحمد بن عبد الله بن الحسين بن القاسم إلى المنصور طالبا منه أن يرفع أبناء إسحاق عن جميع الأمور .

يقول صاحب نفحات العنبر " وأراد المولى العلم القاسم إقامة الحجة بهم عليه ".

وادعى القاسم الإمامة وقامة الحروب بين المنصور وبينه ولم يبقى في يد المنصور إلا شهارة والسودة والشرفين ، ثم تغلب عليه القاسم ولم يزل المنصور كذلك حتى توفي .

إن تأصيل الفكر الهادوي لاستحقاق الإمامة لمن هم من البطنين وتأصيله للصراع بين أبناء هذه السلالة على الإمامة هو أعظم نكبة أصيبت بها اليمن حيث جعل ذلك اليمن ساحة حرب أهلية دمرت كل مقدراتها وحضارتها وجعلت اليمن غير فاعلة على الساحة الإسلامية بل مفعولا بها .

ونتيجة للصراع على الإمامة والحروب والمآسي التي صاحبتها عاد صاحب المواهب ليدعي الإمامة ويعدل عن تنازله ، ويضج الشعب من جديد سنة ١١٣٢هـ فيستغل بنو إسحاق ذلك فتشتعل الحروب من جديد والضحية هم أبناء الشعب وتكون الغلبة للقاسم فيزج ببني إسحاق السجن .

ثم أحكم قبضته على الإقطاعيات التي كان يتقاسمها أبناء هذه السلالة فكلف الشجني جمع الزكاة من هؤلاء عن الإقطاعيات التي تحت أيديهم ، ويبدو أن الشجني كان يتحصل عائدات أوقاف المساجد ويصف ذلك ابن الأمير بقوله:-

وما أخذ الأوقاف قط ولا اشتكت   مساجدنا في عصره كف قادر
ولا أمر " الشجني" يأخذ مالها   فيا بئس مأمور ويا خزي آمر

---

(١) – نفحات العنبر .

وكانت وسيلته في كسب الإعوان من القبائل لتنفيذ ما يريد هو جعل بعض القبائل (إجبار) أي لا يدفعون الزكاة ولهم مغانم في بسط نفوذه .

ويقول ابن الأمير في ذلك :-

وقلتم نرى الأجبار أمـــوالهم لهـــم خذوها عـــيهم يـــا ولاة البنـــادر
ولكن دعوا آل الخليفـــة كلـــهم وأعوانهم من حاكم ومـــــــؤازر
ومن خفتم مـــن شـــره وفـــساده (كردمان) (وابن الاج) أهل العشائر
فما يفعل الدجال مثل صـــنيعكم لأفنيت في الـــدنيا مـــداد المحـــابر
فأفعالكم لو رمت حصرا لعـــدها فلا تشتموا من بعد هذا بكـــافر

وخرج بني إسحاق وأشعلوا الحرب عام ١١٣٦هـــ ، وكان لا بن الأمير دورا في الحملة على الظلم والإقطاع وفساد الحكم .

وقد عبر عن ذلك في قصيدته الرائيه :

سماعا عبـــاد الله أهـــل البـــصائرِ لقول له ينفـــي منـــام النـــواظري
خراجيـــة ســـيرتم الأرض كلـــها فضمنتم العمـــال شـــر المعاشـــر
لذاك الرعايـــا في الـــبلاد تفرقـــة وفارقت الأوطان خير العـــساكرِ

وقد حاول التوسط بالصلح بين القاسم محمد بن إسحاق الذي دعى لنفسة متلقبا بالناصر ، وسكنت الفتنة في عام ١١٣٧هـــ وأستقر ابن إسحاق في حصن ظفار حتى مات المتوكل في عام ١١٣٩هـــ.

واستمرارية للصراع على الإمامة فقد أتقن القاسم خطة للتخلص من محمد بن الحسن بن عبد القادر الذي كان يظن نفسه في قوة ومنعة بكوكبان وكان له عيون في صنعاء على رأسهم القاضي التريلي وكان القاسم يعلم بذلك ، فاستدعى التريلي وتظاهر بأنه يستشيره في من ينوبه عند خروجه من صنعاء ليستجم من عناء الملك فعدد التريلي عليه الأسماء ، ولكن القاسم يجد لكل واحد عيبا ، ثم يعقب القاسم "ليس إلا الصنو (الأخ) محمد بن الحسن بن عبد القادر" فأستدرجه إلى صنعاء أملا أن يظفر بالإمامة نائبا فما أن وصل حتى زج به القاسم في السجن ثم أطلقه في عام ١١٣٤هـــ فخرج مع بيت إسحاق وقبض عليه فكان القاسم الرهيب يوقفه مع أصحابه في القيود الثقال في حر الشمس من

الشروق إلى قبيل العصر ، ثم أرسله إلى سجن زيلع بعد أن طافوا به مدن اليمن [1] ومن ما يؤكد ظلم وطغيان القاسم هذه القصة :

" خرج القاسم من صلاة الجمعة في عام ١١٣٨هـ ووقف بميدان القصر " للعراضة" وهو استعراض درج الأئمة على القيام به واجتمعت القبائل ومثل هذا الاستعراضات جدير بأن يستهويها ويجتذبها من كل فج .

وأثناء تسابق فرسان القاسم مالت الخيل فأفزعت قبائل أرحب فأطلق أحد أفرادها النيران فسقط جندي من أتباع القاسم .

إلى هنا والحادثة عادية يمكن أن تعالج بحكمة وأناة وتعود الأمور إلى نصابها ، لكن القاسم لا يهدأ حتى يتقاضى قبائل أرحب بهذا الجندي مائة قتيل وستمائة أسير.

إن أسلوب حكم القاسم يظهر أنه كان ملكاً متجبراً طغى وظلم وتكبر وتجاوز كل حد ".

فانظر إلى هؤلاء الأئمة الذين استهانوا بدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، كم سفكوا من دماء في فترة أربعين سنة منذ عهد المهدي صاحب المواهب حتى وفاة القاسم.

كم خربوا من مدن ، وكم انتهك في ظل حكمهم من حرمات ومن المؤسف أن يتبجحوا وينسبون أنفسهم إلى الإسلام ،والإسلام أشرف وأكرم من أن ينتسب إليه هؤلاء السفاحون.

ومن المؤسف أن يتميز أبناء ملك يبيح القتل والنهب والظلم والرشوة وإيقاد نيران العداوة والبغضاء على المسلمين ومن المؤسف أن يجعلون أنفسهم ورثة للحكم و الدين، والدين منهم براء ويدعي أنه يحكم بشرع الله ،[2] وأنه مجتهد وما يصدر عنه من أحكام فهي محمولة على مذهب زيد بن علي رضي الله عنه .

وزيد بن علي الذي نادى بمقاومة الظلم ومحاربة الطغيان اللهم إنا نشهدك بأنا لا نقصد بهذا البحث إلا كلمة الصدق لأخوة لنا في الإسلام و الوطن والعروبة لا نهدف إلا أن نبلغ كلمة المعروف التي الزمنا بها ديننا الحنيف . ونسأله سبحانه الهداية والتوفيق .

وأدعى بعده ومعه **الناصر محمد بن إسحاق بن احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد** وبدأ دعوته من قرية شظب في مديرية سفيان سنة ١١٣٦هـ

(١)– نشر العرف – زبارة .

(٢)– ابن الأمير وعصره – حسين احمد السياغي ، محمد بن علي الأكوع ، وغيرهم .

وأدعى للمرة الثانية في ظفار سنة ١١٣٩هـ ثم بايع المنصور حسين وأستقر بصنعاء حتى موته.

وهاقد رأينا أنه بعد موت المتوكل ودعوة المنصور ويوسف بن المتوكل ومحمد ابن إسحاق والقاسم وغيرهم أن الناس قد طوقوا أعناقهم بعدة بيعات .

وللناس كل العذر في هذا فإن الهجر تنشط منذ عشرات السنين تلقن طلبة العلم تدعو لهذا وذاك وعلماء الأئمة يدعون لهذا ثم لذاك

وأدعى معه وبعده **الإمام المنصور حسين ابن القاسم بن الحسين بن احمد بن الحسن بن القاسم** وبدأ دعوته ١١٣٩ هـ وأدى دوره في إثارة الفتنه مع أقربائه وتوفي بصنعاء ١١٦١هـ.

وعاصره العلامة ابن الأمير الصنعاني المولود سنة ١٠٩٩ هـ وهو قطب من أقطاب العلماء الهاشميين الأحرار ، ويمثل النضال النبيل ضد النزعة الأمامية المتعصبة ، وقد عانى خطوبا كثيرة في عهد **المتوكل على الله القاسم بن الحسين** ثم المنصور حسين بن القاسم ثم أيام الإمام المهدي عباس بن الحسين .

ولاه المنصور منصب الخطابة في الجامع الكبير بصنعاء فحاول أن يسقط ذكر الأئمة من الخطبة فتآمر آل الإمام مع شخص دخيل يدعى السيد يوسف العجمي ، تآمروا على قتل محمد بن إسماعيل في الجمعة القادمة فاعتقلهم المنصور ثم طرد العجمي من اليمن وأفرج عن الآخرين و لم يسمح للأمير بالخطبة بعد ذلك .

وقد اتهم ابن الأمير بالعداء لآل البيت رغم أنه منهم وذلك إذ يرونه يجرؤ على الاجتهاد في ما يخالف المذهب السائر وذلك كرفع اليدين وضمهما في الصلاة .[1] وينتقد بجراءة ظلم الأئمة وجورهم .

ونلاحظ أنه يبدأ من عهد المنصور حسين بن القاسم الوراثة ولا يفلح أي طامح من الفاطميين على انتزاع الإمامة من أبناءه فتضل في هذه الأسرة ابتدأ من زمن القاسم الرهيب ١١٢٨هـ - ١١٣٩هـ

إلى زمن علي بن المهدي عبد الله ١٢٥١- ١٢٥٢هـ أي ما يقارب مائة وأربع وعشرين سنة تداول الإمامة على التوالي القاسم الرهيب ثم ابنه المنصور حسين ثم ابنه

---

(١) - الإمامة وخطرها على وحدة اليمن — أبو الأحرار محمد محمود الزبيري .

المهدي عباس ثم ابنه المنصور علي ثم ابنه المتوكل احمد ثم ابنه المهدي عبد الله ثم ابنه علي الذي تولى ثلاث مرات ولقب نفسه بعدة ألقاب .

ولايته الأولى "١٢٥١ – ١٢٥٢هـ"

الثانية " ١٢٥٩ – ١٢٦٠هـ"

الثالثة " ١٢٦٥– ١٢٦٦ هـ"

وخرج على المنصور حسين في ريفها **محمد بن إسحاق المهدي أحمد** وتوفي سنة ١١٦٧هـ

وتلقب بالناصر وكان خروجه هذا بمناصرة قبائل من حاشد وبكيل بقيادة **علي بن قاسم الأحمر وعلي بن جزيلان** لكن المنصور تغلب عليهم وقتل غدراً في هذه الفتنه علي بن قاسم الأحمر في عصر غربي صنعاء وكان قتل علي بن قاسم الأحمر بالغدر والخديعة حينما اجتمع به المنصور بالخيمة للتفاوض وكان بينهما صداقة وأثناء وجوده بالخيمة كان المنصور قد دبر مع أحد مواليه "ذو الفقار ".

ودخل صنعاء حاملا رأسه على حربه ، وكأنه قتل ابن الأحمر في مبارزة شريفة ولم يقتله عبيده خيانة وغدرا ، فثارت الحمية في نفوس القبائل واتجهت إلى محمد بن إسحاق الذي وجهها بقيادة الحسن بن إسحاق وأخيه عبد الله صوب صنعاء واشتعلت الحرب فأزهقت الأرواح ودمرت الديار وحين رأى المنصور أنه لا قدرة له على هزيمة تلك الجموع أستخدم الدهاء والخديعة ، فأرسل من يتوسط بالصلح وبايع الناصر محمد بن إسحاق بلسانه وأشترط لنفسه بعض الإقطاعيات ، وفي الجانب الآخر كان يعد العدة ويتأهب للقضاء على خصومة ، فخرج على شروط الصلح وأعلن نفسه إماما وكان بنو إسحاق قد خرجوا على شروط الصلح أيضا وجرت ثلاث معارك بين الطرفين لم ينتصر فيها أي من الفريقين ولذلك لجأ المنصور حسين إلى الرشوة والد سائس وفي الجانب الآخر كان أخوه احمد ابن القاسم مسيطرا على تعز والمناطق الوسطى وقام صراع بينه وإسماعيل بن محمد بن إسحاق فتقوم حرب تارة والخديعة تارة أخرى ، حتى قبض أحمد بن الحسن على إسماعيل بن إسحاق سنة ١١٤١هـ .

فأخذه إلى تعز ثم إلى أخيه حسين ونورد فيما يأتي ملخص للصراع بين أبناء العم على الإمامة[1].

---

(١) – ابن الأمير وعصره – حسين احمد السياغي ، محمد بن علي الأكوع ، وغيرهم .

- خرج الحسن بن إسحاق من ثلا إلى حصن طيبة بوادي ظهر ومكث في هذا الحصن حوالي شهر ونصف وجيشه يضايق أهل طيبة ويسيء إليهم في أموالهم ، وفيما هو أخطر من أموالهم فاستنجدوا بأقاربهم في بلاد يا م فسارع إليهم ١٢٠٠ محارب من تلك البلاد وسارع المنصور أيضا ينتهز هذه الفرصة ليقضي على الحسن و لم يلتحم المعسكران ولكن تناوشا .

وعرضت للمنصور فرصة نادرة عند ئذ فقد اتفق يحيى بن إسحاق مع عبد الله ابن طالب على أن يلتقيا حول صنعاء .

وتحرك يحيى من بيت الفقيه و كان عبد الله ينتظر في زراجة (قرية بقاع جهران تتبع مديرية الحدأ محافظة ذمار) ولكن يحيى كان أسرع في الوصول من ابن عمه وكان المنصور أسرع الثلاثة إذ فاجئ جيش يحيى قبل أن يستقر فقبض على قطعة من الجيش يقودها المطهر بن يحيى ثم حاصر البقية الباقية يومين حتى أدخل يحيى أسيراً في اليوم الثالث إلى صنعاء .

ولم يستطع الحسن أن يبقى بعد ذلك في طيبه يواجه عدوا في الداخل وعدواً في الخارج بجند شغلهم عما هم فيه من عتو واعتداء لذلك سارع الحسن إلى ثلا.

أما عبد الله بن طالب فلما واجهه المنصور وهمَّ بالقتال وجد الخذلان يحوطه من أنصاره فبايع المنصور ودخل معه إلى صنعاء في جند جرار وبعد يومين استدعاه المنصور وألقى به في السجن .

وتناول أهل ثلا الحسن بن إسحاق ومن معه من القادة وتناول أهل عمران عبد الله بن إسحاق وقادته ، وقيدوا وسيقوا إلى صنعاء فوبخهم المنصور وسجنهم .

أما محمد بن إسحاق ومحمد بن الحسين فتحصن في كوكبان ودامت الحرب بينهما حتى بايعوا المنصور ١١٤١هـ .

وأقسى ما يصنع بالمنهزم هو السجن ولا يحصون حتى عدد القتلى في هذا الصراع الذي أشعله أدعياء الإمامة وهدأ الفتنة بين المنصور وبني إسحاق و بعد ذلك تشتعل بين المنصور وأخيه ،فأي محنة أصيبت بها أمة يمتد مداها لأكثر من ألف عام إنها محنة ما أصله الفكر الهادوي للتميز السلالي وصراع أبناء هذه السلالة على الحكم .

وقد حاول المؤرخون أن يبرزوا محاسن الأئمة ويبالغون فيها ويسترون عيوبهم إلا أن حتمية الحوادث تلزمهم بذكر ألوان الفساد وما يختفي وراء كتاباتهم أضعاف مضاعفة عما دونوه.

وخرج على الإمام المنصور حسين ابن القاسم بن الحسين بن احمد بن الحسين بن القاسم أخوة احمد ابن حسن ابن قاسم بمدينة تعز.

وكان من أسباب العداء بين الأخوين هو تفضيل الإمام القاسم لأحمد على أخوه الحسين فقد أختص احمد بتعز وما حولها وهي أكثر مناطق اليمن عائدا "

وكان أهل صنعاء يتندرون بعقوق المنصور حسين ، فلما كانت له الإمامة أذاقهم الويلات ، جاء في نشر العرف نقلا عن إتحاف النبيه للعمراني :

(ومما غير في وجه سيرة المنصور حسين وأورثه سوء ألا حدوثه والشين أنه كاف يبلغه عن أهل صنعاء في أيام خلافة على والده وحل ما أبرمه الله بتوثيق معاقدة رميه بالعقوق وتحدثهم في مسامرهم ومحاضرهم بما هو مرموق فوقع في نفسه ما وقع وأنزل بهم ما رفع به الأسماع الخبر المستشنع وتجاسر على من لم يرتكبه من هو أجرأ منه من البدع فكان يترل الجيوش إن استدعاهم منازلهم ويخرجون منها أهلها لا يراعون عالمهم ولا جاهلهم) ، وجرت بينهما حروب عانت بسببها المناطق الوسطى والجنوبية من الاضطرابات وتعرضت للنهب والسلب من قبل القبائل التي تقاتل مع المنصور حسين.
وكما جرت العادة لدى الأئمة فإنهم يدفعون تلك القبائل، للقتال ، مقابل ما يحصلون عليه من مغانم جراء النهب والسلب للفئة المنهزمة كما أصل عبر السنين بأن إذن الإمام بالسلب أو النهب جائز.، وخروج ابن إسحاق شرعيا وفقاً للمذهب الهادوي حيث يجيز الخروج على الحاكم محتسبا أو داعيا إلى إمام آخر أو مدعيا لنفسه .

وخروج أخيه احمد شرعيا وفقا لذلك ، وسفك دماء اليمنيين شرعيا فإذا كان المسبب شرعيا وفق المذهب الهادوي فالنتيجة شرعيه.
ويجيز هذا المذهب أيضا كما أسلفنا قيام إمامان في وقت واحد وعلى ذلك فالحق مع الإمام في ردع الخارج والقضاء على الفتنه والحق مع الخارج لأنه خرج على إمام ظالم ، والحق مع شيوخ القبائل لأنهم يناصروا من قام بالإمامة ودعا إليها وجميعهم قاموا بالإمامة ودعوا إليها والحق مع فقهاء وقضاة الأئمة بإقرارهم بأن الإمام قد اكتملت فيه شروط تولي الإمامة وأن الخارج قد اكتملت فيه شروط الخروج وكان أعلم أهل زمانه، ......واعجباه.

وكانت وسائل أئمة هذا الفكر السيف ، المال ،المؤامرات، تسليط الناس بعضهم على بعض يتصارعون كالذئاب الجائعة .
ونتيجة لتلك الأحداث أستغل سلطان لحج الفرصة فأستقل بمنطقته وتوفي المنصور وبقي الأمر على ما هو عليه دون حسم بين الأخوين حسين وأحمد لكن أحمد لم يدعوا لنفسه.
هذا هو تاريخنا كما كان لا كما نحب له أن يكون .

المبحث الثاني

حروب أدعياء الإمامة "١١٦١هـ المهدي عباس إلى ١٢٢٤هـ وفاة المنصور علي"

وأدعى الإمامة المهدي عباس سنة (**١١٦١ هـ - ١١٨٩هـ**)

بعد وفاة والده المنصور حسين وقد عاصر **المهدي عباس** أواخر أيام العالم الجليل المجدد **محمد بن إسماعيل الأمير** سنة(١٠٩٩- ١١٨٢هـ).

وفترة حياة ابن الأمير الصنعاني مرحلة من أخطر المراحل التي مرت في تاريخ الشعب اليمني لأنها خلت من الدول والزعامات اليمنية وأشتد فيها الصراع بين أبناء القاسم على الإمامة فحولوا اليمن إلى ساحة حرب فأثر ذلك على المجتمع وظهرت بوادر الثورة على الفكر الهادوي .

وقد [1]ولد ابن الأمير في عهد محمد بن احمد بن الحسن الملقب بالمهدي صاحب المواهب الذي تمثل فيه الجشع والبطش وتمثل الملك المتقلب الذي لا يثبت على حال ، وعاصر ابن الأمير عشرات الأئمة الطامعين وخمسة من الأئمة الحاكمين أخرهم المهدي عباس، وقد سار على نهج نشوان الحميري و الوزير والجلال و المقبلي ، وقد عاش في صراع دائم وجهاد مستمر .

حارب الأفكار المضللة بين العلماء حتى تآمروا عليه وكادوا له كيدا .

قاوم الشعوذة في صفوف الشعب حتى طاردوه وهموا بقتله مرات عدة .

هاجم قدسية الأئمة الزائفة وحكمهم الظالم .

كشف الغطاء عن فساد الحكام والقضاة والعمال .

كان الإقطاع في أعنف صورة فدمغه بحكم التاريخ وحكم الإسلام.

كانت سنة رسول الله "ص" مهجورة فأحياها .

ولن يستطع أي إنسان أن يتفهم حتمية الثورة اليمنية وآثارها ومؤثراتها دون أن يرجع إلى هؤلاء المصلحين الثائرين الذين بشروا بانتفاضة اليمن الكبرى .

فمن آفاق هؤلاء الأحرار امتد بريق الثورة وتجمعت روافدها حتى تدفق تيارها هادرا في ٢٦ سبتمبر .وجاء على نهجهم شيخ الإسلام الشوكاني .

---

(١)- ابن الأمير وعصره - حسين احمد السياغي ، محمد بن علي الأكوع ، وغيرهم

وروى جحاف في تاريخه أن عصر **المهدي عباس** أفضل من عصر حكم والده المنصور حسين وجدة المتوكل قاسم بن حسين (ت١١٣٩). فأي أفضليه له إذا كان عهده أتسم بكثير من المآسي كما سنرى.

وكان مولده بمدينة إب من أم جاريه ومن أعظم إنجازاته أنه كتب لنفسه صكا بغيول صنعاء فأصبحت ملك له بعد أن قام بإصلاح مجاريها وفي عهده حصلت مجاعة أكل من شدتها البشر بعضهم.

وقام في آخر أيامه ببناء مسجد يقبر فيه كعادة أسلافه الذين كانوا يقومون بإصلاح مسجد أو بناء مسجد ليقبروا فيه وذويهم وتوفي سنة ١١٨٨هـ.

وقد وصف الرحالة والعالم الدينماركي نيبور عند زيارته للمهدي في صنعاء (ت١١٧٧/ ١٧٦٣) بأنه كان أسود البشرة أشبه بأمه التي كانت جاريه (ولم يكن هذا الأمر بغريب فكثير من الأئمة ومن قبلهم خلفاء بني العباس كانوا يتزوجون بجواري ذوات أصول حبشية أو زنجية) [١] .

وفي عهده ولد علامة اليمن ومنارتها الإمام المجدد محمد بن علي الشوكاني وذلك في السنة العاشرة من حكم المهدي عباس.

ونلفت عناية القارئ إلى أن الكتابات التي أُرخت للأئمة كانت إما لكُتاب عاصروهم ومرتبطين بمصالح معهم أو لكُتاب عاصروا أبنائهم ولا يخفى ما لسطوة الحاكم من أثر أو سطوة المنتفعين بما أصله الفكر الهادوي من تميز لهذه الفئة وما تراكم من تجهيل لعامة اليمنيين ، إلا أن مبالغة بعض الأئمة في الظلم وكثرة مفاسدهم قد جعل المؤرخون لا يستطيعون غض الطرف عنهم ، والبعض الآخر بقصد أو بجهالة كانوا يتفاخرون ببطش الأئمة وجورهم لأنهم من سلالتهم [٢] .

وقد خرج عليه وأدعى الإمامة معه **احمد بن حسين بن عبد القادر شرف الدين** في كوكبان (١١٣٢هـ - ١١٨١ هـ)(١٧١٠م - ١٧٦٧م) وقد دعا لنفسه عند وفاة المنصور حسين والد المهدي ولقب نفسه بالمؤيد بالله ويصف المؤرخون المهدي عباس بالذكاء و الفطنة ، والعدل وقوة التدبير وعلو الهمة وبأنه كان منقادا إلى الخير .[٣]

---

(١) – د .حسين العمري مائة عام من تاريخ اليمن الحديث .
(٢) – مثل عيسى بن لطف الله شرف الدين .
(٣)– البدر الطالع .

ووصفوا **احمد بن محمد عبد القادر شرف الدين** بأنه عرف عنه العلم والفضل وكان من فحول الرجال ودهاه العصر وعظماء الرؤساء ، فالاثنان كما يصفوهم أجلا وعلى المسلمين مناصرتهم وفقاً لفكر الهادي حيث يقول " فيجب ذلك على الأمة المهاجرة إليه والمصابره معه ولديه فمن فعل ذلك من الأمة ،من بعد ما أبان لهم صاحبهم نفسه وقصد ربه وشهر سيفه وكشف بالمباينة للظالمين فقد أدى إلى الله فرضه ومن قصر في ذلك (أي من المسلمين)كانت الحجة لله عليه قائمة صادعة منيرة بينة قاطعة"[1] وبهذا الفكر فالمخطئ هو دم اليمنيين المسفوك في الصراع بين الإمام والخارج عليه .

وقد حاول المهدي أن يقتسم معه البلاد ولكن ابن شرف الدين رفض وقال: إن دعوته لم تكن لأمر دنيوي.

فجهز المهدي قبائله وأنطلق نحو كوكبان وحاصرها من جميع الجهات ووقعت حروب وملاحم عظيمة وقتلى كثيرة من الجانبين ثم آل الأمر إلى تركه للدعوة ومبايعته للمهدي عباس على شروط عامة وخاصة .[2]

وعاش الإمام في قصره وبهرجه وعاش الخارج عليه أميرا في كوكبان والضحية كالمعتاد هم المواطنون وأين هؤلاء من قوله عز وجل (من قتل نفس بدون ذنب فكأنما قتل الناس جميعا).

وفي العام التالي خرج ابن شرف الدين مرة أخرى فتكررت الحروب بينهما ثم [3] عادوا إلى الصلح باعتراف ابن شرف الدين بالمهد ي.

وهنا نود أن نشير أن كتاب تاريخ الأئمة يصفون هؤلاء المتقاتلين على السلطة بصفات تصل بهم إلى مصافي الملائكة في الزهد والتقوى ولا يذكرون في مثل هذه الحادثة وغيرها حتى عدد من قتل في هذه الفتن.

فما أنفك المهدي عباس يبث الخلاف بين ابن شرف الدين وأخيه حتى قبض ابن شرف الدين على أخيه إبراهيم وقيده وحبسه بحجة أنه كاتب القبائل وأراد الفتنه وسجنه (١٤عام) وبقى ابن شرف الدين حتى وفاته سنة ١١٨١هـــ. ١٧٦٧م ، وخلفه أخوة عبد القادر على كوكبان.

ونلاحظ أن أدعياء الإمامة كانوا يقسمون اليمن بينهم كإقطاعيات يتوارثونها ويتناسب ذلك مع تعادل القوة بين المتقاسمان فكلا يأخذ ما تحت يده ولا توجد دولة مركزية .

---

(١) – للإمام الهادي يحيى بن الحسين– كتاب الأحكام في الحلال والحرام " باب القول في صفة الإمام ص ٤٦٠.

(٢)– البدر الطالع .

(٣)– نشر العرف زبارة نقلا عن ابن الأمير الصنعاني .

وتحين **إبراهيم ابن شرف الدين** الفرصة وقبض على أخيه وأودعه السجن.

وهكذا صراع بين آل القاسم وبين آل شرف الدين وصراع بين آل القاسم وآل القاسم وصراع بين آل شرف الدين وآل شرف الدين.

الساحر أبو علامة:-

و لم نجد تأكيدا لما نسب إليه إلا أن كثيرا من الصفات كانت تطلق على الخارجين مثل هذه الصفة وأكثر وفي عهود مختلفة .

وهذا هو **أحمد الحسني المكنى بأبي طير** وقد تبعته جماعة وعظم أمره وسيطر على كثير من الحصون في بلاد حاشد وبكيل وناصرته قبائل من عسير ثم تأمروا على قتله وأرسلوا رأسه إلى المهدي [1]

ولا توجد تفاصيل حقيقية عن الرجل وطبيعة دعواه ولكن المؤكد أنه كان شاغلا للمهدي ، ومقلقاً لحكمه في صنعاء ويحتمل أن المهدي كان وراء قتل أبو طير ، ويرجح ذلك إرسال رأسه إليه وقد خرج عليه كثير من القبائل وكان يلاينهم بالعطاء أو بقمعهم بالقتال.

وخرجت في أيامه قبائل برط (ذو محمد وذو حسين) بقيادة القضاة آل العنسي وهدروا صنعاء و انطلقوا لنهب المناطق الوسطى.[2]

وقد تعودت هذه القبائل وغيرها على النهب و السلب لممارستها المتكررة بدفع من أدعياء الإمامة فعندما لا يوجد مدعي للإمامة ويداهمها القحط والجوع تمارس تلك الأفعال بدونهم.

- ويصف الشوكاني المهدي عباس بقوله (ولم يزل قامعا لحساده وأنداده حافظا لأطراف مملكته بقوة مهولة وشدة شكيمة لا يطمح فيه طامح ولا ينجح فيه خدع خادع بل يتصرف بالأمور حسب اختياره ويتفرد بتدبير المهمات)"وهو بهذا مطلق الأمر والصلاحية بالغ الاستبداد ليس لكونه كغيره من الملوك والأئمة بل لطبيعة الرجل نفسه[*]"

ووصف كارستن نيبور (١٧٣٣ - ١٨١٥) رائد الرحلة العلمية الدنمركية الشهيرة في كتابه كوبنهاجن إلى صنعاء).

وصف لنا قصر المهدي عباس والمهدي عباس وما حوله بقوله فقد أكتضت ساحة القصر بالخيول والضباط وغيرهم من الموظفين لدرجة ما كنا نستطيع أن نشق بها طريقنا

---

(١) - الجرافي - المقتطف.

(٢) - مائة عام من تاريخ اليمن - الدكتور حسين العمري .

(*) - مائة عام من تاريخ اليمن - الدكتور حسين العمري .

لو لم يأتي لمساعدتنا النقيب جار الله الذي كان عبداً – وبات رئيس الخيالة حامل في يده عصا غليظة وفتح لنا الطريق.

كانت قاعة الاستقبال واسعة مربعة لها سقف ذو عقود توسطتها بركه ماء كبيرة يقذف شذرواتها الماء إلى ارتفاع أربعة عشر قدماً وخلف البركة (في الواجهة) على مقربه من مجلس الإمام ارتفعت مصطبتان كبيرتان ارتفاع كل منهما قدم ونصف وقد غطى مجلس الإمام (العرش) بقماش من الحرير على جانبيه وسائد كبيرة حيث كان الإمام يجلس لافاً ساقيه على الطريقة الشرقية في الجلوس وكان القميص الذي يرتديه ذا لون أخضر فاتحا أكماما طويلة فضفاضة وأزرار الصدر قد زركشت فتحاتها بالذهب ، كما كان على رأسه عمامة بيضاء كبيرة وكان أولاده يجلسون على يمينه وأخواته على يساره وجلس في المقابل لهم على المصطبة الأعلى الوزير بينما كان مكاننا على الثانية الاوطى وعلى جانبي القاعة جلس عدد كبير من رجال وأعيان الحاشية وعقب دخولنا أخذنا مباشرة صوب الإمام حيث سمح لنا بتقبيل يده بطنها وظهرها [1] وكذلك طرف ثوبه وقد تم ذلك في صمت عميق أطبق على القاعة لكن هذا الصمت كان يتبدد كلما لمس أحدنا يد الإمام – مقبلا –بصوت يهتف (الله يحفظ الإمام ليرد الحضور بصوت عال بنفس العبارة ، وفي هذا الضجيج العالي كنت أفكر كيف ينبغي أن اعبر بالعربية التحيات والتقدير لكنني لم البث أن استعدت أنفاسي وربطت جأشي ...)[2]

وقد أوردنا هذا لانعدام مثل هذا الوصف في أغلب كتب التاريخ اليمنية والتي لا تشير في معظمها إلا إلى وصف الإمام وتمجيد صفاته وأحداثه وفتوحاته الأمر الذي لا نستطيع تلمس الجوانب الاجتماعية المتعلقة بتفاصيل حياة الأئمة وأساليبهم في التعامل مع الناس.
ومن الأسباب التي دعتنا إلى الإسهاب قليلا في وصف عهد هذا الإمام و أبنائه خلال الفترة (١١٦١-١٢٦٤هـ) (١٨٤٨-١٧٤٨م) هو ما قدمه الأستاذ الكبير **حسين العمري** من دراسة متجردة وعلمية قائمة على منهج علمي لهذه الفترة (وكان للرجل نقائض وعليه مأخذ كما كان الكثير من الحكام من قبله ومن بعده تفرضها طبيعة الاستبداد من ناحية والتفاوت في طبائع البشر وأخلاقهم من ناحية أخرى)[3].

---

(١) – يبدوا أنه إلى هذا التاريخ لم يكن الأئمة قد أتبعوا الانحناء وتقبيل ركبة الإمام .
(٢)– أنظر من كوبنهاجن إلى صنعاء : ٣١٠-٣١١.
(٣)– العمري مائة عام من تاريخ اليمن الحديث .

ومن أهمها:

١- الجشع :-

فكان يحب شراء الأراضي وقد قام بشراء الأوقاف من الأموال وإخراجها عن الوقيفه إلى الملكية [١]

وقام بالمتناقلة لأراضي الأوقاف المتداخلة مع أرضه في شعوب و الصافية وبئر العزب وأخرى ومال الأوقاف لا يجوز فيه ذلك .وفقا لرأي ابن الأمير الصنعاني

ويرجح أن سن ابن الأمير البالغ ثمانين عاما هو الذي نجاه من سطوة المهدي عباس ، أما الآخرين فكان يصادر أملاكهم أو يسجنهم تأديبا لهم على معارضته[٢]

٢- امتلاك الغيول:-

فقد جعل القاضي الصديق يصدر حكما له بامتلاك الغيل الأسود وغيل البر مكي – وهما من المشاعات لعامة المسلمين بحجة انه انفق على إصلاحها من ماله الخاص

وقد ذكر الرازي في تاريخه أن محمد بن خالد البر مكي والي صنعاء لهارون الرشيد سنة (١٨٣هـ – ٧٩٩هـ) هو الذي أعاد استخراج هذا الغيل وأنه بعد ذلك جمع الناس حتى اشهد فيه وحلف بالله تعالي انه ما انفق فيه من مال السلطان (الدولة)شيئا (أي أن ما أنفقه)حلالا وتبرع به لصالح المسلمين فهذه أفعال البرمكي وتلك أفعال الإمام الذي له حق إلهي في ارث النبوة والحكم وفقاً لفكر الهادي الذي يزعم ذلك بقوله .

" الذين أختارهم بعلمه وفضلهم على جميع خلقه وجعلهم الورثة للكتاب المبين الحكام فيه بحكم رب العالمين ختم بهم الرسل وجعل ملتهم خير الملل فهم آل الرسول "ص" "[٣]

(يا مسلمين أين من أحسن أحسن أبن الحسن ولا أبن برمك أحسن).

ويصف العلامة أبو الأحرار محمد محمود الزبيري ممارسات الأئمة وعدم وجود أي حق للشعب على الإمام لا في فكرهم ولا في التطبيق العملي بقوله (بهذه النفسية يمارس الإمام أعباء منصبه وتكاد هذه الأعباء تنحصر في إستصفاء ثروة الشعب باسم الزكاة ، وقمع الانتفاضات الشعبية باسم الجهاد وقتال البغاة ،ثم بناء مسجد باسم الإمام تُضاف إلى جواره غالبا قبة الضريح لهذا الإمام ليتمد نفوذه الروحي حتى وهو في القبر ،ثم تركة ضخمة من الأرض يخلفها لأولاده وأحفاده بعد أن يبتزها من الشعب)[٤] فيتقاتلون عليها

(١) – من رسالة ابن الأمير إلى المهدي – زبارة نشر العرف ١٠/٢.

(٢) – البدر الطالع للشوكاني .

(٣) – للإمام الهادي يحيى بن الحسين- كتاب الأحكام في الحلال والحرام باب القول فيما تثبت به الإمامة للإمام

(٤) – الإمامة وخطرها على وحدة اليمن – أبو الأحرار محمد محمود الزبيري .

وعلى الحكم من بعده تطبيقا لما أصله الهادي حيث يقول " الإمام الذي تجب طاعته هو أن يكون من ولد الحسن أو الحسين عليهما السلام "[1] ، ثم يؤصل للصراع بين أبناء هذه السلالة بمبدأ من قام بها ودعا إليها ويجعل ذلك شرطا لاستحقاقها حيث يقول " قائماً بحقه شاهراً لسيفه داعياً لربه رافعاً لرايته مفرقاً للدعاة في البلاد غير مقصر في تأليف العباد مخيفاً للظالمين" .

ذلك الفكر هو الذي قسم أبناء هذه السلالة إلى قسمين إماماً ظالم ومدعي للإمامة خارج على الظالم ،إن تطبيق هذا الفكر هو الذي جعل الصراع بين أبناء هذه السلالة ثقافة منذ أحفاد الهادي إلى هذه الفترة وما بعدها كما سيأتي .

المنصور علي بن المهدي:-

علي بن المهدي عباس ولادته (١١٥١ هـ - ١٧٣٨م)[2]وقدحكم من (١١٨٩-١٢٤٤ هـ) (١٧٥٧ -١٨٠٩م) وأتسم عهده بكثير من المحن نتيجة تبذيره وترفه الذي تمثل في البناء البذخي والإدارة الاقتصادية الفاسدة.

أما رسالة الأئمة الرئيسية التي يضطلع بها الإمام فهي بث روح الزهد والانصراف عن عمارة الحياة والتنديد بكل نزعة إلى البناء والعمران ما عدا بناء القصور الأمامية والمساجد وقبور الأضرحة لأمواتهم .

وهذا عندهم هو المفتاح السحري للسر المغلق في تاريخ اليمن منذ أكثر من ألف عام هذه الفترة الهامدة الشلاء .

لقد كانت اليمن ، والإنسانية في مهدها ، ذات مدنية وحضارة وفنون شتى في الحياة من أهمها : الفنون المعمارية وهندسة السدود التي لا حياة لليمن بدونها .

وقد مرت هذه العصور الإمامية الطويلة ولم يبق فيها سد واحد في طول اليمن وعرضها .[3] ولم يبني أي إمام سدً أو منشأة عامة

كما تميز حكم المنصور علي بسقوط تهامة في أيدي الوهابيين وأمتاز حكمه بتولية العبيد في أغلب المناصب ، وبدأ ذلك من عهد أبيه وكانوا يلقبون بلقب أمير وكانوا يلقبون بنفس لقب الإمام كـ (فلان المهدي و فلان المنصور ....) وربما أن أبنائهم لقبو بهذه الألقاب .

---

(١)- كتاب الأحكام في الحلال والحرام – يحيى بن الحسين بن القاسم .
(٢) – الشوكاني – البدر الطالع .
(٣) – الإمامة وخطرها على وحدة اليمن – أبو الأحرار محمد محمود الزبيري .

وكان من أسباب توليتهم الطاعة المؤكدة لسادهم وسهولة عزلهم.
وأتسم عهده بعزل وتغيير كثير من الوزراء فكان يخلعهم ويصادر ممتلكاهم وأحيانا ينكل بهم وكذلك كان يصنع بالعبيد وكان يحبسهم مع أهاليهم حتى كان يسجن من يتشفعون لهم أو يراجعون عنهم كما حصل مع **القاضي علي بن حسن الاكوع وحسين بن زيد المحاربي** ، **وكذلك القاضي علي بن حسين الجرافي** ، وكذلك فعل بوزيره **الشيخ محمد بن احمد خليل الهمداني** وصادر أملاكه ودوره ، وكذلك كان يعاقب الأمراء العبيد بقسوة أشد[1] وبطريقه غير إنسانية (أن العقاب لم يكن لجريمة يعاقب عليها الشرع الذي يفترض أن الإمام هو حاميه بل لطمع في مال وفي الأساس شكوك في شرعية أخذه من الرعايا .

ففي الشهر الذي صادر فيه المنصور أملاك الجرافي قام في١٤ شعبان ١١٩٧هـ بالتنكيل بالأمير عنبر وأمر بإحضاره تحت طاقته بدار الفتوح وجرده من ثيابه وأمر بضربه وإسكانه ملة الحمام[2] مبالغا في تعزيره فبقى بها شهرا أما السبب في ذلك فلا يكاد يصدق فقد ذكر جحاف أن الإمام طلب منه مشاطرته [3] فيما أخذه من أهل العدين ومازال به فلم يفعل ثم أخرجه من الملة[4] وأودعه السجن)

ويعبر عن ذلك الحال ابن الأمير فيصف الإمام والوزير بقوله :-

ملأتم بــلاد الله جــوراً وجئــتم	بما سودت منه وجوه الدفــــاتر
ووليتم أمــر العبــاد شــراركم	وخولتم أعمــالكم كــل مــاكر
ويا وزراء السوء يــا شــر فرقــة	وأخبــث أعــوان لنــاه وآمــر

وقد قام المنصور ببناء الدور والقصور الشاخة وكان يملك دورا في صنعاء وضاحيتها بئر العزب كدار الفتوح ودار البهمه.
وقام ببناء دار الإسعاد بحي الطواشي عام ١٢٠٠هـ وذكر المؤرخ زباره أنه كان بها من المنازل للسكن ٣٦٠مترلا.
وربما يكون هنالك بعض المبالغة في أتساع هذه الدار وكبرها إلا أن من المؤكد أن رأي الناس كان سيئا في إسراف المنصور في البناء الذي لم يكن قائماً على أسس صحيحه من

(١) – العمري .
(٢) – ملة الحمام :– هي فرن تسخين الحمام الصنعاني وكان الوقود المخلفات الآدمية .
(٣) – جحاف .
(٤)– هو مكان يوضع به وقود تسخين الحمامات الصنعانية (وكان هذا الوقود المخلفات الآدمية)

ماله الحلال ولهذا فقد لحقت اللعنة هذه الدار – وبالتالي صاحبها. – فإلى زمن قريب من زماننا كنا نردد ونحن أطفال ، عقب كل لعبه فاشلة سجعه تقول:– (ما منها شي ء دار الطواشي)[*]

ولم تمضي على هذه الدور دون مائة سنة حتى هدمت جميعها ومنها ما بناها المنصور في صنعاء وبئر العزب والروضة [١]
تلك طبائع الاستبداد وأساليب الطغاة وأشد أنواع الاستبداد هو ما ألبس بالدين .

ومما أتسم به المنصور علي هو الزواج المتكرر والاحتفالات البذخية فقد تزوج بأبنة الأكوع وأقام احتفالا لعرسه بالغ فيه بمظاهر الترف والبذخ ومثله عندما تزوج بأبنة زبيبه وبنت عبد الرحمن وأبنه النقيب محسن بن راجح بن صلا ح الخولاني وأبنت خولاني آخر من جبله ، هذا البذخ والإسراف الذي ينم عن عقل غير رشيد وطغيان وفساد بينما أطراف دولته تتهاوى تحت أيدي دعاة الحركة الوهابية وهو ممتنع عن الإنفاق على الجند للذود عنها .

حيث استولى الوهابيون على المخلاف السليماني ثم التهايم إلى أن وصلوا حدود مدينة الحد يده ثم بيت الفقيه وزبيد ثم حفاش وملحان محافظة المحويت وأجزاء من محافظة حجه [٢] ، وكان عماله يستنجدون به لأغاثتهم من غزو الجنود النجديه وهو غارق في ملذاته وشهواته وبناء قصوره فقد استغاث به آل خيرات حتى سقطت صبيا والعريش بعسير وكذلك استغاث به صالح ابن عثمان الوزير عامله على حفاش وملحان فلم يغثه.
وعندما بد أوا بالاستيلاء على أجزاء من مخا ليف حجه أرسل مجموعة من قبائل ذو محمد وذو حسين وأخفقوا وانهزموا ولم يعنيه الأمر في شيء كذلك حاول العلفي الدفاع عن الحد يده ثم استعادة بيت الفقيه وزبيد وماحو لها ولكنه في الأخير أنهزم و تراجح والمنصور علي غارق في ملذاته وأعراسه وبناء قصوره.

قال تعالى : {قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ }النمل٦٩

{ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }يوسف١٠٩

(*) – ويفيدنا المؤرخ الحرازي أن حزب دور صنعاء القدم والتي منها دار الطواشي لم يتوقف إلا في عام ١٢٧٩هـ ١٨٧٢م وذلك حين " أمر ولاة صنعاء بكف حزب الدور وذلك منقبة فقد هدم المخربون دورا كثيرة يشترونها من أهلها وينتفعوا ببيع أخشابها وأبوابها وأحجارها حتى أتوا على قريب النصف من المدينة " راجع كتاب ،فترة الفوضى وعودة الأتراك صنعاء ر٤٢ ١ – ١٤٣للدكتور العمري

(١) – زبارة : نيل الأوطار .

(٢) – تاريخ المخلاف السليماني للدكتور العمري .

{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً }فاطر٤٤

{أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ }غافر٢١

هكذا الاستبداد تكون نتائجه وهذا كله نتيجة للفكر الهادوي الذي افترى على الله الحق الإلهي لهذه السلالة في الحكم وليتعالوا به على الأمة (وكم أهلكنا من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسع لهم ركزا) ،وأتسم عصر **المنصور علي ابن المهدي عباس** بفساد القضاء وقد قال الإمام **المجدد محمد بن علي الشوكاني** (فأما القاضي فهو عبارة عن رجل جاهل بالشرع ، أما جهلا بسيطا أو جهل مركبا وأن يشتغل شيء من الفقه فغاية ما يعرفه منه وكيل الخصومة وممارس الحضور في مواقف الخصومات من مسائل تدور في الدعوى والإجابة وطلب اليمين والبينة وليس له في العلم غير هذا لا يعرف مقالا ولا باطلا ولامعقولا ولا منقولا ولا دليلا ولا مدلولا ولا يعقل شيئا من أمور الشرع فضلا عن غيرها من أمور العقل ولكنه أشتاق إلى أن يدعى قاضيا ويشتهر أسمه في الناس ويرتفع بين معا رضيه وأهله فعمد إلى الثياب الحميدة فلبسها وجعل على رأسه عمامة كالبرج وأطال ذيل كمه حتى سار كالخرج ولزم السكينة والوقار وأستكثر من قول (نعم) و(يعني) وجعل له سبحه طويلة يديرها في يده ثم جمع له من الحطام قدرا واسعا وذهب به يدور في الأبواب ويتردد في السكك استعان بالشفعاء بعد أن رشاهم ببعض من ذلك المال ليشتروا له هذا المنصب الجليل الذي هو بعد النبوة في مكان يترجم عن كتاب الله وسنة رسوله الأمين ثم يذهب هذا الجيل البائس إلى قطر من الأقطار الوسيعة فيأتي إليه أهل الخصومات أفواجا ليحكم بينهم بحكم الطاغوت وهو في الصورة حكم الشرع لأن هذا القاضي المخذول لا يعرف من الشرع ألا اسمه ولا يدري من الشرع بشيء بل يجهل حده ورسمه فتنتشر محنه في ذلك القطر الواسع من الطواغيت ما يبكي عيون الإسلام وتتصاعد عنده زفرات الأعلام أو كيف يبتدأ إلى فصل الخصومات بالحق جاهل أشترى هذا المنصب كما يشترى ما يباع في الأسواق من المتاع".

إن نظرة المنصور علي قاصرة وفهمه لا يتجاوز الموقف السلبي لمعنى الأمن والاستقرار فقد زاد الأمر سوء تصرفاته المتناقضة واستترا وبطانته وبعض من كان يعتمد عليهم من

الوزراء فكانت النتيجة طريقا مسدودا سقط المنصور في آخره[1] تلك الأوضاع مثلما أدت إلى تهاوي أطراف مملكته تحت أيدي دعاة الحركة الوهابية استغلها أدعياء الإمامة بالخروج على المنصور علي كعادتهم في استغلال مآسي القبائل في مختلف الأزمنة لتحقيق مآربهم فقد خرج عليه الهاشمي **حسين بن علي بن قاسم الصعدي** حيث دفع قبائل برط وسحار ومن حاشد بني صريم ، وخيار والعصيمات ويقول جحاف في تاريخه أن الداعي لخروجه هو الطمع في الإمام للزيادة منه عن المعتاد زيادة العائد الذي كان يعطيه ويقول: (طمع هذا السيد كان ذر يعه يخفي تحتها طموحا سياسيا) وهذا سبب تكرر عند صراع أدعياء الإمامة في كثير من الأزمنة.

وقامت الحروب بين القبائل المؤيدة للصعدي وبين القبائل المؤيدة للإمام بقيادة **يحيى بن علي المتوكل** ولظلم المنصور علي وفساد حكمه خرجت أيضا قبائل خولان بقيادة **علي بن راجح الخولاني** ، واتجهت نحو جهران وآنس وعند عودتها تقاتلت مع جموع مواليه للإمام بقيادة **العبد فيروز المهدي**.

وتوجه **حسين بن علي بن قاسم الصعدي** صوب صنعاء فدفع الإمام قبيلة همدان لقتالهم ومنعهم من الوصول إلى صنعاء وكان ذلك فيما يسمى معركة سرجين.

وهزم **حسين بن علي بن قاسم الصعدي** وقبائل ذو محمد وهكذا كانت واستمرت أساليب الأئمة في دفع قبيلة ضد أخرى فتأصلت العداوة بين القبائل ، وكان من أسباب استجابة همدان للمنصور علي ما كان من ذو محمد وذو حسين من غزوات على همدان بدفع من الأئمة فكان ما قامت به همدان انتقاما لما سبق وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن أساليب الأئمة هي التي راكمت الأحقاد والعداوة بين القبائل اليمنية .

ويرى العلامة الشوكاني أن الذنب ليس ذنب العامة فإنهم أتباع كل ناعق ، وأن قيل لهم هذا حق تعصبوا له ، وإن قيل لهم هذا باطل تعصبوا ضده ، وإنما الذنب ذنب الفقه الناقص الذي يرمي بالكفر كل من أراد أن يتحرر ويجتهد ويستقل برأيه .[2]

إن عدم قيام كل من ثاروا على حكم الأئمة باليمن بتغيير الثقافة المجتمعية بين العامة ولم يجهدوا أنفسهم بتصويب الانحرافات المذهبية التي انتشرت بين العامة وأصبحت كمسلمات هي السبب في استمرارية أدعياء الإمامة في إشعال الفتن .

(١) – الدكتور العمري – مائة عام من تاريخ اليمن الحديث .

(٢) – الإمامة وخطرها على وحدة اليمن – أبو الأحرار محمد محمود الزبيري .

واستمراراً للصراع بين أدعياء الإمامة من بني القاسم خرج:-

علي بن إسحاق [1]:-

مدعيا الإمامة بنفس طرق من سبقه بالتجائه سنة (١١٩٤هـ - ١٧٦١م) إلى قبيلة أرحب القوية مستغلا فساد حكم المنصور وتذمر القبائل منه وإسحاق هو من آل القاسم أنفسهم وذكر جحاف في تاريخه أن سبب خروجه هو زيادة مقدار الضرائب المفروضة على أملاكه بحيس من قبل عامل الإمام زياد الحبشي ،فجمع ابن إسحاق القبائل من أرحب وبني الحارث في منطقة بني جرموز ودفع المنصور المقاتلين من قبائل همدان بقيادة العبد سرور وعباس المتوكل وآل خليل"مشايخ همدان" وعسكر بالقبائل في قرية الجاهلية همدان ووقعت صدامات بين الطرفين بدون أي نتائج وفي هذه المدة عادت خولان للثورة من جديد ضد المنصور فهاجموا الداخلين إلى صنعاء جنوب المدينة فأستمال المنصور قبائل سنحان المجاورة فغارت على خولان وأدركتها عند بلده أسناف فواجهتهم أيضا قبائلها فوقعت مقتله مع خولان أخذ منها ما سلبت وهربت جموعها مكتفية من الغنيمة بالإياب إلى ديارها.

ولم تكن العودة إلى البلاد إلا لجمع ما تشتت من قوتهم وعادت قبائل خولان معلنة العصيان بحجة أن المنصور قد قطع "مصاريفهم"[2] وتوجهوا إلى بلاد آنس "وأنتهبوا من وجدوه من أهلها وخوفوا المسافرين وقطعوا السبيل " فأستدعى المنصور **العبد زياد** من مواجهة ابن إسحاق وأرحب لمعاقبة خولان وكانت الدائرة عليه فقتلوه وقتلوا صهره **ابن بقراط** وثالثا من عبيده وتمكن بعض من تبقى من جماعة زياد من القبض على بعض من خولان وضربت رؤوس ثلاثين منهم وعلقت رؤوسهم في باب اليمن [3] وقد قبض على بعض من قتلوا وهم بمدينة صنعاء وليسوا ممن شاركوا في القتال ومنهم الشيخ محمد بن حسين الفهدي " ثم أمر بضرب أعناقهم وتتبعوا بصنعاء جماعات خولان فوجدوا بالجامع الشيخ محمد بن حسين الفهدي فجاءوا به فأمر بضرب عنقه معهم فكان جملة القتلى من خولان ثلاثين نفراً وعلقت رؤوسهم بباب اليمن[4] .

ودأب الأئمة هذا هو تطبيق للفكر الهادوي الذي راكم العداوة بين القبائل المتجاورة وأهم العوامل التي جعلت تلك القبائل تنقاد لهم هو انتشار ذلك الفكر كثقافة مجتمعية

(١) - الدكتور العمري .

(٢) - مصاريفهم أي عائد نقدي كان يدفعه الأئمة لتلك القبائل عند دفعهم للقتال وإخضاع القبائل الأخرى وعند دفعهم لبسط نفوذ الأئمة على المناطق الوسطى

(٣) - جحاف - ص ٧٦-٧٧ ..

(٤) - جحاف - ص٧٨ .

أصلت وجوب طاعة الإمام ، طاعة مطلقة وإن طاعة الإمام هي طاعة لله تلك الثقافة تزتكز على أراء الهادي في مسألة الإمامة والتي تتلخص في :

١- التميز السلالي " الإمام الذي تجب طاعته أن يكون من ولد الحسن أو الحسين عليهما السلام ، ويكون ورعا ، تقياً ، صحيحاً" ..ألخ ، وغيرها من الصفات[1].

٢- أصل للصراع والتنافس بين أبناء هذه السلالة فحدد ما يجب على من يدعي الإمامة فعلة بقوله " :قائما بحقه شاهرا لسيفه، داعيا إلى ربه، مجتهداً في دعوته ، مفرقا للدعاة في البلاد، غير مقصر في تأليف العباد، مخيفاً للظالمين ....إلخ ، فهم له خائفون وعلى هلاكه جاهدون يقيهم الغوائل ويدعو إلى جهادهم القبائل متشردا عنهم خائف عنهم لا تردعه ولا تهوله الأخواف ....فمن كان كذلك من ذرية السبطين الحسن والحسين فهو الإمام المفترض طاعته الواجبة على الأمة نصرته..." ثم يستمر في دفع أبناء هذه السلالة ومن قصر في ذلك كانت الحجة لله عليه قائمة صادعة منيرة "[2].

٣- أصل الهادي أن الإمامة حق من الله لمن تتوفر فيه الشروط من أبناء هذه السلالة ، ويؤكد ذلك الهادي بقوله فمن كان من أولئك كذلك قد حكم الله له بذلك رضي بذلك الخلق أم سخطوا وقال وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام إن الإمامة بزعمهم إنما تثبت للإمام برضى بعضهم وهذا فأحول المحال وأسمج ما يقال به من المقال بل الإمامة تثبت بتثبيت الرحمن لمن ثبتها فيه وحكم بها له من الإنسان رضي المخلوقون أم سخطوا شاءوا ذلك وأرادوا أم كرهوا "[3]...إلى أن قال: "الذين أختارهم بعلمه وفضلهم على جميع خلقه وجعلهم الورثة للكتاب المبين الحكام فيه بحكم رب العالمين ختم بهم الرسل وجعل ملتهم خير الملل فهم آل الرسول "ص" وأبناؤه وثمرة قلبه وأحباؤه وخلفاء الله وأولياؤه " .

ذلك الفكر قد قام على التميز السلالي والاستعلاء منحرفاً عن ثوابت الشرع القائمة على العدل والمساواة ومقاصده المتمثلة في عالمية الإسلام وخلوده ، فجعل حكمهم من الله وليس من الناس وجعلهم الورثة للكتاب وجعلهم خلفاء الله وأولياؤه ولم ينتشر ذلك الفكر إلا بعمل الأئمة الدائم على تجهيل الأمة وحكر التعلم في أبنائهم وفقهائهم ونشر ذلك الفكر ومنع أي فكر مصوب له أو مخالف .

---

(١) – الأحكام – الهادي بن حسين الرسي .ص ٤٥٩ .
(٢) – الأحكام – الهادي بن حسين الرسي – ص ٤٦٠ .
(٣)– الأحكام – الهادي بن حسين الرسي – ص ٤٦٠ –٤٦١ – ٤٦٢ .

ونعود إلى تاريخ المنصور علي ابن المهدي عباس :

فقد قبل جميع شروط **ابن إسحاق** وهي دراهم تعطى له كل شهر وكفايات وأن يعطى له منطقة وصاب وحيس وبعد موافقة الإمام على هذه الشروط أشترط ابن إسحاق البقاء بأرحب فلم يوافق..

وهكذا نرى أن أساليب الأئمة قد زرعت عداوات بين همدان وأرحب وبين همدان وبنو الحارث وزرعت عداوة وثأر بين سنحان وخولان بالإضافة إلى ما رافق تلك التمردات من عداوة بين القبائل المتمردة والقبائل والمناطق المعتدى عليها ، وبذلك فإن هذا الفكر قد خالف أحد أصول الدين وهو الوحدة ونتيجة لعدم الاتفاق بين المنصور وابن إسحاق فقد بقي كل واحد يقوم بدورة في استماله القبائل وبالتالي دفعها للاقتتال وهذه هي الحالة التي تكررت بأساليبها ووسائلها مع الأئمة والخارجين عليهم في أغلب الحقب الزمنية التي أججوا فيها الفتن بين الأخوة فتأصلت النعرات القبلية وكأن هؤلاء المعتنقون لفكر الهادي السلالي قد عملوا عكس ما أمر الله به في قوله تعالي {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ} آل عمران١٠٣ . [***]

وأستمر الإمام في بذخه بصنعاء وابن إسحاق في أرحب وأثناء ذلك كان القحط والجفاف قد دفع قبائل برط إلى التوجه إلى صنعاء وعسكروا بمنطقة الرحبة شمال صنعاء فحاول استمالتهم ابن إسحاق فتوجه إليهم وطلب مساعدته للتوجه إلى وصاب حيث له أملاك بها واستغلت برط ذلك وقامت بهجمات على الأعناب والمزارع القريبة من صنعاء وهرب سكان تلك القرى فرضخ المنصور لبرط وأعطى أموالا كثيرة لكبار هم فعادوا إلى بلادهم.

وكان خوفه الأكبر من نجاح تحالفهم مع ابن إسحاق [(١)] ولولا ذلك لما دفع لهم وكان هذا سنة ١١٩٥هـ ذلك التعامل نمى الولاء للقبيلة على حساب الولاء لليمن ثم للأمة.

وفي العام التالي ربما كان موسم الأمطار شحيحا والمراعي مجدبة ، فانطلقت قبائل برط من أقصى الشمال وعسكرت في الرحبة في جماد ١١٩٦هـ يقودها **القاضي عبد الله بن حسن العنسي** .

فأتفق ابن إسحاق والعنسي على مهاجمة صنعاء وفي جماد الآخر توجها من الرحبة بقبائل أرحب وبرط ومروا من جوار قاع اليهود غرب صنعاء فأمطرهم الحراسة رصاصا فمضوا ليعسكروا في حده وجمع المنصور القبائل القريبين من صنعاء وتقدم بهم إلى سنع

[***] – المراجع التاريخية والأحداث " مائة عام من تاريخ اليمن " – الدكتور حسين العمري .

(١) – جحاف .

وهي قرية ملاصقة لحده عالية عليها، بقيادة **الأمير مرجان وريحان وأبنه أحمد** ووقع من الجانبين قتلى وفر ابن إسحاق والعنسي وقبائلهما وتوجهوا جنوبا إلى وعلان قرية من بلاد الروس مديرية صنعاء وقاموا بالنهب خلال مرورهم إلى أن استقروا بجبل بعدان فجمع المنصور قبائل من نهم وخولان ووقعت بينهم معارك وزادت العداوة بين القبائل والثارات ولتكرارها الدائم تنشئوا عليها.

فعاد **العنسي وابن إسحاق** إلى الشرق وعاد **الأمير مرجان** إلى المنصور وطالبه بأموال كان أنفقها فلم يكن من المنصور إلا معاقبته بالضرب والسجن.

وبعد تلك الحروب الدامية التي عمت البلاد من أقصاها إلى أقصها أتفق ابن إسحاق والمنصور علي بواسطة **القاضي حنش** فأنسحب ابن إسحاق سرا من المعسكر الذي كان يجمعه مع **العنسي** وتوجه إلى يريم فوصل إلى صنعاء في ربيع ١١٩٩ هـ وأستقبل بحفاوة خارج المدينة وأستقبله المنصور بالبشاشة والترحاب وأنعم عليه أتم النعم حسب ما وصف جحاف والشوكاني .

وأتفق الهادويان وكأن شيئا لم يكن من تلك الحروب والمآسي وهذا يثبت أنهما السبب في اقتتال تلك القبائل سواء بخلافهما معا أو بسبب ظلم المنصور علي وبذخه وترفه أو بسبب ما اعتادت عليه القبائل اليمنية من قبل آبائهم وأجدادهم من وقوف إحداها مع الإمام وأحدها مع الذي خرج عليه، وهذه الأفعال هي من شروط الإمامة في فكر الهادي حيث يذكر من شروط الإمام : مخيفاً للظالمين .... فهم له خائفون وعلى هلاكه جاهدون يبغيهم الغوايل ويدعوا إلى جهادهم القبائل ...ألخ (١).

بعد ذلك أستقر ابن إسحاق بالروضة وعمل على بث المغالاة في التشيع عن طريق نظم القصائد الشيعية وجعل الناس ينشدونها ويضعون لها ألحانا وكان هذا التطرف في التشيع أسلوباً لبث تميزهم على العامة فيعملون على زيادة التشيع لعلي كرم الله وجهه وأبناءه وهم ورثتهم وفقاً للفكر الهادوي حيث يقول "وفضلهم على جميع خلقه وجعلهم الورثة للكتاب المبين الحكام فيه بحكم رب العالمين ختم بهم الرسل وجعل ملتهم خير الملل فهم آل الرسول "ص" وأبناءه وثمرة قلبه وأحبائه وخلفاء الله وأولياءه (٢)" إن هذا هو الانحراف عن صحيح الشرع القائم على المساواة بين المسلمين .

---

(١) – يحيى بن الحسين الرسي كتاب الأحكام باب القول في صفة الإمام .

(٢) – نفس المرجع السابق – باب في القول فيما تثبت به الإمامة للإمام .

وحاول ابن إسحاق إعادة علاقته بأهالي برط فقضى عليه المنصور وسجنه لمدة ثمان سنوات بقصر صنعاء وعاد العنسي بالخروج والتوجه إلى المناطق الوسطى بقبائله وقبائل خولان والحداء ووصل إلى بعدان وحاول السيطرة على مناطق يريم وعمت الفتنه بقتال هذه القبائل مع من أتباع المنصور واجتزت رؤوس ثلاثة من برط وأرسلت إلى المنصور، وفي الجانب الآخر قام خمسمائة رجل من ذي محمد بالهجوم والنهب على وادي ظهر على مقربه من صنعاء.

واستمرت تلك القبائل إلى عام١٢٠٠هـ - ١٧٨٦م في سيطرتها على المناطق الوسطى إلى أن رضخ المنصور لمطالبهم وأرسل القاضي احمد محمد الحرازي للصلح ودفع لهم مالا واسعا.

وتبقى بعض من تلك القبائل بقيادة عنسي آخر هو **احمد بن علي العنسي** ووقعت حروب بينه وبين اتباع المنصور علي في مناطق الشعر وخبان ثم خرج منها
وفي عام ١٢٠٨هـ عاد **القاضي حسين بن حسن العنسي** بالخروج على المنصور مع قبائل من ذي محمد وتحصن بهم في حصن حمر وناصره أهالي الشعر فصالحه المنصور على دخن [1] فقبل العنسي وأوقف أعماله لكن العنسي أستأنف الخروج بعد عام حينما صعد إلى سماره واستولوا على حصن حب ،وخلال تلك الأحداث غادر **عبد الله بن حسن العنسي** بلاده وأنضم إلى أخيه وعبر صنعاء ولم يوقفه المنصور، فكان هؤلاء يدفعهم الأئمة لإخضاع من تظلم من جورهم وقد جعل الأئمة لهم أتباع من الفقهاء والقضاة يسلطونهم ليشهروا بالعلماء الأحرار الذين يظهرون انحراف هذا الفكر وينتقدوا ظلم وجور الأئمة مثل ابن قاطن والهبل ومثل القضاة آل العنسي الذين كانوا من أكثر المغالين بالتشيع والتمسك بالفكر الهادوي وهم الذين عارضوا العلامة المجدد ابن الأمير الصنعاني في دعوته التصوييبة لانحراف الفكر الهادوي وهددوا بالفتك به .

ويصف ذلك الحال ابن الأمير بقوله :

فيرميه أهل الرفض بالنصب فريـــة ويرمة أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنـــه غـــدا يتابع قول الله في الحـــل والعقـــد

(١) – الدخن هو نوع من أنواع الذرة يميل لونه إلى السواد

ويتبع أقوال الـــنبي محمـــد وهـــل غيره بالله في الشرع مـــن يهـــدي
لئن عده الجهـــال ذنبـــا فحبـــذا به حبذا يوم انفـــرادي في لحـــدي

إن عدم قيام الدولة بمسئوليتها لإعانة من أصابوا بالقحط والمجاعات من القبائل وعدم قيامها بمسئوليتها في بث الوعي الديني لدى تلك القبائل بل كانت تعمل عكس ذلك فتقوم بتأليب قبيلة على أخرى كما لاحظنا سابقا وكما سيأتي.
ولأن الدولة كانت تجعل واجباها مقصورة على الجباية وإنفاقها على أمورها الخاصة ببناء القصور والإنفاق على حاشيتها التي تساعدها بالقيام بعمليه الجباية أو التي توفر لها الحماية وأحيانا تقوم بدفع الأموال لدرء خطر الثائرين .

إن تعمد الأئمة تجهيل تلك القبائل بعدم قيامها بمسئولياتها بنشر تعاليم الدين الحنيف وظلم الأئمة بمختلف أنواعه وبالذات ما أصل من ثقافة الاستعلاء و التمايز ، إن ثورة تلك القبائل تعود إلى جمله من العوامل أهمها الاستبداد الديني والسياسي ، إلا أن الجهل الذي راكمه الأئمة المتعاقبين أدى إلى تحول ثورة تلك القبائل إلى غوغائية نتيجة لعدم قدرة تلك القبائل على التوحد وبالتالي عدم قدرتها علي تحديد أهدافها و تنظيم نفسها.

ولهذا لم تستطع أن تجني ثمار كل الثورات لتغيير الظلم والاستبداد تغييرا جذريا وأهم الأسباب هو تأصيل فكر الهادي لاستحقاق الإمامة لمن هم من البطنين ،كمذهب واجب الأتباع إن حالة الجهل بين تلك القبائل قد شخصها الشوكاني بقوله (وهي كغيرها جاهلة بأمر الدين ولا يوجد بينها من يحسن القراءة والكتابة وهم كلهم (كلهم إلا النادر الشاذ لا يحسنون الصلاة ولا يعرفون ما تصلح إلا به ولا تتم بدونه من أذكارها وأركانها بل لا يوجد منهم من يتلو سورة الفاتحة تلاوة مجزئه إلا في أندر الأحوال)
و كان يستشعر خطر تجهيل القبائل فيدعو إلى تنويرها وتعليمها حيث يقول (لا خروج لمن كان قادرا على إصلاح هذا القسم وهم الرعايا (القبائل) إلا ببذل مال لإصلاح الرعايا وتعليمهم فرائض الإسلام وإلزامهم بها والأخذ على الولاة في الأقطار أن يكون معظم سعيهم وغاية همهم هو دعاء من يتولون عليه من الرعايا إلى ما أوجبه الله عليهم ونهيهم عما نهاهم الله عنه وانتخاب القضاة في كل قطر أولا ممن جمع الله لهم بين العلم والعمل.

فرغم تحقيق الثورة لمكاسب مادية يصعب حصرها مقارنه بما كان إلا أنه لم يكن التغير الثقافي والفكري بنفس الزخم وخاصة التصويب الديني .

ونعود إلى غليان القبائل وعدم رضوخها لحكم المنصور علي فقد خرجت قبائل يام وتوجهت إلى تهامة عام ١٢١٠هـ- ١٧٩٥ م للسيطرة عليها فدفع المنصور علي قبائل حاشد وبكيل (ذو حسين) بقيادة بيت أبو منصر وبنو الأحمر ومن بكيل آل جزيلان ، وهنا نود أن نؤكد على ما أشرنا إليه سابقا من أن عدم تكوين الأئمة لجيش هو المعول عليه ضبط الخارجين أدى بالأئمة إلى استخدام القوى القبلية الأمر الذي جعل هذه القبائل تتمرس على الغزو والقتال لكسب الرزق مما أدى إلى قيام تلك القبائل بالغزو عند عدم تكليفها بتلك المهمات من قبل الإمام أو عندما لا يوجد أي خارج على الإمام .

ونعود إلى خروج يام فقد هزمت من قبل حاشد وبكيل ولكنها عادت في العام الذي يليه فهزمت من تبقى في تهامة من قبائل ذو حسين وآل عفراء وآل الشائف بقيادة الأمير **عبد الله جوهر** ، وأسرت نحو (٢٧٠) من ذو حسين ونهبت وسلبت المناطق التي وصلت إليها من تهامة وكما هو المعتاد فإن معاناة القبائل من الجوع نتيجة للقحط والجفاف وعدم تحمل الحكام مسئوليتهم تجاه رعيتهم وفقا لشرع الله ، هي السبب في الغزو والقتال.

بالإضافة إلى عوامل أخرى عديدة سببها الفكر الهادوي وأساليب الأئمة ويؤكد ذلك جحاف حيث يقول (سارت عن ديارها كعادتهم يشكون ببلادهم جوعا وشدة ووصلوا باب الخليفة وحاصروه وتخطفوا وقتلوا وفعلوا الأفاعيل فلم يتحرك الإمام بشيء من ذلك لاشتغاله بنفسه وكان قد أهمه أمر خولان وقلب الفكر في تدبير تدميرهم) وقد تململت خولان وخرجت في عام . ١٢١٠هـ بقيادة **المثنى علي صبر** محاولا انتزاع المناطق التي تخضع للإمام وخاصة المناطق الخصبة التي تدر جبايتها أموال طائلة للإمام.
فبدأ بالاستيلاء على اليمانيتين ثم عنس واستولى على خيرات تلك البلاد ثم أتجه إلى وصاب السافل وعتمه.

تلك التمردات والانتفاضات على الأئمة لم ترتقي إلى أن يقوم المتمردون بإعلان أنفسهم حكام أو أن يشكلوا دولة نتيجة للعلة الواحدة المزمنة وهي الحق الإلهي في حكم البشر لمن هم من البطنين (انسحقت شخصية اليمنيين في ظل الإمامة وحرمت عليهم قيادة بلدهم ، وصار التفكير فيها جريمة دينية وسياسية في وقت واحد ، وشُوه التاريخ اليمني فأصبحنا — لا نقرأ فيه إلا أسماء القديسين الآلهة من الأئمة وأذنابهم وأشياعهم .أما شخصية الشعب فما يكاد يرفع رأسه للعزة والكرامة بطل من أبطالها حتى يسرع به الأئمة

ويبعثوا به مشيعا بلعناتهم إلى قبره ، ثم لا يذكرونه في التاريخ إلا على أنه الباغي عدو الله الفاسق الملحد كافر التأويل إلى آخر هذه الألقاب .

وهكذا استمرت عملية السحق لعروبة اليمن وشخصياتها– الشعبية وثورتها النضالية أكثر من ألف عام)[1]..

ونتيجة لتمرد خولان أستدعى المنصور رؤساء ذو حسين وأمر إلى كبيرهم **يحيى ابن هادي الشايف** بخطته في توجيههم إلى محاربة خولان وتأديبهم و إعطائهم مالا كثيرا ، وأطمعه في(إنالته جميع ما جلبوا به)[2] أي جميع ما جمعوا خولان من تلك البلاد التي سيطروا عليها وهذه ثابتة في نهج الأئمة وأساليبهم وهي تجويع جميع القبائل فإذا ثارت قبيلة لتحصل على قوتها دفعوا بالقبيلة الجائعة الأخرى لتحصل على مبتغاها بالقتال فعند قتال القبيلة مع الإمام فهي مجاهدة وعند قتالها ضد الإمام أو قتالها لقبيلة أخرى بدون أمر الإمام فهي ضالة ومارقة .... الخ

فالتقى الجمعان وقتل من الجانبين ثم تراجعت خولان وقتل منها مائتين وكانت المعركة في قرية (عيشان) غربي ذمار وعادت قبائل ذي حسين إلى صنعاء بأحمال الغنائم التي هي في الأساس منهوبة من المناطق المنكوبة ،وقد أستقبلهم المنصور..

وأكرمهم وكأن أمر جريمة استباحة الأموال والدماء التي عانى منها أبناء اليمانيتين وعنس وآنس ووصاب وعتمه لا يعنيه فقد سلبها من أصحابها خولان وهو أرسل من يسلبها من خولان فسلبتها قبائل ذو حسين وتقاسمتها مع المنصور علي ، فما هو الفرق بين الاثنين وأين حق المستضعفين في نهج وممارسة هؤلاء الأئمة وأين هم من القيم الإنسانية فما بالك من القيم الإسلامية.

أما آل العنسي وقبائل ذو محمد فإن هجماتهم استمرت على المناطق الوسطى والسفلي بالطريقة والأسلوب نفسيهما وكان رد فعل المنصور القتال مره والمصالحة ثانية والإهمال أخرى ورغم ذلك كله لم تسلم اليمن من داء الهادويين المزمن وهو الصراع فيما بينهم على الحكم حيث خرج على المنصور علي **إسماعيل ابن احمد الكبسي عام ١٢٢١** هـــ ودعا لنفسه بالإمامة في منطقة طفير وحجه وتلقب بالمتوكل على الله وبعث برسائله إلى مختلف القبائل ولكنه لم يفلح للأوضاع السابقة إلى أن توفي سنة ١٢٢٣هـــ ولم ينجح أيضا لعدم التجائه إلى قبيلة قوية ، واستمرارا لفتنة الصراع بين الهادويين على الحكم خرج

---

(١) – الإمامة وخطرها على وحدة اليمن – أبو الأحرار محمد محمود الزبيري

(٢) – جحاف .

(*) – للمزيد من المعلومات عن الأحداث وتواريخها (مائة عام من تاريخ اليمن – د. حسين العمري)

حسين ابن عبد الله الكبسي قاضي الروضة ١٢٢٢هـ وكانت خطورة هذا الخروج لقرب موقع تمركزه و استطاع أن يجمع إلى جواره قبائل من خولان وسانده أهل الروضة وراسل الدعاة إلى مختلف المناطق خاصة قبائل برط بقيادة عبد الله العنسي وسانده الهاشميين كبيت أبي طالب وابن أخو **المنصور علي احمد ابن عبد الله ابن المهدي عباس**
ويبدو أنه كان طموحا لمنصب الإمامة وعلى خلاف مع عمه المنصور[١] وكان أول ما دعاه هذا الخارج بأنه قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢]وكان أول ما أمر به من معروف ونهى عن المنكر هو نهب دار المنصور بالروضة (دار البشائر) وبيوت أهل صنعاء المغلقة التي كان يغادرها أصحابها من الميسورين في غير موسم الخريف " موسم جني الثمار " .. وحاول **المنصور علي** الصلح معه بإرسال **القاضي أحمد محمد الحرازي** برسالة حررها الإمام الشوكاني فصمموا على ما عزموا عليه وحاول الأمير **أحمد ابن المنصور علي** أن يقنع آل الكبسي بالتراجع ولكنه لم يفلح .

فعمل على منعهم فأستخدم نفس الأسلوب ، وهو دفع كل واحد منهما لقبيلة أو مجموعة من القبائل حيث قام أحمد ابن المنصور بدفع قبائل بني الحارث وبلاد البستان (قبيلة بني مطر) وكان أسمها (بني شهاب) وبني حشيش وهي من القبائل القريبة من العاصمة (وهذه القبائل بالإضافة إلى قبيلة سنحان وقبيلة بلاد الروس وقبيلة همدان وعيال سريح وبني بهلول وكانت على مر الزمان من أهم العوامل في قدرة الأئمة على حكم صنعاء ثم اليمن حيث تمثل هذه القبائل طوق على صنعاء وموالاتها لحاكم صنعاء يردع أي خارج ،بالإضافة إلى كثافتها العددية وتمرسها على القتال لأنخراط أفرادها في جيوش مختلف الدول التي حكمت صنعاء) وقد جمع **أحمد ابن المنصور** قبائل بني الحارث وبلاد البستان وبني حشيش في قرية الجراف المجاورة للروضة فسيطر على مداخل الروضة ومنابع المياه فلم تمضي إلا أيام قليلة حتى أستسلم الكبسي ومناصريه وأودعوا السجن حتى مات بالسجن حسين الكبسي وأحمد ابن عبد الله ابن المهدي.
ولم يدعو للإمامة من بيت الكبسي سوى هؤلاء منذ مقتل حمزة ابن أبي هاشم الحسني في أرحب (٤٥٨هـ - ١٠٦٦م)والذين يدعون الانتساب إليه [٣].

وخرج على المنصور علي وأبنه أحمد بيت شرف الدين في كوكبان فدفع قبائل ذو حسين المحاصرة لصنعاء مع قبائل الحيمه وبني مطر وهمدان وعيال سريح بقيادة أحد قادته

---

(١) - الشوكاني - البدر الطالع .
(٢) -جحاف : ٤٦٠ .
(٣)- زبارة - نشر العرف .

من العبيد الأمير فيروز في حملة على كوكبان لإخضاعها وذلك سنة ١٢٢٣هـ - ١٨٠٨ م وكانت أول معركة لهذه القبائل مع أهل حبابه (وهي مدينه صغيره ما بين مدينة ثلا وشبام) فوقع عدد من القتلى ونهبت الممتلكات وحوصرت كوكبان حتى خضعت المنطقة كلها لسلطان صنعاء[1] ونكرر ما ذكرناه سبقا من أن كثرة دفع الأئمة لبعض القبائل للقتال والغزو لفرض سلطاهم قد جعلهم تمتهن ذلك في حالة القحط بدون استدعاءها (ويؤكد ذلك أن قبائل برط من ذو محمد وذو حسين التي كانت تحاصر صنعاء كان من ضمن ما أرضاها به احمد ابن المنصور هو تكليفها بإخضاع كوكبان وما حولها.

إن هذه الوسائل قد استخدمها كل الأئمة وكانت نتائجها تراكم العداء المتبادل بين القبائل اليمنية وبين القبائل والحواضر وكانت في نفس الوقت تشغل الجميع عن الإمام ونظامه وكان ذلك سببا في عدم قدرة هذه القبائل على توحيد صفوفها تحت قياده واحدة).

خروج خولان مرة أخرى :-

لكل ما ذكرناه من فكر وأساليب الأئمة الهادويون أستمر الغليان والعصيان فقد خرجت خولان ١٢٠٣هـ **بقيادة محمد بن سعيد أبو حليقه الخولاني** وهو من الذين خلقوا الاضطرابات لإدارة المنصور فقد عمل هذا مع عمال الإمام في المناطق الوسطى وأخضع أهالي تلك المناطق لعمال الإمام ورأى أساليبهم وطرائقهم الظالمة وجمع قدرا من المال وعاد إلى بلاده فجمع رجالا من خولان وتوجه إلى منطقة حبيش في المناطق الوسطى فسيطر عليها وأحتل حصن الحفاء وسيطر على غالبية المناطق الوسطى وكاد أن ينهي سلطة عمال الإمام على تلك المناطق.

وأستمر لمدة سبعه عشر عاما حتى قتل عام ١٢٢٠هـ وخلال تمرد خولان بقيادة أبوحليقه ، أستمال الإمام قبائل عيال سريح وقبائل همم وغيرهم ودار القتال بين تلك القبائل وخولان.

والإمام المنصور علي يبني قصوره ودوره ويعيش حياة ترف وبذخ مع هوايته في مجالسه النساء من الجرائر والإماء

وكانت تلك القبائل تهاجم تلك المناطق وتستولي عليها بسهوله لعدم وجود حاميات

(١)- جحاف : ٤٨٨.

عسكرية تردعها حيث لم يكن عمل عماله سوى إخضاع أهالي تلك المناطق لجباية الأموال والتسابق بينهم على من يجمع أكثر.

وكانوا يعودون بأموال طائلة لأنفسهم غير التي يدفعونها للمنصور مما أدى بالمنصور إلى محاولة سلب تلك الأموال لنفسه أو اقتسامها معهم ومن يرفض كان ينكل به أو يسجنه أو يصادر ممتلكاته لنفسه، كل هذه الأحداث كانت نتيجة فكر الأئمة واستبدادهم الذي أدى أيضا إلى سقوط المخلاف السليماني عسير وجيزان حتى حدود الحد يده تحت يد الحركة الوهابية الذي أسسها الشيخ محمد عبد الوهاب (١١١٥ – ١٢٠١هـ) والتي أطلقت على نفسها اسم الموحدون والطريقة المحمدية وهم من أهل السنة على مذهب الإمام احمد بن حنبل أفكارهم مأخوذة من أراء الإمام الحنبلي ابن تيميه توفي سنة (٧٢٨هـ - ١٣٢٨م) والذي هاجم بشده التزليف للأولياء وزيارة الأضرحة والقبور وتعظيمها وهذا يتفق مع أ راء الهادويه في اليمن وكان الإمام الشوكاني وغيرة من علماء اليمن يذكرون ذلك ويجلون ابن تيميه فكتب عنه الشوكاني كثيرا وشرح كتاب جد ابن تيميه (عبد السلام توفي سنة ٦٥٢ هـ بكتابه المشهور نيل الأوطار) وقد انتشرت الحركة الوهابية في كثير من مناطق الجزيرة العربية ووصلت إلى مدينه كر بلاء في سنه ١٢١٦ هـ وسيطرت على مكة ١٢١٨ هـ وعلى المدينة في السنة التالية وخربت الأضرحة والقباب وزحفت إلى العراق وسوريا شمالا،وعملت على توسيع نشاطها في اليمن إلى تهامة جنوبا ويرى البعض انما يؤخذ على الوهابيون الجمود نتيجة للمبالغة بحجة التقيد بأفعال السلف الصالح وتكفير من يخالفهم .

وكان المخلاف السليماني يحكم من قبل أشراف آل خيرات وكان الشريف حمود ابن محمد أبو مسمار (١١٧٠ –١٢٣٣هـ / ١٧٥٦ – ١٨١٨م) يحكم المخلاف السليماني باسم الإمام المنصور كما كان أسلافه يفعلون باستمداد ولايتهم من حكام صنعاء وقد استغاث بالمنصور علي فلم يغثه فقاتل ما استطاع الوهابيون ثم تصالح معهم وحكم باسمهم وبدأ يبث مذهبهم في تهامة حتى وصل إلى حدود الحد يده وأجزاء من حجه والمحويت والإمام منهمك بنسائه وقصوره.

إن الظلم مخرب للعمران وان عائد الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاض، و وباله عائد على الدول ولا تحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب – كما هو المشهور، بل الظلم أعظم من ذلك وكل من أخذ ملك أحد أو أغصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقا لم يفرضبه الشرع فقد ظلمه فجباة الأموال بغير حقها ظلم والمعتدون عليها ظلمه والمنتهبون لها ظلمه والمانعون لحقوق الناس

ظلمه واغتصاب الأملاك على العموم ظلمه ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها لذهاب الأموال من أهله[1] وهذا كله وبعضه ينطبق على الأئمة الهادويون .

---

(١) – ابن خلدون والمقدمة : ٢/ ٩٦.

المبحث الثالث

حروب أدعياء الإمامة "١٢٢٤هـ المتوكل احمد إلى ١٢٥١هـ وفاة المهدي عبد الله .

المتوكل احمد ابن المنصور علي ابن المهدي عباس ابن المنصور حسين (١٢٢٤ – ١٢٣١ هـ):-

أنتزع الحكم من أبوه وفعل ذلك طموحا في الاستيلاء على السلطة والرغبة في الحكم وكان الباعث لهُ والمعجل لذلك ما وصلت إليه البلاد من تدهور نتيجة لحكم أبيه المستبد القائم على الأساليب الفاسدة التي أدت إلى خطر محدق على الأب والابن معا .

فكان عليه أن يتحملها رغبه وطموحا أو كرما واضطرارا [(١)] وبالإضافة إلى ما سبق من فساد نظام حكم المنصور وعصيان القبائل وخروج أدعياء الإمامة عليه ظهرت مشاكل تضيف تعقيدا للأمور وإرباكا للأداره في صنعاء وخطراً على الإمام كحركة آل الكبسي في الروضة على بعد بضعة أميال من العاصمة والتدهور الاقتصادي الذي وصل إلى حد عدم قدرة الدولة على دفع مرتبات الموظفين والقبائل وبشكل خاص المقاتلون العائدون من زبيد وبلغت الأزمة ذروتها بحصار القاضي العنسي لصنعاء بقبائل برط وكان المتوكل احمد يقود حمله لإخضاع حراز وطلب أثناءها من أبيه أن يزوده بجنود وأموال لمواصلة سيرة إلى تهامة لرد المد الوهابي ولكنه لم يلقى إجابة من والده وقيل أن ذلك بنصيحة من الوزير حسن العلفي فعاد إلى صنعاء ولقيته قبائل سنحان وبني الحارث وهمدان إلى قرية المساجد [(٢)] وأصر المنصور على عدم دخول أبنه احمد صنعاء ولم ينثني أحمد ووصلت الوساطة إلى طريق مسدود ونتيجة لما وصلت إليه أحوال الناس من تردي وخروجهم إلى المتوكل احمد وافق المنصور علي دخوله فانفلتت الأمور وعاش الناس في فوضى واضطراب وارتفعت الأسعار ذلك أن المنصور كان يغير عملته كلما واجهته أزمة مالية فكانت نسبة الفضة تقل في كل صك جديد وكان يختفي الريال ويندر من أيدي الناس حتى انخفضت القدرة الشرائية لهذه العملة جدا وعندما وصل التدهور إلى منتهاه أمر بضرب عمله جديده وكان التعامل بها ابتداء من يوم الأحد جماد الآخر ١٢٢٢هـ وهذا الأجراء زاد من تدهور الاقتصاد "فخسر[(٣)] الناس أموالهم النقدية وازداد الفقراء فقرا وأصبح تجار الحبوب اكثر جشعا حتى خاف أولاد الإمام من الخروج لأداء صلاة الجمعة

---

(١) – العمري – مائة عام من تاريخ اليمن الحديث .

(٢) – قرية بني مطر

(٣)– الشجني – التقصار (ق ١٢ ب) : جحاف ٩٤٥.

التي عقبت الإصدار وتكرر الأمر الجمعة التالية وبعد الصلاة تجمهرت الأجناد المتأخرة رواتبهم وسباراتهم وقصدوا قصر صنعاء وحاصروه وأرادوا ضبطه وفتح دار الضرب فمنعهم **الشريف علي بن ناجي** - ورجاله وأغلقوا الأبواب ووعدهم الصبر إلى الليل وإلا عادوا.

وكانت قيمة الإصدار الجديد يعادل قيمة نصف الريال الفضي "الماريا تريزا"، أي إنقاص كمية الفضة وبالتالي قلة القيمة الشرائية إلى النصف ، ولم تسلم اليمن من خفض القيمة الشرائية للعملة نتيجة للإصدارات الجديدة للنقد إلى يومنا هذا ، وتلجأ الدول إلى ذلك لضعف الاقتصاد الناتج عن زيادة الإنفاق على الموارد بسبب سوء الإدارة وفسادها.

وأجتمع بعد ذلك بأسبوعين **القاضي علي بن محمد الشوكاني وحسن بن حسن العلفي وعبد الله بن المنصور بالأمير أحمد بن المنصور** لمحاولة اتخاذ إجراءات لفك الحصار الذي كان قد ضربه الجنود على صنعاء نتيجة لعدم استلامهم مرتباتهم وتدهور أحوالهم وكان هذا التمرد ناتجا عن فساد المنصور علي وقد دبر المجتمعون الحلول لفك حصار صنعاء من قبل الجنود ونجحوا فيها وعادت الأمور إلى طبيعتها وفي بداية شهر شوال من سنه ١٢٢٢هـ وصل **القاضي البر طي يحيى بن عبد الله بن حسن العنسي** لما قابلة **الإمام المنصور** وكان عازما على قتل الوزير **حسن بن حسن العلفي** وتوجه إلى منزله ولم ينجح في مقصده وبعد عشرة أيام أمضاها في صنعاء مع رجاله توجه القاضي لمقابلة الإمام المنصور فخرج الوزير العلفي فطعنه العنسي طعنتين وظن العنسي أنه قتله وفر هاربا وكعادة المنصور في اتخاذ القرارات غير الرشيدة أمر بإهدار دماء ذي حسين في صنعاء فتلقفتهم العامة في الطرقات والأزقة وقتلوا ثمانية عشر رجل منهم نلاحظ هنا أن هذا الأسلوب من الإمام المنصور ما هو إلا استغلال لما زرع من عداوة بين أبناء الأمة الواحدة فقد كان الأئمة يستخدمون القبائل لحصار صنعاء وبالتالي لدخولها وبسط سيطرتهم عليها.

وكان يصاحب ذلك نهب وسفك دماء أهالي صنعاء ذلك هو الدافع لتنفيذ أهالي صنعاء توجيه المنصور بإهدار دماء ذو محمد وذو حسين ونفس فعل المنصور علي سيكرره حفيده الإمام المهدي عبد الله ويهدر دماء ذو حسين في صنعاء وكأنها أساليب ثابتة يكررونها جيل بعد جيل فهذه أساليبهم تحصد ما زرعوه من أحقاد بين الأمة الواحدة عبر العصور.

وكان أخر حدث أهدرت فيه صنعاء للقبائل كان بتوجيه من آخر الأئمة **الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين** حيث أهدر صنعاء للقبائل بعد مقتل والده إثر ثورة ١٩٤٨م.

ونعود إلى قصة العنسي وقبائل ذو حسين فقد التجأ القاضي العنسي إلى أحد البيوت في

صنعاء وتوجه **الأمير احمد بن المنصور علي** لمحاصرة ذلك المترل وتفاوض مع العنسي أن يسلم نفسه في وجه الأمير احمد شخصيا فتم ذلك ووضع في السجن ولكن الإمام المنصور علي لم يراعي عهد أبنه الذي قطعه للعنسي فبعد أن أعلن المنصور الأمان لذي حسين بناء علي اتفاق العنسي مع ابنه نقض العهد والاتفاق فأمر في اليوم التالي بقطع **رؤوس القاضي يحيى بن عبد الله العنسي وأبنه صالح وعمه يحيى بن حسن** كان ذلك سنة ١٢٢٢هـ.

ذلك كان نتيجة ما أصله الفكر الهادوي الذي جعل سلطة الإمام سلطة مطلقة، فأصبح أمر الإمام حكم قضائي بات واجب التنفيذ .

إن لاستبداد وطغيان المنصور الذي أذاق اليمن كل أنواع المحن وزاد عليها هذه المحنه وكردة فعل لما حدث قامت قبائل ذو حسين بقيادة عبد الله بن حسن العنسي بالتوجه نحو صنعاء للثأر والانتقام فوصلت صنعاء في ٢٤رجب سنة ١٢٢٣هـ وحاصروها وكانت اليمن تعاني من قحط وجوع مع شح وبخل المنصور ووزيره العلفي ، وقد عانى السكان شدة وضيقا لم يسبق لها مثيل ويكفي للتدليل على بشاعة ما وصل إليه الناس من جوع ما ذكره جحاف (أن امرأة ماتت فكتمت أمرها أمرأة أخرى وادخرتها طعاما فجافت فعلم الناس بها فاخرجوا ما بقي منها ودفنوها وأدرك الناس الجوع الشديد ، وهلك بصنعاء من هلك ولم يقدر أحد أن يخرج الأموات إلى المقبرة وظن الظان أن ما بصنعاء سوء النسوان) ،أي بغي وأي ظلم عرفته الإنسانية أبشع من هذا الحاكم يزرع الفتن ويقطع أوصال الأمة ويسفك الدماء وينفق على بناء القصور والترف والبذخ أموال الأمة لمدة ثلاثين عاما هي مده طالت كقرون لممارسته كل هذا البغي وكأنه سلوكٌ أكتسبه ممن قبله وورثه لمن بعده.

تلك الحالة والوزير العلفي يرفض دفع مستحقات الجنود فما أرسل إليه احمد بن المنصور رسولا يحثه على الدفع إلا ورفض مقابلته فأمر احمد بن المنصور جنوده بالقبض على العلفي وأقاربه وأتباعه المتنفذين في حاشية المنصور ثم اجتمع مع أعيان ووجهاء صنعاء وعمال بلاد الحيمه وبلاد البستان (مخلاف شهاب وتسمى الآن بني مطر بمحافظة صنعاء) وبحضور أخوه عبد الله وحسين وحضر معهم الوزير العلفي الذي حاول أن يبرر موقفه فاخبره احمد بن المنصور بأن الناس قد غطت عليهم المصيبة وماتوا والعلفي معرض عن هذا الأمر وكأنه لا يعنيه

وكان من مؤيدي احمد ابن المنصور **القاضي احمد بن محمد الحرازي والقاضي الشاعر عبد الرحمن بن يحيى الأنسي** وأمر الوزير العلفي أن يطل من النافذة ليرى جموع الجند المحتشدة والمتربصة به لتقتله فرجا الوزير العلفي الجنود أن يمهلوه يوما واحد فرفضوا ذلك

إلا إذا أمر بذلك الأمير احمد فهدئهم وسكنهم وأمر بحبس العلفي وأسرته وأتباعه في القصر ونتيجة لتلك الأحداث قام احمد ابن المنصور بالانقلاب على أبيه فأستدعى حراس أبيه وأبدلهم بعبيد وخياله من عنده فأحاطوا بدار الجامع التي يسكنها ومنعوا الناس من الاقتراب منها وفي المساء وضع عساكر في مختلف المراكز والأماكن الرسمية الهامة في العاصمة وعمل بالإرسال إلى جميع العمال شارحا لهم الموقف ومقرا لهم على أعمالهم.

هذه نهاية المنصور وأشد منها أن تكون نهاية الأب على يد ابنه ، فلم يعرف المنصور ما جرى إلا في ساعة متأخرة من الليل عندما أستدعى وزيرة العلفي وقيل له انه في السجن ، فحاول الخروج بنفسه فأطلق عليه الرصاص فارتد راجعا وحاول **عبد الله ابن المنصور** أن ينصر أباه ضد أخوه.

فلم يفلح وأرسل احمد بن المنصور النقيب نصر الله أحد القادة الأمراء من العبيد فأراد المنصور الخروج إلى القصر فاخبره أن لا سبيل لخروجه فطلب اجتماع بكبار الأعيان فأذن الأمير احمد بذلك فتوجه إليه الأعيان وعلى رأسهم قاضي قضاته الإمام **القاضي محمد بن علي الشوكاني**

ويوجز لنا الشوكاني ماتم حيث يقول انه [1] (افصح له باستصواب ما دبره سيف الإسلام احمد واستحسان ما صنع لكن المنصور اشتكى من ذلك واعتبر الأمر مخالفة وعقوقا من ابنه) فأكد له المجتمعون بأن العكس هو الصحيح (وبأن ما عمله هو محض الطاعة وحسنوا صنيع ولده وانه الأولى بالتدبير في هذه الأمور ولولا ما صنع لكان الخطر متسعا فأبت نفسه أن تقبل الصلاح فقال له الشوكاني : إن راجعت رأيت ما تكره ! وأخاف أن يأمر ولدك بما لا يمكن تداركه وقد فعل أمرا تحمده الخاص والعام والرأي إمضاؤك لفعله واتخاذك له وزيرا ومدبرا فالأمر خطير فلما سمع ذلك علم انه لا مجال لشيء فيما يريده من الأحوال فرضي) وتم الاتفاق على أن يكون احمد بن المنصور وزيرا لإدارة أمور البلاد فأشترط المنصور لنفسه حقوق بلاد يريم وعلى أن الخطبة والسكة وابهة الخلافة غير متحولة عنه فقال ولده : ليس المراد إلا حفظ المملكة والذب عن ضعفاء الناس وانتقل من دار الجامع إلى دار الإسعاد حتى مات بعد ثلاثة عشر شهرا.

وبعد ثلاثة أيام من سيطرة احمد ابن المنصور قام اخوة عبد الله بحركة مضادة لأخيه ظاهرها الدفاع عن أبيه وحقيقتها تكمن في الخلافات والتنافس القديم بين الأخوين وتم الصلح بينهم بواسطة **القاضي محمد بن يحيى السحولي.**

هكذا كان فساد المنصور علي سببا فيما عاناه الشعب خلال فترة حكمه وما تبعه من

---

(١)- الشوكاني : البدر الطالع : ٤٦٦.

أحداث متتالية كانت نهايتها استيلاء أبنه على السلطة ولكننا نلاحظ من الأحداث أن قضية الوصول إلى سدة الحكم (الإمامة) ظل يسيرها فكر الهادي(لمن قام بها ودعا إليها) هذا الفكر هو أحد الأسباب في صراع أبناء الأسرة الحاكمة وتنافسهم على الإمامة ، وهذا ما حصل بين أبناء الأئمة في الأزمنة المختلفة ابتداء من عهد أبناء **الناصر أحمد بن يحيى ابن الحسين** القرن الرابع الهجري إلى الصراع بين أبناء الإمام يحيى من ناحية وبينهم وبين حفيده البدر القرن الرابع عشر إن فكر الهادي في حصر حق الحكم في سلالة معينه لم يواكبه اجتهادات تطويرية تتواكب مع تغير الزمن وزيادة عدد أبناء هذه السلالة خاصة مع توافد من ادعوا انتمائهم إلى هذه السلالة من خارج اليمن ، ويظهر خلال فترة ١١١٦ – ١٢٦٤هـ / ١٧٤٨ -١٨٤٨م حيث اتسمت هذه الفترة بظهور أعلام في الفكر أمثال **ابن الأمير الصنعاني والإمام المجدد محمد ابن علي الشوكاني ويحيى السحولي وأبنه محمد والشاعر والأديب عبد الرحمن الأنسى** فبرغم معاصرة هؤلاء الأعلام المجددين بفكرهم والمكانة التي احتلوها في مجريات الحياة السياسية كلاعبين فاعلين إلا أنهم لم يؤثروا أو يجددوا أفكار الهادي في مسألة الإمامة حيث أن مبدأ الهادي في حرية الاجتهاد لا يطبق إلا في حرية الإمام في اجتهاد الأساليب والوسائل التي توصله إلى الحكم وليصبح ما يراه الإمام أو ينفذه على الشعب من حقه في نطاق هذا المبدأ ولو خالف ثوابت الشرع وما اجمع عليه وهذا ما جعل المتوكل على الله إسماعيل يصدر حكمه الجائر على اليمن أرضا وإنساناً وما جعل الأئمة يحكمون بقتل النفس التي حرم الله بدون حكم قضائي .

وتطبيقاً لمبدأ الهادي القائم على استحقاق الإمامة لمن قام بها ودعا إليها ممن هم من البطنين ذلك الفكر الذي أصبح كثقافة هو الدافع وراء طموح عبد الله ابن المنصور علي في منافسة أخيه أحمد وجعل أيضا أخاهم الثالث محمد رافضا لتوجيهات أخوه أحمد في فك الحصار عن عامل يريم وأطلق يده في المناطق الوسطى دون توجهات من أخيه.

كذلك نلاحظ انه في اجتماع علماء وصفوة صنعاء مع احمد ابن المنصور علي لم يقولوا بخلع المنصور علي رغم اتفاقهم على عدم قدرته على إدارة البلاد بل واتفاقهم على أنه السبب فيما وصلت إليه البلاد من فساد سياسي وتدهور اقتصادي وبرغم موافقتهم على ما قام به احمد ابن المنصور من انقلاب عسكري على أبيه كل ذلك ولم يروا خلع المنصور من الإمامة وتنصيب ابنه .

أوردنا ذلك لإظهار مدى تسلط الفكر الهادوي كموروث عبر الأجيال ومدى قدرة المستفيدين من هذا الفكر على كبت وإسكات أي فكر تجديدي .

وبعد وفاة المنصور ١٢٢٤ هـ - ١٨٠٩م ، بويع المتوكل أحمد وكان أول من بايعه الإمام الشوكاني وهي بيعه كتحصيل حاصل فكان الحاكم الفعلي وبيده مقاليد الأمور.

وبدل بعد توليه الحكم وزرائه وأركان نظامه من أبناء وزراء أبيه أو من أبناء الهاشميين الذين كانوا يعملون مع أبيه كالعلفي والجرافي والمتوكل وعين أبنه الأكبر عبد الله البالغ ثمانية عشر عاما عامل على ريمه وما حولها.

عودة النزاع بين بيت القاسم وشرف الدين :

واستمراراً للصراع بين أدعياء الإمامة الناتج عن الفكر الهادوي الذي ينطلق من مبادئ تؤجج الصراع أهمها ، أن الإمامة لمن قام بها ودعا إليها شاهراً سيفه ، وجواز قيام إمامان في آنا واحد والخروج على الحاكم الظالم ذلك أجج الصراع فيما بين أدعياء الإمامة فأضر بالهاشميين كما أضر بأبناء الشعب لأن كل إمام كان لا يُمكن الهاشميين من المناصب الهامة و يبطش وينكل بمن يعلوا شأنه منهم خوفاً من منافستهم على السلطة إلا أنه وجد خارج أو محتسب على أغلب الأئمة ونتيجة لهذا الفكر الذي أصبح ثقافة مجتمعية ،فقد عاد الصراع بين الأسرتين وكان ذلك الصراع بين بيت القاسم وبيت شرف الدين منذ انتزاع بيت القاسم الإمامة ١٠٥٤هـ بعد القضاء على بيت شرف الدين على يد العثمانيين ، وظل هذا الصراع في عهد جد المتوكل احمد المهدي عباس وأستمر مع المنصور علي وهاهو الآن مع ابنه المتوكل احمد فبعد أن وجه جموع القبائل عام ١٢٢٣ هـ لإخضاع كوكبان وما حولها قبل وفاة أبيه بشهر واحد عاد آل شرف الدين للتمرد والصراع من أجل السلطة بوسائل عدة منها - التحالف مع **الشريف حمود خيرات** ومحاولة الاستقلال بدوله مستقلة وذلك عند شروعهم بصك عمله باسم أمير كوكبان وان يخطب له في المساجد ونتيجة لذلك أرسل المتوكل **احمد القاضي محمد بن يحيى السحولي** فتفاوض مع أمير كوكبان وتم إيقاف صك العملة باسمه وان يخطب في المساجد للإمام المتوكل وان يقطع علاقته بالشريف حمود وكان أمير كوكبان قد سمح لجنود الشريف حمود باستخدام الأراضي التي يسيطر عليها للانطلاق منها إلى حجه لنشر الدعوة الوهابية بتلك المناطق. .

وأرسل إليهم أيضا المتوكل احمد ، **عبد الله بن محمد الأمير** برسالة كتبها الشوكاني وهدأت الأحوال إلى مطلع ١٢٢٨ هـ -١٨١٣م.

فعاد آل شرف الدين وعادت آمالهم بالاستقلال من جديد فكيف يكون خضوعهم وقد توارثوا حكم هذه المنطقة كما توارث آل القاسم الإمامة و وفقا لفكر الهادي لهم الحق الإلهي في الحكم وهم دعوا إلى الإمامة وقاموا بها فأين ذلك الفكر ، وأين أفعال

هؤلاء من قوله تعالى : {وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } الأنفال٤٦.
وغاية وهدف المتصارعين هو الإمامة (السلطة) مهما كانت النتائج .

فتسفك الدماء وتزهق الأرواح ويتصالح الطرفان والكاسب إحداهما والنتيجة هي نفسها يتحملها هذا الشعب ولموقف بني شرف الدين جمع **المتوكل احمد** في صفر ١٢٢٨ هـ القبائل وتوجه إلى المناطق التي يسيطر عليها بيت شرف الدين[1]" كوكبان وما حولها" واستمرت الحملة ثلاثة اشهر وعاد ومعه شرف الدين بن احمد وأخاه عبد الله مع آخرين من كبار الأسر المتنفذة في المنطقة وكان الإمام الشوكاني مرافقا للمتوكل احمد في هذه الحملة كما رافقه في حملته الأولى وقد سجل لنا وصفا لما حصل لآل شرف الدين ليعتبر به أولي الألباب حين أنزلهم من كوكبان إلى مدينه شبام:

ويوم شبام قد رأيت مواعظ ... تخبرنا أن الحياة غرور
رأيت الدهر طأطأ منهم ... وطار يهم والطائرات تدور
وأنزلهم من معقل شامخ الذرى ... وعُطل منهم منبر و سرير
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض ... دخان وإمساك الدخان عسير

وأمضى آل شرفا الدين عاما أو أكثر قليلا في ضيافة المتوكل في صنعاء شبه مأسورين فآه ثم أه كيف يحكم الأئمة على الخارجين على طاعتهم من القبائل بضرب رؤوسهم بحكم سريع وبات وغير قابل للنقض كما رأينا سابقا عند أغلب الأئمة ويحكم على المتمردين من سلالتهم باستضافتهم أو استقبالهم بترحاب أو الخضوع لمطالبهم والإغداق عليهم بالهبات والعطايا
وبعد ضيافة المتوكل احمد لبني شرف الدين عفا عنهم سنه ١٢٢٩ هـ.

وفوض شرف الدين في أداره المنطقة باسمه وكأن شيئا لم يكن ومما يجدر بنا إيلائه عناية هو وساطة الإمام محمد بن علي الشوكاني لآل شرف الدين لدى المتوكل (بإرجاعه بلاده على ما كان عليه ، وكثرت وساطته في ذلك حتى الهمة الله إلى ذلك)[2] والشوكاني كان كما ذكر قد نصح المتوكل بترك غزوته على حصن كوكبان (لأنه لاسبب شرعي يقتضي ذلك فصمم و لم يقبل).

---

(١) – زبارة – نيل الوطر .
(٢) – الشوكاني : البدر الطالع .

إن رأي الشوكاني هذا كان نابعا مما أصل له الفكر الهادوي والهادويون من بعده وذلك بجواز قيام إمامان في وقت واحد وفي هذه الفترة انتشرت ظاهرة بناء وتشييد القباب المرتفعة على القبور وكان الأئمة غالبا يقبرون في أماكن ملحقه بالمساجد أو في مقابر خاصة بهم ولا يقبرون في مقابر المسلمين ليضفي عليهم هالة من التبجيل والتميز حتى بعد موهم (كثيرا من مساجد صنعاء مقبور بها أئمة أو أقربائهم مثل مسجد الابهر، وقبة المتوكل ، مسجد الو شلي ، مسجد صلا ح الدين ، وغيرها مثل مسجد الهادي في صعدة أو قباب تبنى على القبور منفردة ويبني ضريح خشبي مزخرف داخل القبة أعلى القبر مثل قبر **أبوالفتوح الديلمي** بقرية خرابه الخاج ببلاد عنس ، وقبر ابن القاسم في مدينة ريده وغيرها) لقب (بمهدي ريده).

رغم أن ذلك يخالف أراء الهادويه ومذهبهم ،ولذلك طالبهم الوهابيون بهدم تلك القبور .

وذكر الإمام الشوكاني أن المتوكل ووالدة المنصور علي بل والشوكاني نفسه تلقوا رسائل من **الأمير سعود** يدعوهم إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة ، وقد قام المتوكل بهدم القبور والقباب المشيدة في صنعاء وفي كثير من المناطق المجاورة لها في ذمار وما حولها وربما استجاب المتوكل لذلك ليؤكد للوهابيين بأنه لا يوجد خلاف فيما تذهب إليه الحركة الوهابية باستثناء التكفير للآخرين أو التعصب [١] وكان ذلك عام ١٢٢٨هـــ.

وفي عام ١٢٢٩هـــ أرسل المتوكل أحمد حملة إلى تهامة بقيادة وزيرة **علي بن إسماعيل وأمر عامل حجه يحيى بن علي سعد** بالنزول من جانبه.

ووقعت معارك بين قوات **الشريف حمود** خيرات والقبائل الموالية للإمام وعلى رأسها قبائل بكيل من ذو محمد وذو حسين انتصرت جموع الإمام في المعارك الأولى ولسبب أو لآخر أنسحب جزء من جموع الإمام وقد يكون لسوء القيادة أو لنزاع بين القبائل، فجمع الشريف حمود قواته وكانت الغلبة له وقد كاتب المتوكل احمد ،- **محمد علي باشا**- وأظهر تأييده لحرب محمد علي باشا للدعوة الوهابية بإرساله السفن المتوفرة بالسواحل اليمنية حيث قال المتوكل احمد ردا على طلب محمد علي باشا لهذه السفن (إن هذا يسير غير عسير ومرام ليس بالكثير وقد أمرنا عمالنا المحافظين على بنادرنا بأن يحملوا صحبه رسولكم الآغا يوسف كل ما وجده هناك منها).

---

(١) - الدكتور العمري — مائة عام من تاريخ اليمن الحديث .

وقد وجد من ينوب عنه في إعادة المخلاف السليماني من يدي الشريف حمود وللقضاء على الدعوة الوهابية التي كانت وراء الشريف حمود ولم تعد تهامة إلى حكم صنعاء إلا بعد قضاء قوات محمد علي باشا على الدعوة الوهابية وسيطرتها على تهامة بعد ثلاث سنوات من وفاة المتوكل.

وفي عام ١٢٢٩هـ أيضا تمردت على المتوكل برط وأرحب وهم وقبائل أخرى من بكيل وتوجهوا إلى قرب صنعاء ولكنه استطاع أن يشتتهم بالقبائل الموالية له وفي عام ١٢٣٠هـ ثارت قبائل من نهم يقودها هادي أبو لحوم وحاولوا الهجوم على صنعاء واستطاع أن يرجعهم إلى بلادهم.(١)

وقام في هذا العام أيضا بحمله على اليمن الأسفل حيث تمرد عليه احمد بن علي سعد الجماعي وحاول السيطرة على تلك المناطق نتيجة لعدم وجود حاميات بها لأن هذه الحاميات ستكلف الأئمة وهم يريدون جباية أكبر عائد ممكن من تلك البلاد.

المهدي عبد الله ابن المتوكل احمد ابن المنصور علي :-

ونورد هنا فترة حكمه مقارنين وسائل وأساليب حكمه بوسائل وأساليب من سبقوه التي تتمحور ديمومتها من تأثير فكر الهادي الذي تحول مع الأزمنة إلى سلوك يمارسه الأئمة بدون تغيير أو تطوير يتناسب مع تغير الزمان وتغيير احتياجات الناس وواقعهم.

نُصب المهدي عبد الله إماما عام ١٢٣١هـ / ١٨١٦م لم يتجاوز عمره ،الثالثة والعشرون ، وقد بدأ ولايته كوريث لأبيه مجسدا بذلك توارث سلالي بدون مرارة(٢) وتخفي خلف شروط الهاد ويه والتي تنص على العلم وأن يبلغ مرتبه الاجتهاد وضرب بها عرض الحائط .

ونلاحظ ذلك في ترجمة الشوكاني له في البدر الطالع حيث قال (في كل حين يزداد كمالا) ،وأضاف (مع عقل تام وخصال محمودة .... وهو أكبر أولاد أبيه) وليس في هذه الصفات أي أشارات إلى علمه أو مشائخة ولا إلى بلوغه مرتبة الاجتهاد وغيرها من الشروط التي حددها الفكر الهادوي فليس به غير شرط الذكورة والنسب وهذا يؤكد انحراف الأئمة عن الفكر الهادوي مع الزمن ، فإذا كان الفكر الهادوي قد أشترط شروط استحقاق الإمامة لمن هم من ذرية الحسن والحسين ، كتميز سلالي مخالف به ثوابت الدين الحنيف في العدل والمساواة فأن إمامة المهدي هي مخالفة المخالف بشكل تراكمي فقد

(١) - زباره – نيل الوطر .

(٢) – مائة عام من تاريخ اليمن – د. حسين العمري .

كانت توليته ناتجة عن الملك والوراثة والقوة وحب السلطان لا شروط الخلافة (الإمامة وشورى الأمة).

وكان يتصف بسرعة الانفعال واستخدامه عادة تغيير وزرائه وإيذائهم كما وصفه الجراح الإنجليزي (رو برت فنيلي) الذي زار صنعاء سنه ١٢٤٣ هـ ـ ١٣٢٨م وعالج المهدي.

وقد بويع كعادة أسلافه من قبل حاشية هذه الأسرة من وزراء وفقهاء وهؤلاء كدأبهم المحلليين للحكام ،والمرتبطين معهم بمصالح والمنشأين على الفكر الهادوي وخاصة في الاستحقاق السلالي للإمامة فيمن هم من البطنيين لأن هذا الفكر أثمر علاقة تقوم على الشك والريبة والتربص بين الإمام وأقربائه وبين الإمام والهاشميين.

وعليه فأن خوف الإمام هو ممن هم من نفس سلالته ، وخاصة ممن هم من أسرته لأنه يحق لهم الخروج بالحسبة أو بالإدعاء للإمامة ولهذا فمبايعتهم للإمام عند تنصيبه أمر مهم وركيزة أساسيه وأما بقية الشعب فهم تبعا لذلك فمن يبايع من زعماء القبائل يكون مصدر قوة ضد من لم يبايع إذا خرج عن طاعة الإمام (المتمثلة في دفع الجباية والقتال مع الإمام) ووفقا لسلوك الأئمة فأن أي متمرد أو خارج عن طاعة الإمام ولو حتى لم يبايعه أصلا وجب قتاله لأن الإمامة لا تقوم ببيعة أبناء الشعب للإمام فهي حق إلهي لأبناء هذه السلالة رضي الناس أو سخطوا.

يقول الهادي[1] "وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام إن الإمامة بزعمهم إنما تثبت للإمام برضا بعضهم وهذا فأحول المحال وأسمج ما يقال به من المقال بل الإمامة تثبت بتثبيت الرحمن لمن ثبتها فيه وحكم بها له رضي المخلوقون أم سخطوا شاءوا ذلك وأرادوه أم كرهوا" وإن من يرفض بيعة الإمام أو يخرج على طاعته يجب قتاله وينكل به أحيانا إلى درجه أعظم مما يوجب على الكفار .ودرجة العادة أن من يسموا بأهل الحل والعقد هم أبناء تلك السلالة وفقهاء الحاكم وشيوخ القبائل ذات القوه المؤثرة لفرض الإمام ، أما بقيه أفراد الأمة وخاصة المناطق الوسطى والغربية فليس لهم في هذا الأمر شيء واستمرارا لمسيرة النزاع بين أبناء الأسرة الحاكمة أو ممن هم من نفس السلالة عبر الأزمنة بدأ عصر المهدي عبد الله منذ أول يوم أثناء تلقيه البيعة في قصر صنعاء إذ حضر بيت المهدي عباس على رأسهم طالب ابن المهدي عباس ورفضوا الدخول لمبايعته إلا إذا أطلق أملاكهم من الصوافي (المساحة الكبيرة من الأرض التي لا يخالطها أملاك

(١)- الأحكام " كتاب السير – الهادي يحيى بن الحسين .

الغير). وغيرها ويسلمهم البصائر (هي وثائق الملكية) ، ويبدو أن تلك الأملاك صودرت في عهد أبيه أوجده وغالبا في عهد جده وهذا أحد معالم التزاع داخل الأسرة الحاكمة فتوسط الإمام الشوكاني لدى المهدي عبد الله فوافق على مطالبهم لأن عدم تلبية طلباتهم سيتطور إلى قضيه أكبر لأنهم من نفس الأسرة والسلالة كما أشرنا سابقا وفي اليوم الثاني خرج إلى الروضة ووزع قطع الذهب والفضة عليهم بسخاء وبذخ .

ملامح من بغي المهدي عبد الله:-

وفي الجانب الإداري فقد شابه جده في اتخاذ القرارات الطائشة في عزل وزرائه وقادته وعماله ومصادرة أملاكهم[1] وبدأ ذلك بعد شهرين من توليه الإمامة وكانت هذه سمة لفترة حكمه ، التي بلغت عشرين عاما وكان أول ضحية له وزير والده **الحسن ابن علي بن عبد الواسع** الذي نصحه بعدم توزيع المال والكسوة والهدايا فأرسل فتاه **الأمير ميسور** في ذي الحجه١٢٣١ هـــ فقبض على الوزير وصادر عليه سبعة آلاف قرش بدعوى أن الوزير سجن عامل **صهبان حسن بن محمد الاكوع** أيام المتوكل بحجة أن لدى الاكوع دين لبيت المال .

ورغم تكذيب الوزير لهذا ورغم أنه ربما لا يستحق ما حل به .

إلا إن السلطة المطلقة مفسده مطلقه لأن حكمهم لا استئناف له ، وفي نهاية الأسبوع بعد صلاة الجمعة (١٨) ذي الحجة ١٢٣١هـــ خرج المهدي من الجامع راكبا فرسه واتجه بالناس في موكبه حتى وصل إلى باب اليمن وهناك سابق **وزيره عثمان بن علي فارع** ولعب معه بالحربة ساعة ثم توجه إلى ميدان القصر حيث وقف مع حاشيته مقابل جامع البكيريه مستعرضاً للجند وأهل البوادي ثم رجع إلى القصر وفي المساء أمر **الأمير العبد فيروز المتوكل** بأن يقبض على الوزير **عثمان بن علي فارع** وأمر بتسمير وأقفال بيوت آل فارع في صنعاء وجبله وذي سفال في أن واحد كما أمر **الأمير العبد فتح الله المتوكل** بإخراج النساء من البيوت وتم مصادرة محتوياتها التي تم نقلها على الجمال إلى قصر المهدي وكانت أخر مفاجآت ذلك المساء هو تعيين **حسن بن حسن العلفي** وزيرا وإدخال الوزير فارع السجن ولو كان عزل ذلك الوزير واتخذ معه تلك الإجراءات وعين بدله رجل صالح لرأينا في تصرفه بعض الرشد ولكنه عين بدلا عنه وزيرا عرف عنه الفساد في عهد جده المنصور علي كما ذكرنا سابقا ،كذلك قام المهدي بتغيير معظم المسؤولين في إدارة والده ونقل بعضهم إلى مناصب أخرى.

---

(١) حجاف .

وكان يعزل ويصادر وأحيانا يسجن ثم يعيدهم إلى مناصبهم وقد حدث هذا عدة مرات ،وكان ممن عمل مع المهدي **القاضي محمد بن علي العمري والفقيه على محمد العمري والفقيه قاسم بن علي العفاري والفقيه حسين بن محمد حنش وعين الأمير العبد ريحان المتوكل** قائدا للجند بدلا من ابن عمه **احمد محمد المنصور** وعزله بعد شهر مع قائد حرس القصر **الشريف علي بن ناجي الجوفي**(١)

يلاحظ من ذلك تمتع الإمام بسلطات مطلقة وأن أوامره أحكام لا تقبل الاستئناف.
وفي عهده يقول جحاف انه أعاد سنة ختان الصبيان ففي محرم عام ١٢٣٢هـ تم ختان صبيان المسلمين وكان قد ترك ذلك منذ أعوام.

وهذا مؤشرا على عدم قيام الأئمة بتوعية الناس بالسنن المحمدية ، وهذه سنة أجمع عليها المسلمون بمختلف مذاهبهم وهذا مؤشر على تركيز الفكر الهادوي وأئمته على بث ما يؤيد مصالحهم ويبجل مكانتهم متغافلين عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية
وفي ذي الحجة ١٢٣١هـ قام بقطع رؤوس أهل قيفه (وهي قبيلة كبيرة من قبائل محافظة البيضاء) وعددهم ثمانية بأمر مباشر منه.

جلد وضرب الشريف على بن ناجي حتى لقي حتفه

ومما حصل في عهده تمرد **الشريف على بن ناجي** واعتصامه في ذهبان وذلك في صفرعام١٢٣٢هـ وقد ذكرنا أنه كان قائد حراس القصر فأمر المهدي بعزله وحبسه في بيته (إقامة جبريه) وبعد ذلك عين المهدي **الأمير علي بن مسعود الماس** عاملا على المخا وأمر الشريف علي بن ناجي الجوفي أن ينظم إلى الأمير الماس في مهمته الجديدة لكنه تلطف في الاعتذار ولكن المهدي أصر فتظاهر الجوفي بالموافقة وخرج ليلحق بالماس ولكنه توجه شمالا إلى قرية ذهبان وكان يملك فيها بيتا على حصن وارض وبعد مضي أسبوع جاءت قبائل نهم وقضاة برط وذبحوا عقيرتين شفاعة للشريف علي بن ناجي فقبل المهدي على شرط أن يعود إلى بيته في صنعاء محبوسا ثم ينظر في أمره فذهبوا لأخبار الجوفي ثم عادوا واقترحوا عودة الرجل بضمانتهم وفي وجوههم على أن يكون من جملة الخيالة فزكى الاقتراح احمد ابن علي الجوفي واغلظ له الإمام القول فهرب من صنعاء وقصد الشريف علي إلى ذهبان .

---

(١) – جحاف .

وفي اليوم التالي أرسل المهدي أربع مائه جندي بقيادة **حسن ابن يحيى المتوكل والفقيه حسين بن محمد حنش** ومعهم المدافع فهدموا البيت واستمر القتال فترة ثم أستسلم أصحابه وتمكن الجوفي من الفرار إلى أرحب وتم إدخال ثلاثة وعشرين من أصحاب الشريف مغلولين إلى صنعاء ويبدو أن الشريف احسن الظن بالمهدي وسلم نفسه فأمر المهدي بسلب الرجل ونهبه ثم كانت نهايته المحزنة كما كتبها جحاف – قال:-

(ثم ضرب اسواطا كثيرة ووطأه الخدم بأرجلهم – لعدم إحسانه إليهم وإطلاق لسانه عليهم (لعل ذلك كان أيام إمارته) فشاهد الموت عيانا ثم أقيم فلم يقم فحمل على رجل اسود ضربت عليه المرافع (الطبول) وطيف به ببئر العزب فمات في السائلة من صنعاء وجئ به إلى باب الإمام فأمر بدفنه [1]

قال "ص" : (إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة) .

إن رحمة الإسلام شملت الحيوان فأين ذلك من أفعال المهدي عبد الله .

ونلاحظ هنا قرارات المهدي عبد الله في جميع المجالات تتسم بالتهور والاستبداد والقسوة والانفعال فهو يبطش بسبب أو بدون سبب وهو لا يقبل النصح من أحد كما فعل مع وزيره فارع قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} البقرة٢٠٦

كما أتسم عهده بتولية وتعيين العبيد الأمراء في مختلف مناصب الدولة ويلاحظ من تسييره للأمور بأنه الحاكم المطلق ولا يوجد قضاء أو قضاه يصدرون الأحكام وفقا لأحكام شريعة الإسلام الحنيف ويؤكد ذلك اتخاذ قراره بإعدام أهل قيفه المتهمين بقطع الطريق بدون حكم شرعي وبدون إحالتهم إلى قاضي كون ما صنعوه إن ثبت حسب رواية جحاف فيه حكم شرعي لا يجب تنفيذه إلا بمحاكمه وحكم.

أن الحق الإلهي في الحكم لهذه السلطة الذي أصله فكر الهادي قد أوصل مثل هذا الإمام إلى درجة لا يقبل معها النصح من أيا كان قال تعالى : (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } غافر٢٩

وإن الهالة والتبجيل التي نشئ عليها المجتمع على أيدي فقهاء الحاكم وبالذات في مسألة الإمامة واستحقاقها وصلاحيات الإمام قد أدى إلى تكميم أفواه العلماء وتنشئة المجتمع على القبول والطاعة كمذهب ديني الرافض له يصل وصفه إلى حد الكفر.

ويظهر ذلك من البيان الذي أصدره المهدي في صنعاء بعد انتصاره على عمران والجنات

---

(١) – سيرة المهدي : ١٠ –١١ حوليات :١٥ .

التي رفضت الخضوع لحكم المهدي عبد الله حيث قال (الحمد لله الفاتح لمغلقات الحصون المبرم للأمر بين الكاف والنون ، مانح النصر والظفر ومبيد من جحد النعمة وكفر والصلاة والإسلام على المؤيد بنصر الله وفتحه، محمد الذي جعل الله رزقه تحت ظل الرماح والسيوف الباترة الليوث العار يه الكاسرة . ..الخ) ونلاحظ أن المهدي قد وسم من خالفه وخرج على ظلمه بأنه جحد النعمة وكفر وأكمل متباهيا بالتنكيل بالقتلى مخالفاً شريعة الإسلام حيث قال (واهتزت رؤوس شياطينهم امتلأت البطحاء بأشلاء أساطينهم وأحضرت الرؤوس إلى الحضرة) وواصل دفع القبائل الموالية له وعلى رأسها بني جبر من خولان فدخلت مدينة عمران ووافقت على دخولها تحت طاعة الإمام وأن تفتح أبوابهم بشرط استبعاد بني جبر من خولان من الدخول وفي ١٤ ربيع أول ١٢٣٢هـ قامت القبائل الموالية للإمام بالهجوم على الجنات ودك تحصيناتها ومتاريسها بالمدافع وجرت معركة قتل فيها **عامر الشنبكي ومحمد رضوان ومقبل الشجمه وآخرين.**

وبعد ذلك قام المهدي بالتوجه إلى حاشد وفي طريقه هدم **دار احمد بن علي الضلعي** في عيال سريح وزار الجنات وريدة وحمدة وأمر بهدم القلاع والتحصينات من بينها حصن شاجر الذي قاتل به شيخ **خارف القفيلي.**

وبعد استسلامه أخذه ومعه خمسه وثمانون وضعوا مع آخرين من الجنات في سجن عمران.

وصل المهدي إلى شاجر فأطلع على عدد القتلى وعلى التحصينات التي أمر بهدمها وكان قد أمر بهدم سور عمران ثم تراجع وأرسل **السيد علي بن حسن الدرة** لهدم حصون عيال يزيد فوجد مقاومة فدفع **النقيب هادي ابن علي بن ابي لحوم** مع ألف مقاتل من أصحابه فرضخت عيال يزيد وهدمت الحصون والقلاع وفي أثناء ذلك حصل قتال بين أهالي قيفه فأرسل **المهدي أبوحليقه** ومعه ألف من مقاتلي خولان لإيقاف القتال وكان قد توسط لحل القضية **علي بن ناجي القوسي** شيخ الحداء والشيخ **سعد مفتاح** غير أن عامل رداع لم يعجبه ذلك ، وربما كان له مصلحه في التراع فنفذ أوامر المهدي وسجن المصلحين وواصل أهل خولان قتال أهل قيفه وبعد ذلك قام هذا الإمام المتقلب المزاج بسجن أبناء عمه ثم عم أبيه.

وفي يوم الخميس ١١شعبان ١٢٣٢ هـ تجمعت قبائل أرحب واتجهت للهجوم على صنعاء يصحبها الشريف علي بن ناجي الجوفي فهجموا على شعوب وبعض ضواحي

صنعاء ، فخرجت لهم جنود المهدي والقبائل الموالية فتراجعوا إلى جدر شمالا .

ونتيجة لذلك دفع المهدي ثلاثة ألف من خولان[1] بقيادة النقيب حسين أبوحليقه نصفهم تحت قيادة النقيب الصوفي ونصفهم تحت قيادة النقيب القيري وجمع أيضا قبائل من جبل عيال يزيد وعيال سريح وقبائل همدان وبني مطر وسنحان وأستعرض هذه القوات في الروضة يوم ١٨شعبان وكانت أرحب قد تحالفت مع بني جرموز ونتيجة للجمع الكبير الذي جمعه المهدي توسط أهالي أرحب بمُظفر خليل شيخ من همدان على أن يقدموا العقاير والرهائن ويدخلوا في طاعة الإمام وإرجاع من تحالف معهم وهم بني جرموز ولكن المهدي رفض فاستغاثت أرحب بقبائل بكيل فساندها ذو محمد وذو حسين فإذا كان الله قد أمرنا بوقف القتال والجنوح إلى السلم إذا طلب الصلح من لا يشاركنا الملة من الكفار والمشركين قال تعالي: {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } الأنفال٦١

{وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ } البقرة١٩٠

فإذا كان هذا منهج الله في حرب المسلم مع الكافر فالأجدر الخضوع لهُ والعمل به في حرب المسلم للمسلم وحدد الرحمن ما يجب على المسلمين فعله في مثل هذه الحالة ،قال تعالى :

{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} الحجرات٩

فهاهي أرحب توسط مُظفر خليل شيخ من همدان وتلتزم بتقديم العقاير والرهائن وتلتزم بالدخول في طاعة الإمام وإرجاع من تحالف معهم إلا أن الإمام يصر على الحرب ومن خلال الآيات السابقة يتضح أي من الفريقين يجب على الناس قتاله.

ولرفض المهدي عبد الله الصلح قامت المعركة ونجح في إشعال فتنه من أكبر الفتن بين القبائل مزقت الممزق فدمر حصون وقرى أرحب **ودفع لمن أحضر أول رأس من أرحب عشرة ريالات ومشخصين ذهب** وقد قامت معارك بين همدان وأرحب وبين نهم وأرحب وشارك ضد أرحب سنحان وبني مطر ولم تستطع تلك القبائل هزيمة ارحب

(١)— مائة عام من تاريخ اليمن — د. حسين العمري .

لتحصنها وشدة بأسها إلا بعد ضرب حصونها بالمدافع وكان المهدي قد أخر إحضار المدافع التي كانت ستحسم المعركة مما أدى إلى قتل أكبر عدد من الجانبين.

ويوم الاثنين ٢٩شعبان شددت القبائل حصارها وهجومها على أرحب فقتل(١٨٠قتيلا).

وعاد المهدي في ٤ رمضان وذكر جحاف انهُ أحضر معه الأسرى من كبار أرحب وأحتفظ بقليل منهم وقطع رأس الشيخ العذري و لم يصم رمضان لأنه كان منهكا.

فأين هذا الإمام مما سنه علي كرم الله وجهه في حرب المسلم للمسلم . الذي لخصه في الآتي :-

لا نقاتلهم حتى يقاتلونا (لا نبدأهم بقتال إذا تركونا)لا يقتل أسيرهم هم ولا يتبع مدبرهم ولايؤسر مهزومهم ولا تسبى ذراريهم ولا تنهب أموالهم ويصلى عليهم ووصفهم بقوله" إخواننا بغوا علينا " ولم يكن علي كرم الله وجهه يمنع مخالفيه من دخول المساجد .

فلما لم يتميزوا باقتفاء أثر علي كرم الله وجهه بتطبيق أقواله وأفعاله .

غدر المهدي عبد الله بذو محمد وذو حسين :-

[1]وتصاعد بغي المهدي وظلمه من القسوة والبشاعة فأضاف لما سبق المكر والخديعة فأرسل إلى قبائل بكيل (ذي محمد وذي حسين) وطلب منهم التوجه إلى صنعاء بغرض إعداد حملة عسكرية ضد الشريف حمود لاستعادة تهامة التي كانت تحت سيطرة هذا الشريف الخاضع للدعوة الوهابية بقيادة **ابن سعود** فوصلت أعداد كبيرة من القبيلتين وأستقبلهم المهدي وأكرم وفادتهم وقرر لهم مرتبات كافية، إلا أن القبائل بعد أن أمرهم المهدي بالتوجه إلى تهامة طالبوه بالمزيد من المال وغالوا في الشروط فمنع المهدي مغادرتهم العاصمة حينئذ استشعروا الخطر وأنهم أصبحوا أسرى داخل أسوار المدينة وقام زعيمهم **النقيب علي بن عبد الله الشايف** بكتابة رسالة إلى المهدي يهدده فيها بأنه ما لم يسمح للقبائل بمغادرة صنعاء إلى ديارها فليس لهم من خيار غير القتال وأن دار المهدي نفسه ستكون أول أهدافهم.

وذكر صاحب الحوليات أن اعتقاد القبائل كان قائما على أن المهدي ووزيرة العفاري خائفان منهم ولن يتخذوا ضدهم أي أجراء.

---

(١)- جحاف - حوليات .

وفي يوم ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ الموافق ٢٦ يناير١٨١٨م أستدعى المهدي كبار رؤساء القبائل وحصل بينهم حوار شديد أمر على أثرة بحبسهم إلى الليل بأسفل داره ثم ساقهم إلى السجن ثم حاول في اليوم التالي إرسال القبائل بقيادة أحد الموالي الأمير فتح إلى تهامة لكنهم رفضوا ..مضت خمسة أيام فلم يتوصل إلى حل فأستدعى المهدي الشايف وأمره بالتوجه إلى تهامة فكان رده بالرفض وأجاب مهددا بأن صنعاء مملؤه بأولاد غيلان وأنهم غيز ممتثلين للأمر وكانوا منتشرين في حارات الوادي وشعوب وسمره وصمموا على إطلاق سجنائهم واستعدوا للقتال فأمر المهدي بدوره الجنود لمحاصرتهم وأرسل المدافع إلى حارة سمرة ثم أمر بالصائح عليهم (أي هدر دمائهم) وكان شيخ الإسلام الأمام الشوكاني يستعيذ من هذا الأمر ويكرر الكتب إلى الإمام ويعرفه عواقب ذلك وأنه لا يتم ما يراد منهم.

مضى ذلك اليوم والحصار شُدد على القبائل وفي الليل أرسل من أوهمهم بأن باب شعوب مفتوح فشدوا رحالهم وأمتعتهم وتوجهوا صوبه فإذا الرصاص منهمل عليهم وسدت عليهم مضائق الطرقات والحارات فقتل منهم خلق كثير ولم يجدوا من تبقى مجالا للفرار فالقوا بأنفسهم من الأسوار إلى خارج المدينة فجرحوا وتكسروا وأصابهم من البلاء ما لا يعرفون وبقيت منهم بقيه من بني الشايف وبني جزيلان وغيرهم في بيوت وسماسر ففروا تلك الليلة ولحقوا بأصحابهم إلى أرحب يطلبون الأمان وخلفوا ورائهم مائتان من الخيول العربية النجيبة وستمائة ناقه من البيض الهجان وكميه كبيرة من الأسلحة والعتاد بالإضافة إلى ما انتهبه العامة من المتاع وبعض البضائع كانوا هم أنفسهم انتهبوها من أهل صنعاء وبقي منهم في صنعاء خمسمائة سجين معظمهم كبرائها .

ويظهر شدة العداء المتبادل بين أهل صنعاء وبرط من استجابة أهالي صنعاء لدعوة الهادي وهذه مرحلة أصبح فيها المجتمع نتيجة لبغي وصراع الأئمة على الحكم في حالة عداء وتربص المدينة للقبيلة والعكس والقبيلة للقبيلة والشمال للوسط والغرب

ولم يكتفي المهدي بذلك فأمعن في التنكيل بهم ثم طلب المهدى خولان فوصلت إليه بأعداد كبيرة فأكرمهم بالمال وأعطاهم الخيل.

وهكذا يغدر ويقتل وينكل قبيلة ويحتمي بالآخرى ومن المرجح أنه لم يفعل ما فعله بذو محمد وذو حسين إلا بعد أن ضمن ولاء خولان أو لوجود عداء بين خولان وهذه القبيلة وهذا دأب الأئمة .

وبعد ثلاثة أيام من الحادث عمم المهدى بيانا على عماله يشرح ما حدث ويعد ويتوعد حتى يرهب بذلك بقية القبائل وبكيل نفسها إذا حاولت الانتقام .

ونورد مقتطفات من هذا التعميم الذي يظهر بكل جلاء فكر الهادي الذي رسخ في فكر وخطاب الأئمة جيل بعد جيل بالإضافة إلى إظهار خشونة الأوصاف وعدم لياقتها برسول الله (ص) والتي تصور أسلوب الحاكم وعقله وتفكيره حيث يقول في تعميمه ((الحمد لله القاهر فوق عباده المنتقم ممن حاد عن طاعته وارشاده والصلاة والسلام على الماحي لرسوم الكفر، الكاسر لأوتاده ، نبينا محمد القامع لأعدائه وحساده وعلى آله الذين جعلهم الأئمة لعباده في بلادة)).

ويوصف المهدى ما فعله برجال بكيل في البيان الذي أرسله إلى عماله في كافة المناطق (وأبحناهم للخاصة والعامة وأوقعوا بهم قتلاً وسلباً وأزلبوهم طعنا وضربا فناحت عليهم النوائح وضربت الأزقة عليهم الصوائح.

وحامت الطير على جثثهم ومازالت تهجم عليهم الغوائر والكثير منهم القوا أنفسهم الليل من الدوائر فوقعوا على الذل والهوان وتكسروا من أعلي البنيان)

هذا ما تباهي به المهدي من أفعاله برجال ذو محمد وذو حسين.

وفي يوم الخميس [1] ١٥ ربيع الثاني / ١٢ فبراير أمر بإحضار النقيب **علي بن عبد الله الشايف** من سجنه في القصر إلى بستان المتوكل وفي آخر النهار أمر بقطع عنقه وعلقت جثته لثلاثة أيام.

ولمزيد من الإذلال ولأهانه فقد دفنت بعد ذلك في محل القذارات والنجاسات في مكان بين باب شعوب وبئر البانيان خارج سور المدينة.

وتجدر الإشارة إلى أن آل الشايف عملوا فيما بعد ربما في مطلع هذا القرن على أقامه ضريح مرتفع في هذا المكان وقد بقى معروفا حيث زحفت حوله المباني الحديثة.

جر عمل المهدي هذا (الذي كان فتاكا لا يبالي بالعواقب كما وصفه الكبسي إلى نتائج وخيمه وقد عمل زعماء برط إلى إثارة القبائل وطلبوا العون والتأييد من حلفائهم للثأر وغسل العار الذي حل بهم وسيطر الخوف والقلق على صنعاء وضواحيها وأستدعى المهدي القبائل وعلى رأسها خولان لحماية شعوب والجراف والروضة شمال صنعاء متوقعا هجوم قبائل بكيل من هذه النواحي وهي الجهة المتوقع الهجوم منها وقد طالت مدة الانتظار حيث مر شهران ولم يظهر أي ردة فعل من بكيل وفي يوم خمسة عشر جماد الآخر ١٢٣٣ هـ قامت قبائل بكيل **بقيادة النقيب حسين بن عبد الله الشايف** بالهجوم في منتصف الليل من الجهة الغربية جهة باب القاع وتسلقوا الأسوار بسلالم أحضروها

(١) – مائة عام من تاريخ اليمن – الدكتور حسين العمري .

ونقبوا في السور وعبروا منها إلى بئر العزب وكان هذا عنصر مفاجئاه للذين كانوا يدافعون عن المدينة حيث لم يتوقعوا الهجوم من هذا الاتجاه لأن أهالي بئر العزب لم يشاركوا في استباحة قبائل برط ولأن سكان بئر العزب هم جزء من قبيلة بني مطر.

وليسوا من أهالي صنعاء إلا أنه يوجد بينهم عدد من أهالي صنعاء الميسورين قد بنوابها بيوتا و امتلكوا بساتين.

وهكذا هجمت قبائل برط على بئر العزب وبدأو بنهب منازل اليهود ثم المسلمين وقتلوا أكثر من خمسين رجلا وعددا كبيرا من الجرحى.
وكان يحيط بصنعاء سور أخر يفصلها عن بئر العزب وبه بوابات لا يمكن اقتحامها .

وكان انتقام بكيل في غير محله فالإمام وحاشيته داخل قصورهم محتمين بأسوار صنعاء أما قبائل خولان التي جاءت لمساعدة المهدي في حماية صنعاء فقد شاركت أهالي برط في نهب بئر العزب وتكرر هنا ما ذكرناه سابقا من أن القبائل وصلت لدرجة من الجهل لا تفرق بين النتيجة والسبب ولا بين الجاني والمجني عليه.

ذكرنا ذلك ليس لمجرد التباكي على ما وصلت إليه الأمة نتيجة لمثل هذه الأحداث بل للدراسة المنهجية الجادة ولأخذ العبر من التاريخ .

وبالذات العمل على إزالة المفاهيم المنحرفة للفكر الهادوي القائم على التميز السلالي والصراع من أجل السلطة [1] وبعد ذلك كتب مشائخ برط إلى شيخ الإسلام الشوكاني يهنؤ نه بسلامته وقد كان من سكان بئر العزب (واستطاع النجاة إلى صنعاء قبل أن تصل إليه قبائل برط) وطلبوا منه السعي لإطلاق السجناء وإرجاع خيلهم وأبلهم وسلاحهم الذي أخذ منهم في صنعاء المرة السابقة.

ورجعوا إلى بلادهم فقام الشوكاني بتلك المهمة وقام المهدي بعزل **الوزير العفاري** وسجنه وعين بدله **حسين حنش** على اعتبار أن العفاري هو السبب فيما حل بقبائل برط في صنعاء لتعامله معها بحماقة ودون تروي أو استشاره وهذه نفس الأعذار التي أستخدمها المنصور علي جد المهدي بسجن الوزير العلفي لتهدئة ذو حسين بقيادة القاضي العنسي كما سبق .

ويبدو أن هؤلاء القضاة والفقهاء كانوا الأئمة يستخدموهم كواجهات يلقون عليهم عواقب أخطائهم.

---

(١) – مائة عام من تاريخ اليمن – د. حسين العمري

كما كانوا يستخدمونهم عبر الأزمنة لبث الفكر الهادوي ولتبجيل الأئمة وإضفاء الهالة عليهم .

إن تحميل العفاري المسؤولية ماهو إلا مكيدة سياسية لأن المهدي هو صاحب الأمر والنهي وكما رأينا فيما سبق أنه لا يقبل حتى المشورة.

ولإكمال الاعيبه أمر بقطع رأس العفاري لولا تدخل الشوكاني الذي رأي سجنه يكفي لتهدئت من خواطر برط وهكذا نجح المهدي في تهدئة برط وبعد أخذ ورد توصلوا إلى اتفاق يتم بموجبه إطلاق سجناء بكيل وسمح لكبار برط وبينهم **النقيب عبد الله أحمد الشايف.**

وأعاد معظم ما أُخذ منهم وتم ذلك في ٣رجب ١٢٣٣هـ فخرج من في السجن وانظموا إلى أصحابهم في بئر العزب وغادروا إلى بلادهم بعد ثمانية عشر يوما عانى فيها أهالي بئر العزب الويلات وهكذا زرع الفتنه الهادي فسفكت دماء أهالي برط في صنعاء وعاد أهالي برط وانتقموا من أهالي بئر العزب بلا ذنب فليس لهم في العير ولا في النفير.

والمهدي في قصره المنيف ، كل تلك الفتن قد امتهنها الأئمة كمنهج جيل بعد جيلٍ وكرسواجهدهم في تجهيل هذه الأمة وزرع العداوة و البغضاء بين أبناءها عملاً بالفكرالهادوي ونتيجة لذلك لم يؤثر الزخم الفكري وخاصة منه التصويبي والتجديدي لعلماء أمثال الشوكاني وابن الأمير الصنعاني وغيرهم.

وهم من عاصروا هذه الفترة لعدم وجود المتلقي لهذه الأفكار لأن نتاج العلماء كان يدور في نطاق الإقطاع الفكري المحصور في سلالة الأئمة وفقهائهم وقضاتهم والمؤطر في نطاق فكر الهادي لما يجب بثه في العامة.

إن حقوق الإنسان اليمني المسلم التي ضمنها دين الإسلام الحنيف قد قضى عليها بعاملي الجوع والخوف هذان العاملان كانا وسيلة و هدف الأئمة عبر العصور للوصول إلى السلطة وحقق الأئمة ذلك بوسائل وأساليب عده على رأسها الجهل وزرع العداء المتبادل بين أبناء اليمن.

وانقسمت اليمن إلى قسمين جائع وخائف، فأهل المدن خائفون يحتمون بأسوارهم من جوع القبائل وأهل المناطق الخصبة خائفون من سلب عمال الإمام وأتباعه وخائفون من غزوات القبائل الجائعة .

وجوع القبائل القاطنة في البلاد غير الخصبة جعلهم يتحصنون في الجبال والحصون والقلاع خوفا من تأليب الإمام للقبائل الأخرى عليهم والتي كانوا قد هجموا عليها ،

والكل جائعون والكل خائفون والأئمة وحاشيتهم في القصور مترفون ، وكل شيء واجب على الشعب نحو الإمام ولا واجب على الإمام نحو الشعب.

ومما يلفت الانتباه أنه لم يتم مهاجمة قبائل برط وما يتبعها في منطقة الجوف على أرضها خلال أغلب العصور وكانت هي المنطلقة للهجوم كل تلك الأحداث والفتن التي سببها بغي وحماقة أغلب أئمة آل القاسم وخاصة المنصور علي وحفيده المهدي عبد الله وجزء كبير من اليمن قد أنتزع منهم وسيطرة عليه الدعوة الوهابية بقيادة ابن سعود.

ولو كان لديهم أدنى حكمه لفطنوا إلى أن أسلم الحلول هو إخراج القبائل المتذمرة والثائرة على حكمهم إلى القتال لإعادة تهامة والمخلا ف السليماني وكان هذا هدف كافي للم شمل تلك القبائل تحت راية واحدة بدلا من تدميرها فيما بينها ولو سخرت الأموال التي أنفقت ببذخ وترف في بناء القصور من قبل الأئمة ووزرائهم لتعليم الناس منهج الله القائم على العدل والحرية والمساواة والوحدة ، لعاشت اليمن في سلام ولكان لهذه البقعة من أرض الإسلام ماكان لغيرها (دمشق، بغداد ، القاهرة ، إسلامبول) من رقي وتقدم ورخاء .

إن دفع الأئمة للقبائل الشمالية والشرقية للقتال مقابل ما سينالونه من مغانم نتيجة لنهب وسلب المناطق التي يوجههم الإمام إليها أصبح ناموسا يمارسه الأئمة .

ذلك كان السبب في رفض المهدي إعطاء قبائل برط نفقات للتوجه لقتال الوهابيين في تهامة .

إن هذه الجموع البشرية الهائلة للقبائل وقدرتها القتالية العالية والنزعة الثورية لديها لو أُحسن استغلالها من أحد الأئمة وخاصة لو أُشعروا بالمساواة وأن الإمام منهم واليهم ونزعت من أفكار الأئمة نظرة الدونية لهم ولو استطاع أي إمام أن يجمعهم على هدف غايته نبيلة لكان قادرا أن ينطلق بهم إلى خارج اليمن وبذلك كان يمكن أن يجعل من اليمن مركزا للخلافة .

وقد توفرت العديد من الفرص عند ضعف مركز الخلافة (كما فعل المماليك عندما جمعوا المصريين ووقفوا أمام التتار وهزموهم).

ويثبت لنا التاريخ أن استغلال جموع القبائل اليمنية في الفتوحات الإسلامية كان عاملا رئيسيا في النصر زمن الخلفاء الراشدين والدولة الأموية والعباسية .

ولكن عدم وجود فكر ونهجا ديني قويم للأئمة جعلهم غير قادرين على جمع اليمنيين وتوحيد صفوفهم تحت قيادة أيا منهم .

وقد توفرت الفرصة لبعضهم مثل المتوكل إسماعيل والإمام يحيى إلا أن عدم توفر صفة الزعيم القدوة القائم حكمه على العدل والمساواة واستخدامه إسلوب إخضاع فئة من الشعب بفئة أخرى قد جعله في حرب مستمرة مع أبناء هذه الأمة فلا تهدأ منطقة إلا وتثور وتتمرد عليه منطقة أخرى .

وعودة إلى حالة اليمن في عهد المهدي عبد الله فقد استمرت تهامة تحت سيطرة الدعوة الوهابية بقيادة **ابن سعود** إلى أن تم القضاء عليها بدخول العساكر المصرية بزمن **محمد علي باشا** واسر زعيمها **الأمير الوهابي عبد الله بن سعود** ثم أُخذ إلى الأستانة حيث أمر السلطان محمود الثاني بإعدامه (*) وقبل ذلك بقليل توفي الشريف حمود خيرات بتاريخ ١٤ربيع ١٢٣٣هـ.

وبذلك انتهت الدعوة الوهابية والدولة السعودية الأولي وبالتالي انتهى دور أسرة الأشراف من آل ابي مسمار في منطقة عسير والمخلاف السليماني.

وحينها دخلت قوات محمد علي باشا ولاحقت من تبقى من أبناء الشريف حمود واستولت على أبي عريش بمنطقة عسير إلى أن وصلوا زبيد جنوبا.

وأرسل محمد علي باشا في ربيع آخر ١٢٣٤ هـ إلى المهدي عبد الله يزف بشرى هزيمة **احمد ابن الشريف حمود** ويعترف له بأن مراسلته مع والده المتوكل تؤيد حق صنعاء في تهامة ، إلا أن من الضروري دفع مبلغ من المال كل سنه مقابل إعادة كل ما كان تحت سيطرة الشريف حيث يقول (فالذي عندنا من الصواب أن ما كان يرسل به في الزمن الأول تجدوه وتزيدون ثم أبلغه أن قائدة خليل باشا هو المسؤول عن التفاوض في أمر التسليم لتهامة وكل الأمور المتعلقة بالموضوع (١).

وكلف المهدي قاضي قضاته الشوكاني بالتفاوض مع مندوب محمد علي باشا وكان محمد علي باشا قد طلب مائتي الف ريال فرانسي وثلاثة ألف قنطار من البُن ترسل سنويا إلى مطبخ السلطان مقابل إعادة المخلاف السليماني و تهامة وبعد تفاوض ومراسلات وافق المهدي على طلب محمد علي باشا وكان التفاوض يدور حول تخفيض كمية البُن وان تسلم المئتي ألف ريال ، على دفعات ولكن محمد علي باشا رفض تخفيض البن وقال (لقد أعطيته بدل البن بلادا واسعة في نظير المقدار من البن المتفق عليه).

(*) - الرافعي (عبد الرحمن) تاريخ الحركة القومية .

(١) - ذكريات الشوكاني .

أما المال فقد سُلمت المائة ألف ريال الأولى المعجلة بواسطة مندوب المهدى **القاضي محمد بن احمد الحرازى** لمندوب القائد العثماني خليل باشا وحرر صك الاستلام بالمبلغ بتاريخ شهر شوال ١٢٣٤ هـ[1].

وتم استلام المنطقة كلها من خليل باشا بإستثناء أبي عريش التي وافق المهدى أن يحكمها باسمه الشريف علي بن حيدر وعادت سيطرة إمام صنعاء على كل أراضي تهامة قرابة ١٤ سنه حتى ١٢٤٨هـ .

ونود أن نشير هنا أن هؤلاء الأئمة كان اختصاصهم الرئيس هو دفع الأخ لقتل أخيه، بتأليب قبيلة على أخرى دون أدنى مسؤوليه في الدفاع عمن يحكمون بل يستدعون من يغزوا هذه البلاد إذا كان في مصلحتهم كما رأينا ما قام به شرف الدين من استدعاء المماليك وكما استدعوا الأيوبيين ولا هم لهم إلا الوصول إلى سدة الحكم والترف في قصور صنعاء .

فقد انتزعت تهامة والمخلاف السليماني من عهد المنصور علي إلى عهد حفيده المهدى عبد الله ولو كان جمع لحمايتها ما جمع لحرب أرحب من القبائل لكان كافيا لإعادة المخلاف السليماني وتهامة إلى اليمن.

إن نظرتهم الضيقة في حكم هذه البلاد والمتمثلة في حماية أماكن إقامتهم وجباية الأموال جعلت اليمن مفعول به وليست فاعل منذ دخول الهادي .

فكما ذكرنا أستمر خضوع تهامة والمخلاف السليماني لحكم المهدى عبد الله حتى العام ١٢٤٨هـ عندما ثار ضباط جيش **محمد علي** من الترك بقيادة **بلماز** على والي الحجاز **خور شيد بك** في أثناء خروج **محمد علي** على الأناضول واندلعت الحرب بين جيش محمد علي وجيش السلطان العثماني في بلاد الشام فأمر السلطان العثماني بتولية بلماز لكن محمد علي باشا،أرسل قوة عسكرية إلى جده فهرب تركي بلماز إلى عسير فتهامة فاستولى على مدن الحد يده والمخا وزبيد.

(وهزم عساكر الإمام بسهول لقلة أعدادهم نتيجة لعدم اهتمام الإمام بتلك المناطق ولشحة في الإنفاق على تسليح وتأهيل الجيش لأن الأئمة إعتادوا على تسخير القبائل لإخضاع تهامة مقابل ما يسلبونه.

(١) – المنار واليمن – ص ٨٥ – ٣١١ – الدكتور حسين العمري .

إن ذلك ناتج عن النظرة الضيقة للمهدى عبد الله بأهمية إنشاء حاميات في تهامة وهي منفذ اليمن على البحر الأحمر وكان هذا دأب الأئمة من قبله كما ذكرنا).
وقبض بلماز على عمال الإمام وأعدم منهم ولم يحرك الإمام ساكن ولم يستشعر مسئوليته أمام الله حتى أخرجت هذه الشرذمة قوات **أحمد يكن باشا** والي الحجاز من قبل محمد على باشا في العام التالي ١٢٤٩ هـــ مع قوات **الأمير العسيري علي بن مجثل** حيث حاصروا تركي بلمازفي المخا حتى استسلمت جماعته وهرب هو مع أحد السفن البريطانية ثم حاول، **الأمير علي بن مجثل** السيطرة على المنطقة فأجبره القائد المصري على تسليم المخا لقواته.

واستمرت قوات محمد علي باشا في السيطرة على تهامة واتخذت الحد يده قاعدة لها إلى ما بعد وفاة المهدي.

*** استمرار صراع القاسميون على الإمامة :-**

وفي الجانب الآخر فإن فكر الهادي الذي أصل لصراع أبناءِ الأسرة الحاكمة بمبدأ الخروج والسيف على الحاكم لمن هم من أبناء هذه السلالة ولتأصيله لمبدأ جواز قيام إمامان ، ولتهيؤ المناخ نتيجة لبغي وتهور المهدي عبد الله وتذمر القبائل ولعدائها فيما بينها نتيجة لما زرعه الأئمة من تسليط قبيلة على أخرى .

فقد خرج **وأدعى الإمامة يحيى ابن المنصور علي** سنة١٢٤٥ هـــ - ١٨٢٩ م وهو عم المهدي عبد الله (والتجأ إلى أرحب وحاولت أرحب التوسط بينه وبين المهدي ولكنه رفض وجمع القبائل على أرحب وقتل العديد من الجانبين وهزمت أرحب وفر يحيى ابن المنصور إلى تهامة)[(١)]

وكانت حملة المهدي بقيادة **الشريف علي بن ناجي الجوفي** الذي قاتلت أرحب من أجله في المرة الأولى ، وهذا الشريف وأقربائه قد أعدمهم المهدي وصادر أملاكهم وقطعت رؤسهم في ٢٥ صفر ١٢٤٥هـــ ، وكذلك خرج عليه **أحمد بن السراجي** وكان هذا من أهل الخير والتواضع إلا أنه من المبالغين في التشيع مثل **محمد بن صالح السماوي المشهور بابن حريوه** المبالغ في خصومته للمعتدلين من العلماء مثل الشوكاني وعلماء أهل السنة فغادر السراجي صنعاء سنة ١٢٤٧ هـــ ومعه مجموعه من هذه السلالة وبعض فقهاء الهاد ويه.

وقام بالتجول بين القبائل ودعا إلى **الرضي** من آل محمد (ومما بثه الفكر الهادوي في أدبيا

---

(١) - حوليات ٤٤.-المجهول

ته أن آل محمد هم هذه الأسر التي وفدت إلى اليمن منتسبة إلى الحسن والحسين ويرى إجماع المسلمين أن آل محمد هو كل من قال لا اله إلا الله محمد رسول الله وعمل بحقها)ويؤكد ذلك نشوان الحميري بقوله:

آل النبي هم أتبـــاع ملتـــه مـــن الأعـــاجم والـــسودان والعـــربي
لو لم يكن آله إلا قرابتـــه صـــلي المصلي على الطـــاغي أبي لهـــبِ

وعودة إلى السراجي :-

فبعد ثلاثة أشهر من دعوته ناصرته قبائل من خولان وارحب وهم وحاشد وبكيل[1] ولقب نفسه بالهادي وجمع القبائل وتوجه إلى صنعاء من لهم.

ولكن المهدي استطاع أن يشتت جموع القبائل من حول ، صنعاء بإقناعهم ببطلان ما يدعوا إليه هذا الخارج وأهمها إغراق العطايا على رؤساء القبائل فعاد السراجي إلى لهم وانتهى أمره بقتله سنة ١٢٥٣هـــ وقيل أن أنصاره قتلوه وقيل ، أن فقيه من الحيمه قتله.

وقبل وفاة المهدي بعام توفي **قاضي القضاة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني** آخر عظماء علماء اليمن المجتهدين وكان لوفاته وقع وآثر كبيرين لدى مختلف طبقات الناس[2]

وهناك ملاحظات لابد من ذكرها :-

- إن الفترة الممتدة من بعد خروج العثمانيون من اليمن (حكم المتوكل على الله إسماعيل) كانت فترة استقلال لليمن عن التبعية
- من ذلك التاريخ لم يوجد على الساحة أي دولة يمنية تنافس القاسميون .
- كان لما تركه العثمانيون من آلات عسكرية خاصة المدافع أثر في تمكين بعض القاسميون من السيطرة على كثير من المناطق .
- أزداد عدد أدعياء الإمامة من هذه الأسرة وبالتالي زادت الحروب والفتن .
- لم يترك القاسميون أي مآثر عمرانية تحسب لهم علماً أنهم الوحيد ون من أدعياء الإمامة الذي حكم بعضهم غالبية البلاد .
- أتسم عهدهم بالظلم وجور الجباية .

نتيجة لظلمهم فقد أفنى اليمنيون أغلب قصورهم .

(١) – الجراني المقتطف .
(٢) الجراني – المقتطف

- أتسم عهدهم بالأحكام الجائرة وعلى رأسها حكم المتوكل إسماعيل على أرض اليمن وأهلها بعد خروج العثمانيين .

- أتسم عهد القاسميين في بعض فتراته بالتشيع المبالغ به .

- ليس على أئمة بني القاسم أي واجب تجاه الشعب ولا حتى أبسط حقوق الشعب وهو حق الأمن والحماية (وهي أبسط حقوق للشعوب ظهرت فيما يسمى العقد الاجتماعي)[1]

وكل الواجبات على الشعب .

(١) - مثل جان جاك روسو ، هوبز وغيرهم .

الفصل الثامن

حروب وفتن الهادويون

بيع تعز للمصريين و سقوط عدن في يد الأنجليز

ق ١٢–ق ١٣ هـ

المبحث الأول:–

بيع القاسم بن المنصور لتعز واحتلال الإنجليز لعدن

المبحث الثاني :–

ثورة الفقيه العنسي

المبحث الثالث :–

ثورة أهل صنعاء على أئمة القرى والحارات

المبحث الأول

بيع القاسم بن المنصور لتعز واحتلال الإنجليز لعدن

وجاء من بعد المهدي علي أئمة أتسم عهدهم بالصراع على الحكم والفوضى الداخلية مما سبب في سقوط عدن في أيدي الأوربيين وبالتالي طلب اليمنيين من الخلافة العثمانية حكم اليمن.

وكان أول هؤلاء علي بن المهدي عبد الله ونصب ثاني يوم من وفاة والده ٧شعبان ١٢٥١هـ وتلقب **بالمنصور أولاً** وقد حكم وعزل اربع مرات وكان يغير لقبه في كل مره يعود فيها إلى الحكم.

إن تنصيبه وخلعه المتكرر يوضح شخصيته أولا ثم يوضح المدى الذي وصلت إليه الأمور من تمرد وغليان وكان مبذرا في صرف الأموال في غير محلها ، وثار عليه الجنود ولم يكن له شخصيه وحنكه سياسية ودراية أداريه [1].

وقد تضعضعت في عهده الدولة ولم يبقى إلا المدخر في خزائن الحكام من آلات الحرب والذخائر وكان ينفق منها ويعول عليها وعادت تهامة ثانيه بمختلف موانئها إلى سيطرة الإدارة المصرية والتي عززت مراكزها بقوات جديدة من الحجاز ومصرعام ١٢٥١ هـ الموافق١٨٣٥م [2].

وأصيبت اليمن بقحط وجفاف لم يشهد له مثيل منذ سنوات بعيده في مختلف المناطق وكانت مصيبة صنعاء وماحو لها أكبر فقد أصيبت بوباء بعد حكم المنصور علي ابن المهدي عبد الله بأشهر وهلك خلق كثير من سكان صنعاء حتى كانت النساء تخرج الجنائز[3] ونتيجة لهذه الظروف ولما خلفه أبائه وأجداده من تذمر وغليان بين الناس وزاد على ذلك توليته لوزراء قليلي الخبرة أو فاسدين فكان حتميا أن ينازعه على الحكم بعض أبناء سلالته كما درجوا عليه في مختلف الأزمنة وفقا لفكر الهادي المؤصل لمبدأ الخروج والسيف.

---

(١) – الكبسي ٣٧٨– ٣٧٩..

(٢) – العقلي – تاريخ المخلاف السليماني .

(٣) – وقد ذكر أن عدد الجنائز التي كانت تخرج من أبواب صنعاء لا تقل عن (١٥٠) جنازة في اليوم بالإضافة إلى نحو (٣٠) ممن يموتون من الجوع.

وقد خرج عليه قاسم بن منصور:-

وقد أتخذ من تعز مقرا لدعوته ودعا إلى الإمامة وتلقب "بالهادي" وذكر صاحب الحوليات أنه خرج إليه من صنعاء خلق كثير ومن موالي الإمام بأسلحتهم وخيولهم وأجابه أكثر الناس ، ولأن خروج هؤلاء وادعائهم للإمامة أو ادعائهم للحسبة ما هو إلا نابع من رغبتهم المتوارثة في الجاه والمال متخلين في سبيلها عن قيم الدين وثوابت الأخلاق فقد قام **قاسم بن المنصور** بالتفاوض مع **القائد المصري إبراهيم يكن** و اتفق الطرفان أن يسلم قاسم بن منصور تعز وماحو لها مقابل عشره ألف ريال وراتب شهري مقداره أربعة آلاف ومسكن بالمخا[1].

نسي هذا الخارج كل ما خرج من أجله من فساد حكم المنصور علي ابن المهدي عبد الله وحالة المسلمين في صنعاء وماحو لها التي وصلت إلى أشد أنواع المآسي والبؤس المتمثل في حكم فاسد ومجاعة ووباء.

وحتى نسي أيضا من خرج معه وناصره ، ونسي المبادئ الهادويه في الحق الإلهي له في الحكم وباع كل ذلك بعشرة آلاف ريال.

ويبرر عمله هذا كتاب الأئمة بأنه لما علموا قلة ما بيده تركوه ووهن أمره وأستدعى عساكر محمد علي.

ولكنه لم يستطيع إتمام دعوته فأستدعى عساكر محمد علي باشا الموجودة في المخا وتهامة ودخلوا مدينة تعز وتصالحوا مع القبائل الموجودة بتعز من برط وغيرها وأصلحوا في المدينة الخراب واطمئنوا إليهم مشائخ الحجرية وشرعب وسيطرت هذه القوات على قسم كبير من المناطق الوسطى.

وخرج على **المنصور علي بن المهدي عبد الله** ، **حسين بن علي المؤيدي** وكان من المغاليين في التشيع فقد كان من أنصار الإمام السراجي وممن خرج معه من صنعاء وقاتل المهدي عبد الله سنة ١٢٤٧هـ ولما فشل السراجي عاد فيمن عاد إلى صنعاء [2] فبقى فيها حتى ١٢٤٩هـ فغادرها إلى صعده مع مجموعه ممن يعتنقون فكره وكان هذا الخروج لمؤامرة مسبقة لأصحاب هذا الاتجاه الذي قاده أولا السراجي ثم المؤيدي وذكر زبارة أن خروج المؤيدي إلى صعده سنة ١٢٥٢هـ وقيل ١٢٤٩هـ وأختلف في كونه دعا إلى نفسه أو كونه دعا بتنصيب **عبد الله بن الحسن بن احمد بن المهدي عباس.**

---

(١) - البطريق : من تاريخ اليمن ٧٩.

(٢) - زبارة - نيل الوطر .

وظل بصعده بدعوته يهيئ بها للخروج على المهدي عبد الله ثم على ابنه على حتى توفي ١٢٥٢هـ .

وقبره بهجره حيدان (مديرية من محافظة صعده) .

ان المحبط الحقيقي لأي تغيير جذري في حياة اليمنيين هو ما أُصل كفكر ديني وبالتالي سلوك ممارس رسخ حق هذه السلالة في الحكم وأصل للصراع بين أبنائها حتى أصبح ثقافة مجتمعية جعلت من المستحيل ان يفكر أي يمني في الحكم (انسحقت شخصية اليمنيين في ظل الإمامة وحرمت عليهم قيادة بلادهم وصار التفكير فيها جريمة دينيه وسياسية في وقت واحد)[1] الأمر الذي ابعد من لديه القدرة في تسيير دفة الحكم من أبناء هذه الأمة .

ونكرر ما ذكرناه من أن تنصيب المنصور علي وأبوه المهدى عبد الله كان قائما على مبدأ الوراثة الملكية ومخالفا لشروط الهادويه في استحقاق الإمامة فلم ينطبق منها عليهم إلا السلالة والذكورة .

إن انتشار الفكر الهادوي بين قبائل شمال الشمال كثقافة مجتمعية وبالأخص ما يتعلق بوجوب مبايعة من قام بها ودعا إليها ممن هو من أولئك ومبدأ الخروج على الحاكم الظالم هذان المبدآن أفرزا الويلات على الإمام والشعب معاً ، لأن ذلك الفكر قد تمكن كثقافة حتى لم يستطع أي إمام أن يجتهد مبادئ أو أفكار تمنع خروج أدعياء الإمامة رغم دعوة هذا الفكر لحرية الاجتهاديقول الرحمن عز وجل{وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } الأنفال٢٥

ومثلما يتصعد النماء والتطور بركائزه الأساسية العدل والمساواة والعمل الصالح بمختلف أنواعه يتنامى ويتطور إنحطاط وتقهقر الدولة لاختفاء تلك الركائز واصبح واقع الحال استبداد وسلطة مطلقة وصراع بين أبناء هذه السلالة على السلطة وجور في الجباية وتقسيم اليمن بين المتصارعين إلى إقطاعيات .

تلك الأسباب تمثلت في أساليب وممارسة اغلب الأئمة لاسيما منذ عهد **المهدى عباس إلى عهد علي ابن المهدى عبد الله** إلا أن هذا الأخير قد ورث تركه من الظلم والفساد والتمزق الناتج عن صراع أبناء القاسم على السلطة بالإضافة إلى عدم كفاءته فكان إجماع الناس على خلعه وهذا تطور إيجابي مقارنه بما حصل في عهد جد أبيه المنصور علي فكلاهما أجمع على أنهما حاكمان غير صلحان .

(١) – الإمامة وخطرها على وحدة اليمن

وثارت عليهما الجنود لعدم دفع رواتبهم وعاش الناس في مجاعة وظلم إلا أن المنصور علي بقي إماما صوريا وقام بأمور الحكم أبنه احمد إلى أن توفي أما **علي ابن المهدى عبد الله** فتم خلعه بعد عام وثلاثة أشهر وتكرر في عهده نفس الأحداث من تذمر الجنود وحصار صنعاء من قبائل برط وقادها من بيت العنسي.

فقد وصلت هذه القبائل واستولت على حصن عطان وبدأ بحصار صنعاء وأستنجد علي ابن المهدى بخولان بقيادة **النقيب علي بن حسن أبو حليقه** ولكن نجدة خولان لم تصل إلا وقد تجمع الجنود وبحثوا عن البديل فرشح الفقهاء المبالغين في التشيع من أنصار المؤيدى والسراجي أحد أنصار المغالاة في التشيع وهو **عبد الله بن حسن بن احمد بن المهدى عباس** وكما هي حالة الصراع داخل هذه السلالة من أجل الحكم فقد كان هذا مرشح سرا منذ عامين لكنهم كانوا منتظرين الفرصة السانحة.

وما أن كان يوم ٣ذى القعدة ١٢٥٣هـــ حتى قاد **الأمير العبد** الجنود الثائرة بقيادة النقباء بيت الشاوش أصحاب جدر وسعد هديان من الرحبة وتوجهوا إلى دار الإمام في بستان المتوكل بعد أن اجمعوا على خلعه [١].

وفي طريقهم أخذوا البديل وتركوه ينتظر في أحد منازل مسجد حجر القريب من دار الإمام وقبضوا على **المنصور علي ابن المهدى عبد الله** وهبوا ما في الدار وأحضروا الإمام المرشح فأرسل لأنصاره من الهاشميين والفقهاء وحرست داره .

وفي الصباح أرسل للعلماء والأعيان فحضروا وبايعوه وكانوا قد أحضروا علي ابن المهدى ليشهد نهايته بعينيه وأحضروا أحمد ابن المتوكل فقال صاحب الحوليات يسخر من الموقف (وأشرقت لهم الأرض ببلوغ الأمل وظنوا انهم قد ملكوا الأرض إلى أقاصي جبل قاف).

ونلحظ هنا تطوراً في أسلوب التذمر تمثل في خلع الإمام بدون خروج مدعي للإمامة مشعلاً للحرب.

وهكذا تمت البيعة ونصب **عبد الله بن حسن بن احمد بن المهدي عباس ولقب نفسه بالناصر** وأول عمل قام به هو سجن الإمام المخلوع وكان الإمام الجديد قد عاني في حياته

(١) – الحوليات ٦٥.

فقرا وحرمانا وعاش مع طلبة المنازل [١] وهو من سلالة بيت القاسم ،ولكنه كان من الفرع الذي أقصى عن السلطة والجاه ولذلك اتسمت قراراته بالغرابة والتشدد .

شخصية الناصر عبد الله بن حسن بن احمد بن المهدي عباس:-

ولد سنه ١٢٢٦ هـــ ونصب الإمامة ١٢٥٢ هـــ ودرس في الجامع الكبير على يد **أحمد بن علي السراجي والقاضي عبد الرحمن بن عبد الله المجاهد والحسين بن علي المؤيدي** وغيرهم ممن نهجوا المغالاة في التشيع وكانوا قد خرجوا مع السراجي على المهدي عبد الله سنة ١٢٤٧ هـــ.
وكانوا هؤلاء شديدي الخصومة لعلماء الزيديه وجمهور أهل السنة [٢] ومنهم الإمام الشوكاني .

ولاشك أن الناصر قد تأثر بهؤلاء وكان مغاليا في التشيع وقد كان (أسود اللون في بدنه ووجهه آثار الجدري آثر جلي)[٣] إن معاناته وتنشئته على يد المغالين قد آثر على شخصيته فقد كان غير متسامح مع أعدائه أو معا رضيه ويظهر ذلك من قسوته على قريبه المخلوع على ابن المهدي وعمه وكذلك كان مع المخالفين لمعتقداته وآرائه التي كان بعضها غريبا،وهذه هي طبائع الاستبداد الناتجة عن السلطة المطلقة .
وبدأ بإلقاء القبض على من كان له منصب أو عمل أو علاقة بسلفه علي ابن المهدي ، وأمر بحبس الجميع ومنهم أُمناء الشريعة والوكلاء (المحامون) وحاكم الحضرة وقد أستبشر الناس به خيرا لما عانوه من شدة المرض والخوف والجوع وربما اعتبروا ما صنع بعمال وموظفي سلفه سياسة وقائية دعتها الحكمة أو الضرورة ولكنهم استغربوا وأنكروا بعض التصرفات الشاذة بالإضافة إلى اعتماده على أصحابه الذين صادروا أموال الناس حقدا لكونهم كانوا معسرين ودونما وجه حق وذكر صاحب الحوليات بعضا من تلك التصرفات الشاذة (.... وكان جلساؤه جماعة من الطلبة الفقهاء الذين كانوا في المنازل وغيرهم الذين لا عقول لهم وإنما همهم غير أنفسهم وأظهروا الكامن في صدورهم على الناس وحملوا الناس غير السلامة والإمام طبعه كطباعهم (وشبه الشيء منجذب إليه) فمن أشوارهم ربط اليهود فوق قبور الهاشميين والعلماء ومن ذلك أنهم أشاروا بنبش قبر شيخ الإسلام الشوكاني رحمه الله وإخراجه من القبر ثم تحريقه ! نعوذ بالله من أن يكون وأشار إليهم بعض أهل الرأي بعدم هذا الشور ومع ذلك حد الفقيه محسن العصامي وجلده على

---

(١) – وهي غرف تلحق بالمساجد يسكنها الطلبة الفقراء.
(٢) – دكتور حسين العمري – الشوكاني فقه وفكره .
(٣)– حوليات ٦٦ ، زيارة نيل الوطر ٢/ ٧٠ ، مائة عام من تاريخ اليمن – ٢٥٤-٢٥٥ .

رؤوس الأشهاد حد ماله رأس (أي غير صحيح)[1] ولا أقر بالزنى ولا الشرب وأستخلص الإمام **الحاج سعد علي وعلي بن احمد السقا** وكان مدار الأمور الخاصة عليهم **والفقيه محسن الجبري الأعمى** صاحب المشورة وغيره ومع ما مضى من المجاعة والقحط فقلوب هؤلاء بالجوع مغذاة وفي أنفسهم على من كان ذا مهنة أو حرفة لا يسأل الناس فلم يزالوا ينقلون بالناس إلى الإمام وهو مؤمن بصدقهم في أقوالهم وأفعالهم ،وما صلحت أحوالهم وحسن ظنهم بالناس إلا بعد مده طويلة وقد صاروا هم الأغنياء دون غيرهم وشبعت بطونهم وتنعمت أجسامهم باللباس فتيقنوا أن الناس لا ذنب لهم يوجب أذيتهم لهم) [2]

وقد أشار الحافظ محمد بن علي العمراني (توفي سنة ١٢٦٤ هـ) في كتابه [إتحاف النبيه] بتاريخ القاسم بن محمد وبنيه عن قيام الناصر الذي كال له التهم وانه رافضي وخبيث كما ذكر سجنه لآل الشوكاني وغيرهم .

وقد ذكر المؤرخ والكاتب الكبير د. حسين العمري أنه حصل على هذا الكتاب من حفيد **الحافظ العمراني العلامة محمد بن إسماعيل العمراني** الذي كان ممن له الفضل في نقل رفات الشوكاني وحملها إلى قبره الجديد في جامع الفليحي وذلك عام ١٣٨٧ هـ . ١٩٦٧م

وقد نقله من مقبرة خزيمة إلى مسجد الفليحي في مراسم جنائز يه مهيبة عندما تقرر تأسيس نادي الضباط الحالي وقد ذكر صاحب الحوليات أن من مناقب هذا الإمام منع المزامير والدفوف والمعازف ومنع النوبة[3] ومنع النساء من الحمام وخروجهن وقت المغرب ودخولهن السوق.

أدت السلطة المطلقة بهذا الإمام إلى التحريم على الناس ومنعهم مما أباحه الله لهم .

هذه شخصية الناصر التي أضافت بغي وتعقيدات إلى ما هو قائم من ظلم وواقع مرير قبل وصوله إلى سدة الحكم.

وكان أول ما فعله الناصر هو إرضاء قبائل برط وأرحب المرابطين في حصن عطان فصالح القوم بمال وأدخلهم صنعاء[4] وقصد بذلك ردع الجنود الذين كان لهم الفضل في إيصال الناصر إلى سدة الحكم حيث قال صاحب الحوليات ان الأجناد يحسبون أن لهم الحل والعقد بعد أن أخذوا ما في بيوت الأموال لنفوسهم "، فقد أدخل هذه القبائل لكبت

---

(١)– حوليات

(٢) – حوليات ٦٧–٦٨.

(٣)– نوع من أنواع المزامير

(٤) – حوليات ٦٨.

جماح العسكر وأنصاره الطامحين للجاه والمال وفي نفس الوقت وصلت جماعة من ذو محمد إلى منطقة حمراء العلب بأحمالها التي أنتهبتها من المناطق الوسطى فأرسل الناصر أتباعه فحاصروهم في أطراف جبل نقم فأستسلم عقالهم واقتسموا ما أنتهبوه من اليمن الأسفل مع الناصر وسجن بعضهم كرهائن وصرح لبعضهم أن يعودوا إلى ديارهم.

وفي الجانب الآخر كانت القوات المصرية تمد نفوذها في المناطق الوسطى فقد ذكر قائد الحملة **إبراهيم باشا** [1] في رسالة إلى محمد علي باشا بأن نجاح أمره يرجع إلى رغبة الناس عن حكم الأئمة ونفورهم منهم ومشايعة أنصار الأئمة للمصريين .

والثاني:خروج **قاسم بن المنصور على المنصور علي ابن المهدي.**

والثالث: بمساعدة القاسم ابن المنصور القيمة بضم القبائل ووجوه مدينة تعز إلى المصريين ضد إمام صنعاء.

وكان تعاون القاسم ابن المنصور وتسليمه تعز ، وقد ذكر إبراهيم يكن أنه نفحه بمبلغ كبير من المال ليسهل مهمة الحملة في أقليم تعز تمهيداً للتقدم نحو صنعاء .

وفعلاً تم في يونيو عام ١٨٣٧م (ربيع الأول ١٢٥٣هــ) تسليم تعز للحاكم المصري ، وتم الاتفاق بين إبراهيم يكن وقاسم عم الإمام [2] على أن يتخذ قاسم المخا مقراً لسكنه ، في نظير منحه مبلغ عشرة آلاف ريال ،ومرتباً شهرياً قدره أربعة آلاف قرش"[3]

فبالمال باع ما خرج من أجله ، وبالمال باع وطنه ، فلا قيم ولا ثوابت عند أدعياء الإمامة فغايتهم المال والسلطة مهما بلغ الثمن أيا كان.

ونتيجة لذلك بدأت الحملة المصرية في يونيو ١٨٣٧ هــ ربيع أول ١٢٥٣ بالسيطرة على تعز وبدأ بالتقدم بضم المناطق المجاورة فلم يكن للناصر بد من أن يقوم بحمله لإيقاف اضطرابات المناطق الوسطى وإيقاف الزحف المصري وقد جمع العديد من القبائل بعد أن تصالح مع قبائل برط بقيادة العنسي وأرحب اللتان كانتا تحاصران صنعاء وضم إليها قبائل من حاشد وبكيل بالإضافة إلى عساكره وتوجه نحو المناطق الوسطى ١٢٥٣هــ وعسكر أول ليله في وعلان (قرية من قرى بلاد الروس جنوب صنعاء) ودعا إليها مشائخ سنحان.

---

(١) — مائة عام من تاريخ اليمن — د. حسين العمري .

(٢) لم يكن عماً للإمام علي بن المهدي وذكر أن المبلغ تسعة آلاف دفعة واحدة ثم ثلاثمئة راتباً شهرياً وهو المعقول ، كما ذكر أن هذا المبلغ (الذي كان مقابل الخيانة اقترضه إبراهيم باشا من تجار المخا بسبب العجز المالي عنده) كما إنه أخذ سبعة رهائن من رئيس الجماعــة الــتي عددها مائتين والتي كانت مع قاسم ورافقت القوات المصرية إلى تعز وذلك خوفاً من الغدر وكان لها نصيب من المبلغ المذكور وقد سمــى بلفير رئيس القبائل في حين ذكر المورخ التهامي النعمي أنه محمد بن أحمد بن دماج المحمدي وأنه باع تعز باثني عشر ألف ريال .

(٣) — البطريق : ٧٩.

ووصل إلى جهران ودعا قبائل آنس ووصل ذمار وعين وزيرا له **القاضي محمد بن علي الإرياني** ومكث بها شهر ونصف ووصل يريم ومكث بها شهر واخرج متمردي بكيل، من جبل رياب وبني مسلم وبعث برسائل للقبائل المسيطرة على المناطق الوسطى فلم يستجب منهم إلا القليل ووصل إلى إب وهناك كان امتحانه الكبير كما قال الكبسي.

إن ما عاناه اليمنيين من بغي واستبداد وفقر منذ عهد المهدي عباس حتى المنصور علي ابن المهدي عبد الله قد جعلهم ثائرين على حكم الأئمة خارجين على طاعتهم الأمر الذي جعل الناصر يلاقي مقاومة من القبائل المسيطرة على المناطق الوسطى ومن أهالي المنطقة الذين لم يخضعوا للمصرين.

والقبائل التي خضعت للمصريين قاتلت بجوار المصريين ضد الناصر.

وفي أوائل جماد الأول عام ١٢٥٣ هـــ - أغسطس ١٨٣٧ م وجه الناصر جيشا إلى تعز بقيادة زعماء القبائل **حسين بن يحيى العنسي البرطي والنقيب علي بن سهل الهيال الحميري صاحب خولان والنقيب مثنى الأعوج** من كبار لهم وتوجهوا مع قبائلهم نحو تعز وربما أحتفظ الناصر بكثير من جنده لحمايته وقد أشاعت بعض القبائل المقيمة بتعز بأنها ستقاتل مع الناصر وعندما وصلت قوات الناصر إلى قرب تعز قاتلت تلك القبائل مع المصريين.

وقد ذكر صاحب الحوليات ان المصريين ومن معهم انهزموا وتراجعوا إلى المدينة في بداية الأمر وأرسلت الرؤوس إلى الناصر حيث علقت في باب إب (قد عجب الناس من كثرتها وشناعة خلقها ثم يعزو إلى أدارة الناصر ووزرائه في عدم موافاة القوات فيما بعد بالمدد والتموين) كان هذا سبب التراجع والهزيمة بحيث لو وقعت معركة أخرى لانتهى أمر المصريين (ولكنه وقع المكر من عدم الإرسال لمن في المطرح بالعطاء والمسيرة) .

في حين ذكر الكبسي (فخرج من في تعز من العساكر المصرية والتقوا أصحاب الناصر إلى محل يقال الهشمه وحصلت حروب عظيمة قتل فيها **القاضي حسين بن يحيى بن عبد الله العنسي والنقيب علي بن سهل الهيال الحميري والنقيب مثنى الأعوج** .

وانهزم جيش الناصر وتوجهت القوات المصرية جنوبا وقد أيدهم **سعيد بن أحمد علي سعد** واستدعاهم وخان أمانته وهو عامل من جهة الإمام فنهض من العجم قدر آلفين حتى وصلوا مدينة العدين وفتحت لهم المدينة وأظهروا القوة والزينة).

وتراجع الناصر إلى جبله وأرسل خمسمائة من الرماة بقيادة **الأمير الماس** قتل فيها بعض المصريين ولكن النتيجة كانت لصالحهم .

تراجع الناصر مخذولا مهزوما قال الله تعالى (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) وأثناء تراجعه واجه من عاد من القبائل وهم ناقمون ساخطون ، واستعادت قبائل ذو محمد مواقعها في الحصون القريبة ومنها القبائل التي في بعدان حيث طردت حامية الناصر وقتلت عدد من رجاله .

وجاءت القبائل التي أخذ الناصر منها رهائن قبل أسابيع مطالبة بالإفراج عنهم .

وأصبح الناصر في محنة ولم يعد معه إلا ألفان من القبائل لم يكن تحتهم طائل[1] وأصبح أمله الخروج والهروب من الصعاب ويصف لنا صاحب الحوليات (كان يوم خروجه يوما عبوسا فكل فرد من أصحابه أيقن بالهلاك بسبب انقطاع جميع المسالك وكل واحد يريد أن يذهب الآخر وما وصل الإمام إلى المخادر إلا بشق النفس وكثره الأثقال بقيت في مدينه إب ... ورجع بخفي حنين ونعق بينه وبين اليمن (الأسفل) غراب المحن.

ولم يزل الخوف والفساد وراءه حتى وصل صنعاء [2] أما الرواية المصرية لما حدث فقد وردت بصيغه تقريريه متفاخرة في الرسالة التي بعث بها قائد الحملة المصرية **إبراهيم يكن** إلى محمد علي يبشره بإتمام فتح إقليم تعز بأكمله قالت الرواية (بعد ست معارك قاتل الجيش المصري فيها قتال الأبطال والآن تحتل جنودنا المنصورة كل الأماكن التي استولت عليها حيث يربطون معتزين بما أحرزوا من مجد وشهره بعد ما ولى الإمام الناصر الفرار إلى صنعاء مدحورا خائب الرجاء)[3]

إن الفكر الهادوي الذي سار على نهجه الأئمة في حكم اليمن وما أدى من تمرس الأئمة على أساليب الظلم والاستبداد والركود المتمثل في تخصص رئيسي قام به الأئمة ألا وهو سفك دماء اليمنيين بمختلف الوسائل، وأخرها دفع الجموع اليمنية للمعركة وقطع عنهم المدد وقد تكرر هذا قبل ذلك مرارا مثلما حدث أيام **المنصور علي وأيام المهدي عبد الله** في تهامة وتكرر بعد ذلك أيام **الإمام يحيى حميد الدين** في تهامة أثناء حربه مع الدولة السعودية.

إن الفساد التراكمي الذي نشأ نتيجة للفكر الهادوي المنحرف عن شريعة الله السمحاء

(١) – الكبسي .
(٢) – حوليات : ٧٩ ، الكبسي : ٣٨٠ ، زبارة : نيل الوطر : ٢/٧٢.
(٣)– البطريق : من تاريخ اليمن ٨٠.

أدى إلى ممارسة الأئمة وسائل وأساليب في الحكم تميزت بالجور والاستبداد والتجهيل لهذه الأمة ، فاتسمت الملامح العامة لليمن ، بنماء التخلف السياسي و الاقتصادي والاجتماعي بشكل تراكمي ، وزاد على ذلك الناصر تعصبه ومغالاته في التشيع وقد داب الأئمة على عدم الاتعاظ بمن قبلهم بالقيام بعملية التقويم والتعديل والمراجعة للماضي و الوضع القائم ونتائجه وعواقبه و لم يفطنوا لقوله تعالي (أولم يسيروا في الأرض فينظرون كيف كان عاقبة الذين من قبلهم). (الروم ٩)

إن النهج الإسلامي يفرض علينا أن نسجل التاريخ ونصنع منه عظه وعبره في الحاضر والمستقبل بالنقد والتقويم وفقا لمعايير القرآن وصحيح السنة سواء بثوابت القيم أو من القصص القرآني القائم على التعليل وبيان الأسباب وربطها بالنتائج والعواقب.

إن الثقافة التاريخية من أهم العوامل في التشكيل الثقافي للأمم وإن من أكبر الأسباب في بقاء الفكر الهادوي لأكثر من ألف عام هو تحوله إلى ثقافة مجتمعية رغم عشرات المحاولات في الأزمنة المختلفة للقضاء على النظم السياسية المتمثلة في الأئمة وقد أستمر اختفاء الأئمة الهادويون في بعض فترات لأكثر من قرنين ككيان مؤثر إلا أن بقاء هذا الفكر كثقافة يتسلق ويحيا على الجهل بين العامة هو السبب في محاولة المستفيدين منه بعثه كلما أتيحت لهم الفرصة عند إي اختلال أو تدهور في نظم الحكم المضادة لهذا الفكر .

إن من أعظم الأخطاء التي أرتكبها الثوار على الفكر الهادوي عبر الأزمنة المختلفة هو الاكتفاء بتغيير نظام الحكم الهادوي وإهمالهم العمل على تغيير جذري للثقافة المجتمعية لهذا الفكر.

عن طريق التنشئة الدينية السوية القائمة على ثوابت الشرع في العدل والمساواة والمظهرة لانحراف الفكر الهادوي بنشر دعاوية وتأويلاته المتعلقة بالاستحقاق الإلهي للحكم وإرث النبوة وما يتبعها والرد عليها وتفنيدها والعمل على تصويب ما يدرس من مناهج في الهجر.

تلك الهجر التي كانت البذرة التي ينبت منها هذا الفكر كلما أجدبت أرضه وقل أتباعه.

ونعود إلى الناصر وطريقته في إدارة أمور البلاد التي اتسمت بالجور والاستبداد بالإضافة إلى ما ورثه من نتائج الجور وظلم أسلافه والتي أدت إلى سقوط سواحل اليمن الغربية في أيدي الدولة المصرية بقيادة محمد علي باشا وبالتالي سقوط تعز والمناطق الوسطى عند هزيمة الناصر.

هذا الوضع مهد لدخول جزء عزيز من اليمن تحت أيدي الاستعمار الأجنبي وهو سقوط عدن في أيدي الاستعمار الإنجليزي سنة ١٢٥٤ هـ ١٦/ يناير ١٨٣٩ م .

ونعود إلى الناصر فقد عاد إلى صنعاء بعد هزيمته أمام الجيش المصري في تعز وبعدان والعدين وهروبه من حصار القبائل له في إب.

وخلال ذلك توفي أخيه **علي بن محمد بن حسن** وكان معتمدة في صنعاء [1] سنة ١٢٥٤ هـ .

وقرر في مطلع العام أن يقوم بإعدام الإمام المخلوع **على ابن المهدي عبد الله وعمه محمد المتوكل** (وكان يصحبهما معه عند نزوله إلى المناطق الوسطى ثم أودعهم في سجن ذمار وأكمل مسيرته).

ولابد أنه أراد بقرار إعدامهما أشغال الناس عن هزيمته أمام المصريين وعصيان القبائل بعد مرور أربعه عشر شهرا له في الحكم.

وقد أراد صيغه شرعية لإعدام الرجلين فجمع العلماء لينتزع منهم موافقة على إعدامهم ولكنهم نصحوه بعدم القيام بذلك.

(وكان للناصر أراء غريبة حيث كان يطرح على فقهاء عصره هل تصح الصلاة في المساجد التي بناها الظلمة ؟ وهذا سيقود إلى خلافات خطيرة ومتاهات كتحديد من هو الظالم وأي مسجد بناه ، وإذا كانت الصلاة لا تصح فهل يهدم ؟ ثم من قال هذا الكلام الغريب على الإسلام وروحه)[2] مع التسليم بوجود حكام ظلمه في اليمن وغيرها ومنهم أسلاف الناصر نفسه وكذلك رأى أن القضاة أكثر من حاجة الدولة فكلف وزيره **القاضي إسماعيل بن حسين جغمان** المغالي في التشيع **ويحيى بن محمد الأخفش** باختبار الحكام في مدى التزامهم بوجهة النظر الإمامية والهادويه .

تضافرت آراء أكثر العلماء الناظرين في التاريخ الطبيعي للأديان على أن الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني[3].

---

(١) – حوليات: ٧٧.
(٢) – حوليات.
(٣)– طبائع الاستبداد – عبد الرحمن الكواكبي

ويقول صاحب الحوليات أن هذا قطع لدابر دولة هذا الإمام وبتلك الآراء كسب عداوة جمهور العلماء وكثير من الناس فقد أظهر مع أصحابه تعصبا ومغالاة في التشيع (حب أهل البيت الذين يحبهم ويجلهم كل المسلمين).

مصرع الناصر :

إن مصرع إمام على يد قبيلة ثائرة أو خارجة عن الطاعة نادر الحدوث لما أتقنه الأئمة من أساليب تمثلت في دفع قبيلة أو قبائل على القبيلة الثائرة أو المتمردة وبالتالي تحويل نزق التمرد أو الثورة من القبيلة باتجاه الإمام إلى القبيلة باتجاه القبيلة وما يصاحب ذلك من عنف وسفك دماء وبالتالي عداء تراكمي بين القبائل.

وكان أيضا من أساليب الأئمة في امتصاص غضب وتمرد القبيلة هو مراضاهما بالمال كما حدث مع قبائل برط وغيرها في عهد المهدي عباس وأبنه وحفيده.
وكذلك استخدام الأئمة إلقاء المسؤولية على أحد الوزراء ومعاقبته لتهدئة القبيلة الثائرة أو التظاهر بذلك .

وذكر المؤرخون أن الناصر كان له عداء واضح لنفر من الباطنية الإسماعيلية وكانوا يعيشون في جبل طيبه المطل على وادي ظهر القريب من صنعاء ، فقد حدث في شهر صفر ١٢٥٤ هـ مايو ١٨٣٨م أن خرج الناصر للتتره إلى وادي ظهر فاجتمعت همدان ورتبوا الجبال ومنعوه من المرور.

و لم يذكر المؤرخون أي سبب مباشر لموقف همدان هذا فلم يتخذ الناصر ضدهم أي شيء.

وأما بالنسبة لما ذكره بعض المؤرخون من أن همدان تتمذهب بالمذهب الباطني فلم نجد له أي أثر في معايشتنا لأبناء قبيلة همدان ولا يعرف المسنون من أهالي همدان أي شيء عن هذا المذهب ويمكن أن يكون وصف المؤرخون لهمدان بالباطنية أو الإسماعيلية أو المكارمه من الدعايات التي كان يطلقها الأئمة على مخالفيهم ، فما كان من الناصر بعد منع همدان له من المرور إلا أن عسكر في تلك المنطقة ووجه صنعاء بإرسال المدافع والجنود وطلب قبائل بني الحارث فهبت لنجدته وتقاتل الطرفان وسقط العديد من القتلى من الجانبين وانتهى الأمر بالصلح وأن يعود الناصر إلى صنعاء وتسلم همدان أربعه من صغارها يحتجزهم الناصر كرهائن .

وترك ذلك آثار سيئه لدى الطرفين فقد أحس الناصر بالإهانة والمرارة لإرجاعه وكان اكثر القتلى من بني الحارث وزادت همدان فجزت رؤوسهم وعاد الناصر إلى صنعاء ودبر

للانتقام فأستخدم أساليب أسلافه في دفع قبيلة على قبيلة وكأن هذا الأسلوب قد أتخذه الأئمة كمنهج واجب التنفيذ.

فقد دفع أرحب بجوار بني الحارث ثم دفع بسنحان وتوجهت الجموع إلى وادعة همدان والجاهلية ووقعت حرب شديدة راح ضحيتها من الجانبين.

ثم هزمت همدان وقطعت رؤوس من قتلاها وعلقت على باب شعوب وخضعت همدان لشروط الصلح وأحضرت العقائر (البقر) ونحرت بين أيدي الناصر وسلموا شيئا من المال إليه وأدخلوا قبائل إليه في الزناجير من وادعه حتى يسلموا المُعين عليهم.

ويؤكد هذا ما ذهبنا إليه من أن الدافع في استجابة قبيلة أو مجموعه قبائل للإمام لقتال القبيلة أو القبائل المتمردة أو الثائرة هو للانتقام ففي زمن المهدي عبد الله كانت قبيلة همدان على رأس القبائل التي هاجمت أرحب والمواليين لها بني الحارث وكان أول رأس أجتز من قتلى أرحب كان على يد أحد مشايخ همدان دفع فيه المهدي عبد الله عشره ريال ومشخصين [1] إن أفعال الأئمة بزرع الأجقاد والثارات بين الأخوة هو عكس ما أمر الله به في قوله تعالي (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ) آل عمران ١٠٣

وقوله تعالي {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ } الأنبياء ٩٢

صنع الهادويون بتلك السياسات الصراع والثارات بين القبائل فالتجئوا إلى قبيلة ودفعوها ضد الأخرى ونشروا أفكارهم وجعلوا للصراع مبرر مذهبياً فتراكمت العدوات وأصبحت القبائل مهيأة لاستخدام إحداها ضد الأخرى وخاصة في مسألة إحياء الجوانب السلبية للقبيلة والقبلية على حساب ما قام به الإسلام من استغلال للجوانب الإيجابية للقبيلة والقبلية كمكون أساسي للمجتمع على أساس المساواة والأخوة الإسلامية والولاء للأمة تحت هدي الإسلام .

وقد عانت همدان من ناصر آخر هو **صلاح الدين بن علي بن محمد** (**ت .٧٩٣هـ. – ١٣٩١م**) حيث خرجت عليه همدان وجمع عليها القبائل بنفس الكيفية والأسلوب إلا أن هذا الأخير كان أبشع في التنكيل بهمدان كما ذكرنا عند ذكر سيرة هذا الإمام.
وكانت سلطة الناصر عبد الله في صنعاء ومنطقة الشمال وجنوبا إلى يريم حتى رداع وغربا إلى حراز ففي أثناء حربه مع همدان اضطربت الأوضاع فثارت رداع على عامل الإمام بها

(١) – المشخص : قطعة من الذهب مستديرة أكبر من الجنيه تستخدم زينة للنساء .

عبد الله الخولاني الذي عين من أيام المهدي عبد الله فقتل وقطعت رأسه وقد أرسل إلى الناصر بصنعاء (صلب قدر نصف شهر)[1].

ويؤكد ذلك أن للناصر رغبة في مقتله وخرجت قبائل يام من سكان نجران في عام ١٢٥٥ هـ وانضمت إليهم قبائل جشم والعجمان وآل فاطمه وهاجموا تهامة نتيجة لقحط وجدب شديدين في مناطقهم[2] فواجههم بعض العساكر المصريين وصولح بعضهم بالمال وتوجه نحو آلفين منهم إلى حراز بناء على رغبة أهلها الذين كانوا يشتركون مع يام في مذهب الباطنية (بأن أهل حراز ما لاقوهم (يام) إلا من شدة ماناهم من جور العمال والوزراء حتى أهانوهم وأغلظوا عليهم فهان عليهم الفرقة الكافرة والباطنية وأقبلوا لطاعتهم في السر والعلانية).

واقتربت نهاية الناصر ففي أول عام ١٢٥٦ هـ الموافق ١٨٤٠م شرع في أعداد حمله إلى المناطق الوسطى وبعث إلى مختلف الجهات يطلب فيها مقاتلين.
وفي ٩ربيع الأول عسكرت بعض الجموع في سيان (قرية من قرى سنحان جنوب صنعاء) وفوجئ أصحابه بتوجه الناصر إلى الوادي بدلا من أن يلحق بالحملة وفي العصر خرج عائدا إلى صنعاء فأعدت له همدان كمينا عند مدخل الوادي في شعب يحيط به بعض الجبال وتسيطر عليه وعند وصوله أطلقت النيران فأصيب الناصر بثلاث رصاصات وقتل أحد مرافقيه فرجعوا هاربين إلى دار الحجر وتبين لهمدان أنه لم يقتل فلحقوا به إلى الدار وذبحوه وقتلوا من معه وقد حمل رأس الناصر وطيف به على مشائخهم وأظهروا البشارة وأوقدت النيران.

وقد تواتر النقل عن **العلامة العمراني** أنه قال وهو في منفاه في زبيد أن مقتل الناصر هو يوم عيد المسلمين أما علماء ذمار ممن سجنوا في زيارة الناصر لمدينتهم في طريقه إلى المناطق الوسطى فقد عبر عن سرورهم **العالم الأديب القاضي محمد بن حسن الشجني** في قصيده مشهورة .بمقتل الناصر تنفس الصعداء علماء صنعاء مع زملاءهم في مناطق أخرى واضطربت أحوال البلاد (وأصيب أصحاب الناصر والمتحمسون لمغالاته بخيبة الأمل والقنوط).

لكن بعض من نجا من أصحاب الناصر فروا إلى أرحب ومن بينهم **يحيى بن محمد حميد الدين** جد **الإمام يحيى حميد الدين** ، **والوزير الارياني والفقيه الغفاري**[3] .

---

(١) – حوليات :٨٣.
(٢) – حوليات ٨٥.
(٣) – الجرافي : المقتطف ١٩٧ .

أما أنصار الناصر فقد نجحوا في دفع أرحب ونهم وخولان وحاشد للهجوم على همدان فأثخنوا في قتل همدان وأنتهبوا جميع القرى والمواشي وكان وقع ذلك قاسيا على همدان وأرسلت إلى صنعاء سته وعشرين رأسا من همدان ، والحاصل أن القبائل يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الفكر الهادوي وأئمته ، الذين عملوا على تجهيلهم.

"ولهذا كان الاستبداد يستولي على تلك العقول الضعيفة للعامة فضلاً عن الأجسام فيفسدها كما يريد ، ويتغلب على تلك الأذهان الضئيلة فيشوش فيها الحقائق بل البديهيات كما يهوي فيكون مثلهم في انقيادهم الأعمى للاستبداد ومقاومتهم للرشد والإرشاد [1] "

وأشعل الناصر الفتنة حيا وميتا وكان أكثر من ركب موج التعصب من الأئمة.

***أسباب ودوافع الإستعمار البريطاني لعدن :ـ**

وفي هذه الفترة انتهت الدعوة الوهابية وأميرها **ابن سعود** كما ذكرنا وتنامى طموح **محمد علي باشا** في إنشائها دولة عربية قلبها مصر وامتدت إلى بلا د الشام والجزيرة العربية فقد سيطر على السودان عام ١٨٢١م و ١٨٢٣م ووجه حمله على سوريا ١٨٣٨م وأخرى ١٨٣٩م.

وكان قد بنى قوة عسكرية وهدد الأناضول تهديدا فعليا فأحس الأوربيون بخطر نشوء دوله عربية قوية فوقفوا ضد محمد علي باشا لإيقاف تطور هذه الدولة عسكريا واقتصاديا وصناعيا وعملوا مع العثمانيين على إعادة هذه الدولة تحت الولاية العثمانية فكانت اتفاقية (كوتاهية ١٨٣٣ م ومعاهدة لندن ١٨٤٠م وبذلك أنحصر حكمه على مصر التي عمل على النهوض بها وتنميتها ومثل هذه الأعمال هي التي يجب أن يقوم بها حكام المسلمون .

وكان محمد علي باشا قد شكل عقبه في طريق تنفيذ بريطانيا مشاريعها البعيدة بما في ذلك احتلال مصر ،ولم تقدم بريطانيا على إظهار أي خطوة عدائية نحوه وقد كان محمد علي باشا يؤكد للبريطانيين أنه سيحافظ على المصالح البريطانية في الجزيرة العربية والبحر الأحمر.

فوافق للبريطانيين أن يقيموا محطة للفحم في جزيرة كمران عام ١٢٥٢هـ /١٨٣٧م وكانت تحت سيطرته.

إلا أن توغل قوات محمد علي باشا داخل اليمن في مدينة تعز وما بعدها أدى إلى تخوف

(١)ـ طبائع الاستبداد – عبد الرحمن الكوكبي .

بريطانيا من استيلائه على ميناء عدن وكان لها محطة لتزويد بواخرها بالفحم منذ عام ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م إلا أنها فشلت لعدم توفر الأيدي العاملة [1] وكانت الحكومة البريطانية قد أرسلت **س .ب . هنز** عام ١٢٥٠هـ – ١٨٣٤م لدراسة المواقع التي تصلح لبناء محطات لتزويد السفن بالوقود في خليج عدن وللقيام بمسح ساحل حضرموت ورفع تقريرا يظهر فيه مزايا عدن كميناء.

وأكد تقرير **جمبي ماكمزي** نوايا محمد علي في السيطرة على تلك المناطق بعد أن زار مدن جده والحديدة والمخا أواخر عام ١٢٥٢ هـ – ١٨٣٦م ، وان عدن ليست مستعصية على محمد علي ولا صنعاء.

ولأن بريطانيا كانت تدبر لذلك منذ زمن فقد اشتعلت حادثه السفينة التي كانت تحمل علمها والتي جنحت في عدن ونهبت في شوال ١٢٥٢ هـ /.١٨٣٧م ذريعة للسيطرة على عدن .

فجاء الكابتن هنز للتفاوض مع سلطان لحج على التنازل عن عدن ثم عاد مرة ثانية في شعبان ١٢٥٤ هـ / ٢٤اكتوبر ١٨٣٨ م لمحاولة الاستيلاء على عدن دون مقاومة فانتظر ليصل الأسطول البريطاني والذي وصل ٢٥شوال ١٢٥٤ هـ ٢٦يناير١٨٣٩ م فقصف الأسطول البريطاني عدن بعد ثلاثة أيام من وصوله فهدم الحصن وفر **السلطان محسن بن فضل** إلى لحج واصبح هنز أول معتمد بريطاني.

وهكذا كان نتيجة صراع القاسميون على الإمامة وظلمهم واستبدادهم وأساليبهم الجامدة والمتخلفة قد أدت إلى سقوط عدن في أيدي الاستعمار الإنجليزي وساعدت على بقاء الاستعمار بأشغال اليمنيين بالاقتتال فيما بينهم من ناحية وانشغالهم بمقاومة الحكم الأمامي من ناحية أخرى.

أما دخول القوات البريطانية عدن فكان بداية لنهاية نفوذ **محمد علي** على اليمن والجزيرة و لم يقم محمد علي بمقاومة الوجود البريطاني في عدن لكسب ود بريطانيا لكي لا تتدخل في صراعه مع الأناضول.

وبعد أن تحالفت عليه الدول الكبرى الخمس عقب هزيمة الجيش العثماني في موقعة (نزيب) في ربيع الأول ١٢٥٥ هـ ٢٤يونيو ١٨٣٩م وانحياز الأسطول التركي إلى محمد علي فبعد ذلك أصدر محمد علي أمره بانسحاب قواته من اليمن عام ١٢٥٦ هـ/١٨٤٠م

(١) – ماكرو اليمن والغرب .

إن صراع محمد علي باشا مع العثمانيين كان أكبر ضربه للخلافة الإسلامية ونتيجة لذلك زاد نفوذ الدول الاستعمارية وانسحبت القوات المصرية من تهامة وسلمتها **للشريف حسين بن علي حيدر**(١).

ويبدو أن من أسباب تسليم محمد علي حكم تهامة لهذا الشريف انه كان قد أرسل بعثه إلى الإمام يطلب طرد البريطانيين ولكن الإمام وقف عند رأيه القائل باستحالة ذلك عليه لآن هذا خارج عن نطاق تخصص الأئمة فهم مختصون بظلم وسفك دماء اليمنيين فقط.

ويصفهم ابن الأمير بقوله :

ملأتم بلاد الله جوراً وجئتم بما سودت منه وجوه الدفاتر (٢)

المبحث الثاني / ثورة الفقيه العنسي

فكما جاء الجند بالناصر ونصبوه إماما **أخرجوا محمد بن المتوكل** من السجن ونصبوه إماما فلقب نفسه بالمتوكل ثم غير لقبه إلى الهادي بعد ثلاثة أشهر (٣)
وأطلقوا معه الإمام المخلوع **علي ابن المهدي** .

تولى **الهادي** وأستوزر وزراء **الناصر محمد ابن احمد العفاري ومحمد بن علي الإرياني**. وحبس الأخير بعد شهر ثم عينه ثم عزله أكثر من مرة وأعدم نهاية الأسبوع الأول **محمد الكوكباني** أحد قادة الجنود الذين فروا من أصحاب الناصر حيث التقاهم بذهبان ثم عاد وكان منه إطلاق نار باب قصر صنعاء وقتل حارسا أو أكثر
كان مقتل الناصر وانسحاب القوات المصرية من تعز ثم من اليمن عام ١٢٥٩ هـ جعل المناطق الوسطى مفرغه من أي سلطه للدولة فاستولت على تلك المناطق قبائل بكيل وبعض مشائخ المنطقة المتنفذين وعانى السكان الأمرين من الظلم والاستغلال وانتهاك الحرمات.

كل تلك الأوضاع هيأت قيام ثورة بقيادة الفقيه سعيد العنسي :-

---

(١) – البطريق :١٠٢ – مائة عام من تاريخ اليمن .
(٢) – ابن الأمير وعصره – حسين السياغي و محمد بن علي الأكوع وغيرهم . ص٢٣٩
(٣) – زبارة : نيل الوطر .

هو سعيد بن صالح بن ياسين العنسي وكان فقيها متصوفا في قريته الدنوه بين حبيش ونعمان غربي إب .

وقد تطور حاله من العزلة الصوفية إلى مصلح اجتماعي وثائر من صفوف الشعب ثم إلى داعي سياسي لقب نفسه إماما.
ويقول فيه صاحب الحوليات:-

(كان في بدء أمره ظاهر الصلاح داعيا الناس إلى الخير والفلاح ، ودعا الناس إلى الهجرة إليها (الدنوة) فأجابه أرذاذ الناس والتجأ إليه كل غريب ولاذ فما زال مشتغلا بتقواه موافقا في سره ونجواه وكان له في الزهد الحظ الوافر لو عرضت عليه الدنيا بأسرها فما تأملها (ردها) وتزينت بين يديه ما تمثلها حتى صارت حضرته محلا لأهل الدين ومحط رحى المهاجرين.
وكان فيهم للصغير أبا وللكبير أخا بسجيته تنجلي عنها الظلماء وخلق مزاجه عسل وماء فأقام على هذا أربعين عاما معتكفا على الدراسة معتزلا لأهل النفاسه والرياسة مقبلا عليهم بموعظة وخشوع وكثرة سجود وركوع فسمع به القاصي والداني....)[1] ذلك كان شأن الفقيه سعيد وسيرته بين الناس حتى حلت الفوضى بشكل خطير فالتجأ إليه الضعفاء والمطرودين من أراضيهم وبيوتهم فكان التحول في حياة هذا الرجل استجابة لهؤلاء من أجل التصدي لما حل بالناس.
فهل كان ذلك دافع ديني للقيام بدور إيجابي بدل من الخضوع الصوفي وقبول المشيئة ؟ أم أنه كان يعد نفسه لعمل قيادي وطني.
ويعلن الفقيه سعيد نفسه إمام الشرع المطهر وقد ذكر كُتاب الأئمة أنصار الفكر الهادوي بأنه سما نفسه مهديا منتظرا و اتهموه بالسحر والشعوذة.

وهذا دأب الأئمة وفقهائهم فكانوا يتهمون الخارجين عليهم أو الثائرين على ظلمهم بتهماً أدناها (ناصبي) وأعلاها (كافر تأويل) فكيف بمن يثور عليهم ويلتف حوله أغلب أبناء المناطق المضطهدة ولولا الخديعة لشكل خطراً حقيقياً على الأئمة ولأتباعهم ، وأخطر ما في ثورة العنسي أنها قامت على أساس ديني نابع من علمه وورعه ، وبمذهباً استطاع أن يقف أمام الفكر الهادوي بإخراج أهالي تلك المناطق من حالة المفعول بهم منذُ نهاية الدولة الطاهرية إلى فاعلين ، وهذا حدث لهُ أهميته.

---

(١) – حوليات ٩٢.

وإذا أفترضنا صحة ما روي من أنه ادعا الإمامة فهذا أنكر المنكرات وفقاً للفكر الهادوي الذي أصل الحق الآلهي في الإمامة لمن هم من البطنين .[1]

و كانت دعوة العنسي للثورة ضد ظلم عمال الإمام والقبائل المسيطرة على مصائر الناس واستجاب لدعوته كل الناس وأخذ كل ما نهبه عمال الإمام والقبائل وأعاده إلى الناس واستطاع إخراجهم من معاقلهم وأمرهم بالارتحال وضرب باسمه السكة من الفضة الخالصة .

وكان الأئمة يجعلون جزءا من السكة فضه والأغلب نحاس ، وأمتد سلطانه من زبيد غربا إلى يافع شرقا وشمال منطقتي تعز وإب وأقترب شمالا إلى يريم وبدأ الخوف والقلق ينتاب إمام صنعاء الجديد ودولته كلها.

إن عدم انتشار الفكر الهادوي في المناطق الوسطى والجنوبية والغربية جعلهم يستطيعون أن ينظموا ثوره وأن يقيموا دول قضت على الإمامة الهادويه أحيانا أو حجمتها أحيانا أخرى حتى بقيت الإمامة الهادويه لفترات زمنية تمتد إلى قرن فأكثر في نطاق جغرافي ضيق.

إن الفكر الهادوي وأئمته قد زرعوا الفتن والعداء المتبادل بين قبائل شمال الشمال وبينها وبين المزارعين من أبناء المناطق الوسطى وأدى ذلك الأسلوب إلى وجود مصالح لمشائخ تلك القبائل عند تسليطهم من قبل الإمام على المناطق الوسطى زد على ذلك نجاح الأئمة في جعل المناطق الشمالية على مذهبهم الذي يقوم على مبدأ استحقاق الإمامة لمن هم من البطنيين حتى وإن كان بعض المشائخ أقوى من الإمام فإنه يبحث عن أحد أبناء هذه السلالة لينصبه إماماً ، ذلك لما أنتشر كثقافة مجتمعية تحرم على أبناء اليمن حكم بلادهم هذه الأسباب وغيرها لم تكن كثقافة اجتماعيه بين أبناء المناطق الوسطى والغربية مما جعلهم يلتفون حول رجل اتصف بالتقوى والصلاح ونادي بتخليصهم من ظلم واستبداد الأئمة والقبائل الغازية كيف لا وقد التفوا حوله حبا لا خوفا وأصبح في نظرهم منقذا ووليا وكان يطعم الطعام لمن وفد إليه وأرتعب المشرق والمغرب حين رأوا بكيلا قد فارقوا تلك الحصون وارتحلوا إلى ديارهم مرعوبين [2].

ولكن **الهادي محمد ابن المتوكل** استطاع القضاء على هذه الثورة لا بحول منه ولاقوه لكن بغدر وخديعة قبائل بكيل التي كانت ضمن جيش العنسي وقد فعلت ذلك نتيجة لما

(١) - كتاب الأحكام - باب القول فيما تثبت به الإمامة لإمام ، وباب القول في صفة الإمام -
(٢) - الشماحي : اليمن :١٥٨.

تنشأت عليه قبائل الشمال من جهل واعتقاد بأن الإمامة لا تصح إلا فيمن هم من البطنيين ولأن هذه الثورة ستحرم الزعامات القبلية من العائدات التي كانت تحصل عليها من تلك المناطق سواء بتوجيهها من الإمام لإخضاع تلك المناطق أو لانتزاعها من مدعي الإمامة الخارج على الإمام أو بغزو تلك المناطق مباشرة .

واجمالاً فإن قيام ثورة الفقيه سعيد العنسي قد قضت على مصالحهم .

تلك الأسباب جعلت قبائل بكيل التي كانت متنفذة على تلك المناطق تتظاهر بالخضوع للعنسي حتى استطاعوا خداعه بدخول بعض تلك القبائل ضمن قوات العنسي المقاتلة وكذلك بعض قبائل خولان وعلى رأسهم **النقيب حسين بن سعيد أبوحليقه والنقيب علي بن علي سهل الهيال.**

وكان خطأ الفقيه العنسي الاستعانة بهذه القبائل في حربه مع الهادي إذا أصبح السبب الأول في هزيمة عسكره الذين وصلوا إلى يريم وحاصروا الإمام وأنصاره في أول شهر شوال١٢٥٦ هـ - و حينها تم الاتصال بين الهادي والنقيب أبوحليقه وأصحابه واتفقوا على أن يقوم النقيب أبو حليقه وأصحابه بالقبض على قادة جيش الفقيه سعيد ويفشلونه من الداخل وبعد ذلك تم الهجوم من قبل أنصار الإمام ففاجئوا جيش الفقيه سعيد والمفاجئة الثانية قيام أبي حليقه وأصحابه بالقبض على قادة جيش الفقيه سعيد ووقع القتل والنهب والسلب ولكنها لم تكن القاضية للفقيه سعيد فأعد جيشاً كبير ووصل للهادي دعم من قبائل خولان ونهم وهمدان والحدا وصعدت قوات الهادي صوب سمارة والتقى الفريقان يوم ١٨شوال ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠م ودخلوا الدنوه ووقعت معركة أخيره وقبض على الفقيه فأمر الهادي بضرب عنقه وصلبه ويرى **المؤرخ عبد الله الشماحي** أن سبب فشلها أنها سبقت ولم يمهد لها من ناحية ولكن خيانة قبائل الشمال وجهلها كان السبب الأكبر.

قال الله تعالي (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وساعد العنسي الهادي على مد نفوذه بالمناطق الوسطى عندما قام بالقضاء على القبائل المتنفذه في تلك المناطق ، أما بالنسبة لتلك القبائل وقادتها التي خانت الفقيه سعيد وعلى رأسها خولان بقيادة أبوحليقه فكان من نفس العمل فلم يمهلهم الهادي فبدأ بقتلهم وسجنهم أثناء عودته في الطريق إلى صنعاء فقطع رؤوس كبارهم وعلى رأسهم **النقيب حسين بن سعيد أبوحليقه** الذي كانت خيانته لقوات الفقيه سعيد هي السبب الرئيسي في انتصار الهادي ومن ثم

دعمه للقضاء على الفقيه سعيد وقد تم قطع رأس أبوحليقه وسجن أهم أصحابه في حصن الدامغ بضوران آنس.[1]

وبعد فتره من الهدوء قرر السفر إلى المناطق الوسطى للكشف على أحوال عماله ثم عاد إلى صنعاء بعد شهرين إلا أن قبائل خولان أصحاب النقيب حسين بن سعيد أبوحليقه أعدوا له كمينا ثأرا لما حل بصاحبهم في العام السابق إلا أنه غير طريقه وتحصن في حصن الدامغ ١٢٥٨ هـ - ١٨٤٢م.

وفي العام التالي بلغه أن **الشيخ حسن يحي عباد** أعلن العصيان بيريم فخرج الهادي على رأس جمله لتأديبه ولما وصل جهران أتته كتب ابن عباد بالسمع والطاعة ولكنه صمم على ضرب حصنه فضربته المدافع ولكنها لم تهدمه.

وعادة بلاد حراز إلى حكمة وقد دخلتها قبائل يام عام ١٢٥٥ هـ فقد أرسلت حراز من يبلغ الإمام بطاعتها نتيجه لظلم وتسلط قبائل يام فأرسل الهادي بعض القبائل فاستقبلت في حراز بالترحاب والضيافة.

إلا أن بعض المناوشات تفاقمت إلى حرب بين الجانبين وقامت قبائل يام بتأديب من قاموا بفتح بيوتهم للقادمين.

ولم تكن بين الأئمة وعمالهم ثقة وأمانة فقد رأينا فيما سبق أن الأئمة يقومون بسجن وزرائهم وخلعهم وكذلك يفعلون مع عمال المناطق بسبب تحفظهم على المبالغ المحصلة من الرعية لأنفسهم حيث كان الإمام يتمتع بصلاحية مطلقه في تحصيل وأنفاق تلك الأموال وكذلك كان عماله في مناطقهم يتمتعون بصلاحية مطلقه ولم نطلع لأي من مؤرخي الأئمة أي ذكر لنظام مالي قائم على مبدأ مركزية الإيرادات إلى بيت مال المسلمين ومركزية المصروفات بل كان كل عامل يصرف مباشرة مما تحصله من تلك المنطقة والمتبقي يحضره للإمام وكان يعود أغلب العمال بثروات طائلة ثم يحصل التراع والخلاف بينه وبين الإمام على تلك الأموال فكان الإمام حينا يعزل العمال وحينا يسجنهم وحينا يصادر أموالهم وحينا يعذبهم وينكل بهم.

وقد يكون كل ذلك دون محاكمه، وقد تكرر ذلك منذ عهد المهدي عباس حتى عهد **الهادي محمد ابن المتوكل.**

---

(١) – مائة عام من تاريخ اليمن – د. حسين العمري .

وكان الأمراء العبيد يتآمرون على بعضهم البعض تارة وتارة يتآمرون على الوزراء والعكس، وأحيانا يسلط الإمام هذا على ذاك.

وبقيت أراضي واسعة باسم بعض الأمراء العبيد [1]وبعض الوزراء إلى يومنا هذا مما يدلل على ثراء كان لهم .

وكانت تنشأ الحروب بين أبناء القاسم على عائدات المناطق الخصبة وكان يبدأ الخارج بإدعاء الإمامة ثم يتفاوض مع الإمام على ان يترك له عائدات ماتحت يده

ونعود إلى عهد الهادي **محمد ابن المتوكل أحمد** [2]فقد عاد القاضي يحيى بن علي الأرياني والذي كان قد عينه الهادي على المناطق الوسطى بعد هزيمة الفقيه العنسي مع الأمير فتح محمد ، فسجنه بعد وصوله صنعاء وصادر ممتلكاته بعد أيام وعين خلفا له **حسين محمد الشامي** وعزله في العام التالي كما سجن **الأمير فتح محمد** وقد لقي الاثنان معاناة من الأمير العبد فيروز.

وكان هذا الأمير قد نصب له كمين من أهالي خولان أعده له النقيب احمد الرويشان وأصحابه بني ضبيان من خولان تمكنوا فيه من نهبه وأسره ولكنه خرج في اليوم التالي بعد قتال دار بين أصحابه وخولان في قرية (وعلان) قرية من بلاد الروس وكان الأمير فيروز راجعا من بلاد إحلال بآنس بعد أن رافق الهادي محمد ابن المتوكل لتأديب أهالي إحلال المتمردين.

مضى حكم الهادي الذي بلغ ثلاث سنين وثمانية أشهر ولم تقم بكيل بحصار صنعاء أو تهديدهُ وذلك لسببين:

- انشغالها أول هذه الفترة في المناطق الوسطى.

- وثانيها نزول الأمطار وما عم من الخير حتى شهر شعبان ١٢٥٩ هـ سبتمبر ١٨٤٨م فتجمعوا بقرية السواد من بلاد سنحان جنوب صنعاء ثم في قرية الظبر التي تليها بمسافة فتم إرضاؤهم ببعض المال (ولا يتم مراضاتهم بالمال من قبل الأئمة إلا عندما يكونوا غير قادرين على مواجهتهم بقبيلة أخرى) إن سياسات الأئمة وأساليبهم تتكرر في الحوادث المتشابهه فيمضي الزمن والسياسات والأساليب نفسها فيبقى الأمس هو اليوم ولا غد.

---

(١) – ظهرت وثائق لمساحات كبيرة من الأراضي باسم الأمير الماس وهو أحد موالي بني القاسم .

(٢) – د. حسين العمري – مائة عام من تاريخ اليمن .

إن الجمود وعدم التطور في السياسات والوسائل يثبت جمود الفكر الذي سارو عليه والذي هو في الأساس فكر منحرف عن شرع الله فأين ما يدعون من أن المذهب الهادوي يجيز حرية الاجتهاد .

أن بعد فكر وحكم الأئمة عن النهج القويم لدين الإسلام الحنيف جعل الفتن وسفك الدماء على إمتداد الساحة اليمنية ، حتى أصبحت الهوية العامة والسمة السائدة لحكم الأئمة هي إشعال الحروب من شرق اليمن إلى غربة ومن جنوبه إلى شماله بسبب الفكر الهادوي المرتكز على الاستحقاق السلالي للحكم والمؤصل لدوافع الفتن والذي سار عليها الأئمة مطبقين منه ما يثبت حقهم في الحكم ومخالفين فكره الذي يضع العدل أصل من أصول التشريع فحادوا عن التفكر والتدبر في كتاب الله وصحيح السنة .

إن الشريعة الإسلامية قائمة على العدل والمساواة ودافعة للنماء والتجديد والتطور في كل مناحي الحياة و ليست الفكر الذي يقوم على التميز السلالي والصراع على الحكم بإشعال الحروب وسفك الدماء .

إن الفكر الهادوي قد عم ظلمه حتى على الأئمة أنفسهم فقد جمدوا بفكرهم وأساليبهم وجمدوا فيض المبدعين من العلماء المعاصرين لهم بكبت تلك الإبداعات وحصرها في دوائر ضيقه وأحيانا قاموا بإخراس المبدعين أو تشريدهم وعملوا عكس ثوابت القران والسنة الداعية إلى توحيد الأمة ونشر المعرفة بين العامة وأهملوا قيمة العمل وحصروا العلم والمعرفة في العلوم الدينية واختصوا بها سلالتهم وأبناء صفوهم وانعزلوا بتلك العلوم في نطاق علوم اللغة وفقه العبادات والمعاملات وجدليات علم الكلام (الفوثغراثيه).

وكان السبب الرئيسي في النتاج الكبير للعلماء اليمنيين فكريا هو إبداع الرافضين له ردا على المؤيدين لهذا الفكر (مثل كتاب متن الأزهار – للمرتضى) ورد الشوكاني عليه (بكتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار)..ذلك الرفض اليمني لهذا الفكر أثمر آلاف المخطوطات خلال أكثر من الف عام والذي أثرا المكتبة اليمنية بل ودخل بثبات إلى المكتبات العالمية المهتمة إلا أن حصر التعلم في سلالات بعينها أدى إلى عدم الاستفادة من هذا النتاج الفكري وتمثل ذلك في الأتي:-

١ – ندرة وانعدام المتلقي فقد ظلت دائرة نشر ذلك الفكر ضيقه جدا لانحصارها في سلالة الإمامة وصفوهم ولا يدخل في هذه الدائرة إلا نسبه أدنى من أن تذكر.

٢ – عدم قيام الحكام بمسؤوليتهم الدينية في نشر المعرفة بين عامة الشعب جيل بعد جيل بل تعمدوا تجهيلهم حتى تراكم الجهل وأطبق لدرجه أنه كان لا يوجد من يقرأ ويكتب في قرى بأكملها ، وقد وصف ذلك الوضع شيخ الإسلام الشوكاني عند وصفه لحالة الجهل

التي عمت في قبائل برط البكيليه في عهد **المنصور علي**

٣- أدت الأسباب السابقة إلى انتشار الفكر الهادوي كثقافة للمجتمع توارثتها الأجيال كعادات وتقاليد مما قيد عملية تغيير الفكر رغم ثورة الجماهير على ظلم وجور الأئمة ورغم ضعف كثير منهم لأن المجتمع وصل إلى حال لم يفرق بين السبب والنتيجة.

*- إن عدم تحديد وضوح الكيفية والآلية لتنصيب الإمام ممن هم من تلك السلالة جعلهم يتصارعون على الحكم بالإضافة إلى وجود مبدأ الخروج على الحاكم الظالم بدون ضوابط قوية ومحدودة ذلك شرع مذهبيا لديمومة الصراع بين أبناء هذه السلالة وبالتالي بين أنصارهم.

*- إن جمود نظم حكم الأئمة أدى إلى عدم التطور الذي يتوافق مع تغيرات الزمان والمكان ولامع تطور وتزايد النتاج الفكري وساعد على ذلك الحجر على التجديد والاجتهاد في مسألة الإمامة من حيث استحقاقها وصلاحيات الإمام ومدة حكمه بالإضافة إلى أن الإمامة حق من الله أما المسلمين فليس لهم حق البيعة وفقاً للفكر الهادوي (وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام)[1] وانعدام نقد الذات التصويبي.

*- إن التأصيل لتميز سلاله بذاتها لحق استحقاق الحكم أدى لاستعلاء هذه السلالة بالنسب وكان انعكاس ذلك على المجتمع انقسامه إلى طبقات كل طبقة اختلقت لنفسها المبررات لتميزها على الطبقة التي تليها حتى عمت كثقافة متخلفة كان أدنى هذه الطبقات المتهنون للأعمال اليدوية والحرفية ووسم أصحابها بالتحقير والدونية وهذا ما جعل النمو الفكري والإبداعي للصناعات والإنشاءات والزراعة ينحدر وفي أحسن الأحوال تتوارث كمهن جامدة على التقليد رغم ما كانت تتميز به اليمن من إبداعات وصلت غاية من الرقي في مجال الزراعة والصناعة والعمارة وهذا ينطبق على حواضر اليمن وبعض بواديها الزراعية.

أما سكان المناطق الأقل خصوبة والبعيدة عن الحواضر فقد أوصلتها أفكار وأساليب الأئمة إلى درجة البربرية المغذاة بدفع تلك القبائل لإخضاع المناطق والقبائل المتمردة على الإمام القائم وللوقف مع الإمام المدعي

ونعود إلى حروب وفتن هذه الفترة :-

فبعد مصالحة الهادي لبكيل ببعض المال حدث أن قام **القاضي يحيى الأرياني** وبعض

---

(١) - كتاب الأحكام - يحيى بن الحسين الرسي .

الناقمين على الهادي بالالتجاء إلى قبائل ارحب وبني الحارث وبني حشيش ولهم وحاشد وجددوا التحالف و اتفقوا على محاصرة صنعاء ودخولها للقضاء على حكم الهادي ثم ينصبون إماما غيره و لم يذكر صاحب الحوليات من هو وهنا بداية لنمط فكري جديد هو خلع إمام وأستبدال بإمام آخر بواسطة فقهاء الأئمة .

وتجمعوا في الروضة وحاولوا مراسلة ذي غيلان من بكيل المرابطة جنوب صنعاء إلا أنهم لم يستجيبوا وأنضم إليهم بعض العساكر المرابطين خارج صنعاء وتم الهجوم على صنعاء في أواخر رمضان عام ١٢٥٩ هـ.

ولكنه فشل لعدم الإعداد له وخاصة عدم تحالفهم مع الجنود والقبائل المدافعة عن صنعاء (وحاولوا دخول صنعاء لكنهم فشلوا لقوة الدفاع بكثافة إطلاق النار فتفرقوا أو عادوا إلى ديارهم)(١)

وبدأت الأخبار تصل عن عودة الاضطرابات والمشاكل في المناطق الوسطى وتدهورت صحة الهادي حتى توفي في ١٨ ذي الحجة ١٢٥٩ هـ ولم يكن قد تجاوز الأربعين .

فبعد أن توفي **الهادي محمد بن المتوكل** في يوم ١٨ذي الحجة١٢٥٩- ١٩ يناير ١٨٤٣م ، نصب **علي بن المهدي عبد الله** إماما للمرة الثانية وقد تلقب هذه المرة بالمهدي ولم تقم خلال مدة حكمه أي أحداث هامة التي زادت على مدة حكمه الأولى ثلاثة أشهر، باستثناء قيامه بحمله مع الوزير الأرياني إلى يريم لمعاقبة بعض القبائل ثم توجه إلى المناطق الوسطى ووصل إلى قعطبه فأوجس الإنجليز في عدن خيفة إلا إنه عدل عن ذلك ورجع إلى صنعاء في شعبان ١٢٦٠هـ -١٨٤٣م فلا يعنيه سقوط جزء من بلاد المسلمين في أيدي النصارى ولا يعنيه ما أوجبه الله عليه من قتال المعتدين على ديار المسلمين .

فالأئمة سريعي الغارات شديدي البأس على المسلمين إذا تذمروا من دفع جبايه وامتنعوا عنها ولكن احتلال غير المسلم لأرض المسلمين وحكم النصارى للمسلمين أمر لا يعنيهم وستستمر مهارتهم في قتل المسلمين في عهد هذا الإمام ومن يليه .

إن فكر الهادي أرتكز على خروج المسلم على المسلم بدون ضوابط أو معايير وأرتكز على جواز تقسيم المسلمين بجواز قيام إمامان في آن واحد فطبق الأئمة هذا الفكر بخروجهم على راية الخلافة وطبقوه بالاقتتال فيما بينهم على الحكم وفي قتال من يخالفهم هذا الفكر أو من يتمرد على ظلمهم وأصدروا لذلك الأحكام والفتاوى التي تبيح دمائهم

(١)- حوليات .

وأموالهم وأطلقوا عليهم مسميات "كناصبي" و"كافر تأويل" وغيرها الكثير وجعلوا فريضة الجهاد ضد هؤلاء وأسقطو فريضة الجهاد على المشركين المعتدين على أرض المسلمين، وغفلوا عمداً عن مقاصد الشارع في الجهاد وعلى من يجب .

إن القرآن الكريم قد أظهر لنا كل ذلك وأمرنا بأن نعد العدة فقد يعتدي علي المسلمين معتدي أو يظنهم البعض ضعفاء غير قادرين ولهذا طالب القرآن بأن تكون دولة الإسلام هي دولة الأقوياء وأن تتخذ دوله الإسلام من القوه السبيل إلى إقرار السلام فإن أعتدي أحد على دين الله أو على الإسلام أو على المسلمين أو على أرضهم فهنا يجب إعداد العدة لمواجهة ذلك وهذا فرض واجب على كل من يتولى أمر المسلمين إجمالا أو أمر ثغر من تغورهم يقول الله تعالي في سورة الأنفال : {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ } الأنفال٦٠

وهنا يجب على المسلمين أعداد القوة ...بل ويجب استمرارية تلك القوة ليشعر بها العدو وتكون رادعا له ،كما أن الله تعالي يأمر في آياته بأقوى ما تؤمر به دعوة للقتال في سبيل الله ، يقول الله تعالي {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ ،وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ} [١].

كما طالب القران الكريم بالهجوم وعدم التراجع إذا ما أعتدي الأعداء وأمر بأن لايكون الانسحاب إلا لمصلحة القتال واختيار مواقع أفضل يقول عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ، وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ)[٢] يثير القرآن الحماسة ويرفع من روح المسلمين المعنوية بالآيات التي تبشرهم بالنصر إذا ما قاتلوا في سبيل الله يقول عز وجل {إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ }[٣]

ويقول جل جلاله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } [٤]
ويقول سبحانه (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)[٥] ويدعوا

---

(١) سورة البقرة — آية ١٩ وما بعدها.
(٢) - سورة الأنفال آيات ١٥-١٦.
(٣)- سورة غافر آية ٥١ .
(٤) - سورة محمد آية ٧.
(٥) - سورة الحج آية ٣٩.

القرآن المسلمين إلى عدم رهبة العدو مهما أزداد عدده يقول الله تعالي: (كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) سورة البقرة آية ٢٤٩

فأين هؤلاء الأئمة الذين سيرهم فكر الهادي في التميز على إخوانهم وأبناء دينهم في سعيهم إلى الحكم والسلطة وجباية الأموال والصراع فيما بينهم ويعبر عن ذلك ابن الأمير بقوله :

أتيتم بأصناف الضلالة كلها

و جئتم بأنواع الأمور المناكر (١)

أضعتم وصايا المصطفى وهجرتم

طريقته في نهيه الأومر

أين منهجهم من تلك الآيات البينات المحددة لشرع الله وأولوياته فنراهم يتركون المعتدي الآثم يحتل أرض الإسلام والمسلمين ويتفرغون للصراع فيما بينهم على الإمامة وفي فرض ظلمهم وجبروتهم على مسلمي هذا القطر من أرض الإسلام .

فأين دعاويهم في أرث النبوة واستحقاق الإمامة وأين دعاويهم بأنهم حماة الدين والقائمين به .

هذا ما رأيناه في عهد هذا الإمام الذي يصل إلى قعطبة بجيشه قريبا من عدن المغتصبة من النصارى ويعود وكأن الأمر لا يعنيه

ومثلما رأينا أساليب ووسائل الأئمة في الظلم تتكرر سنرى أن تخاذلهم وعدم قيامهم بواجب الجهاد للذود عن أرض المسلمين يتكرر عند الأئمة الذين سيأتون بعده ، وسينشغلون عن ذلك بما أنشغل به أسلافهم **فهذا محمد بن يحيى بن المنصور** يقوم بالخروج وإدعاء الإمامة على الإمام القائم علي ابن المهدي عبد الله رافعا راية الفتنه الهادويه ومكملا لما بدأه أبوه **يحيى ابن المنصور** الذي خرج على المهدي عبد الله والتجأ إلى أرحب فلم يفلح في مسعاه فهرب مع أبنه إلى تهامة عام ١٢٤٥ هـ ١٨٢٩م والذي توفي والده بهذه المناطق ولكنه واصل السعي من أجل الوصول إلى الحكم بأي وسيله .

فخلال العشر سنوات التي قضاها **محمد بن يحيى بن المنصور** متنقلاً حاول الاستعانة بالمصريين لكن تسارع الأحداث وسحب القوات المصرية من اليمن أحبط أعماله فلم

(١) — ابن الأمير وعصره — حسين السياغي ومحمد الأكوع وغيرهم .

يأس فسافر إلى القاهرة بعد انسحاب المصريين بعامين ليستعين بوالي مصر على حكم اليمن وبقي هناك من عام ١٢٥٨ هـ الموافق ١٨٤٢م حتى عام ١٢٦٠هـ - ١٨٤٤م لكنه لم يظفر بما كان يأمله لتغير أحوال محمد علي ودولته فعاد أدراجه إلى تهامة [١] وكان يحكمها **حسين بن علي حيدر** فعندما عاد **محمد بن يحيى بن المنصور علي** قصد **الشريف حسين بن علي حيدر** فتحالفا وكلا له طموحه.

فدعم الشريف **محمد بن يحيى** هدفه كان قتال إمام صنعاء وبالتالي إضعافه الذي سيؤدي بدوره إلى مد نفوذ هذا الشريف جغرافيا وبالتالي ضعف نظام صنعاء سيقود إلى عدم تفكير الأئمة بضم تهامة ، وربما لأسباب وتحالفات أخرى ،وقد ساعد على هذا التحالف جور عمال إمام صنعاء على ريمه فقد وصل بعض مشائخ ريمه إلى أبي عريش لاستدعاء **الشريف حسين** ليتولى أمور بلادهم حين وصل **محمد بن يحيى** [٢]

(نتيجة لظلم الأئمة نجد اليمنيين يفرون منهم إلى أي حاكم أخر)

وفي عام ١٢٦١ هـ - ١٨٤٥م جهز جيشا بقيادة **محمد بن يحيى** أنطلق من مدينة زبيد ليستولي على ريمه.

وكان معظم الجيش من سحار[٣] فاستولى على ريمه وسار جيش من يام بقيادة أخويه هزاع وأبو طالب فاستولوا على حيس ثم تعز وكان عامل الإمام على تعز **عبد الله بن علي الإرياني**.

وكما هي عادة الأئمة في عدم تجهيز قوى للدفاع عن أطراف البلاد فكانت أسرع ما تسقط هذه المناطق في أيدي أي غازي والسبب الآخر هو جور وظلم عمال الإمام الذي كان سببا في عدم دفاع أهالي تلك المناطق وأحيانا كانوا يناصرون القادمين

ويصف ابن الأمير الصنعاني جور العمال بقوله :

وليتم أمـر العبـاد شـراركم   وخولتم أعمـالهم كـل مـاكراً

وواصل الشريف حسين تقدمه فسيطر على الحجرية وذي سفال ففي شهر جماد الآخر ١٢١٦هـ - ١٨٤٥ م أكمل سيطرته على اليمن الأسفل وأخرج القبائل البكيليه.

(١) - العقيلي تاريخ المخلاف السليماني .
(٢) - زبارة نيل الوطر - الجرافي - المقتطف .
(٣) - قبائل حول صعده .

أما **محمد بن يحيى بن المنصور علي** فاستولى على ريمه ثم آنس ثم عتمه وأستقر في حصن الدامغ بضوران آنس ووالاه عامل ذمار وكبارها وعقال القبائل المحيطة وكبار برط من آ ل العنسي و لم يبق أمامه إلا التوجه إلى صنعاء لإسقاط إمامها **علي بن المهدي عبد الله** ، أما الشريف **حسين بن علي حيدر** فقد عاد إلى زبيد وترك أمور اليمن الأسفل **لمحمد بن يحيى**.

أما الإمام **المهدي علي بن المهدي عبد الله** فقد أنشغل عام ١٢٦١هـ بخروج قبائل بلاد البستان (بني مطر) قبيلة غرب صنعاء لتذمرهم من ظلم وزيره.
فجمع عليهم قبائل بني الحارث وهمدان وسنحان لكنها تراجعت لدفع هذه القبيلة بعض المال.

المبحث الثالث

ثورة أهل صنعاء على أئمة القرى والحارات

اضطربت الأحوال بين أهالي صنعاء وثاروا على الأوضاع وخاصة ماتم من تعزير لرجل من أهل سوق الحب بأمر من وزير المهدي **القاضي يحيى بن علي الأرياني** فنزل أهالي صنعاء ثائرين إلى المهدي في بستان السلطان فأصدر لهم كتابا ليمنع الارياني من أن يخاطبهم بشيء فتوجهوا إلى دار الارياني وأهموا به إلا أنهم لم يجدوه ، وعبر ابن الأمير عن جور الوزراء بقوله :

ويا وزراء السوء ويا شر فرقة   وأغبث أعوان لناهٍ وأمر

ونتج عن ذلك أن عاد أهل الأسواق وعقدوا اجتماعا رأوا فيه اختيار شيخ مسئول عن كل سوق من أسواقهم وأربعه مشايخ يلمون شعث أهل صنعاء ويكونون مسؤولين عن الدفاع عنهم وعن مصالحهم [1] وكانت الأوضاع العامة سيئه فانقطعت التجارة والواردات التي كانت تصل إلى العاصمة نتيجة سيطرة **الشريف حسين ومحمد بن يحيى** على تهامة والمناطق الوسطى واليمن الأسفل أما الوزير الارياني فقد ضاق بالمهدي وبما يجري حوله فغادر صنعاء ولزم داره في الروضة و لم يقبل وساطات المهدي ورسله للعودة

(١) – حوليات : ١٢٣.

إلى صنعاء فعين بدلا منه **القاضي يحيى بن علي الردمي**[1].

قيام الثورة في صنعاء وسقوط تعز وما حولها في يد الشريف حسين واستيلاء **محمد بن يحيى ابن المنصور علي** على ريمه وعتمه ووصابين وخروج قبائل صنعاء على طاعة المهدي كل تلك الأوضاع نتيجة لسوء أداراة هذا الإمام وتدني قدرته على اتخاذ القرار السليم مما أدى إلى فساد وظلم وزاد على ذلك أن قرر عام ١٢٦١هـ جمع القبائل لمواجهة تقدم محمد بن يحيى.

والتقى الجمعان في معركة غير فاصله في قرية ضاف وفي اليوم التالي في قرية نقيل يسلح هزم فيها المهدي وتنازل عن الإمامة **لمحمد بن يحيى وتلقب بالمتوكل** وضم إليه الجموع التي خرجت مع المهدي.

وهكذا ذهبت أرواح المسلمين من الجانبين ولا يهم أبناء هذه السلالة سوى سلامتهم. وكما هي عادتهم فهم رحماء فيما بينهم وأشداء قساة على بقية المسلمين ، فالقارئ للتاريخ يجد أن قتل اليمنيين قد تكرر بكثرة عند كل صراع بين أبناء هذه السلالة على الحكم وفقاً لفكر الهادي المؤصل للصراع على الحكم

ودخل **المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور** قصره في بستان السلطان وبعد بضعة اشهر خرج عليه أهالي حصن آريان في رأس جبل بني سيف من بلاد يريم فجهز المتوكل حملة كان على رأسها وخرجت عليه أيضا خبان وحبيش وكعادة الأئمة أول ما يبدأ ون بهدم الحصون.

وكذلك ثارت عليه وصاب فتوجه إلى وصاب وفعل بها ما فعل بالمناطق الأخرى وهكذا يستمر ظلم وجور الحكام وتستمر ثورات وتمرد اليمنيين.

فاليوم مثل الأمس بل أكثر ظلمه ولا غد في حياة اليمنيين وعاد المتوكل إلى صنعاء (وهو في مواقفه السياسية لاتهمه إلا منفعته ومصالحه الشخصية ولو غير بسببها مواقفه وصداقاته).

أمل الناس فيه أن يغير فساد وظلم وضعف حكم **المهدي علي ابن المهدي عبد الله** فإذا بهم يجدون تغييرا من سيئ إلى أسوء وكأن هذه الأمة لم تفقه إن سياسة الأئمة من آل القاسم لا تتغير وإن تغيرت الأسماء والأزمنة لأن الذي يسيرهم هو فكر جامد منحرف سيطر على الحاكم والمحكوم.

---

(١) – حوليات :١٢٤.

فيا عصبة ظلت عن الحق والهـــدى وما لت إلى أفعال طاغٍ وفـــاجرِ [1]

فبعد عودته إلى صنعاء وجد خروج وتمرد بكيل فأتخذ أسلوب أسلافه وهو الفتنه بـــين القبائل فدفع القبائل المحيطة بصنعاء لمنع قبائل بكيل من المرور من أراضيها ولكن بعـــض قبائل بكيل استطاعت أن تمر لكنه تفاوض معهم وأدخل كبارهم إلى صنعاء وظلوا فيهـــا طيلة شهر رمضان ١٩٦٢م وفي شوال توجه بقبائل بكيل من ذو محمد لإخضاع قبيلة عيال سريح وعمران.

واستعان أيضا بقبيلة همدان في حملته هذه ، ودمر قراهم ومراكزهم ،بني ميمون وبيت الضلعي ثم عمران وعاد إلى صنعاء وأراد الخروج بقبائل ذو محمد إلى تهامة فرفضوا فـــأمر بمنعهم من الخروج من أبواب صنعاء كما فعل المهدى عبد الله سابقا باســـتثناء مـــن أراد للحاق به فيمنح مصروف ويترك أحد أقاربه رهين حتى لا يفر فما كان منهم إلا الخضوع للآمر ولحقوا به في اليوم التالي .

وعاد التمرد في وصاب وريمه وحوصر عماله فقاد حمله لإخافتهم وما كان تمرد تلـــك المناطق إلا لجور الجباية ويتكرر ظلم عمال جميع الأئمة ، منذ عهد المتوكـــل علـــى الله إسماعيل.

خراجيـــة صـــيرتم الأرض كلـــها وضمنتم العمـــال شـــر المعاشـــر
لذاك الرعايا في الـــبلاد تفرقـــت وفارقت الأوطان خوف العساكر
وقد رضيت بالعشر من مالها لهـــا وتسعة أعـــشار تـــصير لعاشـــر
فلم تقنعوا حتى أخذتم جميـــع مـــا حوته وما قد أحرزت من ذخـــائر

(١)– ابن الأمير وعصره – حسين السياغي ومحمد الأكوع وغيرهم ص –٢٣٨.

إذا سئلت عن جوركم وفعـــالكم أجابت علينا بالدموع البـــوادر (١)

ولطبيعة هذا الإمام الذي لا يهمه إلا مصلحته فقد بدأ يعد العدة لحرب حليف الأمس **الشريف حسين بن علي حيدر.**

فأعد المتوكل جيشا لغزو تهامة واستعادة سيطرته عليها وخاصة بعد أن راسله **الـــشيخ علي حميده** ووعده بالنصرة بالأموال وبقتال أصحابه قبائل القحري وكان قد حصل بين الشريف والشيخ علي حميدة حروب ثم اصتلحا ولكنه ظل خائفا من فتك الشريف حسين به ،وكانت القبائل اليمنية هي جيش **الشريف حسين والمتوكل** فقبائل يام وقبائـــل مـــن همدان وغيرها مع **الشريف حسين** .

والقبائل المجاورة لصنعاء همدان وسنحان وبلاد الروس وبني الحارث وبلاد البستان وخولان جيش المتوكل ، وأنطلق المتوكل بهؤلاء عام ١٢٦٤ هـــ ووصل إلى باجل وأنضم إليه قبائل القحري وقبائل الجرائح.

ووقعت معركة هزم فيها **الشريف حسين** في منطقة القطيع وتشتت جيشه ثم أسر الشريف حسين وأمر إلى أبنائه وعماله بالتسليم للمتوكل ،فأظهر أبنائه الموافقة للمتوكل وأبطنوا أمراً آخر وذهبوا للاستنجاد بقبائل يام وترك **المتوكل محمد بن يحيى ابن المنصور علي أسيره** الشريف بقرية بيشه تحت حراسة ذي حسين وأنطلق بجزء من الجيش إلى المخا فسلموا له بدون قتال بعد أن دفعوا مبالغ من المال وقام جيش المتوكل بنهبهم . وبقيت الحديده تحت أيدي أبناء الشريف.

تشتت جيش المتوكل في المدن والمناطق التي استولى عليها وجاءت قبائل يام فتراجع الشيخ علي حميدة بقبائله التي كانت محاصره الحديده فالتحمت قوات الأشراف مع قبائل يام وزحفواعلى مدينة زبيد فاستباحتها قبائل يام ١٢٦٤هـــ/ ١٨٤٨ م.

وأعملوا القتل والسلب وإباحة الإعراض وسلمت قبائل ذو حسين الشريف المأسور وبلغت المتوكل الأخبار فهرع إلى نجدهم ولكنه لم يستطع فاستغاث بابنه **غالب** وكان بتعز(٢).

فحضر على عجل ومعه القاضي يحيى الإرياني ومعهما قبائل ، ذي محمد البر طيه بقيادة **النقيب احمد بن صالح ثوابه.**

---

(١)– ابن الأمير وعصره – حسين السياغي ومحمد بن علي الأكوع وغيرهم "ص ٢٣٧"

(٢) – العقيلي المخلاف السليماني .

والمستقرئ للتاريخ يلاحظ أن قبيلة يا م كانت تقف ضد الأئمة غالباً ، ونرجح ان السبب في ذلك هو عدم انتشار الفكر الهادوي بها .

ولتهور هذا الإمام وتسرعه فقَدَ مكاسب انتصاراته السابقة لعدة أسباب:(١)

أولها :- تهافته على المال والغنائم التي سيكسبها من دخوله المخا أما صاحب الحوليات فيرى أن سبب فشله الأخطاء التالية:-

- عدم نقل الشريف حسين إلى صنعاء فتركه في تهامة بعث الأمل والدافع لأبنائه وأتباعه في إنقاذه.

- سوء الإدارة التي كانت سمه لحكم أئمة آل القاسم وذلك بأن عامله **الفقيه أبكر شرف** أساء إلى الناس فأخلوا بالآمن وقطعوا الطرق.

- ونضيف سبب رئيسي وجوهري هو سياسة أئمة بيت القاسم القائمة على إخضاع المناطق التي يسيطرون عليها بالقوة وإباحتها لجيوشهم وما تميزت به من وحشيه يقول **ميكافيلي** في كتابه الأمير:

إذ أن من السهل ، على الإنسان ، أن ينسى وفاة والده من أن ينسى ضياع إرثه وممتلكاته.

- إن هؤلاء الأئمة كانوا يغروا القبائل للقتال معهم بالمغانم الناتجة عن السلب والنهب **لأنهم لا يمتلكون الحجة القوية ولا الدافع الديني لكسب ولاء تلك القبائل ودفعهم للقتال .**

ونتيجة لقيادة المتوكل الفاشلة فقد عانى الأمرين من شدة الحصار لبعده عن العاصمة ولإخراجه قبائل ذو حسين معه للقتال(٢) ، بتلك الطريقة التي ذكرناها حال خروجه من صنعاء.

وكعادة مؤرخي الأئمة فقد أعادوا السبب إلى القبائل وذكروا أن قبائل ذو حسين نالوا مالا وفيرا من الشريف حسين الذي مالت الكفة لصالحه بوصول قبائل يام وخولان وخذلان القبائل ، للمتوكل وعلى رأسها ذو محمد فلم يجد المتوكل حيله وخديعة إلا إيهام ذو محمد بقيادة النقيب صالح ثوابه بأن يوفروا له الحماية حتى يعود إلى صنعاء وسيمنحهم بريم إقطاعا خاصا اعترافا بجميلهم ومساعدتهم لهُ في الخلاص وما أن أوصلته تلك القبائل

---

(١) حوليات

(٢)- مائة عام من تاريخ اليمن — د. حسين العمري .

إلى يريم حتى أستدعى قبائل المناطق الوسطى كالرياشيه من قبائل رداع والأعماس من قبائل الحدا وعماروخبان وعنس ودفعهم ضد ذو محمد الذين أنقذوه وأمرهم بالرحيل ، وقبض على **النقيب صالح بن ثوابه** ووضعه في سجن ذمار وعاد إلى صنعاء ولا يخفى أن الدافع في وقوف تلك القبائل ضد ذو محمد هو العداء التراكمي لدى تلك القبائل لذو محمد وغيرها من قبائل الشمال بسبب دفع الأئمة لقبائل ذو محمد وذو حسين وغيرها في فترات سابقه لإخضاع تلك المناطق أما تهامة فقد تركها دون شعوره بأدنى مسئوليه نحو عماله وأتباعه بعد سقوط زبيد وبيت الفقيه وخروج من فيها خائبين مهزومين فعبروا ريمه إلى صنعاء وأما **الأمير المملوك فتح محمد** فقد فر عن طريق البحر وعاد الشريف حسين وسيطر على تهامة من جديد.

إن هذا الإمام قد جبُل على نكران الجميل فنراه جاحدا لصنع **الشريف حسين بن علي حيدر** الذي سانده وأخضع له تعز وإب وحتى أوصله إلى سده الحكم فعاد فحاربه ثم أسره وهؤلاء ذو محمد الذين ساعدوه وحموه حتى أوصلوه إلى بر الأمان في يريم ينكر صنيعهم وينكل بهم ويسجن نقيبهم **صالح ثوابه.**

إن الصراع على الحكم والاستبداد هو المحرك الأساسي لتلك الفتن والحروب سواء فيما بين أبناء القاسم أو بينهم وبين الأشراف آل حيدر وغيرهم.

إن ما ألت إليه أوضاع اليمن في شرقها وغر بها وشمالها وجنوبها من فتن أشعلها الأئمة نتيجة لفكرهم وأساليبهم المتجمدة وعلى رأسها الصراع بين أبناء هذه السلالة على الحكم يجعل نكبة هذه الأمة ومحنتها أعظم محنه عانت منها أمه عبر التاريخ ،كيف لا وقد استمرت أكثر من ألف سنه.

تمثلت في استبداد الأئمة للشعب وإشعال الفتن بالصراع على السلطة فيما بينهم وفقا للفكر الهادوي المؤصل للخروج على الحاكم الظالم وإدعاء الإمامة فتكرر منذ أحفاد الهادي ق ٤ هـــ إلى هذا الزمن إمام ظالم و خارج عليه .

١- خروج احمد بن هاشم الويسي :-

وهو من المغالين في التشيع ومن جماعة الناصر عبد الله بن حسن وكان قد خرج من صنعاء إلى صعدة مع المؤ يدي قبل خمسه عشر عاما ، حيث خرج إلى صعده ودعا لنفسه بالإمامة في شعبان ١٢٦٤هـــ سبتمبر ١٨٤٨م فأدعى في صعده وبويع فيها ولم يهتم بأمره المتوكل فقيام إمامان جائز وفقا للفكر الهادوي

أماالقبائل والعساكر المنسحبة من تهامة فسببت بعض القلاقل بصنعاء وبدأت القبائل المجاورة لصنعاء بالتمرد على المتوكل وفي نفس الوقت خرج **الأمير حسين بن المتوكل أحمد** فقد دعا لنفسه بالإمامة من يريم الذي عينه المتوكل عاملا عليها فلقب نفسه بالهادي واستعان بقبائل ذو محمد مستغلا ما صنع بهم **المتوكل محمد بن يحيى** واستعان أيضا بالشيخ **علي مثنى الجرادي** وقبائله.

إن السلطة المطلقة والمكاسب المادية التي يحصل عليها الإمام بالإضافة إلى الاستعلاء وما يترتب عليه من هالة وتبجيل كانت الدافع وراء الصراع بين أبناء هذه الأسرة على الإمامة جيل بعد جيل بأي وسيله نتيجة لما أصله الفكر الهادوي وأصبح كثقافة مجتمعية .

وبدأ حسين بن المتوكل الإمامة من قرية رحمه وتقدم لمحاصرة ذمار في ذي الحجة ١٢٦٤ هـ نوفمبر ١٨٤٨م وقد تفرق بعض من حوله لقدوم العيد ونتيجة لذلك توجه **المتوكل محمد بن يحيى ابن المنصور علي** إلى ذمار وأول ما فعله هو إحضار **النقيب احمد بن صالح ثوابه** فوبخه ثم أمر بقتله فقتل شر قتله [1]بعد ذلك أرسل بعض القبائل بقيادة **الفقيه احمد بن محمد العفاري** لمحاصرة حسين بن المتوكل في رحمه وأشتعل القتال بين الجانبين وكان مع حسين بن المتوكل احمد مدفعا وسفكت دماء المسلمين من الجانبين

وكالمعتاد لا يعني محترفي سفك الدماء وقتل اليمنيين شيء فقد تصالحوا على أن يسمح لحسين بن المتوكل احمد بالسكن في دار الحجر بوادي ظهر.

أما أبناء **النقيب صالح بن احمد ثوابه** فقد راضاهم بأن اقتطعهم قرية البخاري قريبا من المخادر[2] بلواء إب، وهذا أسلوب اتخذه الأئمة لإرضاء تلك القبائل أو لدفعها للقتال .
وعاد إلى صنعاء ١٢٦٥ هـ وصادر أملاك الذين وافقوا الداعي الويسي (أمر بتسمير بيوت الذين وافقوا الداعي بصعده **احمد بن هاشم الويسي**) وقام بسجن **حسين بن المتوكل أحمد** وتمكن الويسي من جمع القبائل وإشعال الفتن حتى حاصر صنعاء عام ١٢٦٧ هـ .

وبلغ عدد أهم من أشعل الفتن والحروب من أدعياء الإمامة المتصارعون عليها منذ القاسم بن محمد واحد وعشرين هم :-

---

(١) - زبارة – نيل الوطر ، الجرافي ٢/ ٣٤٥.
(٢) - حوليات ١٦٦.

- **المنصور القاسم بن محمد** ١٠٠٦-١٠٢٩هـ

- **المؤيد محمد بن القاسم** ١٠٢٩- ١٠٥٤هـ

وقد أدعى أخوه احمد بن القاسم ١٠٥٤هـ وتنحى لـ....

- **المتوكل إسماعيل بن القاسم** ١٠٥٤- ١٠٨٧هـ

وخرج عليه إبراهيم بن محمد عز الدين من "صعده" .

وخرج عليه أيضاً أخوه أبو طالب احمد بن القاسم " بشهارة "

وخرج عليه ثم تنازل ابن أخيه محمد بن الحسن بن القاسم في تعز.

وخرج عليه ابن أخيه علي بن أحمد بن القاسم من "صعده- ١٠٦٦هـ"عندما استبدله بأبنه .

- **المهدي احمد بن الحسن بن القاسم** ١٠٨٧- ١٠٩٢هـ

وأدعى معه القاسم بن محمد بن القاسم بشهارة .

وخرج عليه أيضاً علي بن احمد بن القاسم وظل خارجاً منذ عهد المتوكل إسماعيل.

- **المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل** ١٠٩٢- ١٠٩٧هـ

وخرج عليه الحسين بن الحسن وظل خارجاً عليه القاسم بن محمد .

وخرج عليه يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل ، ونازعه محمد بن الحسن بن القاسم.

- **المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم ١٠٩٨- ١١٣٠هـ**

" صاحب المواهب " وقد خرج عليه :-

- علي بن أحمد بن القاسم من صعده .
- الحسن بن الحسين بن القاسم من رداع .
- الحسن بن المتوكل إسماعيل من اللحية.
- الحسين بن عبد القادر من كوكبان .
- الحسين بن محمد بن احمد بن القاسم من خمر .
- الساحر إبراهيم المحظوري "بصعده"

- **المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد ١١٢٧ - ١١٣١هـ**

- **المتوكل القاسم بن حسين ١١٢٨-١١٣٩هـ**

وخرج عليه أبناء صاحب المواهب .

وخرج عليه أيضاً بني إسحاق.

وخرج عليه أيضاً محمد بن الحسن بن عبد القادر" بكوكبان".

وأدعى بعده ومعه **الناصر محمد بن إسحاق بن احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد** وبدأ دعوته من قرية شظب في مديرية سفيان سنة ١٣٥ ١هـ.

- **المنصور الحسين بن القاسم ١١٣٩-١١٦١هـ**

- **الناصر محمد بن إسحاق ١١٣٥هـ -**

وأدعى للمرة الثانية الناصر محمد بن إسحاق بن احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد في ظفار سنة ١١٣٩هـ ثم بايع المنصور حسين وأستقر بصنعاء حتى موته.

وخرج على المنصور حسين **محمد بن إسحاق المهدي أحمد** وتوفي سنة ١١٦٧هـ وتلقب بالناصر.

وخرج على **الإمام المنصور حسين ابن القاسم بن الحسين بن احمد بن الحسين بن القاسم ، احمد ابن الحسن ابن القاسم بمدينة تعز**. وقد كان مسيطرا على تعز والمناطق الوسطى وقام صراع بينه وإسماعيل بن محمد بن إسحاق ، حتى قبض أحمد بن الحسن على إسماعيل بن إسحاق سنة ١١٤١هـ .

وخرج عليه أيضاً الحسن بن إسحاق من ثلا إلى حصن طيبة بوادي ظهر.

وخرج عليه يحيى بن إسحاق و عبد الله ابن طالب ظل خارجاً عليه إلى أن بايعه .

- **المهدي عباس بن المنصور حسين ١١٦١-١١٨٩هـ**

وقد خرج عليه وأدعى الإمامة معه **احمد بن حسين بن عبد القادر شرف الدين** في كوكبان (١١٣٢هـ - ١١٨١ هـ)(١٧١٠م - ١٧٦٧م) وقد دعا لنفسه عند وفاة المنصور حسين والد المهدي ولقب نفسه بالمؤيد بالله.

وخرج عليه أيضاً الساحر أبو علامة و هو **أحمد الحسني المكنى بأبي طير.**

- **المنصور علي بن المهدي عباس ١١٨٩ ١٢٢٤هـ**

خرج عليه الهاشمي حسين بن علي بن قاسم الصعدي

وقامت في عهده الحركة الوهابية.

وخرج عليه أيضاً علي بن إسحاق [1]سنة (١١٩٤هـ - ١٧٦١م) بأرحب ،وخرج على المنصور علي **إسماعيل ابن احمد الكبسي عام ١٢٢١** هـ ودعا لنفسه بالإمامة في منطقة طفير وحجه وتلقب بالمتوكل على الله.

وخرج عليه أيضاً ابن أخو **المنصور علي احمد ابن عبد الله ابن المهدي عباس**

وخرج على المنصور علي وابنه أحمد بيت شرف الدين في كوكبان

- **المتوكل احمد بن المنصور علي** ١٢٢٤- ١٢٣١هـ

وخرج عليه شرف الدين بن احمد وأخاه عبد الله سنة ١٢٢٨هـ

فقد خرج عليه **وأدعى الإمامة يحيى ابن المنصور علي** سنة١٢٤٥ هـ

وقد خرج عليه قاسم بن منصور بتعز في يونيو عام ١٨٣٧م (ربيع الأول ١٢٥٣هـ)

وخرج على **المنصور علي بن المهدي عبد الله** ، **حسين بن علي المؤيدي** كان من أنصار الإمام السراجي وممن خرج معه من صنعاء وقاتل المهدي عبد الله سنة ١٢٤٧هـ.

وذكر زبارة أن خروج المؤيدي إلى صعده سنة ١٢٥٢هـ وقيل ١٢٤٩هـ وأختلف في كونه دعا إلى نفسه أو كونه دعا بتنصيب **عبد الله بن الحسن بن احمد بن المهدي عباس**
وظل بصعده بدعوته يهيئ بها للخروج على المهدي عبد الله ثم على ابنه على حتى توفي ١٢٥٢هـ .

- المهدي عبد الله بن المتوكل احمد ١٢٣١- ١٢٥١هـ
- الهادي احمد بن علي السراجي ١٢٤٧هـ
- المنصور علي بن المهدي عبد الله ١٢٥١- ١٢٥٢هـ
- الناصر عبد الله بن الحسن بن أحمد
بن المهدي ١٢٥٢- ١٢٥٥هـ

---

(١) - الدكتور العمري .

- الهادي محمد بن المتوكل احمد ١٢٥٦-١٢٥٩هـ

- المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور ١٢٦٠-١٢٦٥هـ

- المنصور احمد بن هاشم ١٢٦٤-١٢٦٥هـ

- المؤيد عباس بن عبد الرحمن ١٢٦٦ هـ

المبحث الرابع: دخول العثمانيين سنة ١٢٦٥هـ :-

إن هذه الحالة التي وصلت إليها اليمن ببغي وفساد الأئمة وإشعال الحروب نتيحه للصراع على السلطة في ما بين أبناء هذه السلالة المعتمد على دفع القبائل للاقتتال وما ترتب عليه من سلب ونهب وتدمير لمعمور هذه البلاد خلال فترة حكم أبناء القاسم عموما

ويعبر عن ذلك ابن الأمير بقوله[1] :

ويا عصبة من هاشم قاسمية
إلى كم ترون الجور احدى المفاخر
وأحللتم ما حرم الله جهرة
وشر ذنوب الخـلق ذنب المجاهر
وجوزتم أخذ المكوس بأرضنا
وتـوفيـرها ظلما على كل تاجر
وقلتم نرى فيها مصالح للورى
وربـكم أدرى بكـل الضمائر
تساويتم في كل قبح فعلتم
أكابركم في فعلهم كالأصاغر

وما وصلت به الحال خلال حكم **محمد بن يحيى ابن المنصور** وخاصة قتاله مع الأشراف بتهامة أدى ذلك إلى **عزم الشريف علي بن حسين** في طلب العثمانيين الأتراك

(١)- ابن الأمير وعصره – حسين السياغي ومحمد الأكوع وغيرهم "ص٢٣٨"

للمجيء لحكم البلاد فما كان من الباب العالي إلا أن أصدر الأمر إلى والي الحجاز **توفيق باشا** وأمير مكة **الشريف محمد بن عون** بالتوجه إلى اليمن على رأس جيش عثماني من ثلاثة ألف رجل فوصلوا اللحيه ثم الحديده عام ١٢٦٥هـ - ١٨٤٩ م.

فرحب بهم **الشريف حسين** مقدما كل التسهيلات [١] ولما وصل الخبر إلى صنعاء لم يرغب المتوكل أن يتفرد خصمه بالتزلف إلى الأتراك فأرسل **القاضي عبد الله بن أحمد العماري** بالهدايا النفيسة من بينها نجائب الخيل وعاد رسوله بالأجوبة ثم أرسل العثمانيون خور شيد ورحب به الشيخ علي حميدة وولده [٢].

وقد رأى العثمانيين نزول المتوكل إلى الحديده فوافق المتوكل وتوجه إلى الحديده ١٢٦٩ هـ **ووافق لتوفيق باشا والشريف محمد** علي دخول القوات العثمانية إلى صنعاء مقابل مبلغ من المال ومرتب شهري وهكذا باع كل شي، وعلى رأسه وأهمه دماء وأروح اليمنيين التي ذهبت حتى وصل إلى الحكم.

إن المتوكل بأسلوبه السياسي ومذهبه النفعي في انتهاز الفرص في التعاون مع العثمانيين وإحضارهم بنفسه إلى صنعاء قد برر له مؤرخو الأئمة ذلك بقولهم (ليستريح من تعنت القبائل وتخبطهم وأستطالتهم في المطالب مع عدم النفع منهم)

وقد أعلن الفرمان العثماني في خطبة الجمعة ٢١شعبان ١٢٦٥هـ وأمر المتوكل بتفريغ قصر صنعاء وثكناتها لاستقبال الجند الأتراك[٣] وبذلك أدخل هذا الإمام العثمانيين وسيقوم إمام آخر بتأليب الناس على العثمانيين وقتالهم وبث الشائعات بفسقهم وكفرهم وحدث ذلك أيام **المتوكل على الله إسماعيل** .

ومثلما بث الفكر الهادوي كثقافة مجتمعيه وخاصة في استحقاق الإمامة لهذه السلالة وما ترتب على ذلك من أساليب الأئمة منذ الهادي وعلى رأسها إعادة الروح القبلية وتأصيل العدوات والثارات بين القبائل بدفع قبيلة على أخرى ودفع قبيلة أو مجموعه قبائل لإخضاع مناطق اليمن بالقوة لنفوذهم نجدهم يستقدمون العثمانيين وغيرهم في مختلف الأزمنة عندما يكون ذلك في مصلحتهم ثم يقومون بدفع اليمنيين لقتال العثمانيين فتكون ردة الفعل لدى العثمانيين قتال القبائل اليمنية وهكذا فعل ورد ة فعل والسبب أئمة الفكر الهادوي الأمر الذي أدى إلى عداوة تراكمية بين اليمنيين والقوات العثمانية.

---

(١) – الجرافي : المقتطف .
(٢) – حوليات : ١٦٨.
(٣)– حوليات ١٧١– ١٨٦

ولم ينسى الطرفان ما دار بينهم من معارك قبل أكثر من قرنين لازالت أثارها ماثله في أذهانهم متناقلة قصص وأساطير إن الفكر الهادوي وأساليب معتنقيه من الأئمة كانت السبب الرئيسي في عدم استفادة اليمن من خيرات ورقي الدولة الإسلامية بوسيلتين:-

بخروجهم على دولة الخلافة بإدعاء الإمامة وبالتالي هيجوا اليمنيين لقتال العثمانيين نتيجة لما يبثوه من تفسيق وتكفير للعثمانيين وعندما انسحب العثمانيون قاموا بإزالة ما تركه العثمانيين من تطور فكري ومادي.

إن اليمن قد عزلت عن العالم الخارجي بحكم الأئمة القائم على تجهيل أبناء هذه الأمة وبث الفرقة بإشعال الحروب حتى ما ظهر من ومضات فكريه تجدديه وتصويبيه فإنها كانت محصورة في نطاق صفوه أهل المدن ولاتصل حتى إلى الصفوة في مختلف المناطق ولا إلى غالبيه أبناء الشعب لما عم بينهم من الجهل ولأن أفكار المجددين والمصوبين كانت تقابل بأفكار ومذاهب الحكام وهذا بطبيعته هو صوت السلطة القادر على الانتشار بين العامة مما جعل اليمن تقتات على ما تبقى من تراثها الحضاري قبل الإسلام أما بالنسبة للمناطق التي لم تتمذهب بالفكر الهادوي فقد أخضعها الهادويون بالقوة والتفقير والتجهيل بإثقال الجباية عليها بواسطة عمال الأئمة أو بإقطاعها لشيوخ القبائل وأُغرقت في بحر من الفتن خلال فترات حكم الهادويين.

بذلك فقد محوا أغلب ما خلفته الدول التي قامت في تلك المناطق ابتداء من الزياديه حتى الطاهر يه ، لامتداد أمد هذه الحالة المتردية لليمن ، وما صمود بعض معالم الحضارة اليمنية القديمة كالزراعة والعمارة والصناعة إلا لقوة تلك الحضارة التي حفظت بالتوارث دون أي وسيله لتعلمها أو حتى تدوينها.

إن الخلافة العثمانية هي أول من أدخل ومضات العلم والمعرفة بمختلف أنواعها إلى اليمن ولولا الحالة التي وصلت إليها اليمن وأهمها حالة عدم الاستقرار وتمرس القتل والقتال بسبب صراع الأئمة الهادويون على الحكم ولانعدام تنشئة اليمنيين على مبدأ الأخوة الإسلامية والمساواة نتيجة لانتشار التمايز والعداء وثقافة الحق الإلهي للأئمة في الحكم الذي جعل الشعب مهيأ للفتك بالعثمانيين.

لولا ما سبق لكان اليمنيين قد نعموا بما هو جديد في مختلف المعارف التي جلبها العثمانيون إلى اليمن.

ولأستمرارية الأئمة في الصراع على السلطة قام **علي بن المهدي عبد الله** وبعض الفقهاء الذين ارتبطت مصالحهم ببقاء الإمامة بتأليب أهالي صنعاء والعساكر على

العثمانيين الواصلين وعلى المتوكل ببث الإشاعات عما سيكون من العثمانيين وهذه وسيلة أستخدمها الأئمة خلال فترات الوجود العثماني واستخدمت هذه الوسائل ضد كل من حكم اليمن من غير هذه السلالة أو خرج على الأئمة.

وبعد ستة أيام من قراءة الفرمان في الجامع الكبير وصلت القوات العثمانية في ٦رمضان١٢٦٥ هـ / ٢٤يوليو١٨٤٩م فدخل قسم كبير منهم قصر صنعاء والعسكر الباقين في ميدان البكيريه وقرر للمتوكل أربعة ألف ريال شهريا ومرتبات لمن معه.
ونتيجة للأسباب السابقة فقد قال زبارة في نيل الوطر(و تيقن كل من سمع من المتوكل صدق الأقاويل وعلموا بخديعته لهم وخيانته لأمانته وأعلم الناس بعضهم بعضا وعلموا أن الأمر صعيب صعيب).

وفي اليوم الثاني أنتشر بعض الأتراك للتسوق وقد عقد أهالي صنعاء والجنود اجتماعا في مسجد أزدمر باشا القريب من باب صنعاء الشمالي (وأجمعوا رأيهم على الفتك بالأتراك وثارت العامة معهم فأوقعوا بكل من وجدوه في صنعاء وبئر العزب وبلغ القتلى من الأتراك نحو مائة قتيل وأخذت خيلهم وأمتعتهم).

وحاصروا المتوكل في بستان السلطان واستمروا في مطاردة الأتراك وحصلت بعض القلاقل في صنعاء من نهب بعض المتاجر والبيوت وأستمر تبادل الرماية بين الأتراك في القصر والناس من الدور المرتفعة وخارجه)[1]

وفي الليل رأى المستفيدون من نظام الأئمة انتهاء صلاحية الإمام السابق وضرورة تنصيب إمام جديد فنصبوا على ابن المهدي عبد الله الذي كان قد خلع مرتين وآخرها عند هزيمته على يد المتوكل قبل أربعة سنوات وبضعة أشهر فتنازل المتوكل له عن الحكم وأستقر مؤثراً العافية في صنعاء.

وأستمر حصار الأتراك في قصر صنعاء وأصبح علي بن المهدي إماما من يوم السبت ٨ رمضان ١٢٦٥ هـ والمتوكل محاصر في بستان السلطان رمزا للخيانة.

وأخذ المتوكل إلى سجن القصر ونشر الإمام وأتباعه أخبار حصار الأتراك بين القبائل فتوافدت القبائل القريبة من العاصمة لتساهم في تشديد الحصار ولمغنم قد دنا لهم وفتحت لهم أبواب صنعاء وقلت مؤن الأتراك داخل القصر وتفاوضوا مع الإمام علي ابن المهدي علي أن يزودهم باحتياجهم ويتهيأوا للرحيل وأن تؤمن لهم الحماية عند خروجهم (فطلبوا

---

(١) - زبارة .

الطعام والعلف وثلاثمائة وخمسين جمل لنقل أثقالهم على أن يمنحوا الأمان والحماية حتى يصلوا الحديده ومقابل ذلك يتركون رهائن إذا هم سوفوا في الرحيل فقتلهم مباح كما أنهم سيدفعون التكاليف كافه).

وفي يوم عيد رمضان ١٢٦٥هـ - ١٨ أغسطس ١٨٤٩ أقفلت أبواب صنعاء وفتح باب صنعاء الجنوبي (باب ستران) فخرجت القوات التركية وكتب المهدي للقبائل التي سيمرون منها تأمين انسحابهم حتى يبلغوا مأمنهم.

وبقي العثمانيون في تهامة وقد تعاونوا لوقت قصير مع **الشريف حسين بن علي حيدر** ثم عاد إلى أبي عريش وأقام بقصره المسمى نجران ثم صدرت الأوامر من الأستانة بترحيله إليها فلما وصل خُير في الإقامة في أي محل أراده من البلاد العثمانية فاختار الإقامة في مكة إلى أن أدركته الوفاة ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦م.

أما صنعاء فقد بدأ عصر الإمام علي ابن المهدي عبد الله بمواجهة الفوضى والفتن التي كانت قائمة في أماكن كثيرة.

وخوفا على السلطة وانتقاما من **المتوكل محمد ابن يحيى** فقد قام بسجن بيت المتوكل وصادر أموالهم **وأعدم المتوكل** يوم ٢٤محرم ١٢٦٦هـ - ١١ ديسمبر ١٨٤٩م.

وتستمر فتنة الصراع على الإمامة فهاهو خطر الهادي الويسي وفتنته تمتد من صعده باتجاه صنعاء فوصل عمران ثم إلى بيت ردم [1]أما **المهدي علي ابن المهدى عبد الله** فلم يستمر إلا أشهر بعد إعدام المتوكل حتى خلع ودخلت البلاد في فترة تعتبر من أكبر المحن التي مرت علي اليمن بسبب صراع الأئمة حتى عاد العثمانيون .

انعدام السلطة المركزية وتعدد الأئمة :-

زاد عدد المتنافسين على الإمامة جيل بعد جيل وكثر عدد المتنافسون في هذه الفترة وكان منهم علي بن المهدي الذي أعيد تنصيبه مرة رابعه حتى المحرم ١٢٧٤هـ **وأستمر احمد بن هاشم الويسي** بجمع القبائل ثم حاصر صنعاء وفي صنعاء أجتمع فقهاء وقضاة الأئمة وقرروا تنصيب **العباس ابن عبد الرحمن** ينتهي نسبه إلى **القاسم بن محمد** ويقال له **أبن شمس الحور** نسبه إلى أمه وتلقب **بالمؤيد بالله** وعم الاضطراب في صنعاء فقام نفس الفقهاء والأعيان بمبايعة **احمد بن هاشم الويسي** فقام **العباس بن عبد الرحمن** بسجنهم فعادوا إلى طاعته.

---

(١) - قرية من قرى بني مطر مخلاف شهاب .

وهكذا أصبح نقض العهود التي يمارسها الأئمة في خروجهم على بعضهم البعض ويمارسها فقهائهم بإعطاء البيعة أكثر من واحد.

وقد قال ابن الأمير:-

ويا علماء الدين مالي أراكم
تغاضيتم عن منكرات الأوامر
أما الأمر بالمعروف والنهي فرضكم
فأعرضتم عن ذاك إعراض هاجر
فإن هم عصوكم فاهجروهم وهاجروا
تنالوا بنصر الدين أجر المهاجر
فقل لقضاة السوء لا در درهم
أما لكم في نصحهم سهم قامر
أما أخذ الميثاق ربي عليكم
بأن تنصحوا بالحق أهل المناكر [(1)]

و تمسك **العباس بن عبد الرحمن** بالإمامة وشد الويسي الحصار على صنعاء ودخلت القبائل صنعاء وتحصن **ابن شمس الحور** في قصر صنعاء بعد أن جمع النفائس من دور بستان السلطان ودار الطواشي واشتعلت الفتنه وسط صنعاء وأنقسم الناس فريقين وراح ضحية هذا النزاع على السلطة أبناء هذا الشعب وكالعادة أصطلح الإمامان وبايع **ابن شمس الحور** أحمد بن هاشم الويسي وفي سنة ١٢٦٧هـ سجن الويسي **العباس ابن شمس الحور** وفر **علي ابن المهدي** من صنعاء ومعه العلامة **احمد بن محمد الشوكاني والقاضي عبد الرحمن العمراني**.

وحاولوا جمع القبائل حولهم وأدعى الإمامة **علي ابن المهدي وتلقب بالمتوكل** فأمر الويسي بأخذ ما في بيوتهم التي في صنعاء.

وتدهور الحال في صنعاء و لم يكن **احمد ابن هاشم الويسي** أهلا للحكم أو لديه قدره وفي نفس الوقت فقد مل الناس ادعاءات وأكاذيب الأئمة فلم يبقي فيهم ولاء لأي منهم

(١)- ابن الأمير وعصره - حسين السياغي ومحمد بن علي الأكوع وغيرهم - ص- ٢٣٧.

فلم يستجيبوا للقتال مع هذا الإمام أو ذاك بل قاموا بالهجوم على صنعاء فتجمعت جميع القبائل على صنعاء و دخلوا بئر العزب ونهبوا جميع ما فيها و لم يتركوا فيها إلا الأحجار.

أما أهل صنعاء فقد خرجوا عن طاعة الويسي لسوء الحال الذي وصلوا إليه وأعلنوا ولائهم لعلي ابن المهدي.

أما احمد ابن قاسم الويسي فقد بقي في بستان السلطان مع حرسه وحاشيته ثم هرب إلى قرية دار أعلى بقبيلة أرحب .

إن الفكر الهادوي لم يتواكب مع زيادة عدد أبناء هذه السلالة وجميعهم لهم الحق في الإمامة لأنهم من البطنين)حسب فكر الهادي .

وهذا هو الشرط الوحيد من شروط الإمامة عند الهادي الذي تمسك به هؤلاء المدعيين للإمامة بالإضافة إلى شرط الذكورة وتستمر فتنة الصراع على السلطة والحكم بين أبناء هذه السلالة فقد أدعى الإمامة في الروضة **غالب بن محمد بن يحي بن المنصور علي** الذي أعدم والده علي ابن المهدي.

وأصبح حال اليمن وأبنائه تعجز عن وصفه العبارات والكلمات فتهامة والمخلاف السليماني تحت حكم العثمانيين وحراز تحت سيطرة قبائل يام والمناطق الوسطى تحت سيطرة قبائل بكيل **وعلي ابن المهدي** يدعي الإمامة بالوادي **وغالب بن محمد بن يحي** يدخل ، صنعاء في شهر شوال ١٢٦٧هـ.

وينتشر الطاعون في مكة في موسم الحج ولا حول ولا قوه إلا بالله فبأي دين حكم هؤلاء الأئمة.

الفتن قائمه والسبل خائفة والشرائع عاطلة ثم عزم الهادي إلى بلاد حراز لمحاربة المكرمي فحاربهم وأخذ عليهم مناخه [1] ثم أخرجه منها قبائل يام فتوجه لجمع الأموال إلى حفاش (مديرية بمحافظة المحويت) والناس في هذه الحال والإمام الآخر علي ابن المهدي أنتقل إلى مدينة يريم يدعو الناس إلى طاعته والإمامان ما خرجا إلى هذه المناطق إلا لسلب الأموال وجمعها من تلك المناطق بتسليط القبائل ، التي جمعها كل واحد إلى جواره وفي نفس الوقت يخرج **العباس بن عبد الرحمن الملقب بابن شمس الحور** إلى ضلاع (قرية بمديرية همدان محافظة صنعاء) يدعي الإمامة لنفسه ومن ضوران (مدينة بآنس محافظة

---

(١) – تاريخ اليمن : عبد الواسع الواسعي .

ذمار) يدعي الإمامة **العباس بن المتوكل أحمد** ويقوم بجمع القبائل حوله ويتوجه إلى صنعاء ويدخلها.

فأنقسم الناس في صنعاء وهم منقسمون في كل مكان بين مؤيد **للعباس بن المتوكل احمد**، ومؤيد **لغالب بن محمد بن يحيى بن المنصور علي** واشتعلت الحرب في صنعاء بين الفريقين ورتب العساكر في منارات المساجد والدور الكبار فالجانب الشرقي في صنعاء مع الهادي غالب بن محمد والجانب الغربي مع المهدى عباس ابن المتوكل احمد وحوصر الناس في بيوتهم وأغلقت الأسواق والمساجد وأغلق الجامع الكبير نحو شهرين والهادي غالب بن محمد مستمر في جمع الأموال من أقوات أهالي حفاش.

ثم عاد من حفاش إلى صنعاء فهرب **منها المهدي عباس ابن المتوكل احمد** ومن بايعه إلى قرية ضلاع همدان وفي هذه الفتنه تخر بت الدور الكبار في صنعاء مثل دار الحداده ودار الحجر في الوادي وحي بستان السلطان وسيطر على صنعاء **غالب بن محمد** أما خارج صنعاء فكل قبيلة تحكم نفسها ونفس الفقهاء يتناوبون مع هؤلاء الأئمة وفي نفس السنة ١٢٦٩هـ حصلت فتنه وقتال بين **الهادي غالب بن محمد وأحمد عبد الله أبو طالب** عامله على حفاش بسبب ما تحصله من أموال.

وقامت الحرب في صنعاء ثم خلع الهادي نفسه وتوفي **احمد بن هاشم الويسي** ودفن في بلاد أرحب.

وأدعى الإمامة **احمد بن عبد الله أبي طالب** وتلقب **بالمهدي** وبايعه أهل صنعاء وكلا أدعى وكلا بايعوا.

واضطربت الأمور المضطربة وزادت الفتن المشتعلة وكلا يدعو وكلا يدعي الإمامة ليسلب ويجبي الرعية وكل ما يفعل هؤلاء جائز وفقا لبدع **الهادي يحيى بن الحسين** :-

وفي سنة١٢٧٠ هـ أدعى الإمامة **محمد بن عبد الله الوزير** من قرية السر قبيلة بني حشيش مديريه من مديريات محافظة صنعاء ولم يذكر مؤرخو الإمامة إلا لهذا المدعي أنه بلغ من العلم مرتبه ودخل صنعاء في ٧صفر من هذا العام.

وفي سنة ١٢٧١هـ أدعى الإمامة **حسين بن المتوكل** في الروضة وساندته قبائل أرحب وتلقب بالمتوكل وتجمعت قبائل بني الحارث وأرحب وحاصروا صنعاء وهجموا على بئر العزب وظلوا محاصرين لصنعاء.

واستمرت الحرب قائمه بين من في صنعاء والقبائل، التي حولها ثم أتفق المشايخ والأعيان من أهل صنعاء والقبائل على خلع **الإمامين المنصور الوزير وحسين بن المتوكل،** ونصبوا إماما **محسن بن احمد الشهاري وتلقب بالمتوكل** وفي هذا العام ذكر عبد الواسع الواسعي في تاريخ اليمن (أن الشيخ مقبل الصعر وجد في خرابه أمام بيته تماثيل من النحاس من جميع الحيوانات من بني أدم والهوام والسباع والطيور وإلى ذلك ثلاثة صناديق من الذهب والفضة ثم بعث بذلك إلى المنصور بالله الوزير .

وبعد تنصيب محسن بن احمد الشهاري إماما فإن المنصور بالله الوزير لم يخلع نفسه ولم يبايع بل عزم إلى السر في ٢٧ شهر شعبان ويذكر الواسعي أنه سمع من بعض المشائخ أن حال خروج الوزير من صنعاء كان يدعوا على أهالي صنعاء فأعقب ذلك موت البقر وحصل في العنب عاهة تسمى باليمن "الذحل" ففسدت وارتفعت البركة من الطعام بسبب فساد الناس وهكذا تم تجهيل الناس ثم بث فقهاء الأئمة هذه الأساطير.

ومثل هذه الخرافات كانت تنشر بين الناس ،وبالذات بين القبائل في عهود الأئمة المختلفة وهذا أمر طبيعي فإذا جهل الإنسان سهل خداعه بإسقاط الهالة والقدسية باستجابة دعاء هؤلاء لما لا؟ وقد تراكم تجهيل الناس بشكل مقصود وبآلية مكرره من قبل الأئمة الهادويون.

ويلخص حال بعض المدعيين الواسعي بقوله [1] أما الذين كانوا ادعوا (الإمامة) أولا خلعوا أنفسهم وذهبت بسببهم نفوس وأموال وحدثت غصص وأحوال ، فاجتمعوا بالروضة منهم **غالب بن محمد يحيى والعباس بن المتوكل واحمد بن عبد الله أبو طالب** وأجمع رأيهم على نصب إمام منهم وقيام الآخرين بالأمر معه والإعانة له ويكونون كالبنان أو كالبنيان يشد بعضه بعضا).

ثم قام بالأمر غالب بن محمد وتلقب بالهادي ونهض من الروضة وقد كان مستقرا هنالك من عند وصوله من حفاش ثم بايعه أُناس من بني الحارث وهمدان ثم نهض من هنالك ومن معه إلى بلاد حضور[2] في الجنوب الغربي من صنعاء على بعد أربع ساعات.

إن الفترة التي امتدت من عام ١٢٥١هـ إلى ١٢٧٢هـ وما شهدته من صراع الأئمة على الحكم سواء بالخلع أو بالخروج، أبتدأ من عهد **علي بن المهدي عبد الله** إلى أن تولى أمر صنعاء الحاج **احمد بن احمد الحيمي** عام ١٢٧٢هـ قد وصلت باليمن إلى مرحله من

---

(١) – تاريخ اليمن – عبد الواسع الواسعي .

(٢) – منطقة من مديرية بني مطر محافظة صنعاء .

التفكك وعدم الاستقرار الأمر الذي أدى إلى تدهور أحوال الناس اقتصاديا وسياسيا وإجتماعيا بشكل لم يسبق له مثيل وهذا أمر طبيعي لانحراف الأسس التي قامت عليها الدولة القاسمية وهو الفكر الهادوي القائم على الحق الإلهي في الحكم لهذه السلالة واستحقاق الإمامة لمن قام بها ودعا إليها ولجواز الخروج على الحاكم الظالم بدون قيود أو تحديد موجبات الخروج ولجواز قيام إمامان في وقت واحد.

إن فكر الهادي باعتماده على هذه المبادئ قد وضع الأسس الأساسية للصراع بين أبناء هذه السلالة على الحكم وبالتالي إلى ديمومة الفتنه والاقتتال بين أبناء الشعب اليمني ورويت تلك الفتنه بدماء اليمنيين وأرواحهم خلال تلك الفترة وما سبقها.

وجر ذلك الأئمة وأدعياء الإمامة إلى استخدام أساليب ووسائل اتصفت بالظلم والقسوة في استبداد الناس وجباية أموالهم بطرق تخالف شريعة الإسلام.

ذلك الظلم التراكمي أدى إلى التجاء الناس إلى خلع هذا الإمام ومبايعة الآخر نتيجة لظلم المخلوع وعدم قدرته فإذا بالخلف أكثر ظلما وأقل قدرة وزاد الطين بله إدعاء الإمامة عدة أفراد من هذه السلالة في آن واحد حتى قام الناس بتنصيب **الحاج احمد بن احمد الحيمي** كعاقل لصنعاء ولم ينصب كحاكم أو إمام أو أي مسمى ويرجع ذلك إلى فكر الهادي وأساليب الأئمة التي تمحورت في تجهيل الشعب وبث مبادئها في ذلك المحيط المظلم من الجهل والتخلف حتى أعتقد الناس بأن صلا ة الجمعة لا تجوز إلا بقيام إمام من هذه السلالة فينصبونه قبل الصلاة ويخلعونه بعدها (نشهد أن الهادي أتقن اللعبة).

إن هذه الحالة قد أدت إلى محو أ بسط نواميس العدل وهي مسائله مسببي هذه الفتن، وهذا يُظهر ركود وجمود قيم فقهاء وعلماء هذه الفترة إما لانحراف كل القيم أو للقهر والإذلال الذي مارسه الأئمة وأدعيائها عليهم إن أبلغ دليل يظهر ظلم الفكر الهادوي وأئمته هو عدد الأئمة وأدعيائهم حيث بلغ عدد المتصارعين على الإمامة أكثر من ثلاثين خلال الفترة ١٢٥١هـ إلى ١٢٧٧هـ وهم:-

١- علي بن المهدي عبد الله :

بصنعاء - نصب إمام ١٢٥١ - ١٢٥٢ هـ أدعى الإمامة أربع مرات.

٢- حسين بن علي المؤ يد ي :-

بحيدان من بلاد صعده أدعى الإمامة ١٢٥١هـ

٣- عبد الله بن الحسن ا بن احمد :

بصنعاء و نصب إمام بعد خلع علي بن المهدي١٢٥٢ - ١٢٥٦ هـ قتلته همدان وتلقب بالناصر.

٤- محمد بن المتوكل احمد .:-

بصنعاء تلقب بالهادي سنة ١٢٥٦ - ١٢٥٩ هـ

٥- علي بن المهدى :- ١٢٥٩- ١٢٦٠ هـ

٦- محمد بن يحيى المنصور :-

تهامة - ونصب بعد حرب بينه وبين علي بن المهدي انتهت بخلع الأول وتنصيب الثاني لقب بالمتوكل ١٢٦١هـ - ١٢٦٥هـ وقام بإدخال الأتراك.

٧- الحسين بن المتوكل احمد :-

يريم - أدعى الإمامة وقامت حر ب بينه وبين الإمام محمد بن يحيى بن المنصور انتهت بالصلح.

٨- دخول العثمانيين :-

أدخلهم المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور ١٢٦٥هـ وخرجوا بعد شهر من دخوله صنعاء.

٩- علي ابن المهدي :-

صنعاء - نصب إمام للمرة الثالثة بعد ثورة أهالي صنعاء والجنود على المتوكل محمد بن يحيى الذي أدخل ، الأتراك وقام بسجن الإمام القديم ثم أعدمه ١٢٦٥- ١٢٦٦هـ وأعدم

١٠- ابن شمس الحور(العباس ابن عبد الرحمن) :-

نصب إمام بصنعاء بعد خلع علي ابن المهدي عام ١٢٦٦ هـ وبعد أشهر بايع أهل صنعاء احمد بن هاشم الويسي - لقب بالمؤيد بالله

١١- غالب بن محمد بن يحيى :-

لقب بالهادي - من الروضة - ١٢٦٧ هـ ثم استولى على صنعاء

١٢- العباس ابن المتوكل احمد :-

ضوران - آنس - أدعى الإمامة ١٢٦٨ - لقب بالمهدي - ودخل صنعاء وأنقسم الناس

بينه وبين الهادي – غالب بن محمد بن يحيى وقامت الحرب بينهم داخل صنعاء شرق صنعاء مع الهادي غالب بن محمد وغر بها مع المهدي عباس بن المتوكل احمد ثم عاد الهادي من حفاش فهرب المهدي من صنعاء إلى ضلاع.

١٣ – اقتسمت صنعاء بين الويسي والعباس ابن عبد الرحمن وقامت الحر ب بينهم وبعد الخراب تنازل العباس للويسي.

١٤–احمد بن هاشم الويسي :–

صعده – تلقب بالمنصور – ١٢٦٩ هـ

١٥ – احمد بن عبد الله أبو طالب :–

صنعاء– وكان عامل للهادي غالب بن محمد ١٢٦٩ هـ وقامت الحرب بينه وبين الهادي غالب بن محمد وانتهت بخلع الهادي ثم أدعى الإمامة احمد بن عبد الله أبو طالب ولقب بالمهدي

١٨– محمد بن عبد الله الوزير .:–

السر– ١٢٧٠ هـ –ولقب بالمنصور ودخل صنعاء بنفس العام.

١٩ – حسين ابن المتوكل :–

الروضة – ١٢٧١ هـ ونهبت صنعاء في عهده .

٢٠– محسن بن محمد الشهاري :–

صنعاء – ١ ١٢٧ هـ لقب بالمتوكل وخرج من صنعاء المنصور بن عبد الله الوزير وخرج في السر(*)

٢١– اجتماع الأئمة في الروضة ونصبوا غالب بن محمد ولقب بالهادي.

٢٢– الحاج احمد بن احمد الحيمي صنعاء – ١٢٧٢ هـ.

٢٣– حرب بين وزيري الهادي غالب بن محمد والمتوكل .

وكان وزير الهادي غالب بن محمد الحاج احمد الحيمي ووزير المتوكل محسن بن احمد الشهاري هو احمد بن علي الشامي ، وبقيت الحرب شهرين ونصف ثم أصتلحا ثم قامت حرب بين أرحب وهمدان قتل فيها مائة قتيل وكانت الغلبة لهمدان.

٢٤– دخول علي بن المهدي عبد الله .

(*) – وعندما رفضوه خرج وهو يدعو على أهل صنعاء فأصاب الله البقر وحصل في العنب عاهة فقيل أنه من بركة دعواته .

صنعاء – ١٢٧٤هـ وقام بإدخاله الحاج احمد بن احمد الحيمي وخلعوا غالب بن محمد وكان علي بن المهدي بدار سلم ونتيجة لذلك قام الهادي غالب بالالتجاء لقبائل أرحب وبني الحارث وهاجم صنعاء فجاء وقد أغلقت أبوابها فحاصرها ثم ذهب إلى خولان ليستنجد بقبائلها ففر علي ابن المهدي إلى الحيمة ثم وقع الصلح على خلع علي بن المهدي.

٢٥- محسن احمد الشهاري:-

كحلان – أدعى الإمامة – ١٢٧٤هـ وأستنجد بقبائل بني الحارث وبني حشيش وأرحب وهدم احمد الحيمي أكبر دار بصنعاء وهي دار الطواشي التي بناها الإمام المنصور علي ابن العباس وكان الحيمي يحكم بصنعاء والهادي محمد بن غالب في الروضة والمنصور محمد بن عبد الله الوزير إماما بالسر وتعاظمت الفتن وتطاولت المحن بقطع السبل وانتهاك الحرم في جميع القبل.

٢٦- خلع احمد الحيمي .

كعاقل لصنعاء وذهابه لاستدعاء الأتراك ١٢٧٤هـ ونصب أهالي صنعاء عبد الله يوسف حيدر.

٢٧- حسين بن احمد :-

الطويلة – ١٢٧٥هـ تلقب بالهادي وكان يدعي أنه يستخدم الجن ويخبره بالوقائع وأمسك أتباعه احمد الحيمي وحبسه في صنعاء إلى أن توفي بعد سنه بالحبس ودخل حسين بن احمد الهادي صنعاء وأنتشر بها طاعون عظيم حتى عدمت الأكفان وصلي على عشرين جنازة في وقت واحد ووقع برد شديد أتلف الزرع والأشجار.

ويعبر عن ذلك العلامة أبو الأحرار محمد محمود الزبيري بقوله:

جهل وأمراض وظلمٌ فادحاً   ومخافةٌ ومـــجاعـــــةٌ وإمــــام

وفي ١٢٧٦ هـ ثار أهالي صنعاء وحاصروه في القصر ونصب أهل صنعاء لهم شيخا هو محسن بن علي معيض وأخرجوا حسين بن احمد(الهادي) وسيفه يحيى الأبيض وأتباعهما فالتجئوا لبني بهلول وجاؤ بهم إلى جنوب صنعاء وكان محسن معيض قد بايع محسن بن أحمد الشهاري ووقعت الحرب بين أهالي صنعاء وبين بني بهلول ومعهم الهادي حسين احمد وكانت الغلبة لأهالي صنعاء.

٢٨_ محسن بن احمد الشهاري :-

ذي مرمر ببني حشيش (مديرية بمحافظه صنعاء) سنة ١٢٧٧ هـــ قام فقهاء الأئمة وعلى رأسهم حسين بن عبد الرحمن الأكوع – واحمد بن عبد الرحمن المجاهد – وحسن بن يحيى الديلمي من ذمار بدعوة قبيلة ذو محمد وذو حسين وقبائل حاشد وجمعوهم إلى ريده (مديريه بمحافظة عمران) وتشاوروا فيمن يصلح للإمامة فأيد بعضهم محمد بن عبد الله الوزير وأيد بعضهم محسن بن أحمد الشهاري ثم نصب محسن بن احمد الشهاري فأنتقل من ذي مرمر إلى صنعاء وخرج بجموع القبائل إلى الحيمه وكان قد سيطر عليها مشايخ حراز وقامت الحرب بين الطرفين وكانت الغلبة لمشائخ حراز ففر الإمام محسن بن احمد الشهاري إلى صنعاء ثم إلى حصن ذي مرمر ببني حشيش وفوق تلك المحن أصيبت الأبقار بمرض وقحط وغلاء وفي نفس العام خلع شيخ صنعاء محسن معيض الإمام محسن بن احمد ونصب حسين بن المتوكل احمد فجمع الإمام محسن بن أحمد القبائل فحاصرت صنعاء حتى خرج حسين بن المتوكل احمد منها وتم الصلح بين الإمام محسن بن احمد ومحسن معيض على أن تقام في صنعاء الخطبة والجمعة – وفي ١٢٨٥هـــ جمع الإمام محسن بن احمد الشهاري القبائل من أرحب وغيرها لقتال أهالي حراز المسيطرين على الحيمه فأنهزم إلى قرية حزيز بسنحان جنوب صنعاء وثارت القبائل وخرجت على طاعة الإمام.

تلك الأحداث أدت إلى انفلات أمني وتدهور أحوال المواطنين نتيجة للصراع بين أبناء هذه السلالة على الإمامة فإن ضعف هؤلاء الأئمة كان فتنه بالتجاء كل واحد منهم إلى قبيلة أو إلى منطقة ودفعها للقتال من أجله وإن قوي شأنهم كانوا طغاة سفاحين إلا أنهم في كل الأحوال ، قد نجحوا في سفك دماء اليمنيين وإزهاق أرواحهم ويخرجون سالمين فتراهم يشعلون الفتن بدفع قبيلة على أخرى وينصبون أئمة ويخلعون وهم سالمون ويخرج هذا المدعي على ذاك الإمام ويقتل اليمنيون وهم سالمون.

ويدفعون الغرباء لدخول اليمن منذ الأيوبيين حتى العثمانيين .

ويعبر عن ذلك بإيجاز أبو الأحرار بقوله :

نثروا بأنحاء البلاد ودمـــروا ـ عمرانها فكأنهم ألغـــامُ

الفصل التاسع

حروب وفتن الهادويون

الحكم العثماني الثاني ١٢٨٩هـ- ١٣٣٦هـ

ق ١٣- ق١٤ هـ

المبحث الأول :-

استقبال الأئمة للعثمانيين

المبحث الثاني :-

الولاة العثمانيين و أدعياء الإمامة

المبحث الثالث :-

الإمام يحيى حميد الدين

المبحث الأول

استقبال الأئمة للعثمانيين

[1] فبعد أن أشعلوا تلك الفتن والمحن يتجمعون لاستقبال العثمانيين شهر صفر ١٢٨٩هـ فعند وصول الوالي احمد مختار باشا أرسل **الإمام علي بن المهدي احمد بن محمد الكبسي وزيد بن احمد الكبسي وحسين بن علي غمضان** وغيرهم من أبناء هذه السلالة وقضاهم وفقهائهم (العثمانيين) مناخة شاهدوا سطوة العساكر الشاهانية فسره ذلك غاية السرور.

وهكذا يستقبلون العثمانيين ويستبشرون بقوهم لإخضاع اليمنيين ويحصلون على الحظوه والمكانة والمال بموقفهم مع الأتراك وكان هذا على ابن المهدي قد أعدم **المتوكل محمد بن يحيى** عام ١٢٦٦ هـ بسبب أدخاله الأتراك وكان هذا عند دخولهم صنعاء للمرة الثانية عام ١٢٦٥هـ .

قال الله تعالي: (كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون).

لاتنه عن خلق وتأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

وهو الذي حرض أهل صنعاء على الفتك بالعساكر العثمانية في ١٢٦٥هـ فلا ثوابت ولا قيم يسير عليها هذا الإمام فهو بأفعاله السابقة قد أجج غل العثمانيين على اليمنيين ولاسيما على أهل صنعاء فهم الذين يستقبلون الأتراك اليوم وهم الذين سيدفعون الشعب لقتالهم عندما تنتهي مصالحهم مع العثمانيين وهم الذين دمروا كل مقدرات هذا الشعب وأشعلوا الفتن بين أبنائه بظلمهم وصراعهم على السلطة حتى أصبحت اليمن منهكة ومهيأة لاستقبال أي غريب لعدم قدرها على تنظيم صفوفها لما بث من ثقافة في عدم جواز حكم أحد أبناء الشعب .

وهكذا وصل العثمانيين وقد طلب الفريق المكلف من **علي بن المهدي** باستقبال العثمانيين من الوالي **أحمد مختار باشا** (أن يحضر صنعاء حسب أمر السلطان ليربي العصاه المتمردين وبعد تربيتهم يرجع من حيث أتى فهز لهم رأسه وتكلم بكلمات تركية لا يفهموها فظنوا أن الأمر كما يريدون).

---

(١) – تاريخ اليمن – عبد الواسع الواسعي .

ويبدو أنهم الذين سعوا إلى دخول العثمانيين عندما لم يفلح أحدهم في دفع قبيلة قوية لفرض سلطته.

إن هؤلاء هم سبب الفتنه بفكرهم الهادوي وصراعهم من أجل السلطة وحكمهم الباغي فهم أوصلوا اليمن إلى ما وصلت إليه لفشلهم وعدم قدرتهم على السيطرة وحكم اليمن فعملوا على إدخال العثمانيين وقاموا بتأليب العثمانيين على اليمنيين بقولهم للعثمانيين أن يحضروا إلى صنعاء ليربوا العصاة ثم يعودوا وهم الذين سيؤلبون اليمنيين لقتال العثمانيين.، فكر أبليس في التميز وفعله في إشعال الفتن ، يقول أبو الأحرار :-

ما كان ضرهم وهم من هاشم

لو أنهم مثل الجدود كرام

لكنها الأخلاق أرزاق بها

يجري القضاء وتقدر الأقسام

وإكمالا لمسيرة التزلف لاسترضاء العثمانيين فقد قام الأئمة **علي بن المهدي عبد الله** والإمام **غالب بن محمد** والإمام **حسين بن المتوكل** وغيرهم من هذه السلالة وفقهائهم باستقبال احمد مختار باشا إلى نقيل عصر غربي صنعاء .

وتسابقوا على تسليمه قصر صنعاء والمعاقل المحيطة بصنعاء (وكان دخولهم صنعاء، ١٦ شهر صفر ١٢٨٩هـ) [١] وكان هذا دخولهم للمرة الثالثة وتوزع الجنود بقصر غمدان وعلى أبواب صنعاء العشرة.

وبعد ذلك قام **احمد مختار باشا** بطلب الدفاتر المالية الموضحة حجم الإيرادات والتي كانت لدى **الإمام علي بن المهدي وأعوانه** ، ولكن **الشيخ محسن معيض** أشار على احمد مختار باشا أن يضرب المتمردين بقيادة الدفعي الذي كان يقيم بشعوب شمال صنعاء والذي كان يقوم بقطع الطرقات والنهب والقتل وإنه إذا ضرب الدفعي أيده الخاصة والعامة.
وبعد ذلك يتسلم الدفاتر وتدين له البلاد ، وتم ضرب الدفعي وكان متحصنا في النوبة (بيت مستدير مبني من الطين " الزابور") مع أعوانه وقد كتب له الوالي أن يحضر لكنه أبى فقامت القوات التركية بضرب البيت المتحصن فيه.

---

(١) - تاريخ اليمن - عبد الواسع الواسعي .

وقبض على الدفعي وأعوانه ثم طلب الدفاتر وشكل حكومة من الأتـــراك مـــوظفين ومأمورين ومنع الأئمة من الاختلاط برؤساء العشائر وحددا لهم مرتب ثلاثة ألف قـــرش وقطع العائدات التي كانت لهم ومنعهم من استخدام الخدم والعساكر حتى بـــدأ في بيـــع أملاكهم وبعد أربعه أشهر خرج الجيش التركي إلى كوكبان لإخضاع أميرها **أحمد محمد شرف الدين** وجميع المناطق الواقعة ما بين كوكبان إلى تهامة فتحصن بالحصون وحاصره الأتراك سبعه أشهر، ووقعت معارك عديدة بين الطرفين ســـفك فيهـــا دمـــاء اليمنـــيين والعثمانيين.

وانتهت بتسليم **احمد محمد شرف الدين** كوكبان وســـكن بهـــا إلى أن تـــوفي ســـنه ١٣١٤هـــ .

(وكانت هذه الأسرة تحكم كوكبان وحاولت الاستقلال بها عدة مرات وكانـــت في كل مره تحاول فيها الاستقلال تشتعل فيها الحرب بين هذه الأسرة وإمام صنعاء وكان ثمن طموح هذه الأسرة بالاستقلال دماء وأرواح اليمنيون ويخرج أمراء كوكبان مـــن بـــني شرف الدين سالمين كل مره فمثلما امتهنوا إشعال الفتنه احترفوا التفاوض المثمر لخروجهم سالمين وقد تكرر ذلك خلا ل حكم أئمة بني قاسم)
وفي هذا العام ١٢٨٩ هـــ اشتعلت الحرب بين قبيلة الحدا والعثمانيين وكانـــت الغلبـــة للعثمانيين ودخلت الحدا في طاعة العثمانيين .

وكانت طريقة العثمانيين باستخدام القوه لإخضاع تلك القبائل هي من الأخطاء التي ارتكبوها وجرت عليهم الويلات والتي كانت سببا في تهيأت تلك القبائل لمقاومة وقتـــال العثمانيين والسبب الآخر ممارسة بعض ولاة العثمانيين نفس أساليب الأئمـــة في قمـــع القبائل المتمردة دون مراعاة للظروف المعيشية والفكر الهادوي الذي أصل النزعة القتاليـــة والعداء للآخر ذلك كان السبب في تمرد تلك القبائل في أغلب الأحوال ، أضف إلى ذلك جهل بعض الولاة بطبيعة المجتمع اليمني لعدم قيام العثمانيين بدراسة المجتمع اليمني وتركيبته القبلية من ناحية ومن أخرى لم يقم الولاة العثمانيين بدراسة العوامل التي جعلـــت تلـــك القبائل ، تمتهن الغزو والقتال لكسب رزقها.

وكانت تلك القبائل قد تمرست على ذلك نتيجة لدفع الأئمة قبيلة على أخرى أو دفع قبيلة على منطقه ثائرة أو متمردة على سلطه الإمام أو بدفع الإمام قبيلة ضد الخارج عليه والمدعي للإمامة والعكس.

وكذلك لم يتعامل بعض الولاة العثمانيين بموضوعيه مع القدرة القتالية لتلك القبائـــل والطبيعة الجغرافية لمناطقهم بالإضافة إلى كون أغلب الولاة قاده عسكريين فلم يستخدموا

أسلوب الإرشاد والتوعية الدينية بين القبائل بنشر تعاليم الدين التصويبية لما بث من قيم دينيه منحرفة عمقها الفكر الهادوي حتى أصبح الخروج عليها خروجا على الدين وخاصة أن الأئمة وفقهائهم هما مصدر الإرشاد الديني الوحيد الموثوق به لدى العامة بل استطاعوا أن يقنعوا أبناء القبائل بأن حبهم والوقوف معهم واجب ديني لأنهم ورثة الدين والنبوة[1] (فقد استطاعوا أن يقنعوا الشعب بأن لا ينتظر من وراء نصرهم وخدمتهم أي جزاء وشعارهم المأثور :من أحبنا أهل البيت فلن يستعد للبلاء جلبابا)، فإذا كان المذهب الهادوي يحرم على اليمني حكم بلاده فكيف سيكون تأثير ذلك المذهب على الناس عند حكم التركي ،وبهذا الفكر ولامتلاك المستفيدون منهُ القدرة على التأثير على العامة (بواسطة الهجر) مستغلين ما تمرست عليه تلك القبائل من القتل والقتال فيما بينها وفيما بينها وبين سكان المناطق الخصبة بدفع من الفكر الهادوي وأئمته الأمر الذي جعل ثقافة تلك القبائل هي العداء للأخر حتى أصبحت كيانات تمتهن الحرب والقتال لكسب أرزاقها وكان يساعد الأئمة في تحقيق مقاصدهم المشائخ لما كان يتحقق لهم من مكاسب ومكانه بالحروب.

إن الوسيلة التي يمكن من خلا لها إخضاع وتسخير تلك القبائل هي الوسيلة الدينية للحب المتأصل لدى اليمنيون للدين والتدين (أي إعادة التنشأة الدينية على أساس العدل والمساواة والأخوة الإسلامية).

ولا يدوم خضوعهم لأي حاكم بالقوة مهما بلغت قوته ، ويؤيد ذلك ما ذكرناه من مقاومة اليمنيون وعدم خضوعهم للأيوبيين والمماليك والحكم العثماني الأول وقدرة الأئمة على دفع القبائل باسم الدين .

وسيتضح ذلك من المقاومة الشرسة للحكم العثماني خلال هذه الفترة ١٢٨٩هـ.[2]

وفي السنة الأولى للحكم العثماني تمردت خولان على العثمانيين ووقعت حروب بينهما كانت الغلبة للعثمانيين ثم دخلت في الطاعة

وفي عام ١٢٩٣هـ تمردت أرحب وحاشد وكان ذلك مع وصول الوالي **مصطفي عاصم** ، ووقع قتال ومعارك شديدة ذهب ضحيتها عدد كبير من الجانبين وتم الصلح بين الطرفين ودخل مشائخ تلك القبائل إلى صنعاء وأنعم عليهم بالعطايا وتمردت على العثمانيين بلاد المخادر بمحافظة إب وأرتكب العثمانيون خطأ باستخدامهم نفس أساليب

---

(١) – الإمامة وخطرها على وحدة اليمن – أبو الأحرار محمد محمود الزبيري .
(٢) – تاريخ اليمن – عبد الواسع الواسعي .

الأئمة بدفع قبائل، من ذو محمد للقضاء على ذلك التمرد فسفكت دماء ونهبت أموال و لم يجد اليمنيون فرق بين ما كان يصنعه الأئمة وبين ما يصنعه العثمانيون.

ثم قام الوالي مصطفى عاصم بسجن مجموعه من فقهاء الهادويه وأرسلهم إلى الحديده وظلوا بسجنهم سنتين منهم **والد الإمام يحيى محمد حميد الدين وأحمد محمد الكبسي وزيد بن احمد الكبسي وحسين بن علي غمضان** وكانوا أربعين فردا.

ومات بعضهم أثناء فترة السجن مثل **محمد بن محمد المطاع وعلي بن محمد الجديري ومحمد بن إسماعيل عيشيش.**

فأن كان مقصد الوالي هو عزل هؤلاء العلماء كي لا ينشروا الفكر الهادوي وخاصة مبدأ عدم جواز الحكم والإمامة لغير العلويين والذين كانوا به يهيجون القبائل ضد العثمانيين إذا كان ذلك فكان يجب أن يقوم بإحلال البديل أي علماء ينشرون بين الناس فكرا ونهجا تصويبي وتجديدي وهذا لم يكن.

وأستمر مصطفى عاصم في اليمن إلى عام ١٢٩٥ هـ وخلفه إسماعيل حقي باشا وقام بإطلاق المساجين بالحديده .وتوفي في هذه السنة محسن بن احمد الشهاري أحد الأئمة المتصارعين على السلطة ودفن بحوث(مديريه من محافظة عمران) .

المبحث الثاني

الولاة العثمانيين و أدعياء الإمامة

و عاد سنه ١٢٩٦هـ أدعياء الإمامة بالسعي من أجل السلطة فقد أدعى الإمامة **شرف الدين محمد وتلقب بالهادي** ودعوته من جبل الأهنوم ، وبعد ثلاث سنين أنتقل إلى صعده وجمع بعض القبائل حوله وحاول السيطرة على ظفير حجه وما حولها وأستمر في إشعال الحروب إلى سنة ١٣٠٧هـ وتوفي بهذه السنة(١) .

وبعد وصول الوالي **إسماعيل حقي باشا** نشر العدل والإنصاف فحمد له اليمنيون وأحبوه واستقرت له الأمور وشكل أول جيش من اليمنيين ودربهم ونورهم فكريا على مبادئ الدين السمحاء واستطاع هذا الجيش أن يخمد الفتن فأحب اليمنيون هذا الجيش وخضعوا له.

---

(١) - تاريخ اليمن – عبد الواسع الواسعي .

وبوجود ذلك الجيش عم الأمن والسكون وكانت هذه أول مره يتكون فيها جيش يمني منذ نهاية الطاهريون وتجدر بنا الإشارة إلى جمله من الملاحظات :-

١- إن إنشاء ذلك الجيش على أسس سليمة من التدريب والتنشئة الدينية الصالحة أثبت قدرة اليمنيين على الانتظام والانضباط وأثبتوا أنهم اقدر الناس على فرض هيبة الدولة في اليمن.

٢- إن خضوع قبائل اليمن ومناطقها لهذا الجيش ليس لقوته فقط وإنما لتعامله معهم بأساليب وطرق إنسانية لا تعتمد على سفك الدماء والنهب والسلب فخضع الناس له بدون قتال أحيانا وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن أساليب الأئمة في إخضاع قبائل ومناطق اليمن عن طريق سفك الدماء ونهب الأموال كانت تؤجج التمرد والثورات ولم تؤدي إلى انقياد الناس وطاعتهم سواء في عهد الأئمة أو عهد العثمانيين أو غيرهم.
وأراد ذلك الوالي الصالح أن يزيد قوات الجيش من اليمنيين ويرسل ، العساكر التركية إلى الأناضول ، لزيادة قوة الدولة العثمانية في مناطق أخرى فأرسل رسالة بذلك إلى الأناضول.

ولكن يبدوا أنهم فهموا الأمر بشكل مغلوط أو قد يكون أحدا أو عز إلى الباب العالي بدسيسة من حاشية السلطان أو من اليمن فعاد الجواب من السلطان بعدم الموافقة على المقترح وبإلغاء ذلك الجيش وعزل ذلك الوالي الصالح وعين بدلا عنه محمد عزت باشا سنة ١٢٩٩ هـ فوصل صنعاء وقلوب الناس وجله ومستاءين من تغيير ذلك الوالي الصالح فحاول تقريب مشائخ القبائل ولكن دون جدوى .

فعاد التمرد والخروج من قبل القبائل التي كانت قد خضعت واستقامت أمورها للجيش اليمني فخرجت خولان عن طاعة العثمانيين ووقعت حروب راح ضحيتها العديد من القتلى من الجانبين.

وقد يكون أحد دوافع خروج خولان إدعاء شرف الدين محمد للإمامة والذي ذكرناه سابقا.

وهذا الإمام قام بجمع القبائل وبدأ التمرد من محافظة صعده فتوجه محمد عزت باشا بالقوات العثمانية للقضاء على هذه التمردات وذهب ضحيتها اليمنيون والعثمانيون واستمر هذا الوالي حتى توفي بصنعاء عام ١٣٠٢هـ ودفن بجوار جامع البكيريه.

احمد فيضي باشا :-

وعين واليا سنة ١٣٠٢ هـ وكان مسؤولا عن عسير قبل ذلك واتسمت أدارته بعدم الحكمة وباستخدام القوه والسلب والنهب وصادف مجيئه انقطاع الأمطار وانتشار الجراد وغلاء الأسعار فأرسل قواته على همدان وسنحان وبني مطر وغيرها لإخراج الحبوب المخزونة لدى تلك القبائل.

وربما أن العثمانيين كرروا ذلك مع أرحب فثارت أرحب وحصل قتال بين تلك القبائل والعثمانيين كان ضحيتها قتلى من الجانبين ولو اتعظوا بمعرفة تاريخ وطبيعة المجتمع اليمني لعلموا أن هذا الشعب لا يخضع بالظلم والقوه، ونتيجة لتصرفات هذا الوالي رفع أمراء العساكر ما أصابهم واليمنيون إلى الباب العالي فأمر السلطان بعزله وعين.

عزيز باشا :-

عين سنة ١٣٠٣ هـ وبدأ أمره بحزم وعدل ونظر في مظام الناس.

وفي زمن هذا الوالي زاد نفوذ المدعي للإمامة **شرف الدين بن محمد** فأنظمت إليه قبيلة عيال يزيد (مديرية بمحافظة عمران) فخرجت القوات العثمانية للقضاء على دعوته وكانت الغلبة للقبائل اليمنية وأهزم الجيش العثماني وتراجع إلى مدينة عمران وأخطأ هذا الوالي بتحميل سبب الهزيمة **الشيخ عبد الله بن احمد الضلعي.**

وكان يحضى بمكانه لدى اليمنيين ولدى دولة الخلافة وقد منح مرتبة باشا، وبعد ذلك عزل هذا الوالي وعين بدلا عنه.

عثمان باشا:-[1]

وذلك سنه ١٣٠٥ هـ واتسمت إدارة هذا الوالي بقراراته غير الصائبة فعمل ، على إبعاد عبد الله باشا الضلعي من إدارة البلاد وانتشرت في عهده الرشوة وابتزاز المشائخ وعلى رأس الأعمال غير الصائبة قيامه بنهب بيت القاضي يحيى المجاهد بعد سجنه.

فقام القاضي الشماحي بإصدار شكوى ضد هذا الوالي إلى السلطان وذهب إلى هناك فدبر هذا الوالي رفع مضبطة تحت توقيع أمراء الجند العثمانيين إلى السلطان فأمر السلطان بإقامة القاضي في أسطنبول وبقي بها حتى توفي وكذلك سعى هذا الوالي بالمكائد لدى السلطان حتى وافق على نفي الشيخ عبد الله باشا الضلعي إلى عكا بالشام.

وقام قبل ذلك بسجن الشيخ عبد الله الضلعي بصنعاء ثم أرسل الجنود لنهب أمواله وتهديم داره ، فقامت القبائل نتيجة لذلك الفعل بقتال الأتراك وزهقت الأرواح من الجانبين وزاد في إشعال الفتنه في تلك المنطقة الصراع بين **مدعي الإمامة الهادي شرف الدين بن محمد وبين مدعي الإمامة السابق محمد ابن المتوكل محسن.**

---

(١)- نفس المرجع السابق .

وكان أهم سبب للصراع فيما بينهما أن محمد ابن المتوكل محسن الشهاري تخلى عن مساندة مدعي الإمامة باتفاقه مع الأتراك أن يعود صنعاء ويعطي له ألف ريال ولأخوته شهريا وعزل ذلك الوالي بعد سنتين من ولايته وعين

عثمان باشا نوري (١٣٠٧هـ):-

ولقب بالفقيه لعدله وتواضعه وصدقاته وأجمع الناس أنه لم يأتي لليمن والي مثله وكان ينصف الضعيف والمظلوم وكثرت في عهده الخيرات وانقطعت الفتن فتضرر من أفعاله أصحاب المصالح والمتنفذين من العثمانيين واليمنيين فرفعوا إلى الباب العالي بمكيدة فصدر الأمر بتعيينه على مكة فحزن الناس عليه حزنا كبيرا وعين بدلا عنه في نهاية العام

إسماعيل حقي باشا :-

سنة ١٣٠٧هـ وفي هذه السنة توفي مدعي الإمامة الهادي شرف الدين بن محمد - وقام في عهد خروجه معارضا له ومدعيا **للإمامة محمد بن قاسم الحوثي وتلقب بالمهدي** وأدعى الإمامة من بلاد برط (محافظة الجوف)،و أدى محمد بن قاسم دوره بإشعال الفتنه بين العثمانيين واليمنيين حتى توفي سنة ١٣١٩هـ .

وبعد ثمانية أيام من موت **الإمام الهادي شرف الدين بن محمد** خرج من صنعاء **الإمام محمد بن يحيى حميد الدين** وهو والد **الإمام يحيى حميد الدين.**

وهو **الإمام محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين ابن القاسم ابن محمد** وتلقب بحميد الدين لزواجه من بيت حميد الدين ، وهكذا نرى أنه من بني القاسم ولكن من الفرع الذي لم يتولى الإمامة و لم يدعو إليها أبائه وأجداده أي أن حوالي ستة أجيال من جدوده لم يقوموا بالإمامة لابالدعوة لأنفسهم أو لغيرهم و لم يقم أحد منهم ولا حتى بالحسبة و لم يثر مؤرخي الأئمة إلى أسباب ذلك وقد يكون لعدم قدرتهم أو لقنوعهم عن أي دور سياسي أو عدم اقتناعهم بمبادئ الهادويه المؤصلة للصراع على السلطة.

ولد هذا الإمام بصنعاء سنة ١٢٥٥هـ وخرج من صنعاء في شوال ١٣٠٧هـ وأدعى الإمامة بصعده في ذي الحجة من تلك السنة وقد أستخدم **المنصور محمد** في خروجه على العثمانيين نفس الأساليب التي أتخذها الأئمة من قبله وتهيأت عوامل ساعدت على ادعائه للإمامة أهمها:-

- استغلال فساد بعض الولاة العثمانيين.

– نشر وبث الدعايات والإشاعات عن فسق ومعاصي العثمانيين.

– قام بجمع القبائل مستغلا ظروفهم المعيشية وحالة العداء التي سادت بين القبائل والعثمانيين.

وساعد على ديمومتها استمرار ظهور مدعيي الإمامة ويؤكد ذلك استقرار أحوال اليمن أثناء تولية الولاة الصالحين مثل عزيز باشا "١٣٠٣ هـ "وعثمان باشا نوري (١٣٠٧هـ).

– اعتماد العثمانيين على الجنود الترك وعدم إشراك اليمنيين في قوات الجيش ويؤكد ذلك استقامة الأوضاع وخضوع القبائل في المناطق اليمنية للجيش العثماني المكون من اليمنيين الذي أنشأه إسماعيل حقي باشا.

–تمركز العثمانيين غالبا بالمدن الرئيسية وبعض المدن الثانوية وأحيانا في بعض الحصون على الطرق الرئيسية[(١)] .

وأهم الأسباب التي ساعدت أدعياء الإمامة على أثارة القبائل ضد العثمانيين هو عدم قيام العثمانيين بنشر الفكر والثقافة الدينية التصويبية في أوساط الجماهير وكان قد أثر العثمانيين ثقافيا في صفوة المدن وهم ممن عملوا مع العثمانيين ولم يكن لهم أثر فعال في الوقوف أمام الفكر الهادوي.

تلك الأسباب وغيرها **ساعدت محمد بن يحيى** على تجميع القبائل ضد العثمانيين،وكان قد سجن في الحديده من قبل الوالي مصطفى عاصم لمدة عامين سنة ١٢٩٣– ١٢٩٥هـ ،ثم عمل هذا الإمام مع العثمانيين قبل خروجه عليهم الأمر الذي مكنه من معرفة قدراتهم وأساليبهم بالإضافة إلى تزامن خروجه مع ضعف دولة الخلافة العثمانية وبدأ دعوته بصعده ، كما ذكرنا سنة ١٣٠٧هـ وفي العام الذي يليه أنتقل إلى المدان(مديرية بمحافظة عمران) [(٢)] وجمع حوله قبائل الأهنوم وحاشد وغيرهم وسيطر على حصن ظفير ومسور والشرف بمحافظة حجه ثم على مناطق بجفاش وملحان وأرسل دعاته مع جموع القبائل إلى تعز ،وسفكت الدماء في مختلف مناطق وقبائل الشمال وحاصره العثمانيين في بلاد العشة والقفله من محافظة عمران وذادت عنه قبائل عذر والعصيمات (وهما بطنان من حاشد) وساعده على الصمود وعورة التضاريس (جبال وحصون منيعة وشاهقة) ومن أهم المعارك التي دارت معركة بلاد الشرف بحجه تراجع فيها الأتراك وقتل منهم الكثير سنة

(١)– تاريخ اليمن – عبد الواسع الواسعي .

(٢) – وهذه من الهجر التي تركز فيها أنصار الفكر الهادوي وكان يدرس بها أشياع الأئمة .

١٣٠٧هـ وثارت همدان سنة ١٣٠٨هـ بقيادة يحيى بن يحيى دوده وفي نفس السنة وقعت معركة في منطقه قاعه بهمدان (مديرية من صنعاء) وكان هذا في ولاية إسماعيل حقي باشا[1] (وكان يجري الأمور على مقتضاها ومنع المأمورين من الارتشاء ثم توفي في صنعاء نهاية سنة١٣٠٨هـ ودفن بازاء جامع البكيريه).

وتمردت بني مطر وتوجهت صوب صنعاء للهجوم عليها سنة ١٣٠٩هـ وسميت بمعركة عصر تراجع على أثرها العثمانيين إلى باب قاع اليهود غربي صنعاء يسمى الآن ميدان العلفي فتجمعت القبائل لحصار صنعاء وهجمت القبائل على مراكز قيادة الأتراك وفى شهر محرم وقعت حرب بين الفريقين في جبل نقم ثم اقتربوا لحصارها ، تلك الثورة التي قام بها اليمنيون لم يجنوا منها إلا سفك دمائهم لما أصل مذهبيا بعدم جواز قيامهم بأمر هذه البلاد وفقا للفكر الهادوي فإذا صحت رواية مؤرخي الأئمة من أن سبب هذه الثورة هو ظلم العثمانيين وإجحافهم في الجباية فأن القبائل الثائرة ستسلم راية الحكم لمن هو مساوي في ظلمه لهذا الظلم أو أكثر منه كما رأينا في عهد الأئمة السابقين أو كما سيأتي.

وتمردت سنحان وتوجهت صوب صنعاء ونشب القتال بينها والعثمانيين في معركة الجرداء (قرية من قبيلة سنحان جنوب صنعاء) وقد أتخذ أهالي سنحان طريقةً و أسلوباً مكنهم من الفتك بالعثمانيين وذلك بأن توقفوا عن إطلاق الرصاص على العثمانيين وسكنوا حتى أعتقد العثمانيون أن المقاتلين وأهلها قد تركوا القرية -- ، وهربوا فهجموا على القرية فلما وصل الأتراك إلى القرية خرجوا لهم خروج رجل واحد مستخدمين الجنابي والسيوف ففتكوا بالعثمانيين ومن معهم من اليمنيين وفر نحو صنعاء من تبقى منهم.

وكان مع العثمانيين قبائل أرحب بزعامة **عبد الوهاب بن راجح** ومن حاشد بقيادة **مقبل بن يحيى أبو فارع** ومن بني الحارث بقيادة **محمد الشويع** وشيخ صنعاء **علي بن محمد البليلي**.

ونلاحظ من ذلك أن للعثمانيين أنصار وأعوان وان لمدعي الإمامة أنصار وأعوان والعداء تراكم وزاد بين العثمانيين واليمنيين وبين اليمنيين واليمنيين وسفك الدماء وإزهاق الأرواح يستمر وأهم أسبابه:-

---

(١) - الواسعي - تاريخ اليمن .

- جرى أدعياء الإمامة للاستحواذ على السلطة ولو لم يوجد العثمانيين لاستمرت مسيرة الفتنة وسفك الدماء وإزهاق الأرواح بين إمام وخارج عليه أو بين قبيلة مواليه للإمام وقبيلة متمردة وتعددت أشكال وصور الفتن والسبب واحد هو الفكر الهادوي.

- ونعود إلى مسيرة الفتنه فقد تجمعت القبائل بالجراف فخرج العثمانيين لتفريقهم فتراجعوا إلى صنعاء وأستمر حصار القبائل لصنعاء.

وتجمع مع **محمد بن يحيى الملقب بالمنصور** قبائل حاشد ومن بكيل ذو محمد وذو حسين وبعض القبائل المحيطة بصنعاء.

وقد منى الإمام تلك القبائل بالغنائم التي سيحصلون عليها من صنعاء عند سقوطها.

ويصف كتاب الأئمة تلك القبائل عند خروجها مع الإمام بأنهم [1](ثاروا على الأتراك لشدة الظلم واستحلال المحرمات وترك ما أمر الله به من الواجبات وارتكاب المعاصي والفجور وظهور البغي وشرب الخمور) وعندما لم ينجحوا في دخول صنعاء أرجعوا السبب إلى (فساد القبائل وخبث طويتهم).

ونرى أن أقلامهم اعتادت على وصف القبائل اليمنية بهذه الأوصاف فلم يفرقوا حين تكون تلك القبائل مع الإمام أو ضده وكان هذا الوصف للقبائل أثناء حصارها لصنعاء بدفع من الإمام المنصور محمد بن يحيى.

أما نتائج فتنة المنصور محمد بن يحيى من أجل الحكم والسلطة وفساد بعض الولاة العثمانيين ،فقد أدت بالإضافة إلى ما سفك من الدماء وإزهاق للأرواح وما صاحبها من نهب وسلب وخراب للمعمور وخوف زاد على ذلك انتشار الطاعون سنه ١٣١٠هـ .
وفي العام التالي قلت الأمطار وغليت الأسعار فزاد ظلم العثمانيين للمدن والمناطق التي يسيطرون عليها قيام بعض اليمنيون بتلغيم دورهم بوضع البارود في أسفل هذه المنازل.

وفي عام ١٣١٤هـ أنتشر داء الجدري فحصد أطفال اليمنيين وكسدت التجارة وفي هذا العام عرف اليمنيون (اللمبه) التي تعمل ، على القاز وفي هذه السنة وصل من الإستانه **السيد محمد الرفاعي الحسين** ناصحا للإمام المنصور بعدم قتال الدولة وحثه على الصلح.

فرد عليه الإمام (بأن الولاة العثمانيين لا راعوا حرمة ما حرم الله ولا غضبوا يوما على معاصي الله ولم يعملوا شيئا من كتاب الله ولا سنة رسول الله ...وعدد المعاصي التي

---

(١) - الواسعي - تاريخ اليمن .

يرتكبوها) ثم استدل بالآيات الموجبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم الآيات الموجبة لقتال الكفار.

ثم أظهر حقيقة فكرة الهادوي فذكر التميز لهذه السلالة وذكر الآيات والأحاديث التي يروجها الهادويون لتأصيل تميزهم السلالي في أرث النبوة وفي الحكم وفي العلم حيث قال مخاطبا السيد محمد الرفاعي بعد أن أضفى عليه هالة من التبجيل والتفخيم كونه هاشمي ثم قال (وإن أنكرت أيها السيد أن ذرية الرسول هم الحجة في الفروع والأصول صاح بك قوله تعالي **{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ}** (فاطر٣٢).

وقوله تعالى **(قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)** (الشورى٢٣)

ونحو قوله ﷺ : ((**إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض**)).

وقوله ﷺ : ((**أهل بيتي أمان لأهل الأرض**)).

وقوله ﷺ : ((**أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى**)).

وغير ذلك مما لا يتحمله المقام فالظهور أبين للحجة وأوضح للحجة، ثم قال(ولمنعه من محاربة العترة النبوية التي هي بضعه من الذات الشريفة المحمدية ، ولأوفى جدنا الأعظم أجر تبليغ الأبناء المشار إليه بقل (**لا أسألكم عليه**) "الآية" ولتباعد عن مشابهة من قال فيهم خاتم النبيين (من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال).
وعن الدعوة النبوية في قوله لأهل بيته ((**أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم**)) وقد أمر الله تعالي بالكون مع الصادقين في قوله تعالي **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ}** (التوبة ١١٩)

وثبتهم بقوله تعالي **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}** (الحجرات١٥)

{قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (يوسف١٠٨)

{يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} (الأحقاف٣١)

{وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ} (غافر٤١)

فإذا وجدت أيها السيد خلاصاً من أوامر الله أفدنا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ودع عنك التخويف بالمخلوقين.

قال الله تعالى {وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ} (القصص٥)

فنحن من وعد ربنا على يقين ، والعاقبة للمتقين .

وقال (وما سارعوا "أي العثمانيين " إلا باليمن التي بأيدي أولاد رسول الله ﷺ) هذا هو رد الإمام القائم في فكره وأسلوبه على الفكر الهادوي القائم على التميز وأبلغ رداً عليه رد الرحمن على من يدعون التميز بقوله تعالى (وقالت اليهود نحن أبناء الله وأحبائه قل ليس بأمانيكم ولا بأماني أهل الكتاب من يعمل سوء يجزى به)[1] فهو يصف نفسه وهذه السلالة بأنهم العتره النبوية والسلالة العلوية وأنه يجب طاعتهم وفقا لفهمه القائم على هذا الفكر الذي ما أنفك يردد يبث كثيرا من الآيات القرآنية والأحاديث بحجه أنها تؤيد حقهم في الحكم والتميز فيستدل على أن هذه السلالة هي الحجة في الفروع والأصول بآيات من الذكر الكريم لا تعني دلالتها ولا مقصدها على ذلك ،بقوله تعالي {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} (فاطر٣٢)

فكيف تدل هذه الآية على سلاله بعينها وكيف وصل بهم الاعتقاد بأنهم هم من أصطفى الله والآية أيضا توضح أن من أختارهم الله بينهم الظالم وبينهم المقتصد وبينهم السابق بالخيرات (الحكام).

أما الاستدلال الآخر بقوله تعالي **(قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)** (الشورى٢٣)

فلا تعني بداهة التميز والاستعلاء لذوي القربى وإنما نزلت هذه الآية أثناء خطاب الرسول الكريم لكفار قريش حين كذبوا آيات الله فقال لهم " لا أسألكم على هذا الدين آجراً إلا المودة لقرابتي منكم ومراعات قرابتي لكم وقرابتكم لي وأما سياق الآية فنرجح بأنها تعني أن الرسول لا يريد منهم جزاء على تبليغهم هذا الدين وإنما حبه ومودته لقرابته بهم هو الدافع في التبليغ "وإذا أخذا المعنى كما يريدون فهي تعني الود والمحبة والخير لهم ولا

(١)– أرجع إلى الفصل الأول ، أوردنا به الرد على ذلك الفكر بثوابت الشريعة الإسلامية من الكتاب والسنة وكذلك أرجع إلى كتاب الإمامة الخلافة للمولف .

تعني كما قال هذا الإمام أنهم ورثة النبوة ولا تعني حقاً إلاهياً لهم في الحكم .
فلم يكن رسول انه ﷺ أبا أحدا و لم يترك رسول الله ﷺ لهم ملك أو أمبراطووية تسورث من بعده قال تعالى : **{مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً }** (الأحزاب٤٠)

وأما الدين وعلومه في القرآن والسنة فهو خطاب شامل عالمي لكل المسلمين و لم يكلف به الرحمن ولا الرسول طائفة أو سلاله بعينها و لم يحدد تلك السلالة بالذات وكان خطاب الرحمن يبدأ يا أيها الذين آمنوا ، يا أيها الناس ، يا أيها الذين كفروا).

أما ما أورده عن الرسول ﷺ فهي تخالف نص وروح الشريعة الإسلامية وقد ضعف تلك الأحاديث علماء من المتقدمين ومن المتأخرين متنا وسندا وأما وصفه هذه السلالة بأنها بضعة من الذات الشريفة المحمدية فهي توضح بجلاء ما وصل إليه هؤلاء الأئمة من تكبر واستعلاء باعتبار أنفسهم جزء من ذات الرسول ﷺ.

ويمضي هذا الإمام بالانحراف بفكره وقصده بأن يسقط على نفسه الآيات التي خاطب بها الرحمن رسوله لقتال الكافرين فقد جعل جند الخلافة الإسلامية والمسلمين من اليمنيين كفارا.

وأسقط الجهاد عليهم فقد قال: ((ولما لم نجد عن أمر الله بدا استعنا وتوكلنا عليه وبذلنا في الجهاد جهدا أمتثالا لقول الله عز وجل **{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ }** (البقرة١٩٣)

وغيرها من الآيات التي تدل على وجوب قتال الكفار))

وأين هذا الإمام من كل الآيات المحكمات والأحاديث المتواتره التي تدل على المساواة بين المسلمين في كل شيء ، وإين هم من قول علي كرم الله وجهه في الخارجين عليه وهو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين حيث قال " إخوان لنا بغوا علينا " (سبق الرد على حجج وتأويلات الهادوية لاستحقاق الإمامة لمن هم من البطنين وما أصله هذا الفكر من صراع بين أبناء هذه السلالة (في التأصيل المذهبي للتميز السلالي والطائفي) ويخالف ذلك أبسط قواعد العدل بإعطاء تميز واستحقاق للحكم (الإمامة) لمن هم من البطنيين وبذلك يناقض الأئمة الهادويون منطق العدل وأصل العدل كأصل من أصول الدين ويناقض العقل الذي به يعرف أن التميز ضد للعدل وليس منه ،وعند الهادويه أن العقل يعرف بـه القـرآن وصحيح السنة ولا يعرف العقل بهما.

وإذا كانت هذه الجدلية المستندة على علم الكلام قد دخل بها الهادويون في حشد الحجج والأسانيد لتأييد أراءهم فإنهم يخالفون مبدأ العدل ، ويخالفون قيمة العقل ، بتأصيلهم الحق الإلهي في الحكم لذرية الحسنين أو أي حق يأتي لهم دون عمل مكتسب ويلغون دور العدل ،كقيمه عليا تنبثق منها المساواة لمن أعتنق الإسلام والتي هي أساس العالمية والتي يؤيدها العقل بمختلف مراتبه وتؤيدها القيم الإنسانية، إن الانحراف الناتج عن الذاتية الفردية أو القبلية أو السلالية في الممالك القديمة كان الإسلام قد قضى عليها بمجمله وتفصيله وارتكزت عوامل ديمومة الفكر الهادوي المنحرف على إلغاء الدعوة والممارسة لقيمتي العلم والعمل بمعناهما الشامل وقيمتهما لمعرفة الدين والدنيا في الأولى والآخرة، وبذلك فقد هيئوا مجتمعا متخلف فكريا وماديا واستقراء التاريخ كوجوب ديني لتمحيص سلبياته وإيجابياته يفرض حقا على كل من يؤمن بالله ربا وبالإسلام دينا أن يعمل على اجتثاث مارا كمه الهادويون كثقافة بمجتمعيه للشعب اليمني تلك الثقافة التي تغلفت بالدين وسرت كعادات وتقاليد وامتزجت بحياة الإنسان اليمني كملازمات له استحال معها بلوغ الثورات تحقيق مقاصدها في التغيير.

أوردنا رد هذا الإمام على خطاب السلطان لنوضح فكر الأئمة في هذه الفترة وأثر الفكر الهادوي في خطابهم وأساليبهم الكلامية التي تبين بجلاء انحرافهم عن ثوابت الإسلام في العدل، والمساواة.

وكانت غاية هذا الإمام كعادة أسلا فه هي الملك والسلطان فلم يتعظ بما ذكر من قيام دولة الخلافة بأمور المسلمين وقتال ، الكافرين والقيام على خدمة بيوت الله والحجيج بل رد على ذلك برغبته بالانفصال بهذا الإقليم ، ومن الأمور الموجبة للاستنكار من ذوي الألباب أن هؤلاء الأئمة يصفون المسلمين بالكفر ويبثون أفكارهم المنحرفة بين العامة لقتال المسلم للمسلم ،وعدن يحتلها المستعمرون من غير المسلمين ولم يحرك أي إمام ساكنا لا بالقول ولا بالفعل ،فيتركون مواطن الجهاد ويحولون هذه الرقعة من أرض الإسلام إلى ساحة للقتال بين المسلمين تحقيقا لرغباتهم .

ونعود إلى تاريخ هذه الفترة فقد عزل الوالي أحمد فيضي عام ١٣١٥ هـ
وعين بدلا عنه حسين حلمي باشا (١)

وكان عالما يحب العلم وأهله رحيما وقد وصل هذا الوالي وكانت حالة اليمن حرب وعدم استقرار وفقر مدقع فوصلت أخبار حالة اليمن إلى سلطان المسلمين بالباب العالي

---

(١) – تاريخ اليمن – الواسعي .

فأرسل هذا الوالي الأموال فوزعها على الفقراء وصرف لكل فقير ريالا مجيديا وسجن من ثبت عليه الأجرام من أمراء الأتراك.

أما أهم منجزات هذا الوالي فقد أسس إدارة المعارف والمكاتب ودار المعلمين ومكتب الصنايع – المدرسة الأعداد يه وأجبر الناس على التعليم وقرب إليه أهل العلم والفضل .

وقام حكمه على الشورى فكانت حوله هيئه من أهل العلم والسياسة لا يفعل الوالي أمرا إلا بمشاورتهم فيما يصلح اليمن وأهله وكان رئيس هذه الهيئة **حسني بك** ،ومن محاسنه أيضا أنه قام بشراء الكتب المخطوطة من أصحابها وأستنسخها وكان يشتري الكتاب بأضعاف ثمنه حتى أسس مكتبه نفيسة من الكتب الخطية ومن حكمة هذا الوالي أيضا ، أنه راعي شعور اليمنيين فأمر جميع الموظفين بلبس العمائم عربا أو تركا.
فأيا كانت سلبيات العثمانيين فإنهم كانوا يقيمون أنفسهم فنلاحظ أنه إذا جار أحد الولاة استبدلوه بوالي عادل فاضل وكانوا يقيمون سياستهم ويجددونها فتارة يستخدمون القوه وتارة يميلون إلى الصلح ولا يعاملون اليمنيون باستعلاء واستكبار بل كانوا يدمجونهم في نسيج هذه الدولة .

حتى وصل بعض اليمنيون إلى مرتبة باشا وكانت هذه مرتبة تمنح للقادة والسياسيين) ولا نعني بذلك مثاليتهم فلهم أخطائهم إلا انهم لا يقولون بالحق الإلهي وأنهم ورثة الحكم والدين .

كذلك فإن ما قاموا به في مجال تنوير وتعليم اليمنيين كان أعظم منجز في كسر طوق الجهل التراكمي الذي سببه حكم الأئمة الهادويون وأكثر من ذلك ما قام به هذا الوالي من جعل التعليم إجباري، وكان الأئمة يجعلون التعليم محصورا في سلالاتهم وسلالات فقائهم ،وبتلك الأعمال نجد أن العثمانيين يشعرون بأن عليهم واجب تجاه من يحكمونهم وهذا ما لم نجده عند أي إمام سابق .

فماذا أنجز الأئمة لهذه الأمة ماديا أو معنويا ؟

فمن يجب جهادهم هؤلاء أم هؤلاء؟

فأي إمام فعل ما فعلوا وأي إمام أنشأ ما أنشأوا؟

وقد خرج العثمانيون من اليمن وجاء بعدهم القاسميون فكانوا أكثر ظلماً وأشد استبداد ! حتى حكم المتوكل على الله إسماعيل حكمه الشهير بجعل أرض اليمن خراجية وأهلها عمالا لهُ ، وقال الحسين بن عبد الله الكوكباني :

قالوا أمامهم اسماعيل عالمهم		أفتاهم بـمقال فيه برهـان
يقول ان جنود الترك كافرة		دانت لهم من جميع القطربلدان
وبعدهم قد ملكناها بقوتنا		صارت الينا حلالا بعدما بانوا
وكل شخص من الزراع عاملنا		على الذي بيدى أينما كانوا
ابليس سول هذا والنفوس دعت		اليه رغبتهـا فـيها لها شأن

فأيهما صنع ذلك إبليس أم الفكر الهادوي؟ .

وقد قال ابن الأمير :-

خراجية صيرتم الأرض كلها		وضمنتم العمال شر المعاشر(١)

هذا ما صنعه الأئمة بعد خروج العثمانيين وذلك ما صنعه العثمانيون باليمنيين برغم ما لاقوه من مقاومة وحروب وما سفك من دمائهم بتحريض من أدعياء الإمامة.

وخلال عهد الوالي حسني بك سكن أدعياء الإمامة في جحورهم وخلال هذه الفترة هدأت أمور الناس وأمنوا في صنعاء وما حولها وبقية المناطق اليمنية ، وقد حاول المتضررون من عدل ، وحكمة هذا الوالي اغتياله فحاول أحد الموظفين العثمانيين اغتياله، بإطلاق النار عليه من مسدسه فأصيب في غير مقتل وأحاط الجند بالفاعل ، وقتلوه ، وحصل في هذا العام تغير في الطقس على غير المعتاد فنزل الثلج وانخفضت درجة الحرارة فهلكت الأشجار والثمار ومات الكثيرون.

وفي عام ١٣١٧هـ حصل خلا ف بين الوالي **حسين حلمي** باشا وقائد الجند **المشير عبد الله باشا** بسبب عزم القائد إرسال مجموعه من السجناء مع أربعمائة جندي إلى طرابلس الغرب فرفض الوالي واصفا هذا الأمر بأنه سببا لتمرد البلاد.

فلم يؤخذ برأي الوالي الصالح وأتى الجواب بعكس ذلك من الباب العالي وكان بعض المحيطين بالسلطان العثماني من أنصار هذا القائد قد حاكوا بعض الوشايات ضد الوالي فتم عزله سنة ١٣١٨ هـ.

وعين المشير عبد الله باشا سنة ١٣١٨هـ:-

---

(١)- ابن الأمير وعصره - حسين السياغي ومحمد الأكوع وغيرهم .

ومن ميزات هذا الوالي اهتمامه بنظافة المباني الحكومية والشوارع وكان مهتما بالموسيقى والألحان وانشاء في عهده التلغراف وربط بين صنعاء وتعز.

وأقام مجسما عند باب اليمن في هيئة عمود طويل على شكل أسطوانة في رأسه هلال ، من النحاس وأطواق من النحاس على بعض الأحجار من أجل أن يكون تذكارا وهدم بعد عشر سنوات من قبل المفسدين وأعداء هذه الأمة كما هدمة كثيراً من مآثر العثمانيين ومن قبلها الآثار والحصون اليمنية .

أما في زمن هذا الوالي فقد أستمر الأمن والاستقرار ووقفت الفتن ماعدا بعض الحوادث كان أهمها:

وقوع قتال ، بين جند الأتراك واليمنيون في منطقة بوعان مديرية بني مطر محافظة صنعاء، ووقع بعض التمرد من قبيلة الزرانيق وهي قبيل كبيرة شديدة البأس من قبائل تهامة أشتهر أبنائها بالقدرة القتالية العالية وقوة الصبر والاحتمال على الظروف المناخية القاسية وخاصة القدرة على القتال في درجة الحرارة المرتفعة واشتهرت هذه القبيلة بالثورة وعدم الخضوع.

توفيق باشا :-ولي اليمن سنة ١٣٢٠هـ بدلا عن عبد الله باشا وقيل أن عزلهُ بسبب تعدي الإنجليز على الضالع و لم يتخذ هذا الوالي أي إجراء .

المبحث الثالث

الإمام يحيى حميد الدين

وفي عام ١٣٢٢هـ.توفي **الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى ونصب ابنه يحيى ولقب بالمتوكل على الله رب العالمين.**

ولد سنة ١٢٨٦ هـ بصنعاء وكان قد خرج من صنعاء مع والده سنة ١٣٠٧هـ وعمره ٢١سنه ونصب للإمامة وعمره ٣٦سنه وقد مارس إشعال الحروب مع والده لمده ١٠٤ عاما ونصب من منطقة عذر بطن من حاشد (مديرية العشة محافظة عمران).
وكان ذلك في ٢٠ربيع أول ١٣٢٢هـ.

- أهم أعماله :-

بدأ بإشعال الحروب من أول عام تولى فيه الحكم:-

- جمع القبائل وشرع بمحاصرة المناطق والمدن التي فيها الأتراك في شمال اليمن لمحاصر صنعاء فقاسى أهلها الأهوال والويلات ومات أهالي صنعاء جوعا خلال فترة الحصار وعم اليمن مجاعة وكان لدى الإمام مخزون من الحبوب وكانت هذه بداية حكمه.

(حلت إحدى المجاعات الإمامية الرهيبة باليمن ومات أكثر أهلها بعد أن أكلوا الكلاب والقطط ، وكانت خزائن الحكومة ملأ بالحبوب وراح الناس يسألون الإمام النجدة فصعر خده لهم وقال كلمته المشهورة :-

"من مات فهو شهيد ومن عاش فهو عتيق "[1] .

وقد وصف الواسعي الحال بقوله (وقاسوا ((أي أهل صنعاء)) عظيم الأهوال فباعوا جميع الأمتعة والأموال والفراش وكان الثمن في غاية الرخص لعدم وجود المشتري حتى إن بعضهم يؤجر الحامل إلى السوق ويعجز عن إجرته ثم لا يجد مشتريا ثم يأخذ الحامل نصف ما حمل وعم الجوع جميع اليمن بسبب الفتن وبالمحاصرات ترك الزراع الزراعة وارتفعت الأسعار.

والإمام أيده الله أخرج لجميع القبائل الحبوب من بيت المال لمحاصرة الأتراك ومات البقية جوعا آلا من له أجل ممدود وخلت من اليمن قرى كثيرة مات أهلها جوعا وذكر أعداد كثيرة ماتت من الجوع والإمام يحيى لديه الحبوب لا يوزعها إلا على جنوده والقبائل

---

(١)- حياة عالم وأمير - محمد بن علي الأكوع .

المحاصرة لصنعاء والمدن الآخرى ووصل الحال بالناس أن يأكلوا لكلاب والحمير ويصف ذلك الواسعي بقوله (ومات من الجوع عسكر كثير وبعض عساكر الأتراك من المراكز قبل الإستسلام هربوا إلى عساكر العرب فسلموا من سلطان الجو ع ثم أستلم العرب جميع مراكز اليمن التي فيها الأتراك وهي بضع عشر مدينه ومن نعم الله الجليلة وأياديه الجز يله لما أشتد القحط والجوع خرجت بواخر مملوءة طعاما إلى الحديده من الحبشة والسودان وذلك أن التجار الذين بالحديده كتبوا لجلب الطعام فحصل للناس بذلك غوث عظيم ومن هنالك كانت ترحل، القبائل من الحديده إلى سائر محلات اليمن ولولا ذلك كان الناس هلكوا مره واحدة و لم يبق لهم باقيه إلا من كان جنديا للإمام فكانت بيوت الأموال والحبوب بها كثيرة وبذلك أستلم الإمام مراكز اليمن وأنتصر على الأتراك).

فبأي دين صنع ما صنع بإخوانه المسلمين وجهاد من يجب العثمانيين اللذين يوزعون الصدقات على الضعفاء والمساكين وينشؤون المدارس ويجعلون التعليم إجباريا لأطفال اليمنيين وغيرها من المحاسن أم على هذا الإمام الذي يُميت المسلمين من الأتراك واليمنيين جوعا.

إن صفة البخل قد لازمت هذا الإمام طوال فترة حكمه وروي عنه ما لا يصدق عن بخله فكان يأخذ الصدقات من الناس وهو إمام وكان يأخذ المال من المواطنين مقابل أن يقرأ لهم القرآن حتى يأخذ القليل من الطعام من الفقراء مقابل الدعاء لهم .

ويمكننا القول أن فترة حكمه عزلت اليمن عن العالم وأرجعها من القرن العشرين إلى ما قبل العصور الوسطى وقد تهيأ له بعد الحرب العالمية الأولى فراغا سياسي وفرصه لو كانت لغيره لحكم الجزيرة العربية وخارجها.

حيث كانت اليمن أول دوله عربيه استقلت وقد أمل فيها المسلمون في الأقطار العربية آمال كبيره وصلت حتى حلموا فيه بالعمل على إعادة الخلافة إلى أن عرفوه على حقيقته وأعظم المصائب التي حلت باليمن على يديه هي تنازله عن جزء من اليمن للدولة السعودية بعد هزيمته وتركه جنوب اليمن للبريطانيين يمدون نفوذهم عليه والجزء الآخر قسم إلى مشيخات.

ونعود لإيجاز أهم المآسي التي صنعها الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ،فكما ذكرنا فقد بدأ عهده عام ١٣٢٢هـ بالبؤس والشقاء وموت المئات والآلاف من اليمنيين جوعا عند حصاره صنعاء وهو لا يطعم إلا الموالين له من القبائل ولديه مخزونا من الأطعمة وقد ذكر الواسعي في كتابه تاريخ اليمن من أهوال ما عاناه اليمنيين(ص ٣٠١) من الجوع ونتيجة

لذلك سلم الأتراك صنعاء للإمام يحيى فخرجوا لمقابله الإمام بكوكبان وتسليمه صنعاء بما فيها من السلاح والذخائر وأنتقل ، الإمام إلى قرية القابل.

ودخل الإمام صنعاء سنة ١٣٢٣هـــ وكانت خرابا ،ولم يوجد من أهلها إلا القليل.

ولما دخل صنعاء استغنى عن تلك القبائل ونسي ما قامت به فرد عليه وجهـــاء تلـــك القبائل، بأن الأتراك لم تخرج ألا بقوتنا وشدة بأسنا وأرادوا منه أن يقطع كل قبيلة مخلاف أو منطقه من المناطق الوسطى ولم يتفق الجانبين على تقسيم مغانم قتل المسلمين بالجوع.

ولم يمهلهم العثمانيين للاتفاق أو الاختلاف فقد وصل ، احمد فيضي باشا سنة ١٣٢٣ هـــ إلى الحديدة بقوات كبيرة ثم توجه إلى مناخه فدفع الإمام بعض القبائـــل، لمحاصـــرة مناخه فخرج منها وشتت جمع القبائل.

وواصل طريقه إلى أن وصل إلى عصر[1] ففر الإمام من صنعاء وخلال ، مرور أحمـــد فيضي باشا مازال الإمام يدفع بالقبائل لقتال الأتراك.[2]
فقتل الكثير من الجانبين وأستمر الإمام يحيى في إشعال نار الفتنه سفك دماء المسلمين مـــن العثمانيين واليمنيين على شكل حرب عصابات وكان يزيد إشعاله للفـــتن كلمـــا زادت الظروف المحيطة بالخلافة الإسلامية سوأً بتكالب الدول الاستعمارية عليها وانشغالها بالذود عن نفسها فكأن هذا الإمام والدول الاستعمارية على حلف واحد .

ونعود إلى مسيرة سفك الدماء فقد وقعت معركة شديدة في قرى الأشمور وما حولهـــا سنة ١٣٢٤ هـــ ووقعت معركة بين القبائل المهيجة من قبل ، الإمام بمنطقة خولان ســـنة ١٣٢٩ هـــ ومثل ذلك في رجام والحيمه من محافظة صنعاء وفي قرية المصنعه في محافظـــة ذمار ورأفة من السلطان العثماني بالمسلمين لحقن دمائهم أرسل جماعه من أكابر العلمـــاء إلى صنعاء ينصحوا الإمام فكتبوا إلى الإمام ينصحونه بالصلح وعدم سفك دماء المسلمين خاصة في هذه الظروف التي تميزت بتكالب الدول الاستعمارية علـــى دولـــة الخلافـــة الإسلامية .

وما كان منه إلا الرد غير المبالي بأحوال ، اليمنيين وما يجري لهم وغير مباليا بـــأحوال أمة المسلمين ودولتهم وكان رده شبيه برد أبيه القائم على نفس الفكر الهادوي المؤصـــل للتميز السلالي وبالذات في مسألة الحكم .

---

(١) – قرية غرب صنعاء هي الآن من ضواحي صنعاء.
(٢)– حياة عالم وأمير – محمد بن علي الأكوع

مصدرا رده بأنه لم يقم بذلك طمعا في درهم أو سلطان وإنما يقوم بإشعال الحرب والفتنه بحجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الذي تمثل في أبهى صوره في إبادة المسلمين جوعا عند حصار صنعاء كما ذكرنا سابقا).

ونوجز رد الإمام يحيى على العلماء الذين أرسلهم السلطان العثماني وعددهم عشره (فبعد البسملة والحمد والصلاة على الرسول الكريم أسرد عبارات المجاملة لهؤلاء العلماء ثم ذكر بعض من مضمون كتاب هؤلاء العلماء إليه (ووافقهم إلى مطابقة مراد سلطان الإسلام وحامي حمى الدين القويم متضمنا للنصيحة معرفا بما دهم الإسلام من تكالب ذوي الملل القبيحة ، ومعرفا بما هو المعروف من حق وقدر سلطان الإسلام أيد الله به الدين ورسوله ونصره على الكفرة والمشركين) ثم يسرد ما مر بالأمة الإسلامية من صراع سياسي ومذهبي ثم ذكر ما قامت به الدولة العثمانية من خير لهذه الأمة بقوله: (ومكن الله الدولة العثمانية من الحماية للدين وحفظ حوزته من الكفرة المعتدين) وأضاف مذكرا للحق السلالي لمن هم من البطنين وفقاً للفكر الهادوي ثم أقر بخروجهم على كل من حكم اليمن وصراعهم على السلطة بإثارة الحروب.

فقال : (وكانت بلاد اليمن بيد أسلافنا من الآل الأكرمين من المائة الثالثة إلى التاريخ ولم ينفك قائموا الحق عنها إما متوليا لجميعها أو بعضها كما هو معروف في تواريخ اليمن وكانت المعارك مستمرة بين أسلا فنا ومن ناوأهم – لرغبة أهل اليمن في ولاية ساداتهم وأولاد نبيهم رضي الله عنهم و اعتقادهم وجوب توليهم ونصرتهم وكما يعرفونه من أحوالهم وأن لا إرادة لهم غير الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر المخوف).

إن أسلوب ومضمون رد الإمام يحيى لا يختلف كثيرا عن رد أبيه على العثمانيين وكلا هما يعبران عن الفكر الهادوي وهذا يؤكد مضي هؤلاء الأئمة على نفس الفكر والأسلوب الذي يجمد الجمود بالتقليد والتكرار لنفس المبررات لأثارة الفتنه ولهدف واحد هو وصولهم إلى السلطة بأي وسيله فهو يعرف من التاريخ تاريخ دخولهم إلى اليمن وصراعهم من أجل الحكم ولكنه لا يقرأ ماذا حققوه لليمن واليمنيين سواء عند حكمهم لجزء من اليمن أو كلها ولم يقرأ ما جره سعيهم إلى الحكم من فتن وما ترتب عليه من مآسي اقتصادية وسياسية واجتماعيه بل نجد نبرات التعالي والاستكبار في وصفه لهذه السلالة بقوله: (ساداتهم وأولاد نبيهم) وهذا يوضح النظرة الدونية لليمنيين التي بثها الأئمة وأنتشر بين العامة مخالفا بوصفه لهذه السلالة بالسادة ألفاظ وجوهر آيات الذكر الحكيم وكلام خاتم النبيين قال تعالي(**إنما المؤمنون اخوه**) وأجمالي آيات الذكر الحكيم تخاطب المؤمنين والمسلمين بالتساوي بل وتحضهم على عدم سخرية المسلم بالمسلم قال تعالى: (يا

أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن).

وقال الشاعر الأسمر:

إنما الناس من تراب ومـــاءٍ ... ليس منهم من ينتمي للسماء

آدم والد الجميع فحُمـــقٌ ... وضـــلال تفـــاخر الأبنـــاء

ما على الأرض فهو كاف ... بنيها لو أقاموه بينهم بالسواء [1]

وينادي الشاعر العبيدي النبي "محمد "ص"" بقوله :

(هُبَل)الأعلى الذي حطمتهُ ... قم ترى أمثاله ما بيننا

ثم يذكر ما قام به من تمرد وخروج أسلافه **الإمام محسن بن احمد** ومن بعده **شـــرف الدين بن محمد** ويزعم باطل أن جميع الولاة ظلمه.

قد ذكرنا محاسن بعض الولاة التي لم يصل إلى مستواها أي إمـــام حكـــم أو أدعـــى والتاريخ شاهدنا والآثار ناطقة.

ثم ذكر أن الإيمان يمان والحكمة يمانية ولا يذكر الأئمة ذلك عند سفك دماء اليمنيون وعند استعلائهم عليهم .

ثم برر كل الفتن التي دارت منذ بداية الحكم العثماني بأن سببها الولاة وأهم يريـــدون استئصال أهل البيت النبوي والدين المصطفوي (وبهذا فأن الإمام يحيى وسلالته هم أهـــل النبي وأهل الدين) ، ثم برأ بنفسه من أن يكون من الرافضة والخوارج وأهل البدعة.

ووصف الولاة بأهم يأخذون الأموال من غير الوجه الحلال ويسترسل بوصـــف مـــن خالفه من اليمنيين وقام مع العثمانيين بقوله (حتى أهم ليقربون الباطنية الكفرة ويعطوهُم كثير من الأموال).

هذه عادات الأئمة الهادويين في وصف كل يمنى خالفهم ويناقض نفسه بإقراره بعـــدم غفلة الباب العالي عن الولاة وما يصنعون فقوله :(وفي خلال المدة السابقة أرسل سلطان الإسلام أيد الله به شريعة سيد الأنام هيئه بعد هيئه ومفتشين بعد مفتشين) ثم يشكك في نزاهة كل اللجان بأن الولاة يحسنون إليهم وأضاف أنه يقوم بالإرسال ، إلى الباب العالي

---

(١)– اليمن الجمهوري – عبدالله البردوني

ويضيف متهماً الولاة بأنهم مأمورون بهدم شريعة الإسلام ثم يكرر التميز لهذه السلالة بقوله بأنهم (الحجة على الأمة في كل عصر وأوان ، وهم الذين أوجب الله محبتهم على كل بني الإنسان ، أم هل من ناسخ لآيات القران، ومن لم يحكم بما أنزل الله) فكيف يفهم الدين بقوله أنهم الحجة على الأمة عبر الزمن وأن حبهم واجب على كل بني الإنسان فعند الإمام يحيى يجب على الناس المسلمين وغير المسلمين حب هذه السلالة وأبلغ رد على كلام الأئمة (بأنهم يدلسون بأقوال لا يعبئون ولا يبالون بظهور الكذب فيها والافتراء).

وهذا ما وصف به الإمام يحيى الولاة فأنهو ينطبق عليه نفسه.

[1]وفي سنة ١٣٢٥هـ أطلق العثمانيين السجناء، وعاشت اليمن في هدوء نسبي وفي هذا العام عزل الوالي **احمد فيضي** وتعين **حسين تحسين باشا** وكان رجلا عادلا صلحت في أيامه أحوال اليمن وسكنت الفتن ونتيجة لعدالته وقوته لم يستطع الإمام دفع القبائل لقتال العثمانيين وعقد بينه وبين الإمام صلح لا يعتدى أحدهم على الآخر ووافق الإمام أن يبعث حكاما من لديه إلى بعض المناطق.

وفي هذه السنة طلب **السلطان عبد الحميد** جماعة من علماء وأعيان صنعاء ليناقش معهم ما يصلح اليمن ، فوصلوا إليه فاضافهم وأكرمهم لمدة شهر ثم أجتمع بهم وناقش معهم ما يصلح اليمن فانقسموا إلى فريقين فريقا رأى أن القوه الجبرية هي التي تصلح اليمن ، وفريقا رأى الشرائع والأحكام العادلة.

وارتفعت أصواتهم فأمر بتسفيرهم وأعطى كل واحد ما يستحقه من الأموال والوظائف.

وبعد وصولهم إلى صنعاء أمر الباب العالي الوالي على صنعاء أن يرسل مندوبين عن الإمام يحيى من خاصته إلى السلطان ليتشاور معهم فيما يطفئ نار الفتنه.

فوصلوا إلي السلطان عبد الحميد و لم يتم الاتفاق على شيء ثم رجعوا.

ويرجح أن السبب في عدم الاتفاق أن الإمام يحيى وضع شروطا محدده والزم مندوبيه بها و لم يكن لدى المندوبين مساحة للحوار ويؤيد ما ذهبنا إليه ما أشتهر عن مندوب الإمام بجامعة الدول ، العربية من التزام الصمت وعدم إبداء الرأي إلا بعد أن يرسل إلى الإمام.

وفي عام ١٣٢٧هـ رد الإمام يحي على صاحب جريدة المؤيد التي نشرت مقالا تنصحه بالصلح مع الدولة العثمانية فبدأه بالثناء وأخبره أنه لأجل ذلك قد أرسل وفدا إلى

---

(١)- تاريخ اليمن — عبد الواسع الواسعي .

الباب العالي ثم مدح الكاتب ثم ذكر بأن هذا الكاتب ينتمي إلى اليمن بقوله (ولكونكم ممن تنتمي إليه أعراقكم وتتصل بأهل اليمن أنسابكم أبناء الملوك الأولى والوزراء والملأ من حمير وسبأ وكهلان بن سبأ وأن أهل اليمن أهل مجد قديم وإباء مقيم ينفرهم الضيم ... إلى أخره من المدح وأنهم لا يخضعون إلا لأبناء هذه السلالة منذ ألف عام).

ثم يرد على ما تضمنه مقال جريدة المؤيد من أن الإنجليز يحتلون عدن فيرد متجاهل وجود الإنجليز بقوله . (فالأجانب لا تحدث نفسها بما لا تستطيعه من قبل وتعلم أن أهل هذه القطعة ما خضعوا لأمارة مسلم غشوما يوما فبالأولى أن يقروا الأجنبي ساعة واحدة، ثم يذكر بأن ما ينفقه العثمانيون لحكم اليمن أكثر مما يحصلون عليها فيها).

وهو بذلك يؤكد أن العثمانيين لم يأتوا لمغنم مادي بجباية أموال وإنما لوحدة الأمة الإسلامية بخضوعها لخليفة واحد وهذا ينفي صحة كل من سمى الحكم العثماني في اليمن استعمارا وفي سنة ١٣٢٨ هـ عزل الوالي حسن تحسين وعين **واليا كامل بك**، متصرف تعز وعزل في نفس السنة وعين واليا **محمد علي باشا**، وبدأ حكمه بالشدة والقسوة وقد جانبه الصواب باتخاذه هذه الطريقة لحكم اليمن.

واستغل الإمام ما كان من هذا الوالي فهيج القبائل للهجوم على مراكز العثمانيين وكان أهم التصرفات الخاطئة لهذا الوالي هو إحالة خمسين رجل من أهل صنعاء إلى القاضي لإعدامهم فرفض القاضي و لم يصدق ما حرره الوالي .

وهذا يدل على وجود قضاء عدل وغير خاضع لسلطة الوالي فلم يفعل ما أراده الوالي.

هذا عكس ما كان يحصل مع الأئمة حيث كان الأئمة يأمرون بقطع رؤوس المسلمين بأمر مباشر منهم دون حكم أو قضاء.

وتطورت الأحداث فحوصرت صنعاء ووقعت معركة بين العثمانيين والقبائل المدفوعة من الإمام عرفت بحرب باب شعوب وكذلك هجمت قبائل ذو محمد وذو حسين على مدينة يريم فلم يفرقوا بين العثمانيين واليمنيين فأعملوا في المدينة ومن فيها القتل والنهب والخراب.

حملة عزت باشا سنة ١٣٢٩هـ :-

وكانت هذه الحملة بعد الانقلاب الذي وقع في الباب العالي بقيادة **محمد رشاد** وخلع السلطان عبد الحميد فبعد ذلك أراد العثمانيين أن يبحثوا عن علا ج لمعضلة اليمن التي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من الرجال وأهدرت أموال طائلة كان الأجدر بها أن تستخدم في دفع القوى الاستعمارية عن أرض الإسلام والمسلمين.

وتلك الجيوش والأموال ما كانت لتذهب في اليمن لولا سعى الإمام من أجل الحكم .

ولعدم إدراك العثمانيين لأهمية تغيير المفاهيم المنحرفة التي بثها الأئمة الهادويون في أوساط القبائل اليمنية ونتيجة للحالة التي وصلت إليها اليمن فقد أرسل عزت باشا على رأس حملة فوصل إلى الحديده وقد سقطت كثيرا من المراكز العثمانية بأيدي القبائل والبعض الآخر واقعا تحت الحصار وهيج الإمام القبائل لاعتراض الحملة في طريقها إلى صنعاء فوقعت معارك في قرى الحيمه وبني مطر حتى أختلط اليمنيين والترك ووقع القتال بالسيوف والجنابي حتى قال عزت باشا(لو كان للدولة ألف رجل من هؤلاء الرجال لأخذنا أوروبا بأسرها) وسقط القتلى من الجانبين حيث بقيت الجثث أياما ودخل بعد ذلك عزت باشا صنعاء وكتب إلى الإمام يطلب منه التفاوض والصلح.

وكان الواسطة في هذا السعي المشكور **القاضي حسين بن علي العمري وقاسم بن حسين العزي.**

وفي هذه الأثناء قامت إيطاليا بالاعتداء على طرابلس الغرب وما ذلك إلا بسبب ما صنعه أدعياء الفتن والفرقة لأمة المسلمين في اليمن وغيرها قال الله تعالى ((وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ) (آل عمران١٠٣)

وقال الله تعالي: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} (الشورى٣٠)

فهؤلاء الإيطاليين يهجمون على الجيوش الإسلامية العثمانية في طرابلس وهذا الإمام يدفع القبائل للهجوم على الجيش العثماني في آن واحد وبعد ذلك سيقوم الإيطاليين بالهجوم على الحديده.

ونعود إلى الشأن اليمني فقد تم الاتفاق بين عزة باشا والإمام يحيى على الصلح وتم التوقيع عليه بحصن دعان وهو يقع إلى الشرق من عمران وسمي صلح دعان.[1]

وبعد رجوع عزة باشا إلى صنعاء أبلغ الناس بالاجتماع في الميدان وهو ساحة ما بين الحكومة ومسجد البكيريه بصنعاء وأبلغهم بما تم من الصلح بين الإمام والدولة العثمانية .

وفي سنة ١٣٣٠هـ **ظهر محمد بن علي الأدريسي :**

---

(١)- تاريخ اليمن – عبد الواسع الواسعي ، حياة عالم وأمير – محمد بن علي الاكوع .

ظهر الأدريسي في تهامة في مدينة (صبيا) وأظهر الزهد والعبادة والوعظ حتى أستمال قلوب الناس ثم أدعى الإمامة وسيأتي ذكره بالتفصيل عند ذكر الحروب بينه وبين السعوديين وبينه وبين الإمام وبين الإمام والسعوديين..

وفي هذه السنة حاصرت إيطاليا سواحل اليمن من جهة البحر الأحمر ما قبل مدينة الحديده والسواحل المجاورة لها وأستمر الحصار إلى أن حصل ، الصلح وفي هذه السنة أيضا بدأ محمد الإدريسي بمد نفوذه شرقا باتجاه حجه فأيدته خولان الشام ورازح،(و محمد الإدريسي يدعي انتمائه إلى سلالة الأئمة) ووفقا للفكرالهادوي فإن له الحق بالصراع على السلطة فكانت بداية الحرب بين الإدريسي والإمام يحيى فأرسل الإمام القبائل بقيادة محمد ابن الهادي عامل صعده وكانت الغلبة له ولكنه لم يواصل حربه لأسباب لم تعرف فلو أن الإمام يحيى واصل الحرب على الإدريسي لما كان أستفحل أمره فيما بعد ويرجح أن الإمام أوقف حملته على الإدريسي بسبب التكاليف أو لاكتفائه بإرجاع المناطق التي كانت تحت نفوذه وهي خولان الشام ورازح أما عزة باشا فقد أكمل مسيرة الصلح وتهدئة الأحوال بأن قرر مرتبات لرؤساء القبائل في حاشد وأرحب وغيرها ولكثير من العلماء وفي عام ١٣٣١هـ .

عزم الوالي محمود نديم ورئيس المحكمة الحنفية [1] حسين كامل وقاسم العزي ناظر الأوقاف **والقاضي عبد الكريم بن احمد مطهر** إلى محمد الإدريسي لإقناعه بالصلح مع الإمام على أن يبقى عاملا على تهامة والمخلاف السليماني تحت ولاية الإمام يحيى، فوصلوا إلى جيزان ووصل معهم **أحمد بن يحيى عامر** من مقر أقامته بالسودة (مديريه بمحافظه عمران) ولكن محمد الأدريسي أعتذر عن مقابلتهم وبعد ذلك ذكرت جريدة الأهرام الفتنة باليمن بين الأدريسي والإمام يحيى وأيدت حق صنعاء في حكم تهامة والمخلاف السليماني.

أما بالنسبة لما وصلت إليه حال الدولة العثمانية من تكالب الأوروبيين عليها فقد أخذت اليونان ولاية (أدرنه) وكانت اليونان خاضعة للحكم العثماني وهذه مؤشرات تدل على ما وصلت إليه دولة الخلافة الإسلامية من ضعف.

وكان هذا سبب رئيسي في عقد الصلح مع الإمام يحيى ، وفي سنة ١٣٣٢ هـ وقعت معارك بين القبائل الموالية للإمام وأنصار الإدريسي وكانت الغلبة لأنصار الإمام فأخذوا حرض وما حولها.

---

(١) – وكان المذهب الحنفي هو المذهب المعتمد لدى الدولة العثمانية .

وفي هذه السنة تأخر المطر وماتت الأنعام لانعدام ما تأكله من المراعي والأعلاف وفي هذه السنة قامت الحرب العالمية الأولى ودخلت الجراد اليمن وانقطعت السفن عن الوصول إلى الموانئ اليمنية ،وفي هذه السنة - هاجم المسلمون من الأتراك واليمنيين بقيادة سعيد باشا مدينة لحج فأخذوها من الإنجليز وفر السلطان وأسرته هاربين إلى عدن فظن الإنجليز أنهم من الأعداء فقتلوا عددا منهم وأصيب السلطان برصاصه في رجله ونقل إلى عدن وتوفي من أثر الجرح.

وبعد أن صدرت الأوامر من الأناضول إلى سعيد باشا بتسليم نفسه وجنده إلى الإنجليز والعودة أرسل سعيد باشا للإمام يحيى رسالة يخبره بما حصل ويحثه على إرسال من يمثله لاستلام تلك المناطق التي أخذوها من الإنجليز من باب المندب حتى العوالق بما فيها لحج والضالع ،فرد الإمام بما معناه :ماذا أريد بأرض إذا أرسلت إليها العسكري لا يعود والإمام عرف عنه البخل فهو يحسب ما سينفقه وما سيجنيه.

وفي سنة ١٣٣٤هـ :-

قام الشريف حسين بجمع قبائل العرب من نجد والحجاز وهاجم العثمانيين بإيعاز واتفاق مع البريطانيين وكانت من أخطر الضربات التي وجهت إلى دولة الإسلام.

وقاد تلك الجموع حتى دخل دمشق وقصه ثورة الشريف حسين مشهورة وكان بجواره كمستشار عميل للإنجليز يسمى لورانس وقصته مشهورة فيما يسمى لورانس العرب وساعد ذلك الشريف أعداء الإسلام في القضاء على الخلافة الإسلامية وخدعه الإنجليز ولم يحققوا له ما أراد فهذه ضربه للخلافة الإسلامية ممن يدعي إرث النبوة والتميز السلالي وتلك ضربه أخرى من الإمام يحيى بإشعال الحرب بين اليمنيين والعثمانيين وكأن هؤلاء هم يدا والفرنجة يدا أخرى كلتاهما أطبقتا على الخلافة الإسلامية.
قال الله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} (الشورى٣٠)

وقال الله تعالي {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (الأنفال٢٥)

الفصل العاشر

الأئمة الهادويون بعد الانسحاب العثماني

المبحث الأول:

أساليب الإمام يحيى ووسائله

المبحث الثاني :-

الإمام يحيى / شديد على اليمنين رحيم على الغزاة

أ- سقوط الضالع

ب- تسليم المخلاف السليماني

المبحث الثالث :-

بداية الثورة السياسية والفكرية .

المبحث الرابع :-

شروق شمس الحرية (ثورة ٢٦ سبتمبر)

المبحث الأول / أساليب الإمام يحيى ووسائله

بداية حكم الإمام يحيى:

انسحب العثمانيون من اليمن سنة ١٣٣٦هـ نتيجة لهزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى فقد أمر **السلطان محمد رشاد** بسحب القوات العثمانية من اليمن وفيها ضرب الإنجليز بعض مدن اليمن بالطائرات ،وفي سنة ١٣٣٦ هـ وصل الإمام يحيى إلى الروضة.
وفي سنة ١٣٣٧هـ دخل الإمام يحيى إلى صنعاء وأخذ الرهائن من القبائل وفي هذه السنة هجم الإنجليز على الحديده بعد ضربها بالمدافع ففر أهلها ثم احتلوها، و لم يكن لدولة الإمام في الحديده أثر ،وفي هذه السنة وصلت بعثه إنجليزيه إلى الحديده قاصدة صنعاء برئاسة الكونيل جاكوب فوصلت إلى باجل فمنعتها من الوصول قبيلة القحري فأمسكت هذه البعثة فأرسل الإمام مائة جندي وثلاثة عشر خيالا ومعهم **الوالي محمود نديم** وألف جنيه ولكن هذه القبيلة لم تطلقهم خشية أن يتم اتفاق بين الإمام والإنجليز فأرسل الإنجليز طائرة من عدن لتخويف هذه القبيلة فلم يكترثوا ، وبعد وساطات أطلقوا سراحهم بشرط رجوعهم نحو الحديده وكان فعل هذه القبيلة أعظم رادع للإنجليز ويبدوا وجود وعد من الإنجليز للإمام يحيى بتسليم الحديده إلا أنهم انقلبوا وسلموا الحديده للإدريسي ويبدوا أن الإمام يحيى كان منشغلاً بدخول قصور صنعاء فلم يعير احتلال الانجليز للحديدة أدنى اهتمام لأن همه كأسلافه هو اخضاع اليمنين ،.[1] وفي سنة ١٣٣٨ هـ استأنفت المفاوضات بين الإمام والإنجليز وتبادلوا الهدايا وعين الإمام القاضي عبد الله العرشي معتمدا له بها.

ثم لم تسفر المفاوضات عن اتفاق فعاد معتمد الإمام إلى صنعاء وكان قد وصل ، **السير كليتون وجبلريت** إلى صنعاء و لم تسفر المفاوضات عن نتيجة فالإمام يحيى داهية وذو ذكاء وخبره ومهارة في سفك دماء المسلمين سواء من العثمانيين أو اليمنيين وهو ضليع في استخدام كافة الوسائل في الضغط على العثمانيين ومن والاهم من المسلمين.

فأهتم بإخضاع قبائل الشمال فأرسل حمله بقيادة عبد الله بن احمد الوزير لإخضاع قبائل حاشد وبكيل عام ١٣٤٣هـ ومن قبلها أرسل حملة لإخضاع خولان والحداء وبعد ذلك توجهت حمله إلى أطراف تهامة من جهة حجه بقيادة احمد ابن الإمام يحيى وتوجه عبد الله بن احمد الوزير إلى باجل ثم الحديده ودخلت بعض سواحل تهامة تحت سيطرة

(١)- حياة عالم وأمير - محمد بن علي الاكوع.

الإمام سنة ١٣٤٣،أما المناطق الجنوبية من اليمن فلم يهتم الإمام بضمها واكتفى بأرسال حملة نحو الجنوب سيطرت على الضالع والشعيب والأجعود والقطيب وتوقف الإمام عند ذلك وكانت لحج وابين وشبوة وحضرموت والمهرة مقسمة إلى سلطانات ومشيخات ضعيفة (صغيرة كان بإمكان الإمام السيطرة عليها بسهولة) لكن بخله وضيق أفقه عن ما أوجبه الله عليه في توحيد اليمن والدفاع عنها أرضاً وإنساناً مما أدى إلى اتساع نفوذ المستعمر الانجليزي واستيلاء ابن سعود على المخلاف السليماني (وهذا هو شأن الفكر الهادوي وأئمته).

أما بالنسبة للإنجليز المحتلين فلم يحرك ساكنا و لم يحاول حتى إزعاجهم ولو معنويا وأنشغل بفرض سيطرته على شمال الوطن ووجه كل قواه لإذلال أبناء اليمن بتسليط بعضهم على بعض لإخضاعهم وجباية الأموال وترك جنوب اليمن مجزئا ومحتلا إلى أن أزاحه أحرار هذه الأمة بقتله سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م بمنطقة سواد حزيز جنوب صنعاء.

أساليب الإمام يحيى ووسائله في اخضاع اليمنين :

وأهم الأساليب والوسائل التي استخدمها في السيطرة وفرض وجوده:

١- أسلوب بث الإشاعات :

وهذا ما فعله ببث الدعايات عن العثمانيين بأنهم كفره تأويل ومرقه يرتكبون المحرمات.

وهذه من وسائل وأساليب الأئمة من قبله ولكنه زاد عليها بقتل اليمنيين والعثمانيين معا جوعا وقد ذكرنا ذلك عند حصاره لصنعاء في أول عام نصب فيه إماما (١٣٢٢هـ).

كما ابدعوا في اطلاق مسميات على معارضيهم مثل (ناصبي ،مكرمي) وابدعوا في بث ونشر التهم المروق عن الدين على من ثار أو تمرد عليهم ومن أمثلة ذلك ما بثوه من دعايات مكثفة على ثورة (المقاطرة)،بأنها حركة إنجليزية تستهدف القضاء على الإسلام ، يقول عبد الكريم مطهر في كتابه : (رأس الحكمة في سيرة إمام الأمة) " كان هؤلاء من الذين شبوا وشابوا على خدمة النصارى فلا يزيدون من الدين إلا فراراً حتى ضللوا الناس وأشاعوا في القلوب الوسواس فخربوا المساجد و أبطلوا عقود الأنكحه" وهذه الدعاية من كاتب رسمي تعكس أساليب الإمام يحيى في بث الدعايات ضد الانتفاضة حينذاك ، ومن المعروف أن عبد الكريم مطهر عقد فصلاً طويلاً عن انتفاضة المقاطرة في كتابه ذاك ،

وكان هذا الكتاب قد طبع وقت الإمام يحيى ثم أمر بإحراقه لأن الأحداث التي تناولها كادت تجد من يستغلها ضده لأن الكتاب عني بأحداث تهامة ونجران وأياً كان موقف الكاتب وتبريراته للهزائم فإن الإمام يحيى فطن لخطورة تدوين تلك الأحداث فرأى التخلص منه وهو أراد بذلك طي الأحداث حتى لا تثير أمثالها ولا تذكر بمواجعها بعد أن أستتب له الأمر، وكان هذا الأسلوب قد سار عليه الأئمة من قبله فأتلفوا كل تدوين يخالف فكرهم أو يكشف حقيقتهم أو تحريف محتوياته ومقاصده ومن ذلك ما كتب قبل وصول الهادويون (*)

ويبالغ كتاب الأئمة في الدعاية ضد من يخالف الأئمة .

" ولعل أغرب ألوان دعاية (مطهر) هو تشنيع تمرد (المقاطرة) على الأتراك مع أن إمامة ذلك العهد قامت على التنديد بالأتراك : كبغاة ، جهلة، ومحتلين ، ومرتشين ، ومخمورين، فكيف استساغ (مطهر) اتهام المقاطرة بمقاومة الأتراك في فصله الخاص بانتفاضة المقاطرة؟ إن قلعة المقاطرة كانت اسبق من حصن شهارة في صراع الاتراك لأن الإمام من شهارة يتراوح بين المفاوضة والقتال وكان يتصالح مع العثمانيين إذا أتاحوا له الزكوات والأوقاف أو انتزع منهم منح أو هبات ومن أجل ذلك كان قتاله .

٢- الاغتيالات:-

هذه وسيلة كان أول من استخدمها القاسم بن محمد عندما اغتال الشيخ العثماني المتصوف بجوار الجامع الكبير أما الإمام يحيى فأبدع في قتل النفس التي حرم الله وأتخذ عدة طرق في ذلك مثل : .

أ) تفجير المنازل علي من فيها.

وكان يرسل من أتباعه من يضع البارود أسفل بيوت المناوئين له(١) ومنها ما جرى في ذمار للقاضي قاسم بن يحيى الأشبيلي والقاضي محمد الردمي.

ب) التصفية الجسدية :-

وكان يرسل أعوانه فيدخلون خفيه إلى بيوت من يريد قتلهم ومن اللذين أشتهروا بفعل ذلك من مرتزقة الإمام **علي ابن أحمد الكليبي وثانيهما حسن بن محمد العبيدي الأرحبي وثالثهما إسماعيل السميري ورابعهما هادى السنفي.**

(*) - فكتاب التيجان مثلاً كتب قبل وصول الهادويون إلا أن القارئ له يكتشف لمحات من الفكر الهادوي لأن أحد الأئمة أدعى تحقيقه .
(١) - الواسعي - تاريخ اليمن / حياة عالم وأمير - محمد بن علي الأكوع .

وكان يرسلهم للقتل أو التخويف مثل ما أوصلوا إليه رأس سنهوب ومثلما دخلوا على الشيخ حسين زهره ووضعوا السكين تحت مخدته فأشعروه بأنهم قادرين على الوصول إليه ومما أشتهر به هؤلاء القتلة فقد وافق حسين زهره على مطالب الإمام وزوده بالمال وكان من أغنياء بئر العزب ، ومثل قتل أولاد أبو دنيا الذي قطع رؤوسهم بقفله عذر(مديريـــة بمحافظة عمران) بسبب تعاملهم مع الأتراك.

٣- [(١)] **قتل العلماء المخالفين له** وأكبر حدث أفزع وأرهب كل من خالفه هـــو قتلـــه **مفتي اليمن محمد بن محمد بن إسماعيل جغمان** وكان علماً من الأعلام ، وخطيبا مـــبرزا جم التواضع صادق اللهجة ذا دين وعفاف حظي عند الأتراك بالتقدير لاعتداله وصـــدقه وغزارة علمه وكان له نفس المكانة عند اليمنيين ، فلما لم يخضع لفكر الأئمة الهـــادويون القائم على التميز والاستعلاء وبث الفتن وسفك الدماء ، ولما لم يستطع الأئمة مقارعـــة حججه وعلمه عملوا على استأصاله فقد أستأجر **أبو الإمام يحيى حميد الدين** من يقتلـــه فترقبوه حتى وجدوه منفردا في مطاهير الجامع وقت صلاة العشاء بمسجد صلا ح الـــدين شرق صنعاء فأوسعوه طعنا وظنوا أنه مات وظنوا أنه فارق الحياة فـــدخل المـــصلين إلى المطاهير فوجدوه يئن فأسعفوه فعالجه الأطباء العثمانيين وعندما أسترد وعيه سألوه مـــن الفاعل ؟ فأجاب :الزلب الذي حانوته في سوق الكوافي وكان معه أحمد مهدى صاحب المحا بشة ومهاجر في جامع المدرسة فقبض عليهم فأعترفوا في اليوم الثاني وأبرزوا كتـــاب المنصور محمد.

وبعد خروج **الإمام يحيى** من صنعاء عند وصول حملة **فيضي باشا** أخذ معه المفتي محمد بن محمد بن إسماعيل جغمان وأظهر له الود وجامله وطمأنه كثيرا وصحبه إلى قرية القابل وعفا عنه فيما صدر عنه من فلتات اللسان ويقال أنه خلع له ملابسه تكريما له ثم غدر به فأرسله في جنح الظلام إلى القفلة[(٢)](عذر والعصيمات)مع جماعه من رؤساء اليمن وأعيانها فيهم إسماعيل بن يحيى الردمي والشيخ محمد الرازقي والشيخ أحمد كحيل الحيمي والشيخ سعيد بن علي الهمداني وآخرين حوالي إثني عشر وقتلهم خنقا بالحبال.

وقتلوا المفتي خنقا وهو ساجد وذلك سنة ١٣٢٣هـــ وكان مندوبي الإمام المـــراقبين على تنفيذ تلك المجزرة عبد الرحمن الشامي وعبد الله بن قاسم حميد الدين[(٣)].

---

(١)- عالم وأمير – محمد بن علي الأكوع .
(٢)- القفلة (مديرية بمحافظة عمران).
(٣) - حياة عالم وأمير – محمد بن علي الأكوع ص ٣٠٠.

تلك إبداعات الإمام يحيى التي أضافها فهل أعماله إنسانية ؟

وهل هي أعمال إسلامية ؟

٤-اخضاع اليمنين بالقوة :

وقد عمل الإمام يحيى على إخضاع مناطق وقبائل اليمن بأساليبه السابقة وبالقوة فدفع قبيلة على أخرى وقبلية على منطقة بالقتال ثم بالخطاط بالإضافة إلى الجيش الذي قام في نظامه وعتاده على ماخلفه العثمانيين ونتيجة لمعانة اليمنين من ممارساته ولعدم وجود هدف لهذا الإمام يجمع اليمنين حوله رفضوا الخضوع له ، فبدأ بإخضاع بعض قبائل حاشد وبكيل ثم الحدا وبعض قبائل البيضاء كما ذكرنا ثم استطاع أن يخضع بعض ثورات المناطق الوسطى والغربية ، مثل ثورة المقاطرة والزرانيق .

كانت ثورة المقاطرة بقيادة (آل علي سعد) ١٣٣٩هـ فحشدت السلطة الإمامية أشد القوى لإخماد تمرد المقاطرة عام ١٩٢٢م.

٥- أسلوب التجويع:-

إن هذه الوسيلة كانت وسيله الأئمة فيما مضى فقد استخدمها كل إمام توفرت له القدرة على تجويع المسلمين من أبناء اليمن وكانوا يقومون بتجويع الناس مباشرة بالجبايات الجائرة واستخدام نظام (الخطاط)[1] (وأكثر من أستخدمه الإمام يحيى حميد الدين بالإضاف إلى استخدامه طريقة فرض الحصار كما ذكرنا عند حصار الإمام يحيى لصنعاء عام ١٣٢٢هـ

حتى أكلوا الكلاب والحمير ثم مات الناس من الجوع كما ذكر الواسعي.

أما فرض الجبايات الجائرة فقد استخدموا فيها عدة طرق:-

أ) الجباية المباشرة من قبل العمال:-

وكان الأئمة يدفعون عمالهم إلى التنافس في تحصيل هذه الجبايات وكانت أغلب التمردات والثورات بسببها وكان يتم تحصيلها من المزارعين (بإرسال المخامنه لتقدير الزكوات ثم الكشاف ومع هؤلاء عساكر ورُفقاء ويرسل العدادين لنفوس الناس من أجل الفطرة ثم عداد للأغنام والإبل وإذا لم يرسل هذه الضرائب التي تسمى الزكوات أو

---

(١) – وهو نظام أتبعه الأئمة لتأديب الثائرين عليهم أو المتمردين وكان هذا النظام يقوم على إرسال قبيلة أو مجموعه من القبائل على القبيلة المتمردة ويترلون في مساكنهم كمدة تزيد عن بضعة أشهر وعلى أبناء القبيلة المتمردة توفير كفايتهم من الطعام ودفع مبالغ ماليه ولا يدفع الخطاط حتى تستسلم القبيلة المتمردة استسلاما مهينا ومذل وكان غالبا ما يستخدم هذا الأسلوب.
أما بعد هزيمة تلك القبيلة في القتال أو عند استسلامها قبل القتال عندما لاترق في نفسها قدره على المواجهة وكانت طريقة غاية في البشاعة نظرا لندرة موارد قبائل الشمال.

الواجبات في وقتها المحدد فالويل له من التنفيذ بالعساكر وطبيعي أن الغرامات وهتك الأعراض والحرم يصحب هذا كله ولم ينفذ شرع الإسلام في مصارف الزكاة بأخذها من الأغنياء وأنفاقها على الفقراء وقد عبرت عن ذلك الشاعرة الضالعية على لسان عسكري الإمام :

يا ناصـــي بـــادر .... بالصبـــوح عجـــل
ولافلابد مانربطك ... وتدي الحق والباطل

٦- أسلوب التجهيل :-

وللتكرار الموجب فأننا نذكر أن أسلوب التجهيل قد أستخدمه كل إمام حكم أو سيطر على جزء من اليمن فقد مارسوا حكر التعليم على ذراريهم وأبناء فقهائهم الذين ارتبطت مصالحهم بالأئمة و ارتبطوا منهجياً بالفكر الهادوي ومن قال أو عمل بما يخالف فكر ومذهب الأئمة ضيق عليه الخناق في مختلف نواحي الحياة ونادرا ما يدخل من أبناء اليمن في هذه الدائرة الضيقة وكان التعليم يتم في المساجد وفي نطاق هذه الدائرة الضيقة وكان في [1] نطاق فكر وفقه المذهب.

وما أبدعه كثير من العلماء المجددين فكان يحظر بثه وتعليمه أما بالنسبة للإنفاق على التعليم فلم يدخل في فكر ولا تطبيق أي إمام أدعى أو حكم اليمن إلا ما أبقاه الإمام يحيى مما خلفه العثمانيين من المدارس حيث قام بإقفال جميع المدارس التي أنشأها العثمانيين من المدرسة الرشيدية الصناعية والمدرسة الثانوية العليا للبنات وغيرها من المنشات التي قام بأقفالها ولم يبقى سوى المدرسة العلمية وحولها لتدريس علوم الدين في إطار المذهب.
فعندما شاء الله أن توجد مدرسة الأيتام في عهد الإمام يحيى عام ١٣٤٤ هـ التي كانت السبب في وجود الرجال الذين كانوا نواة التغيير في إزالة الحكم الإمامي وهذا دليل لا يدع مجال للشك في أن الجهل هو العامل الذي مد أمد الأئمة الهادويون فكراً ونفوذ وكانت حلقات العلم التي تقام بالمساجد ينفق عليها من أموال أوقاف المحسنين وكانت تسمى (أوقاف علماء ومتعلمين)أو تسمى (أوقاف الترب).

كان واجب على اليمنيين حب الإمام والصبر عليه ودفع ما يفرض عليهم أي عليهم كل واجبات المواطن نحو الدولة وليس على الإمام أي واجب نحوهم ولا حتى على الإمام

---

(١)- ذكر الكاتب والأديب عبد الله البردوني أن كتاب الهادي يحيى بن الحسين "الثلاثين المسألة" كان من أهم مقرارات المدرسة العلمية وهو الكتاب الذي يوصل للتميز السلالي في استحقاق الحكم .

واجب الدفاع عن الإنسان أو الأرض كما رأينا في عدم قيام أي إمام بالدعوة أو القيام بالجهاد لتحرير عدن أو الدفاع عن المناطق الساحلية والجزر والمياة الإقليمية عند مهاجمتها من قبل البرتغاليين وغيرهم كذلك لم يقوموا بما أوجبه الله على الحكام تجاه شعوبهم أو حتى ما أوجبه الله على المسلم تجاه أخيه المسلم فعندما سئل الإمام يحيى أن يطعم الناس أثناء المجاعة وصوامع الغلال مليئة بالحبوب ، فقال (من مات فهو شهيد ومن عاش فهو عتيق).

ويصف أبو الأحرار حقيقة معانات اليمنين بقوله :-

أكلوا لباب الأرض وأختصوا بها   وذوو الخصاصة واقفون صيامُ
وكأنهم هم أوجدوا الدنيـــا وفي   أيـــديهم تتحـــرك الأجـــرام
هب أنهم خلقوا العباد فهل لمـــن   خلقوهُ عطف عندهم وذمـــامُ

٧- اخذ الرهائن :-

إن معرفة الأئمة ومنهم الإمام يحيى بأن الشعب سيتمرد على سياساتهم الظالمة وسيرفض الجبايات الجائرة جعلهم يأخذون أطفال زعماء القبائل رهائن في سجونهم لإرغام آبائهم على الطاعة وكان ذلك يتحقق للأئمة عندما ينجحوا في تسليط قبيلة أو مجموعة من القبائل على القبيلة أو المنطقة المتمردة فيقتلون زعمائها ويدمرون معمورها ومزروعها ثم يخطط عليها (تبقى القبائل الموالية للإمام تأكل أقوات القبيلة المتمردة) وعندما يصل الظلم والطغيان إلى هذه المرحلة يأخذ الإمام أطفال الزعامات والوجهاء كرهائن ليضمن خضوع تلك القبيلة أو المنطقة إن هذه الحقيقة تؤكد عدم حصول أي من الأئمة على ولاء وتأييد اليمنين وهذا يدحظ ما يروجه الإماميون الهادويون في وقتنا هذا بين السذج .

المبحث الثاني

الإمام يحيى / شديد على اليمنيين رحيم على الغزاة

أ- سقوط الضالع

فها هو الإمام يأخذ أبناء المواطنين، وها هو يجمع المال والطعام في مخازنه والناس يموتون جوعا عند الجدب وعدم هطول الأمطار ومخازنه مليئة بالطعام وخزائنه مليئة بالمال، بل أكثر من ذلك يستخدم التجويع لإخضاع اليمنيين ويستخدم جوع قبائل الشمال لإخضاع المناطق الوسطى والغربية فيزرع العداء والبغضاء بين أبناء هذه الأمة.

وها هي الضالع وما حولها تسقط بسبب أساليبه الجائرة في الجباية ونفور المشائخ والرعية من ظلم عماله فيلجاؤن إلى الإنجليز بعدن بعد أن نصح العلماء[1] الإمام بالضرب على يد **عامله يحيى محمد عباس** الذي أعمل يده فيهم ظلما في الجباية والمعاملة وكانوا قد دخلوا تحت طاعته طوعا وفضلوا حكم المسلم على الإنجليزي فلما عانوا من ظلم عامله يحيى محمد عباس لجاؤا إلى **سلطان لحج عبد الكريم بن الفضل العبدلي** والذي بدوره نصح الإمام بأن يجعل عامله يخفف الخناق على المشائخ ورعاياهم ويقل من التعسف ولكن الإمام لم يعر ذلك أي اهتمام وكان يستحسن ما يقوم به عامله فما وسع المشائخ إلا الارتماء إلى أحضان الإنجليز بواسطة سلطان لحج الذي كان خائفا من مد نفوذ الإمام ولذلك فقد وجد الإنجليز ذريعة لمد سيطرتهم على الضالع وما حولها فبدأ بالمفاوضات مع الإمام للتخلي عن الضالع وما حولها فلم يجدوا من الإمام أي مقاومة ملموسة أو استعداد للمواجهة فأرسلوا الطائرات تسقط المنشورات التي يهددون فيها بضرب مدن اليمن إذا لم ينسحب من الضالع وما حولها فما كان من الإمام إلا أن أجتمع ببعض الأعيان والعلماء ووزرائه فرجح غالبية المجتمعون الحرب والمقاومة والجهاد تنفيذا لمحكمات القران وجوهر الشرع الإسلامي منطلقين من قوله تعالي {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} سورة الأنفال آية ٦٠.

وأنفض الاجتماع ولم يأخذ برأيهم ونسي كل أصول وكليات الإسلام وفي مقدمتها فريضة الجهاد كما نسي وسائله التي كان ينفذها ضد أخوانه المسلمين من العثمانيين ونسي أساليبه في حرب العصابات التي كان يديرها ضد العثمانيين واليمنيين ونسي أساليبه

(١) – حياة عالم وأمير – محمد بن علي الأكوع .

في تفجير المنازل والاغتيالات بل لم يعد شيئا لمواجهة الإنجليز ونصح الناس أن يتركوا المدن ويلجأوا إلى الكهوف في حالة قصف الطائرات وهذا أمر طبيعي يصدر من حاكم أتصف بالبخل والأنانية فهو لا يرى إلا مقدار العائدات وهو لم يتنشئ على البذل والإنفاق في سبيل الله للدفاع عن أرض الإسلام والمسلمين وهو بذلك يعمل بعكس قوله تعالى :{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم }(الفتح٢٩)

وكان قادراً على جمع الفيالق من مقاتلي القبائل اليمنية كما كان يجمعها ويهيجها بالدوافع الدينية الباطلة لقتال من خالفهُ من اليمنيين أو لقتال العثمانيين ولكن دافعه هنا معدوم كيف لا وقد استولى على سده الحكم واعتلى قصور صنعاء وليس غريبا عليه وهو الذي ترك جند الإسلام بقيادة علي سعيد باشا يقاتلوا الإنجليز سنة ١٣٣٧ هـ / ١٨١٩م وهو يقاتلهم من الجانب الآخر بل صم أذنيه عن نداءات علي سعيد باشا وجند المسلمين من اليمنيين والعثمانيين عندما أرادا تسليمه مناطق الضالع ولحج حتى العوالق شرقا وباب المندب غربا مع أسلحه وعتاد الجيش الإسلامي عندما صدرت إلى القائد العثماني الأوامر من الأناضول بالتوجه إلى السفن الإنجليزية للعودة بعد إبرام معاهدة الصلح التي أنهت الحرب العالمية الأولى مما أضطر هذا القائد إلى توزيع بعض العتاد والأسلحة لمن قاتلوا معه من اليمنيين وسلم ما تبقى مع الأرض التي سيطر عليها للإنجليز، وهكذا فإن الإمام تخلى عن استلام الضالع والمناطق الآخرى من سعيد باشا خوفا مما سيكون أو لانشغاله وبهجته بدخول صنعاء وها هو الآن يتخلى عن الضالع مره أخرى ولم يبذل جهدا أو مال في الدفاع عنها وكانت الطائرات قد ضربت مدينة ذمار ويريم فدمرت سور إب ولم تسفر عن خسائر في الأرواح والممتلكات و(ماوية) كذلك (مديريه بمحافظة تعز) وقصفت مدينة تعز فهدمت سمسرة (نزل) وقتل العشرات وألقت الطائرات قنابلها أيضا في وادي المعسل خارج تعز وذهب ضحيتها ستة عشر قتيلا وقصفت الطائرات كذلك مركز تربة ذبحان من قضاء الحجرية بمحافظة تعز وبعد ذلك القصف انسحب الإمام وسلم الضالع ولم يواسي المتضررين أو يعزي أهالي الشهداء وراجت إشاعات قوية في اليمن أن خروج الطائرات لضرب المدن اليمنية كانت مناورة بين الإمام يحيى والإنجليز ليبث الرعب بين المواطنين.

وليكون لهُ مبرر في انسحابه عن تلك المناطق وبالذات أمام العلماء والأعيان الذين رأوا

ضرورة جهاد بريطانيا لإقناعهم بأنه لا قدرة للإمام على قتالهم [1] ويعبر عن ذلك يحيى الأرياني بقوله:

يا بريطانيا رويداً رويداً إن بطش الإله كان شديدا

إن بطش الإله أهلك فرعون وعـــاداً من قبله وثمـــودا

وبهذا سيطر الإنجليز على الضالع ولم يظهر من الإمام يحيى أي مقاومة إلى أن قتل علي أيدي ثوار ١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ

ب- سقوط المخلاف السليماني (الحرب اليمنية السعودية):-

أما بالنسبة لأحداث المخلاف السليماني فقد تزايدت رقعة ونفوذ عبد العزيز بن سعود في نجد والحجاز فقد سيطر على الحجاز سنة ١٣٤٣هـــ وبدأ يمد نفوذه عاما بعد الآخر بعزيمة وطموح وفاعلية مقارنة بالإمام يحيى الذي كان منشغلا وقانعا بما ترك له العثمانيين وأهتم بإخضاع قبائل الشمال ،فأرسل حمله بقيادة عبد الله بن احمد الوزير لإخضاع قبائل حاشد وبكيل عام ١٣٤٣هـــ ومن قبلها أرسل حملة لإخضاع خولان والحداء وبعد ذلك توجهت حمله إلى أطراف تهامة من جهة حجه بقيادة احمد ابن الإمام يحيى وتوجه عبد الله بن احمد الوزير إلى باجل ثم الحديده ودخلت بعض سواحل تهامة تحيت سيطرة الإمام سنة ١٣٤٣ ،بينما المخلاف السليماني تحت حكم علي بن محمد الادريسي الذي تولى الحكم بعد وفاة أبوه محمد الادريسي ١٣٤١ هـــ وظل احمد بن الإمام يحيى بالحديده إلى عام ١٣٤٥هـــ فعاد إلى صنعاء.

وفي هذه السنة نشرت المعاهدة بين الأدارسة وبين عبد العزيز بن سعود وكانت هذه نتيجة حتمية لعدم حسم الإمام لقضية حكم الأدريسي فقد كانت حملات الإمام على الادريسي أثارت مخاوفه ولم يصاحبها حنكه سياسية أو حسم عسكري ولذلك كانت المعاهدة فرصه لأبن سعود في إعداد نفسه وترسيخ ملكه فنمى نفسه بالسيطرة على المخلاف السليماني وبدهاء عقد معاهده مع الأدارسه.

إن الفترة التي اعقبت خروج العثمانيين (حكم الإمام يحيى) قد أفرزت أهم النكبات وأعظمها ، حيث تمثلت في مد نفوذ الإنجليز على أغلب جنوب اليمن وشرقه وسيطر ابن سعود على نجران والمخلاف السليماني نتيجة الهزامية واستسلام الإمام يحيى .

---

(١) – حياة عالم وأمير – محمد علي الأكوع

إن الإمام يحيى بما أوصل به الشعب اليمني يناقض فرضيات العقل ومعطيات الواقع فأما فرضيات العقل ، فإنما تحتم علينا التسليم بقدرة الإمام يحيى النابعة من خبرته الحربية في قتال العثمانيين وقدرته في تهييج القبائل والسيطرة عليها .

وقدرته في تحييد وإبعاد المنافسين من نفس السلالة عن الطموح أو المشاركة في الحكم، هذا بالإضافة إلى ما تهيأ له من موقع على رأس السلطة في الدولة اليمنية كحاكم مطلق وإمام دين .

ووصل إلى ذلك بأساليبه المتمثلة في قمع وإسكات العلماء وتصفية المعارضين بأسلوب الاغتيالات أو بالتهميش أو بالتجويع.

أما معطيات الواقع فقد تهيأت له الفرصة للحكم بما ورثه من بعد والده المنصور محمد من مكانة وامكانيات وهذا لم يجعله يبدأ من الصفر في طموحه نحو الحكم ،ثم ما تهيأ له بعد معاهدة دعان من قدره على جباية أغلب شمال اليمن ، وهي فترة كان الإمام يحيى كالخازن يجمع ولا ينفق ثم انفردا بساحة الجزيرة العربية كأقوى زعامة بعد انسحاب العثمانيين كأول زعيم لدولة عربية مستقلة.

وكان ما خلفه العثمانيون من بنيه تحتية ونظم اداريه وعسكرية كافيه لانطلاقة دولة تحكم أغلب الجزيرة العربية إذا ما أضفنا سيطرته على أكبر تجمع بشري في الجزيرة العربية، الأمر الذي يجعل القدرة والتفوق للإمام يحيى لمد نفوذه على أكبر رقعه من الجزيرة العربية إذا ما قورن بإمكانيات وقدرة أبن سعود عند بداية تأسيس الدولة السعودية كل تلك العوامل ، والظروف التي تهيأت للإمام يحيى سُحقت بظلمه وجموده وبخله الأمر الذي أدى به أن يدفع بالجنود والقبائل الجياع وغير المسلحين لقتال الأدارسه في تهامة أو للسيطرة على بعض المناطق التي كان يسيطر عليها العثمانيين في جنوب اليمن وأضاف إلى ذلك ظلم عماله الذي بلغ حدا أوصل زمرا من سكان تلك المناطق إلى الالتجاء إلى الإنجليز أو للقتال مع الأدريسي ثم دخل في حرب مع ابن سعود بجيش جائع غير مسلح ولا مدرب ذلك لأن الإمام يحيى اتسم بالخمول والقنوع فكلما انتزعت قطعه من ارض اليمن قنع فيما تحت يده وهاهو يشيع بشراء صفقة سلاح من إيطاليا فتدفع هذه الأشاعه بابن سعود إلى أعداد جيشه وتسليحه وهو لم يقم بشراء الصفقة لجمود بصره وبصيرته وبخله الذي عرف به كأسمه فكانت الحرب واستولى ابن سعود على المخلاف السليماني ووصل إلى الحديدة وتقدم اليمنين بقيادة احمد حميد الدين باتجاه نجران محققاً بعض الانتصارات إلا أن الإمام يحيى ارغمه على التوقف وبدأت المفاوضات التي اثمرت معاهدة الطائف التي بموجبها استولى ابن سعود على المخلاف السليماني ونجران ....كل ذلك كان لاستبداد الإمام يحيى وجمود وتخلف اساليبه ووسائله في الحكم فها هو أسلوبه الجامد في إخضاع

القبائل اليمنية يكرره في مواجهة الإنجليز و الأدارسه ومن بعد هم الدولة السعودية في حين ينطلق العالم من حوله في فترة ما بين الحربين العالميتين كأعظم زمن عرفته الحياة الإنسانية في الكم الهائل للاختراعات والمكتشفات في جميع المجالات وهو يعـــود بهـــذه الآمـــة إلى العصور الوسطى فيقفل المدارس التي خلفها العثمانيون ويوقف المشاريع التي بدأوها.

كل ذلك مع استمراره في حكم البلاد وفقا للفكر الهادوي المنحـــرف عـــن ثوابـــت الإسلام وأصوله والقائم على تميز هذه السلالة واستعلاءها سواء بانفرادهـــا باســـتحقاق الحكم أو بتعميق ما أصل كثقافة مجتمعيه في تبجيل وتمجيد الإمام كوارث للنبوة والعلـــم الأمر الذي أطلق العنان للحكم المطلق الذي أدى إلى عدم استماعه لنـــصح الناصـــحين متوازيا مع أسلوب الأئمة في التجهيل التراكمي لهذا الشعب وعزله عن كل غيث ومنابع العلم والتقدم مع إضافته إلى الترعة العدائية بين القبائل اليمنية التي أصلها أسلافه كل ذلك أو جزء منه كان كافيا ليعجل بأجله وأجل حكمه ،وكان دافعا لكل يمني طاف به شعاع من نور أن يعمل على إزاحة هذا الكابوس من حياة اليمنيين.

المبحث الثالث

بداية الثورة السياسية والفكرية

تدرجت الصفوة في نصحها للإمام بكل وسيلة سلميه ابتداء من وعظ الإمام وتذكيره بما أمر الله به ونهى عنه واستعطافه واسترحامه لتلمس أحوال الشعب اليمني وما وصل إليه من ظلم وجوع وجهل محاولين أحداث أي تغيير دون استجابة من الإمام وجمد على مواقفه فلجئوا إلى وسيلة سلمية أخرى بالنشر في الصحف والإذاعات ، فلم يفلحوا وما زادت الإمام إلا إصرار على موقفه وملاحقة الأحرار ، وتخلل ذلك نصح بعض العلماء من العرب الذين قدموا إلى اليمن مثل الفضيل الورتلاني وغيره الذين قدموا للإمام النصح بل مؤشرات لخطط التغيير عسى أن تحدث بوادر للتغيير لكن الإمام لم يعرها أي اهتمام إن الاستبداد المرتكز على التجهيل والتلاعب بالدين الناتج عن فكر الهادي وتطبيق الأئمة لهُ عمل على إحباط محاولات الأحرار لتغيير وتصويب حكم الإمام وممارساته بالطرق السلمية قبل قيامهم بالثورة و كانت أهم المحاولات في ذلك هي :-

١- هيئة الأمر بالمعروف وتكونت من كبار علماء اليمن وفقاً للنص القرآني :"{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (آل عمران١٠٤)

فقدمت النصح للإمام يحيى بن محمد حميد الدين شفاهاً وخطياً للعمل بما جاء في القرآن وما أمر به عليه الصلاة والسلام .

وبالذات اختيار العمال والحكام الأكفاء الشرفاء وعدم إرهاق الشعب بالمظالم وتكوين مجلس للشورى ، ولكنها لم تجد قبولاً

٢- الجمعية اليمنية الكبرى :-

تكونت هذه الجمعية سنة ١٣٦١هـ ١٩٤٢م من خيرة رجالات اليمن بعد هيئة الأمر بالمعروف ، وكان أعضاؤها بالداخل وبعدن ينشرون ما يصل إليهم من الأعضاء المناهضين داخليا

وكان اليمن قطاعاً خاصاً ، الإمام يحيى بصنعاء خليفة الله في أرضه ، واحمد في تعز .

وأمره نافذ على جميع أنحاء اليمن ، وعبد الله بن يحيى بالحديدة و الحسن بن يحيى بإب، وبقية أبناء الإمام يحيى وزراء ما عدا حسين بن عبد الله العمري وزيراً خاصاً ، فكان للجمعية اليمنية أثرها على الحكم فكان نضالها بأسلوب العصر لم تنصب إماما و لم تؤلب

القبائل ، فكان أسلوبها توعية الفكر اليمني وتغيير ما لبد فكره من قدسية الإمامة، والمطالبة بالإصلاح الإداري بلغة العصر وأسلوبه ، فاهتز الإمام وأبناؤه لهذا الحدث الذي بدأ العالم الخارجي ينشر عنه في الصحف ويذيعه في الإذاعات ، فقام بحملة اعتقالات سنة ١٣٦٣هـ ولأول مرة عرفت الإمامة لغة السياسة والسياسيين ، ولكن بأسلوبها التقليدي ، ناهبي ، باغي عصاه ، هذه بداية يقظة النضال اليمني وأول مسمار يدق في نعش الإمامة بأساليب العصر.

٣- الاتحاد اليمني :-

وكان هذا الاتحاد حزباً أشتمل على يمنيين وعرب .

فكان الفضيل الورتلاني الجزائري الذي قدم اليمن ودرس الأوضاع عن كثب وأعطى الإمام يحيى رأيا صحيحا عن حياة العصر وتطوره وكيفية الخروج من العزلة والاستعانة بالخبراء المسلمين والعرب في بناء اليمن الحديث وطلب منه الموافقة في إيجاد شركة تجارية عينية مبدئية فوافق على ذلك مع اخذ رأي ولي عهده أحمد بن يحيى [1] وأن يقدم تقرير شامل للمطالب وكيفية طرق الإصلاح ، وعليه جد الفضيل الورتلاني في إقناع احمد وتقديم القرار الشامل والاكتتاب في الشركة اليمنية التجارية المساهمة، وكان مرافقاً له القاضي السيد حسين الكبسي ووراءهما مراقبون سريون فكان الورتلاني رغم ما لاقاه من متاعب وأمراض مجداً يحدوه الأمل في نجاح المهمة بناء على ما لمس من الإمام يحيى وأبنه احمد من وعود في تنفيذ مطالبه ، وكان الكبسي يهون عليه تعبه وإرهاقه بالا يكون شديد الإسراف في الأمل ، وليست المواعيد إلا سراباً أجاد الإمام يحيى وأبنه احمد أساليبها.

وأمام هذا الإخلاص والحب قدم الورتلاني التقرير الشامل في الإصلاح وقدمه للإمام فأعجب به وطالعه ، واحتفظ به في سلة الإهمال ،فكان الرد مضاعفة الرقابة عليه وعلى الكبسي بدار الضيافة وخارجها ، وأخيراً قرر العودة إلى القاهرة .

٤- ومن أهم مراحل تطور الفكر الثوري التصويبي هو العمل على إقامة دولة دستورية ..شوروية ... تحقيقاً لإرادة التغيير قرر الأحرار اليمنيون صياغة ميثاق وطني وأسموه " الميثاق الوطني المقدس" يحدد علاقة الحاكم بالمحكوم و سياسة الدولة القائم على نوعاً من الفصل بين السلطات ، سلطة تنفيذية (الإمام السلطة الفعلية المطلقة ، رئيس الحكومة وأعضاؤها) .

---

(١) - مجلة الأكليل - العددان الثاني والثالث - السنة الثانية - ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

سلطة تشريعية (مجلس الشورى) وحددت اختصاصاته و سلطة قضائية وتضمن الميثاق الوطني المقدس أيضاً.

أ-في المجال الداخلي، أذابت الفوارق المذهبية ، والسلالية ، والاجتماعية والإقليمية في إطار الوحدة اليمنية، و تحطيم العزلة الرهيبة، وبناء اليمن اقتصادياً وثقافياً وعسكرياً .

ب-وفي المجال العربي – تحطيم السور الحديدي، وربط علاقات قومية مع الدول العربية سياسياً وثقافياً واقتصادياً وعسكرياً.

ج-وفي المجال الدولي، احترام المواثيق الدولية، واحترام سيادة الشعوب، وفتح السفارات والاستفادة من الخبرات السياسية والعلمية .

كان ذلك تحولاً تاريخياً ليمن جديد غير مجرى تاريخ الصراع على الإمامة المرير لما بعد الآلف وأعطى لليمن حق اختيار السلطة في إطار الدستور والشورى: اتفق رموز الصفوة المستنيرة على هذا الميثاق المقدس .

هذه مرحلة اجتمعت فيها الآراء كاملة للوقوف بالفكر أمام الفكر الهادوي وكان هذا الميثاق النواة الفعلية لإثارة مسيرة التغيير التي أثمرت استمرارية الثورة رغم أن الوعي السياسي كان محدوداً لانتشار الموروث بين ابناء الشعب اليمني ، وعدم قدرة قادة التغيير على بث أفكارهم إلى الشعب بكل فئاته وذلك نتيجة لعاملين :

الأول : هيمنة الإمام يحيى ونفوذه الروحي وإحاطة الشعب بسور من العزلة والخوف والجهل.

الثاني : لم تكن المنظمات السياسية تتمتع بقدرة مادية وبشرية ، وسياسية لتعبئة الرأي العام الشعبي المنغلق والالتصاق به ، فكانت الحركة السياسية غير كافية لتغيير فكرة الإمامة من العقلية الاجتماعية اليمنية لذا فقد كان الأحرار اليمنيون أكثر اتصالاً بالخارج لعرض القضية اليمنية ولم يكن لهم رصيد اجتماعي ، وكان هناك من يشكك في حركتهم من الفئة البارزة الملتصقة بهم ، وبالإمام يحيى ولم تؤمن بهم واستمر تنامي الحركة حتى أنضم إليها إبراهيم وخرج عن طاعة أبيه ، فرحب به كعضو فعال ذي أهمية وسمي بسيف الحق، وتحولت حركة الأحرار من مرحلة التخطيط إلى مرحلة التنفيذ فكانت أحداث ١٩٤٨م، عندما وصل الأحرار إلى مرحلة اليأس من استجابة الإمام يحيى مما أدى بهم إلى العزم على التخلص منه جسديا .

[1] وكان لإفتاء العلامة الكبير حسين الكبسي بجواز قتل الإمام يحيى الحسم في تنفيذ ذلك، وفي اعتقادنا أن فتوى هذا العلامة كانت الفيصل في إنجاز هذا الحدث الهام في تاريخ اليمن وكان هذا العالم أقوى الثوار عزيمة وأكثرهم إدراكا وأشجعهم قرارا .

إن هذه الفتوى هي التي أزالت تردد المنفذين لقتل الإمام يحيى في ٧ربيع الثاني ١٣٦٧هـ - ١٨ فبراير ١٩٤٨م في قرية حزيز من بلاد سنحان جنوب صنعاء،وتم قتله مع وزيره حسين عبد الله العمري.

واستطاع ابنه الإمام احمد الوصول إلى حجه وبدأ رجال الحركة الوطنية يتوافدون إلى صنعاء وأعلنوا الميثاق والدستور وكونوا الحكومة ومجلس الشورى ونصب إماما عبد الله بن احمد الوزير.

لكن أحمد ابن الإمام يحيى نجح في جمع القبائل حوله وفي كسب ولائها وبدأ الزحف يطوق صنعاء مما أضطر الثوار إلى إرسال نداءاتهم إلى الجامعة العربية للمساعدة واستطلاع رأي الشعب في اختيار حاكمه وكان لمعارضة الملك عبد العزيز أثرا في إيقاف وفد الجامعة العربية برئاسة عزام باشا فأوقفه للتشاور معه بالرياض وفي نفس الوقت كان يرسل الإمدادات للإمام احمد مما أضطر الإمام عبد الله الوزير والأحرار إلى إرسال وفدا مكون من الفضيل الورتلاني ومحمد محمود الزبيري ومحمد محمد الوزير إلى الرياض ، لاستنهاض وفد الجامعة العربية بسرعة الوصول إلى صنعاء فأصر الملك عبد العزيز على عدم ذهابهم موبخاً الوفد على قتل الإمام يحيى وأعلن لهم أن صنعاء قد سقطت ، وفعلا استطاعت القبائل الدخول إلى صنعاء وأسر رجال الثورة و الإمام عبد الله الوزير وكان سقوط صنعاء اعظم المآسي التي تعرضت لها صنعاء وآخرها وكان الإمام احمد آخر الأئمة الذين سفكوا دماء اليمنيين بأيدي اليمنيين وكان أخر المستغلين لما أصله الفكر الهادوي كثقافة مجتمعية على رأسها دفع القبائل لإخضاع الخارجين على الإمام تلك الثقافة هي التي أفرزت الاستبداد المطلق للأئمة " والاستبداد يستولي على تلك العقول الضعيفة للعامة فضلً عن الأجسام فيفسدها كما يريد ، ويتغلب على تلك الأذهان الضئيلة فيشوش الحقائق بل البديهيات كما يهوى فيكون مثلهم في انقيادهم الأعمى للاستبداد ومقاومتهم للرشد والإرشاد مثل تلك الهوام التي تترامى على النار "[2] واستبداد الأئمة كان سياسيا ودينياً .

---

(١) - مجلة الإكليل - عبد الرحمن عبد الله الحضرمي - صنعاء وموقعها من التاريخ العام لليمن .
(٢)- طبائع الاستبداد - عبد الرحمن الكواكبي .

لكن الإمام احمد فاق استبداد أسلافه بأن عاقب بكل جبروت من خرج عليه وعلى والده ومن لم يخرج وعاقب حتى ارض صنعاء ودورها فأباحها للقبائل نهبا وسلبا فزاد بذلك على ما فعله أبوه عام ١٣٢٢هـ عندما حاصر صنعاء لمدة شهرين ونصف حتى مات الناس جوعا بعد أن أكلوا البهائم والكلاب .

إن هؤلاء الأئمة والفكر الهادوي الذي سارو عليه قد تخلوا عن كل القيم الإنسانية والشرائع السماوية في سبيل الوصول للحكم .

وكأنهم مضوا على تعاليم ثابتة منذ عهد الهادي تقوم على الوصول إلى الحكم على دماء وأشلاء اليمنيون دون الالتزام بدين أو مله تفرض عليهم أي واجب نحو هذا الوطن .

ونعود إلى الثوار فقد قطعت رؤوس بعضهم ونكل بجثثهم وسجن وعذب الآخرون.

ويصف تلك الحالة العلامة أبو الأحرار محمد محمود الزبيري بأصدق قول وأبلغ شعر[1]:-

طافوا بهم حول صنعا يطمسون ... بهم حقاً يضيق به الطاغي ويخشاه

وطوقهم جميعاً ضمن سلسلة من ... الحديد يهول الناس مرآة

يكب بعضهم بعضاً بمنكبه وتلتقي ... أرجل منهم وأفـــواه

إذا تحرك فيهم واحد صر خــوا ... واستفحلت فيهم الآلام والآه

كل امرئ منهم خطب لصاحبه ... يؤذيه وهو بريء حين آذاه

ضاقت رقابهم في الغل احترقت ... أقدامهم من رحيل طال منآه

إذا اســتفات أسيــر من متاعبه ... لبته بندقــة الجندي ورجلاه

فن من البطش والتعذيب مبتكر ... خليفة الله للأجيال أهــداه

سيقوا جياعاً و لم يسمح معذبهم ... أن يستعدوا بزادٍ يوم بلــواه

وسار من خلفهم جند زبانية إذا ... أتوا خزية من أمرهم تاهــوا

(١) – الإمامة وخطرها على الوحدة

ورغم انتكاسة هذه الحركة إلا أن أثرها امتد إلى ما بعد ذلك في حركات متتالية وثورة لا تعرف الخمود إلى أن منّ الله على هذه الأمة بإزالة هذه السلالة عن الحكم ونسأل الله أن يمن عليها بإزالة ما تبقى من الفكر الهادوي وحملته .

الميثاق الوطني المقدس :-

إن أهم إنجاز لثورة وحركة (٤٨) هو الدستور الذي عبر عن إرادة التغيير ونضج فكر الأحرار.

وابرز معالم التطور الفكري في الميثاق الوطني المقدس أنه انتقل من الحكم الاستبدادي المطلق إلى دولة دستورية و شوروية ، وأن تقوم بالسلطة التنفيذية حكومة تختص بالجانب التنفيذي بالإضافة إلى تضمنه قيام مجلس للشورى وركز على مكمن الخطر بالتفافه إلى المجتمع بتلمسه أماكن الاختلال ودعوته إلى الوحدة .

فقد تضمن الميثاق الوطني المقدس إذابة الفوارق المذهبية ، السلالية ، والاجتماعية، والإقليمية في إطار الوحدة اليمنية ونادى ببناء اليمن اقتصاديا وثقافيا و عسكريا .

وتضمن تحطيم العزلة الرهيبة بدعوته إلى ربط علاقات قومية مع الدول العربية سياسيا وثقافيا واقتصاديا وعسكريا.

ونادى بالانفتاح على العالم بفتح السفارات مع الدول الأجنبية والاستفادة من خبراتها السياسية والعلمية .

تلك المفاهيم كانت تحولا ونموا فكريا غير مسبوق في تاريخ الثورة على النظام الإمامي الهادوي وكان نواة لانطلاقة الثورة الفعلية لما أحدثته من تغيير في فكر الصفوة باستشعارهم وجوب التغيير الثقافي ولكن عملية التغيير الثقافية المجتمعية لم تلقى الأعداد الكافي لها قبل التخلص من الإمام يحيى.

الأمر الذي جعل عملية التغيير محدودة في القوى المؤثرة على فئات المجتمع المختلفة لعدم قدرة هذه الصفوة على نشر الوعي بين صفوف الشعب بكل فئاته .

إن عدم أخذ الصفوة الثورية لقضية تغيير الثقافة المجتمعية بعناية واهتمام ، كانت السبب في إجهاض هذا الجهد الثوري.

وهم بذلك قد غفلوا عن ما هيأه الفكر الهادوي وما أحدثه عبر مئات السنيين من هيمنة للفكر الهادوي وبالذات ما أصله من حق إلهي في الحكم للأئمة وما نتج عنه من هالة وتبجيل (حبهم حبا لله وطاعتهم طاعة لله) وعلى رأسهم الإمام يحيى مستخدمين

الوسائل ذاتها وأهمها التجهيل وحصر التعليم وتنمية العداء التبادلي بين أبناء الشعب والجوع والعزلة.

والأمر الآخر الذي عمل على عدم نجاح تلك الثورة هو عدم توفر القدرة ماديا وبشريا لتعبئة الرأي العام الشعبي المنغلق فكان رجال التغيير غير قادرين على تصحيح الفكر الهادوي في العقلية الاجتماعية اليمنية .

وكان جهدهم في عرض القضية اليمنية عبر وسائل الإعلام غير ذي جدوى لعدم قدرة المتلقي على الوصول إلى هذه الوسائل .

ذلك لأن وصول المذياع أو الصحف إلى عامة الشعب يكاد يكون نادرا .

أما بالنسبة لجهدهم في عرض القضية على المنظمات والدول في الخارج فقد ذهب أدراج الرياح لعدم مساندة تلك الدول أو المنظمات لهذه الثورة وأقصى ما قامت به هو تشكيل لجنة وصلت بعد أن وئدت الثورة في مهدها.

إن عدم اهتمام الثوار بتغيير الثقافة المجتمعية بالإضافة إلى اعتمادهم على عامل تعز **محمد بن محمد باشا** وعامل الحديدة **حسين عبد الله الحلالي** بالقبض أو القضاء على احمد ابن يحيى وهما في مناصب ومراكز مرموقة لا تمنحهم الثورة مكانة أعلى مما هما عليه.

الأمر الذي جعل نجاح الثورة من عدمه لا يشكل فرقا لديهما وعليه فقد استطاع احمد ابن الإمام يحيى الفرار من تعز مخترقا الحديدة للوصول إلى حجة الذي تمكن منها بما توفرت له من إمكانيات أن يؤلب القبائل ويجمعها لمحاصرة صنعاء وبالتالي القضاء على الثورة ..

إن هذا التطور الذي حدث في مسيرة الثورة اليمنية على أئمة وفكر الهادي في عهد حكم الإمام يحيى لم يكن الأقوى من الناحية المادية ، ولاكن الأكثر تأثيرا لثورة الفكر الذي نادى به الأحرار و تلمس مكمن الداء والدواء حيث كان الداء هو ما أصله الفكر الهادوي كثقافة مجتمعية بين أبناء الشعب اليمني في جوانب الاستحقاق الإلهي لهذه السلالة وعدم جواز الحكم لغيرها ، وما أرتبط به من التبجيل وإحاطة الأئمة بهالة ترتكز على أنهم ورثة النبوة والعلم معتمدين في بث ذلك كثقافة مجتمعية على ما تراكم من تجهيل للمجتمع وقد تمثل في سلوك وممارسة الإمام يحيى وبالذات في مسألة قدرة الإمام هذا على إخضاع وعزل الشعب اليمني عن العالم بتجهيله الأمر الذي جعل تخلف الشعب اليمني واعتقاده بالفكر الهادوي عاملا أساسيا في عدم نجاح ثورة ٤٨ لعدم وصول جهد الثوار إلى مرحلة التغيير الفعلي والمؤثر للثقافة المجتمعية الأمر الذي أدى إلى عدم وجود قاعدة شعبية فعاله لمناصرة هذه الثورة وحمايتها .

إن تراكم الجهل جعل هذه الثورة بأهدافها وأفكارها مجهولة لدى الغالبية العظمى من أبناء الشعب.

فوقف ضدها الفكر الهادوي وما بثه من إشاعات احمد بن يحيى حميد الدين ضد الثورة والثوار ،مستغلا الثقافة المنتشرة بين القبائل المرسخة لعدم جواز قتل الإمام أو خلعه وما تنشأ عليه المجتمع القبلي من سلوك تمثل في القتال من اجل المغانم الذي مناهم بها عند القضاء على هذه الثورة بإباحته نهب وسلب مدينة صنعاء.

إن تركيز الثوار على تغيير نظام الحكم الإمامي وعدم إدراكهم لمدى التخلف والجهل الذي وصل إليه أبناء الشعب كان أهم عوامل فشل هذه الثورة .

ويبدو أنهم اعتقدوا أن تنصيب أحد أبناء هذه السلالة كإمام خليفة للإمام يحيى سيكون مقنعا لغالبية الشعب وهنا هم أدركوا مدى تغلغل الفكر الهادوي باستحقاق الإمامة لهذه السلالة، وغفلوا عن بث أهداف الثورة بين الزعامات القبلية ذات الأثر الفعال في الساحة.

الأمر الذي جعل هذه الثورة على الإمام والقبيلة ومن أسباب الفشل أيضا عدم دراسة الجانب التاريخي وبالذات فيما يتعلق بالقوى المؤثرة في صراع الأئمة على الحكم الأمر الذي كان سيجعلهم يركزون على استمالة القبائل ذات القوة البشرية والقوة القتالية التي استطاعت أن توصل الكثير من الأئمة إلى الحكم.

و لكن ثورة ١٩٤٨م كان لها أثرها في تغيير المجتمع اليمني عند قيامها وبعد فشلها فلقد عاش الشعب اليمني بعد ثورة ١٩٤٨م في وجوم وصمت وظن الإمام احمد أنه بمجرد قضائه على ثورة ١٩٤٨م والقضاء على من شاركوا فيها من الأحرار سيقضي على طموح وتطلعات هذا الشعب فسلك في حكمه للشعب سلوك أبيه فكرس جهوده من أجل عزل اليمن عزلاً تاماً عن العالم المتحضر و إبقاء الشعب يئن تحت كابوس من الحرمان والتعسف والجهل المطبق ونسي أن هذا المسلك سيؤدي حتماً إلى زيادة إشعال نيران الثورة في نفوس الجماهير اليمنية المتعطشة للحرية بالتخلص من الأئمة الهادويون الذين أذاقوا الشعب اليمني على أيديهم ألوانا من التعسف والتنكيل، وفعلا لقد كانت هذه التصرفات حافزا قويا وسببا في إيقاظ الثورة المتأججة في القلوب حتى جعلت منها لهيبا ، ليس من السهل إخماده .

وإذا كانت أحداث ١٩٤٨م قد استغلها الإمام احمد في كسب عطف القبائل وتعاطف بعض الممالك العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية بسبب قتل الإمام يحيى ، حيث كان قد شاع أن الإمام عبد الله بن احمد الوزير سيكون خلفاً للإمام يحيى بعد موته.

ومن الملتزمين له بذلك الملك عبد العزيز بن سعود ، فكان ذلك كسباً لاحمد لأن حركة انقلاب بقتل ملك باليمن له أثره على شبه الجزيرة العربية ، والبلاد العربية التي بدأت تشهد الأحداث السياسية والثورية والانقلابية وقد تزامنت عوامل مباشرة وغير مباشرة حفزت الشعب اليمني على الثورة والتغيير فكانت يقظة في تحول الفكر اليمني وخروجه عن إطار السور الحديدي المفروض وتعبيراً عن مطالب الشعب اليمني في بناء مستقبله وخروجه من العزلة الرهيبة ،.ومن أهم العوامل التي ساعدت على التغيير :-

١- سياسة العصر – وصناعته – وثقافته.

٢- أثر هزيمة الجيوش العربية في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م واغتصاب الصهيونية لفلسطين.

٣- - ثورة ١٩٥٢م التي كانت العامل الأهم لليقظة العربية واسقاط الحكم الملكي بمصر وفتح المشرق العربي للعالمين الشرقي والغربي وصراعاته السياسية والعسكرية والثقافية والصناعية والتكنولوجية .

٤ - انقلاب الدكتور مصدق ١٩٥٣م بايران وتألب القوى الإمبريالية على فشله وإعادة الشاه .

٥- إصرار الإمام احمد على سياسة الانغلاق والقمع والإرهاب وعدم تقبل أي جديد.

٦- التجاء الأحرار اليمنيين بمصر ومساعدتهم في نشر الحقائق عن اليمن المنغلق وكشف سياسة الظلم والفقر والجهل والمرض والسجن و الإرهاب والمغالطة وقام بذلك الزعيمين المناضلين القاضي محمد محمود الزبيري و الأستاذ احمد محمد نعمان من صوت العرب بالقاهرة .

فكانت هذه الفترة من اخصب فترات النضال والصمود والتحدي أعطت جيل ما بعد ١٩٤٨م الدافع و الثقة في تغيير الواقع المشين ولأن عصر الإمام احمد يختلف عن عصر أبيه إذ أرغمته التغيرات الهائلة على المستوى العربي والعالمي على الانفتاح فكان أكثر انفتاحا مقارنتاً بأبيه ، ففتحت سفارات لبعض الدول الشرقية والغربية ،ومما يذكر لهُ أيضاً أنهُ طالب بتحرير الجنوب في المؤتمرات الدولية ، إلا أنه كان شديد التعصب لفقر اليمن وجهله وتشريد أبنائه وشديد الكره لكل جديد، ظالماً متخلفاً سفاكاً للدماء نتيجة لتنشأتهُ المتأثرة بفكر أبيه المنبثق من الفكر الهادوي الذي اصل صلاحيات مطلقة للإمام ولطبيعة الإمام احمد نفسه.

إن طبيعة الرجل والأوضاع التي وصلت إليها اليمن كانت من أهم العوامل التي أدت إلى ديمومة الثورة وساعد على ذلك التجدد الفكري القادم عبر المذياع والصحف والمجلات ومرت مسيرة التغيير بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى — حركة ١٩٥٥م.

المرحلة الثانية — انتفاضة (١٩٥٩م) و(١٩٦٠م) و(١٩٦١م).

المرحلة الثالثة — ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢م.

المرحلة الأولى ثورة ١٩٥٥م :—

إن الدافع الرئيسي لتغيير إمامٍ بأخيه هو ما أصله الفكر الهادوي من عدم جواز الإمامة إلا لأبناء هذه السلالة الذي أدى إلى التنافس والصراع بين أبناء السلالة الحاكمة على السلطة وفقاً لمبدأ من قام بها ودعا إليها ذلك الفكر الذي أصبح ثقافة مجتمعية للحاكم والمحكوم هو الذي حول أنات المقهورين الراغبة في التغيير إلى العمل على تغيير إماماً ظالماً بأخيه بالإضافة إلى أن نتيجة [1] ما حصل في ١٩٤٨م والمتمثل في عدم تقبل تغيير الإمام من خارج نطاق الأسرة الحاكمة ولعدم بث موجبات التغيير لدى الصفوة أو عامة الشعب لأن الشرارة الأولى (حادثة الحوبان) جاءت نتيجة للواقع الذي يعيشه الشعب والمتمثل في الفقر والجهل والظلم والعداء والكراهية والتفرقة المغروسة بين أبناءه .

وكان سبب هذه الحادثة أن الإمام احمد انفذ في يوم ٢٥مارس ١٩٥٥م الموافق ٤ شعبان ١٣٧٤هـ أربعة من جنوده إلى قرية من قرى الحوبان من ضواحي تعز تسمى النجدة فاختلفوا مع بعض مواطنيها مما أدى إلى إطلاق النار من جانب عاقل القرية ورجاله على الجنود أسفر عن قتل أحدهم وعندما بلغ نائب الإمام بتعز نبأ هذا الحادث بادر بإرسال لجنة للتحقيق فيها إلا أن الجنود لم يقتنعوا إلا بتأديب المزارعين فاستغل المقدم احمد الثلايا ومن معه تمرد الجنود فحرضوهم على الاستمرار فيه حتى تتاح الفرصة للانقضاض على الإمام أحمد تمهيداً لإقامة الحكم الوطني الثوري ، وقد نجح في هدفه هذا نجاحاً كبيراً إذا استطاع أن يقنع الجنود بأن الإمام صار عاجزاً عن حكم البلاد وتحقيق الأمن والاستقرار في ربوعه وأن تغييره أصبح حتميا وفي صباح يوم ٢٦ مارس وفي تمام الساعة السابعة أعطيت الإشارة لإطلاق النار نحو قصر الإمام وبدأت القوات في تنفيذ الخطة ، وقد تمكن قائد الحركة من جمع علماء وأعيان مدينة تعز وطلب منهم (مبايعة

---

(١) إثراء ثورة اليمن . (مختصر من تاريخ اليمن — عبد الله احمد الثور)

الأمير عبد الله شقيق الإمام احمد ، وقد وافق بعضهم على مبايعته على أن يقوم وفد منهم يعرض الموقف على الإمام أحمد ويطلبون منه التنازل عن العرش وفعلا تم الاجتماع به وكتب في أول الأمر وثيقة تنازل عن مزاولة الأعمال فعرضت هذه الوثيقة على رجال الثورة لكنهم رفضوها وعاد الوفد مره ثانية إليه لإقناعه بالتنازل الكلي وإلا فسيضطر الجيش إلى قصف القصر بالمدافع وقد وافق الإمام على التنازل الصريح وتم طبع هذا التنازل وتوزيعه في أنحاء اليمن وأخذت البيعة للأمير عبد الله بن يحيى ، وكان الإمام احمد لبقاً كتب وثيقة التنازل تهدئة للموقف [1]. وذُكر أن الأحرار عارضوا تنصيب عبد الله لمعرفتهم بميله السياسي لأمريكا.

فتكون وفد برئاسة احمد محمد نعمان إلى سيف الإسلام البدر محمد بن أحمد بالحديدة لاقناعه لمبايعة عمه عبد الله إماماً، وأثناء ذلك عمد الإمام احمد إلى إظهار الاستسلام وفي الوقت نفسه حشد مخلصيه لتوزيع الذهب لمن لهُ ثقل في الجيش ومشايخ القبائل المجاورة لتعز، وما هي إلا سبعة أيام حتى تحول الحصار عن الإمام إلى ضرب التكنات العسكرية الموالية للمقدم أحمد الثلايا ، وخرج الإمام احمد راكباً فرسه وشاهراً سيفه في ساحة ميدان عرضي تعز وألقى القبض على الثلايا والضباط والقضاة الذين طلبوا منه التنازل وأعدمهم بتعز ، وأمر باعتقال أخيه الإمام الجديد عبد الله ، وأرسل لأخيه العباس الذي أعلن نفوذه بصنعاء مؤيداً لأخيه عبد الله إلى جانب أخيه الحسن سفير اليمن بالأمم المتحدة المرشح نفسه للإمامة بعد أخيه احمد المعارض لأبنه البدر في ولاية العهد الذي أعلن تأييده لأخيه عبد الله وعليه أرسل أخويه عبد الله والعباس إلى حجة وأعدمهما ، وأستقر له الأمر وهنا عملت الأقدار على أن تنهي الأسرة بعضها البعض.

وقد كُتب لهذه الحركة أن تفشل مؤقتاً كسابقتها ولكنها خطوة في مسيرة الثورة وقد استشهد على أيدي الجلاد كل من شارك في الأعداد لهذه الثورة وفي طليعتهم الشهيد المقدم احمد يحيى الثلايا زعيم هذه الثورة ومن ضمن من اعدموا في هذه الثورة القاضي يحيى السياغي حاكم تعز انذاك وأخيه حمود والمقدم عبد الرحمن باكر والملازم محسن الصعر وعلي محمد السمه والشريف محمد القحوم وحسين الجناتي ومحمد بن حسين عبد القادر وقايد معصار والشيخ علي المطري والقاضي عبد الله الشامي والشيخ عبد الرحمن الغولي وغيرهم من الحرار كما أن أعظم إيجابياتها قيام الإمام احمد بإعدام أخويه عبد الله والعباس.

(١) — مجلة الاكليل العددان الثاني والثالث — مقالة لعبد الرحمن عبد الله الحضرمي

إلا أن محاولة أحرار هذه الحركة استغلال حادثة الحوبان كانت خطوة في الطريق الصحيح وعملت على توهج الدوافع لمن سيأتي من الثوار .

أسباب فشل أحداث ١٩٥٥م[1]:-

أن من ابرز صفات الأئمة المكر والخديعة والاحتيال والمراوغة وتتجلى هذه الصفات في شخصية الأمام احمد الذي ما كاد يجف حبر ورقة تنازله حتى بعث برسائل إلى مناصريه لسرعة تواجدهم في تعز لفك الحصار عنه ومن أهم أسباب فشل هذه الحركة مايلي :-

١- سوء التخطيط .

٢- عدم القضاء على الإمام وتنصيب أخيه

٣- انصراف رجال الحركة بوضع برنامج للإصلاح وتنظيم جهاز الحكومة والاطمئنان على أن الإمام احمد قد أشرف على الهلاك وأنه لا يستطيع أن يزاول أعمال الدولة ولكن الإمام احمد بدأ يعمل من اجل إعادة عرشه فقد قام الإمام بتوزيع الأموال سراً على رجال المدفعية والقبائل المحيطة بتعز واستطاع إدخال عدة رجال إلى قصره وزودهم جميعاً بالمال والسلاح وحدد لهم مواعيد الضرب على الثوار وهو ليلة الخميس ٢٧ مارس ١٩٥٥م عند إشعال النيران على شرفات قصره في تمام الساعة السابعة من أمسية هذا اليوم بدأ القصف على ثكنات الجيش واستمر حوالي ٣٦ ساعة

٤- معارضة بعض الزعماء الوطنيين لهذه الثورة إذ وقفوا منها موقفاً سلبياً ظنا منهم أن وجود البدر خيرا من عمه عبد الله إذا ما أريد فيما بعد القضاء على هذه الأسرة .

٥-عدم تجاوب القوى الشعبية مع الثورة نظراً لقلة الوعي وعدم القيام بتهيأة العامة لهذه الثورة .

هذه هي حركة ١٩٥٥م وأهم الأحداث التي تلتها تمثلت في :-

- عقد حلف ثلاثي بجده سنة ١٩٥٥ بين اليمن والسعودية ومصر.

- الانفتاح السياسي نحو الشرق حيث قام البدر محمد بزيارة إلى تشيكوسلفوفاكيا وروسيا لشراء صفقة من الاسلحة وعقد اتفاقية إصلاح ميناء الحديدة وطريق الحديدة تعز.

واتجه إلى الصين الشعبية لعقد اتفاقية أصلاح طريق الحديدة - صنعاء ، ومصنع الغزل والنسيج بصنعاء إلى جانب طريق تعز صنعاء ترابياً بطلب من النقطة الرابعة الأمريكية .

---

(١)- مختصر من تاريخ اليمن — عبد الله احمد الثور

– أخذ البيعة للبدر محمد بن احمد إماما بعد أبيه بعد إفراغ القوى المعارضة له .

– الوقوف مع المركب العربي في سياسة التحرر وتأييد مصر في معركة ١٩٥٦ ضد العدوان الثلاثي

– الانضمام في اتحاد الدول العربية سنة ١٩٥٨م مع الجمهورية العربية المتحدة (مع مصر وسوريا) ومعارضة اتحاد الجنوب العربي الذي وضعته بريطانيا بضم إمارات الجنوب اليمني

– رفض مشروع ايزونهاور الهادف إلى سد الفراغ بالشرق الأوسط.

المرحلة الثانية :-

وامتدادا لسلسلة النضال الطويل ضد الاستبداد والتخلف والقهر وحكم الفرد قامت في اليمن عدة انتفاضات قبلية وعسكرية بعد حركة ١٩٥٥م مستهدفة الإطاحة بالحكم الإمامي[1] وتقويض أركانه المتداعية ومن ضمن هذه الانتفاضات :-

انتفاضة خولان عام ١٩٥٩م بتمرد علني فصدها الإمام احمد بضربها بالطائرات الروسية.

وتلاها انتفاضة حاشد انتفاضة ١٩٦٠م / ١٣٨٠هـ بزعامة الشيخ حسين بن ناصر الأحمر وولده حميد ١٩٦٠م الذين قاموا بمحاولة الإطاحة بحكم البدر محمد بن احمد أثر مغادرة الإمام أحمد للتداوي بروما حيث دخل صنعاء عدة آلاف من حاشد .

ولكن البدر استطاع تهدئتها بإعلانه فساد حكم أبيه وإصلاح الوضع وأصدر قراراً بتكوين مجلس نيابي برئاسة احمد السياغي وعليه فسرت حركة الأحمر على أنها إقامة جمهورية .

ثم تلاها حركة الجيش – برئاسة شرف المروني في كل من صنعاء وتعزسنة ١٩٦١م.

وعلى أثر هذه الأحداث وصل الإمام احمد من روما والقى خطابا بالحديدة تحدى فيه الشعب بقوله :(هذا الفرس وهذا الميدان ، ومن كذب جرب) " إن أثار الأبهة والعظمة التي يرونها العامة على المستبد وأعوانه تبهر أبصارهم ومجرد سماع ألفاظ التفخيم في وصفه

(١) – المرجع السابق .

وحكايات قوته وصولته بزيغ أفكارهم ، فيرون ويفكرون أن الدواء في الداء فينصاعون بين يدي الاستبداد"[1]

واهم القاضي احمد السياغي أنه زعيم الجمهورية القحطانية مما دعاه إلى الالتجاء ببيحان.

وقامت حرب بينه وبين قبائل حاشد وهزمت حاشد بالخديعة وبتأليب القبائل الأخرى عليها، وأعدم الشيخ حسين الأحمر وابنه حميد ومن انضم إليهم من المشايخ، وكذلك أعدم وسجن قادة الجيش واستقر بالسخنه مديرية بمحافظة الحديدة

فكانت هذه المرحلة من أصعب المراحل لكنها أعطت الثقة للشعب في استمرار النضال بوعي وإدراك وبطولة شملت ثلاث مراحل.

[2] المرحلة الأولى – محاولات أستأصال الإمام :-

بدأت من التنظيم السري للجيش ومجموعة من المفكرين الذين كانت لقاءاتهم من خلال الحركة الثقافية التي انتشرت في اليمن عن طريق الصحف والمجلات والمذياع ومناقشة الأحداث في مقيل القات رغم الجور الرهيب ، ولكن المرحلة كانت فوق مستوى الإرهاب والخوف ، فالشعب كل الشعب يرقب الفجر.

وفي خلال نشوة احمد بإقصاء براكين الثورة بما كان يسميهم المخذولين أعداء الإسلام، كان الشعب يتأجج حقداً وكراهية ويخطط بأي أسلوب لإنهاء حكم الإمام ، في هذه الفترة تقدم سعيد فارع أحد أعضاء التنظيم السري المدني عن طريق شخصيات مدنية سهلت مهمته بالسخنة لوضع ألغام للقضاء على الإمام ، غير أن الأمر أكتشف فأسر وعذب ثم قتل خلال محاولة فراره من سجن حجة.

كل ذلك وهج الإيمان لدى أبطال من صفوة هذه الأمة بأنه لا خلاص للأمة إلا بالقضاء على الإمام فتأججت الدوافع وتم ذلك بقيادة الملازم عبدالله العلفي الذي كان ضابط المستشفى آنذاك والملازم عبد الله اللقيه والملازم محسن الهندوانه [3].

في أمسية الثلاثاء ١٠ شوال سنة ١٣٨٠هـ الموافق ٦ مارس ١٩٦٠م قام الملازم محمد عبد الله العلفي والملازم عبد الله اللقية والملازم محسن الهندوانه بمحاولة اغتيال الإمام احمد

---

(١)– طبائع الاستبداد – عبد الرحمن الكواكبي .

(٢)– مجلة الاكليل العددان الثاني والثالث – مقالة لعبد الرحمن عبد الله الحضرمي

(٣) – مختصر من تاريخ اليمن – عبد الله احمد الثور .

حميد الدين عند زيارته للمستشفى وقد كانت أول خطوة عملها الثلاثة الثوار هي منع حرس الإمام الأشداء من دخولهم المستشفى بحجة عدم أزعاج المرضى وفعلا نفذت هذه الخطوة فلم يرافق الإمام إلا عددا قليل فتمكن الشهيد العلفي من الدخول بصحبة الإمام وبينما كان الإمام يطوف في بعض أقسام المستشفى اطفأ أحد الثوار الأنوار وأطلقوا جميعهم نيران مسدساتهم على الإمام في الظلام وقد عمد الإمام في هذه الأثناء إلى حيلة خبيثة فما أن سمع إطلاق الرصاص حتى استلقى على ظهره متظاهراً بالموت فاقتنع الثوار بهذا وانطلت عليهم هذه الحيلة وغادروا المستشفى ليعلنوا قيام ثورة شعبية ولكن الحرس تعقبوهم والقوا القبض على اللقيه والهندوانه وأطلق الملازم محمد عبد الله العلفي الرصاص على نفسه بعد معركة كان الحراس يريدون إلقاء القبض عليه أما اللقيه والهندوانه فقد أعدما بعد أن ضربا أروع الأمثلة في التضحية والأباء الوطني حيث تعرضا لأبشع وسائل التعذيب ، وسواء كان ذلك صنيع هؤلاء الثلاثة الشهداء أو كانت هناك رؤوس مفكرة خططت لها إلا أن مهمة التنفيذ انطويت بهؤلاء الثلاثة تجنبا للمذابح الدموية التي تعقب كل انتفاضة أو ثورة ولأن الثوار لم يتمكنوا من قتل الإمام احمد فقد فشلت هذه الثورة وبقيت أسرارها غامضة حتى قيام الثورة الكبرى .

ولو وجدت نفوس أبية كهؤلاء الشهداء لما تعاقب الطغاة المستبدين.

المرحلة الثانية — المظاهرة الطلابية والعمالية بصنعاء وتعز :-

كان ١٨ أغسطس سنة ١٩٦٢م انفجارا طلابيا هائلا فيه خرج طلاب مدارس صنعاء في موكب مهيب في مظاهرة صاخبة وحماس منقطع النظير ، وهتفوا بسقوط الحكم الإمامي الرهيب "والتفت حولهم الجماهير الشعبية رجالاً وأطفالا ونساء مخترقين شوارع صنعاء فحاول البدر محمد بكل الوسائل إخمادها فلم يستطع إلى ما بعد الظهروعند عودة الطلاب إلى المدارس أمر الإمام أحمد قمع هذه المظاهرة بالقوة واعتقال زعماء الطلاب .

وفي ٢٢ أغسطس ١٩٦٢م اندلعت مظاهرة طلاب تعز وكانت مماثلة لطلاب صنعاء بل كانت اشد تحدياً لأنها خرجت من تعز إلى مقر الإمام احمد العرضي ومن ورائهم المواطنين مرددين أناشيد ثورية أهتز لهذا الحدث الإمام أحمد[١] .

---

(١)— مراجع الأحداث من :-
- مجلة الاكليل العددان الثاني والثالث - مقالة لعبد الرحمن عبد الله الحضرمي
- مختصر من تاريخ اليمن — عبد الله احمد الثور

ثم عادوا إلى المدرسة واعتصموا بها ثلاثة أيام فقطع عنهم الماء والطعام وأحيطت المدرسة بالحراسة ، غير أن القاضي عبد الرحمن الأرياني تولى تهدئة الموقف واستطاع فك الحصار وتزويد الطلاب بالطعام والماء ، وأُعتقل منهم الكثير .

فكانت هذه المرحلة مؤشراً للثورة عبرت عن مدى معاناة الشعب و أصراره على التغيير وفيها ظهر أن الوعي الشعبي قد بلغ منتهاه وجيل الثورة يعد نفسه لثورة عارمة.

المبحث الرابع

شروق شمس الحرية (ثورة ٢٦ سبتمبر[١])

وظل الإمام احمد يتجرع غصص المرارة من جروح العلفي واللقية ، فبقي طريح الفراش متأثراً بجراحه مدة عام ونصف في الوقت الذي كان الشعب يغلي ويتأهب للانقضاض على هذا الحكم ليخرج من عزلته عن الإنسانية تلك العزلة التي فرضتها عليه الإمامة لأكثر من ألف عام .

وفي يوم ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٨٢هـ / ٩ سبتمبر ١٩٦٢م مات الإمام أحمد متأثراً بجراحه وبوفاته أعلن الأمير البدر نفسه إماماً وأخذ يوجه بياناته إلى داخل البلاد وخارجها موضحاً أهدافه وخططه وقد نصت هذه المراسيم أنه سينهج في حكم البلاد على منوال والده ذلك النهج الجائر الذي كبل الشعب وأذاقه أنواع العذاب وفرض عليه التخلف والانزواء فقوبل هذا الإعلان بالانتفاضة من قبل الجيش والشعب وكان هذا الإعلان حافزاً لثوار ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م — للتعجيل بتنفيذ مخطط الثورة فاجتمع أعضاء الثورة لرسم الخطة وتحديد الموعد الأخير لتفجيرها وحددت الساعة الثانية عشر من أمسية الأربعاء ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٦٢م ربيع الآخر ١٣٨٢هـ وكانت الثورة وهي ثمرة ثورة اليمنيين لأكثر من ألف عام وهي ثورة على حاكم مستبد وحكم متخلف وهي ثورة لتصويب انحراف مذهبي ولأخراج أمة من العزلة إلى مسيرة الحضارة الإنسانية

حيث تحركت مجموعة من طلائع الثوار نحو قصر (البشائر)الذي كان يسكنه الإمام البدر وقامت بنسفه بمجموعة من الدبابات والسيارات المصفحة كما توجهت مجموعة

(١)- مختصر من تاريخ اليمن — عبد الله احمد الثور

أخرى لاحتلال المراكز الهامة كالإذاعة وقصر السلاح وتم القبض على بعض أفراد الأسرة وأعوانهم من الرجال الذين تسببوا في فشل الثورات السابقة وكانوا ركائز للأئمة(1) .

أما البدر فقد تمكن من الفرار خلسة في ظروف غامضة بمساعدة بعض أعوانه حيث واصل فراره إلى السعودية وفي صباح يوم الخميس "٢٦" سبتمبر ١٩٦٢م أعلن نبأ قيام الثورة وإنهاء الحكم الإمامي وقيام الجمهورية العربية اليمنية وتشكيل مجلس إعلاء وما أن سمع الشعب قيام الثورة والجمهورية حتى هب لمساعدة ثورته وجمهوريته والتف حولها ،وبمولد هذه الثورة بدأ مولد عصر جديد للشعب اليمني حيث فتحت أبواب اليمن أمام العالم وكسرت قيود العزلة والتخلف و أعادت لليمنيين حقهم المسلوب في حكم بلادهم ومكانتهم المرموقة بين شعوب هذه الأرض و دوى صدى هذه الثورة وانتشر صيتها في جميع أرجاء العالم فبدأت تستقبل أبناءها الذين كانوا مشردين في أنحاء العالم سعياً وراء لقمة العيش وعلى الأهداف المرسومة لهذه الثورة فقد أعلن الثوار عدداً من البيانات إلى الشعب اليمني حددوا فيها أهداف ومبادئ الثورة والجمهورية التي تتلخص فيما يأتي:-

١- القضاء على الملكية وأعوانها ، والتحرر من الاستعمار والاستعباد ومخلفاتهما وإقامة حكم جمهوري عادل وإزالة الفوارق ، والامتيازات بين الطبقات .

٢- بناء جيش وطني لحماية البلاد وحراسة الثورة ومكاسبها.

٣- رفع مستوى الشعب اقتصاديا ، واجتماعيا وسياسيا ، وثقافيا .

٤- إنشاء مجتمع ديموقراطي تعاوني عادل مستمداً أنظمته وقوانينه من روح الدين الإسلامي الحنيف .

٥- العمل على تحقيق الوحدة الوطنية في نطاق الوحدة العربية الشاملة.

٦- احترام مواثيق الأمم المتحدة والمنظمات الدولية ، والجامعة العربية ، والعمل على إقرار السلام العالمي والتمسك بمبدأ الحياد الإيجابي وعدم الانحياز ودعم مبدأ التعايش السلمي بين الأمم.(2)

وتمحورت إرادة الثوار في العمل على إحداث تغيير جذري وشامل للجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية منطلقين من الثوابت والمبادئ الآتية :-

١- القضاء على الحكم الفردي المطلق والنفوذ الأجنبي في اليمن .

---

(١) – مختصر من تاريخ اليمن – عبد الله احمد الثور

(٢) – مختصر من تاريخ اليمن – عبد الله احمد الثور

٢- إقامة حكم ديموقراطي إسلامي أساسه العدالة الاجتماعية في دولة جمهورية تمثل إرادة الشعب وتحقق مطالبه .

٣- تنظيم جماهير الشعب في هيئة شعبية موحدة تشارك في عملية البناء الثوري وتمكنها من مراقبة أجهزة الثورة .

٤- إعادة تنظيم الجيش بحيث يصبح قوة رادعة تحمي الشعب والثورة .

٥- إحداث ثورة ثقافية وتعليمية والقضاء على مخلفات الحكم البائد

٦- تحقيق العدالة الاجتماعية.

٧- تشجيع أمال المواطنين في الوحدة والتحرر .

٨- تشجيع عودة المهاجرين للإسهام في بناء الوطن .

٩- الإيمان بالقومية العربية والوحدة العربية الشاملة .

١٠- التضامن الكامل مع جميع الدول العربية وفي مقدمتها الدول المتحررة .

١١- التزام سياسة عدم الانحياز.

١٢-مقاومة الاستعمار والتدخل الأجنبي .

١٣- إقامة علاقات ودية مع الدول التي تحترم إرادة واستقلال الشعوب .

حرب الجمهوريون مع أدعياء الإمامة الهادويون.

إلا أن هذه الحرب هي الفصل ما قبل الأخير من نكبة هذه الأمة بالفكر الهادوي الذي أصل التميز السلالي في استحقاق الإمامة واصل للصراع بين أدعياء الإمامة على الحكم بمبدأ من قام بها ودعا إليها من تلك السلالة وأصل للحكم الفردي المطلق وطبق الأئمة الهادويين هذا الفكر بوسائل وأساليب أهمها تجهيل الشعب بإحتكار التعليم على هذه السلالة وفقهائهم وقصر التعليم على هذا الفكر وبث ونشر هذا الفكر كثقافة مجتمعية بواسطة الهجر التي أعدت فقهاء وقضاة الأئمة وعملوا على تمزيق الشعب وزرع العداوات بين أبناءه بدفع قبيلة لإخضاع الأخرى وبدفع قبيلة أو مجموعة من القبائل لإخضاع المناطق الوسطى والغربية وكذلك زرعوا الفتنة بصراع أبناء هذه السلالة على الحكم (صراع الإمام مع الخارج عليه) فيلتجئ الخارج إلى قبيلة ويدفع الإمام قبيلة أخرى فزرعوا العداء بين أبناء الشعب حتى تمرست تلك القبائل على الغزو والقتال امتهنته كأسلوب لكسب أقواتها و دفعوا القبائل للقتال فسفكت دماء اليمنيون بديمومة منذ دخول الهادي

٢٨٤هـ إلى قيام الثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م ،ولكنه بسبب التركيبة الاجتماعية والثقافة المعتمدة على المذهبية والتي لم يتمكن الثوار من خلخلتها أو اجتثاثها فقد سهلت على الهادويون استقطاب بعض من قبائل شمال الشمال فعملوا على إشعال الفتنة والحرب وساعدهم على ذلك الأموال التي تدفقت عليهم من النظم الملكية المجاورة التي خافت من انتشار الثورة وتأثيرها على شعوبهم .

ونود أن نشير إلى ما ذكرناه سابقاً من أن عدم تركيز الثورات التي قامت على الأئمة الهادويين على عملية التصويب الديني لتنشئة المجتمع على فكر وثقافة إسلامية قائم على العدل والمساواة كان السبب في بقاء آمال الأئمة في العودة إلى الحكم رغم قيام دول قضت على حكم الأئمة واستمرت بعضها لمئات السنين (الرسوليين ، الطاهريين) .

إن هذا الخطأ قد تداركه ثوار ٢٦ سبتمبر فعملوا على نشر ثقافة مجتمعية مضادة للفكر الهادوي وأئمته ولكنهم ركزوا على الشعارات والمبادئ الثورية ولم يتنبهوا لأهمية عملية التصويب الديني لتنشئة المجتمع على فكر وثقافة إسلامية قائم على العدل والمساواة.

تلك هي أهم الأسباب التي ساعدهم على استقطاب أعواناً للفتنة والحرب ضد هذه الثورة فكانت الحرب فسفكت الدماء واستبسل الشهداء و منّ الله على هذه الأمة بالنصر بعد حرب دامت قرابة سبع سنوات إلا إن عدم التركيز على عملية التّنشئة الدينية القائمة على التصويب لانحرافات الفكر الهادوي بين قبائل شمال الشمال ظل كبيئة حاضنة لأحلام الهادويون ويؤكد ذلك أحداث صعدة٢٠٠٤هـ ولذلك قلنا أن هذه الحرب هي الفصل ما قبل الأخير .

[1] ما أن وصل البدر المخلوع إلى السعودية حتى تلقته بالأحضان وأعلنت مساعدتها ومساندتها له كما أصرت على عدم الاعتراف بالثورة اليمنية الشعبية ، معلنة بذلك عدائها السافر على الشعب اليمني وكان ذلك لتخوفها من انتشار الفكر الثوري على الأنظمة الملكية الاستبدادية وهي منها .

كما أن دعم الجمهورية العربية المتحدة لثورة اليمن [2]، كان دافع أخر للسعودية لدعم أدعياء الإمامة ، وكانت الساحة العربية والإسلامية تنقسم إلى قسمين ملكية أو

(١)- مختصر من تاريخ اليمن — عبد الله احمد الثور

(٢) – دعم الجمهورية العربية المتحدة للثورة اليمنية :-

وقد طلبت اليمن من الجمهورية المتحدة مساندة الثورة حتى تستطيع الوقوف على قدميها في صد العدوان وبناء اليمن الجديد عسكرياً واقتصاديا وتربويا وسياسيا ، وقد لبت الجمهورية العربية المتحدة هذا - النداء الأخوي ومدت يد المساعدة عسكرياً ومادياً وفنياً إيماناً من كلا الجانبين أن النضال العربي لا يتجزأ وأن كسر الاستعمار في هذه المعركة تمهيداً لتطهير الأراضي العربية المحتلة من رجس

رجعية وتساندها الولايات المتحدة الأمريكية ودول تمثل الديموقراطيات الوطنية "الثورية" وأقطار تقاوم الاستعمار يقف ورائها الاتحاد السوفييتي في ظل الظروف الإقليمية والعالمية وكانت الحرب بين الجمهوريين والملكيين منذ قيام الثورة حتى ١٩٦٧م حينها انسحبت القوات المصرية بعد هزيمة إسرائيل للقوات العربية ومنها المصرية .

واستمرت الحرب وتوسع نفوذ الإماميين حتى حوصرت صنعاء ولكن إرادة المدافعين عن الثورة ووعي أبناء الشعب بظلم وجور الأئمة الهادويين ومنهم المقاتلين مع الأئمة قد مكن الثورة من الانتصار وقضى على أحلامهم في العودة وكانت بداية حقيقية لانطلاقة هذه الأمة .

ففرت أسرة آل حميد الدين إلى خارج الوطن وعاد أنصار الإمامة بناءً على اتفاقية حرض فاندمجوا في الدولة والمجتمع فمنهم بقيم التغيير والثورة ومنهم من أخفى نواياه وعمل على تهبيط الهمم .

الاستعمار وقد ظهرت ثمرة هذا النضال المشترك في تحرير جنوبنا الحبيب إذ استطاعت ثورة ٢٦ سبتمبر أن تمد ثوار - الجنوب بالمال والسلاح وجعلت الأراضي الشمالية منطلقا للعمل الثوري ضد الاستعمار البريطاني في الجنوب واستمرت تواصل عملها لهذا النضال حتى تحقق الاستقلال والحرية .

الخاتمة

نعيد هنا ما ذكرناه سابقا لوجوب التكرار وأهميته أن السبب في استمرار ظهور أدعياء الإمامة يرجع إلى:-

- ما أصل ، مذهبيا وأنتشر بين العامة كثقافة تمثلت في عدم جواز قيام حاكم على هذه البلاد إلا من كان من تلك السلالة.

- انتشار ثقافة تبجيل أبناء هذه السلالة ، وأن حبهم وموالاتهم هو من الدين.

- سيطرة سلالة الأئمة وفقهائهم على منابر بث هذا المذهب عن طريق (الهجر)نتيجة لما وصلت إليه حالة تلك القبائل واليمن عموما من الجهل.

- العداء التراكمي الذي عمل الأئمة على ترسيخه بين القبائل والذي أدى إلى عدم رضوخ أي قبيلة لزعامة من القبيلة الأخرى.

وذلك لاستخدام الأئمة لقبيلة أو مجموعه من القبائل لإخضاع القبائل والمناطق الأخرى فأدى إلى امتهان تلك القبائل للقتال كوسيلة لكسب أرزاقها وخاصة فترات الجدب وعدم سقوط الأمطار.

- إن تغليف أهدافهم ووسائلهم بالدين قد سهل على أدعياء الإمامة بث الإشاعات الباعثة للدوافع الدينية لدى القبائل للقتال معهم بواسطة (الهجر) التي استوطنها المنتفعين بالتميز السلالي وفقهائهم والمنتشرة بين تلك القبائل وفي مختلف المناطق والتي تعمل على تدريس الفكر الهادوي فقط، وساعد على ديمومة قدرتهم على إشعال الفتن لأكثر من ألف عام – عدم قيام الثورات والدول اليمنية بتغيير الثقافة التي بثها الهادويون وأنصارهم وهذا الخطأ في عدم الاهتمام بالجانب الفكري والثقافي للمجتمع قد غفل عنه العثمانيين والدول والثورات اليمنية المناهضة للأئمة الهادويون، ونفس الخطأ أرتكبته الدولة في أيامنا هذه.

- ولابد أن الحالة التي وصلت إليها اليمن من عدم الاستقرار والجهل الذي طال أمده قد جعل تغيير الثقافة المجتمعية لليمن يتطلب إدراكا لأهميته بتوفير الإمكانيات اللازمة لتغييره .

أما عدم الإدراك لأهميته فنابع من الجهل الذي وصلت إليه الأمة ومنهم قادة التغيير من ناحية ومن أخرى لانشغال المناهضين لحكم الأئمة ببسط نفوذهم بالقوة المادية على ربوع اليمن فانتهت الإمامة كنظام وظلت كثقافة لعدم قيام الدول والثورات بالقضاء على الفكر

الهادوي وبالذات في مسألة الإمامة و استحقاقها وما يترتب عليه من آثار كالتمايز الطبقي داخل المجتمع والانتماءات الضيقة (القبلية المناطقية) التي حاولت الثورة القضاء عليها بالقوة أو بالتعليم و لم يقدروا خطورة ذلك الفكر واستمرارية تغلغله كثقافة مجتمعية عن طريق الذين أمتهنوا هذا الفكر لأنهم أرتبطوا به لما يحققه من مكانة ومصالح لهم فالمكانة كانت لأنهم صنعوا من أنفسهم رجال دين أمتهنوا الفتوى والتعليم واستحوذوا على القضاء والوظائف العامة وساعدهم في ذلك استمرارية بثهم للفكر الهادوي المنتشر أصلاً كتدين شعبي أثمر التمايز الاجتماعي المتخلف الذي وضعهم على قمته مع النظر إليهم بهالة وتبجيل ومع اهتمام وتركيز قادة التغيير على اجتثاث نظام الحكم الإمامي غفلوا عن التغيير المجتمعي لا سيما مع انشغالهم بالحروب التي اشعلها ابناء الأئمة بمناسدة القوى الرجعية ضد الثورة .

تلك الأوضاع والجهل الذي ساد أضطر قادة التغيير للاعتماد عليهم في مختلف الوظائف العامة ،وأهمها التعليم والإرشاد والقضاء حتى أنهم استطاعوا ياخذوا نصيب الأسد من المنح التعليمية في الخارج لأبنائهم أبتداء من أول عام بعد الثورة ذلك حافظ على وضعهم كصفوة إدارية وسياسية استولت على الوظائف العامة لكن بثياب غربية.

وزاد تأثيرهم بعد صلح حرض الذي كفل عودة القوى الإمامية الذين فروا مع من تبقى من بيت حميد الدين ووقفوا ضد الثورة والجمهورية إلا أن قوة الخطاب السياسي والثوري للجمهورية الذي استشهد بحجم التخلف والاستبداد الرهيب للحكم الإمامي جعل الهادويون يقفون ضد التغيير المجتمعي من وراء كل ذلك نتج عن عدم اهتمام قادة التغيير بأهمية تصويب الثقافة المجتمعية الهادوية وهنا هم تناسوا ان ثوره السادس والعشرين من سبتمبر قامت لتغيير بمجتمع أكثر من قيامها لتغيير نظام. إن هذا الخطأ قد وقع فيه كل من حمل على عاتقه مسؤولية التغيير والنهوض بهذه الأمة .

إن المتتبع لتاريخ الثورات على الفكر الهادوي وأئمته فكرياً وسياسياً يصل إلى نتيجه حتمية مفادها أن التغيير يجب أن يكون فكرياً وسياسياً ، فالثورة الفكرية التي حمل رايتها الهمداني ونشوان الحميري والجلال والمقبلي وابن الأمير والشوكاني لم يتحقق لها النجاح لأنه لم يتوفر لها التغيير السياسي .

كذلك فإن من قاموا بالقضاء على نظام الحكم الإمامي سياسياً وعسكرياً نجحوا لفترات تجاوزت عشرات السنين إلا أن أدعياء الإمامة عادوا لإشعال الفتن عند كل عارض أو وهن يصيب تلك النظم التغييرية وما يؤكد ذلك ما ذكرناه عن ثورة علي بن

مهدي الرعيني والصليحيون والرسوليون .... وغيرهم، لأنهم قضوا على الإمامة كنظام وظلت الإمامة كثقافة.

وإذا كانت هذه الثورة هي الأعظم في حياة اليمنيين للتوافق الزمني بين قيامها وما وصلت إليه حالة الظلم والجهل والفقر والمرض إلى درجه بلغت منتهاها وأبعدت هذه الأمة عن الزمن وعن التطور الإنساني.

ومما ساعد على صمود هذه الثورة هو التأثيرالفعال للتغيرات المتسارعة في العالم والثورات على النظم الاستبدادية والاستعمارية ، فكان طبيعيا أن تتأثر اليمن بالانتشار الهائل للمبادئ الثورية والديموقراطيات الوطنية بل نميل إلى أنها تأخرت بضع عقود لأن دوافع ومبررات قيامها كانت قد اكتملت منذ ثلاثين هذا القرن.

إلا أنها تعتبر عملاقة قياسا بما كان عليه المجتمع قبل قيامها وبالذات إنجازاتها التعليمية في تأهيل الفرد بالعلوم والمعارف اللازمة لتسيير الأمور الحياتية وكذا محو الأمية.

إلا إن إنجازاتها المادية متواضعة مقارنة بآمالنا وبما يجب أن يكون.

لأنها عالجت النتيجة ولم تعمل على أزالة السبب (أثار الفكر الهادوي في التنشئة)ولا يتم أزالة السبب إلا نشر الفكر والثقافة الإسلامية المصوبة لأثر الفكر الهادوي بين أبناء هذا المجتمع وذلك بنشر الفكر الإسلامي النابع من ثوابت القرآن وصحيح السنة والقادر على أزالت الترعة العدائية فيما بين القبائل ودمجهم في إطار الأخوة الإسلامية والولاء للأمة والوطن بالتنشئة على أهمية قيمة العلم والعمل الذي يقوم عليهما التميز بين الناس كل ذلك لن يتأتى إلا بالقضاء على أثار الفكر الهادوي كثقافة مجتمعيه أبرزها التميز السلالي والترعة القبلية والمناطقية وغيرها مما أدى إلى عدم وصول الثورة إلى غايتها المنشودة وهو التغيير الجذري للمجتمع المؤدي إلى تحقيق العدل والمساواة التي ستثمر التفاضل بين أبناء المجتمع على أساس العلم والعمل ، ومما سبق تتلخص أهم المعيقات التي وقفت أمام الثورة وأهدرت إرادة روادها وإمكانيتها في الآتي :

– عدم الاهتمام بتصحيح التنشئة الدينية بين أفراد المجتمع اليمني واختصار محاولات التغيير الثقافية على بث القيم الثورية وذكر مساوي نظام الحكم الإمامي وهم بذلك قد وقعوا في خطا عدم التفريق بين السبب والنتيجة ، فالفكرالهادوي هو السبب والنتيجة هي الحكم الإمامي.

فحاربوا وأزالوا النتيجة وتركوا السبب وهذا محض خطأ إن السبب الذي أشرنا إليه قد أفرز عدة نتائج منها نظام الحكم الإمامي وبقيت كثيرا من النتائج تعمل على إيقاف مسيرة التغيير وكعامل لإعادة الحكم الإمامي.

- عدم قدرة الدولة على بث نفوذها على المناطق النائية ، الأمر الذي جعل تلك المناطق تحيي احلام أدعياء الإمامة .

- عدم قدرة على توحيد التنشئة الدينية لأفراد هذه الأمة لعدم قدرة ما يدرس في المناهج الدراسية من علوم دينيه على التأثير أو القضاء على انحرافات الفكر الهادوي إما لاقتصار ما يدرس من العلوم الدينية على أمور المعاملات والعبادات والتوحيد وهذه الفروع لا تظهرولا تصوب انحرافات الفكر الهادوي ، وقد يرجع ذلك أما لعدم قدرة معدي المناهج الدراسية على فهم خطورة الفكر الهادوي أو لعدم دارستهم للأثر المجتمعي لهذا الفكر أو لإعداد هذه المناهج من قبل من يؤمنون بهذا الفكر .

- عدم كتابة وتدريس التاريخ الحقيقي للأئمة الهادويون.

- تعدد الفكر المذهبي في التعليم الديني بالمساجد الذي أدى بدوره إلى نشر الفكر الهادوي بتدريسه لمجموعات وخاصة في المناطق التي يكثر فيها أنصار الفكر الهادوي.

- وساعد على انتشاره في الفترة الأخيرة فيما بعد الوحدة اليمنية حرية الرأي و التعددية السياسية وخاصة عند السماح بقيام أحزاب ذات صبغه مذهبيه.

ذلك أدي إلى نشر وتدريس الفكر الهادوي سواء بدعمه في المساجد وحلقاتها أو بإنشاء مراكز لتعليمه أو بتسفير الطلبة للدراسة في الدول الشيعية.

- وإذا كانت المعاهد الدينية التي أشرفت عليها بعض الأحزاب قد أثمرت فكراً تصويبي للفكر الهادوي وتنشئة لأفراد المجتمع أثمرت إعادة الثقة في أنفسهم لتلقيهم العلوم الدينية التي كانت مقصورة على سلالات محدده وعمل نوعاً ما على القضاء على الدونية لدى أفراد المجتمع في مسألة تميز سلالات بذاتها في حمل راية العلوم الدينية وهذا كان له أثر في تنمية الوعي الديني لدى المواطن والأثر الإيجابي تمثل في إيجاد فكر وقف ضد الفكر الهادوي.

إلا أن ذلك لم يؤدي مبتغاه حين اعتمدت تلك الفئة في نشر مبادئها على الطريقة السلفية المبالغ بها وجعلت مظاهر أفرادها مخالفا لعموم المجتمع لإبراز نوع من التميز وانطوت في ذاتها و لم تتعاون وتتكاتف مع التيارات الفكرية الأخرى .

وهم وقعوا من حيث يدرون أولا يدرون فيما سار عليه أتباع الفكر الهادوي .

و لم يتعاملوا بواقعية مع المجتمع اليمني المتمثل للدين والتدين كمنهج حياه.

وتعاملوا معه كما تعاملت تلك الجماعات، مع شعوب البلاد العربية التي تأثرت بالاستعمار (الحياة الغربية) فبلد مثل اليمن الإسلام منه بمثابة الروح من الجسد يفرض على كل من يحكمه أن يجعل تنشئة أفراده نابعة من ثوابت الدين الحنيف التي بها يرسخ الانتماء الوطني والوحدة الوطنية بل سيؤدي ذلك النهج إلى اجتثاث معيقات التنمية البشرية والمادية وعلى رأسها التعصب والولاء القبلي والمناطقي .إن هذا الشعب هم من الإسلام وبه ينقادون ولذلك نكرر وجوب الاهتمام بتنشئته دينيا وفقا لثوابت الدين الحنيف القائمة على التوحيد والعدل والمساواة والوسطية وبعث دوافع الأفراد وفقا لمعياري العلم والعمل ، وتتكاتف على بث تلك التنشئة المساجد والمدارس ووسائل الإعلام في ظل استراتيجية طويلة المدى تعتمد على عدالة التوزيع في عوامل التنمية المستدامة وتركز على التخفيف من التباين بين الوحدات الإدارية في المستوى الحضري.

إن اليمنيين لا ينقادون ويمنحون ولائهم إلا لمن حكمهم بمبادئ العدالة الاجتماعية القائمة على المساواة والتوزيع العادل لعوامل الرقي والتطوير.

ويؤيد ذلك السياق التاريخي الذي أوردناه منذ عهد **الهادي يحيى بن حسين** ولأكثر من الف عام.

إن هذه الأمة تنهج في حياتها مساواة فطريه فهي لا تقبل فيما بينها التميز السلالي أو الطائفي ويؤيد ذلك ما أوردنا من ثورات مادية وفكرية على استعلاء وتميز الأئمة الهادويون .

إن من المسلمات الواجبة على كل حاكم في اليمن الاهتمام بالجانب الجغرافي والتغيرات المناخية والجانب الديموغرافي.

لأن تنوع جغرافية اليمن بين مناطق ساحليه منبسطة ذات مناخ حار وجبال مرتفعه واختلاف وتنوع الخصوبة بين مناطق جبليه وصحراويه جافه وسهول وأودية خصيبة أثر على سلوكيات الإنسان اليمني فصار جزءا منها تؤثر في دوافعه وفي خضوعه وتمرده ، وبالذات في تركيبة السكان المكونة من كيانات قبلية ومناطقية ويتأثر انتمائهم للكيان القبلي أو المناطقي عكسيا بعدل وقوة الدولة.

ونرجح أن ما ساعد على بقاء الولاءات الضيقة هو عدم وجود هدف مشترك يجمع عليه أبناء الشعب ويكون دافعاً لتوحد ولائهم وأنتمائهم لليمن .

إن الزعامات القبلية التي كانت القوة المنفذة لفتن الأئمة الهادويون سيحد من دورها في ذلك تطبيق سيادة القانون وتوزيع الاستثمار في مختلف المناطق وخاصة ذات الكثافة البشرية والإنتاجية الزراعية المنخفضة وربطها بطرقات ووسائل اتصالات تعمل على تأثرها وتأثيرها بالمناطق الأخرى إن عدم نشر المشاريع الإنتاجية في تلك المناطق تبقي تلك المناطق قليلة التغير وتجعل أبنائها يعملون بالحواضر ويضلون مرتبطين بمجتمعهم بكل سلبياته لا سيما مع وجود الفساد وعدم تكافؤ الفرص .

إن الطبيعة الجغرافية والتضاريس الوعرة أدت إلى وجود كيانات منعزلة عن بعضها البعض نتيجة لعدم اختلاط اليمنيين ببعضهم البعض وتحقق الكثير في ذلك باختلاط وتعايش سكان مختلف القبائل والمناطق ببعضها البعض سواء من حيث استيعاب أفراد مختلف القبائل والمناطق في هيئاتها الإدارية أو الجيش أو بما تهيأ من فرص عمل في القطاع الخاص ولكن يجب أن ينمى هذا القطاع ليستوعب أكبر شريحة متنوعة كل ذلك وفقا لمعياري القدرة والكفاءة .

إن ما يغفله كثيرا ممن حكم هذه الأمة هو عدم استغلال الجوانب الإيجابية للبنية القبلية والمناطقيه.

ومن هذه الإيجابيات مثلا تجربة التعاونيات التي كانت تجربه أثبتت نجاحها ليس فقط بما أثمرت من منجزات تنموية ولكن لما أثمر ته بتحويل طاقات الصراع السلبي إلى طاقات التنافس الإيجابي.

إن القيم التي سادت الفكر الهادوي في التميز السلالي في استحقاق الإمامة ، وما نتج عنه من ثقافة مجتمعيه منذ دخول الهادي قد اتصفت بالخروج عن ثوابت الدين وأصوله والقائمة على العدل والمساواة .مما أدى إلى عدم قدرتهم على أحداث أي نماء في مختلف المجالات الفكر أو التطبيق.

إن أول قواعد العدل هي المساواة بين البشر وأن التميز فيما بينهم أمرا كسبياً فإذا كان العدل من أصول الدين الإسلامي وثوابته فقد وصف الهادويون أنفسهم بأنهم عدليون.
و قواعد العدل تقوم على أن الإنسان خالق لأفعاله مسؤول عنها ' وليس من عدل الرحمن أن يعطي حق أو تميز في الدنيا أو الآخرة لأي إنسان بدون عمل ، كسبي اختياري.

ولن يتأتى تحقيق التنمية البشرية إلا بمحاربة نتائج الفكر الهادوي بأساليب مكافئه له وذلك ببث قيم القرآن وصحيح السنة من خلال تنشئة المجتمع على العقلانية العدلية وفي إطار معياري العلم والعمل.

كتنشئة تتلازم فكر وعملا وتتكاتف لتنفيذها مختلف وسائل التأثير وقنوات التوصيل وبأستراتيجيه طويلة المدى.

أما العامل الآخر- هو اجتثاث منابع هذا الفكر خاصة المغذية لبقائه كثقافة مجتمعية سواء بتنوير من يساعدون على إحيائه من غير المستفيدين .

أو بتحجيم وإيقاف المستفيدين منه بتحييدهم عن منابر العلم والدين أو بالأقل إبقائهم بشكل يتناسب مع عددهم في المجتمع ولا نبالغ إذا قلنا أن خطر الفكر الهادوي مازال، قائما لما رأينا من انبثاقه رمادا وشرراً في أحداث صعده وإذا استقرينا خموده خلال فترات زمنية امتدت لأكثر من قرنين كزمن الرسوليين الذي بلغ في القضاء على الفكر الهادوي وسيله ومدى لم نبلغه في أيامنا هذه فإننا نستشعر خطورة من يعملون على نشره .

وأتباع الفكر الهادوي والمستفيدون منه كالبكتيريا ذات الخلية الواحدة التي تستطيع الإبقاء علي ذاتها في أصعب الظروف فإذا وجدت المناخ الملائم كالجسد المنهك تكاثرت بالانقسام الثنائي.

قد لا يجانبنا الصواب في تشبيهنا هذا لما رأيناه من خفوت الفكر الهادوي وأئمته في فترات زمنية مختلفة حتى يعتقد غير المتعمق في جذوره أنه قد ولاى.

فإذا به يقدح بشرره عند أول نكبه تصاب بها الدولة أو النظام ويساعدهم على البقاء قدرتهم على التلون عندما تكون الظروف غير مؤاتية فيندمجون في البيئة المعادية لهم وينخرون من داخلها.

ويحقق مبدأ التقية إختفاء أفكارهم وأفعالهم بإظهار غير ما يبطنون وفقا لمبدأ الغاية تبرر الوسيلة.

ثبتُ المصادر و المراجع

١. المنية والأمل - أبن المرتضى .. .
٢. تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن - عبد الواسع الواسعي.
٣. العقد الفريد — لابن عبد ربه.
٤. مراجعات نقدية حول الثقافة والفكر في اليمن : تأليف محمد بن محمد الشعيبي.
٥. الحدائق الوردية — حميد المحلي .
٦. مساجد صنعاء — محمد بن احمد الحجري
٧. اليمن الجمهوري — عبد الله البرد وني.
٨. الإسلام في اليمن — بقلم البرفسور ويلفرد مادنولنج في كتاب المسار عند مراجعة المقدمة التاريخية — سبب دخول الفكر الشيعي إلى اليمن.
٩. تاريخ صنعاء — الرازي
١٠. مجلة الاكليل / العددان الثاني والثالث — ١٤٠٣هـ — ٢٩٨٣م.
١١. الإسلام في معركة الحضارة (تونس دار البراق للنشر ، الطبعة الأولى ١٩٩١) - منير شفيق
١٢. العقل السياسي العربي - محمد عابد الجابري
١٣. الأمة والجماعة والسلطة - رضوان السيد
١٤. معالم المنهج الإسلامي - محمد عماره.
١٥. في النظام السياسي للدوله الاسلامية - محمد سليم العوا (القاهرة : دار الشروق الطبعة الاولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩).
١٦. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الرابع (بيروت : دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى — جواد علي
١٧. تاريخ الجاهلية– عمر فروخ ، (بيروت دار العلم للملايين الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ .
١٨. تاريخ العرب– فيليب حتى (وأخرون) ، الجزء الأول (بيروت : دار الشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢م
١٩. حضارة العرب في عصر الجاهلية - حسين الحاج حسن -(بيروت المؤسسه الجامعيه للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى سنة ١٩٨٤.
٢٠. التكوين التاريخي للأمة العربية - عبد العزيز الدوري.
٢١. القبيلة كمؤسسه سلطوية في المشرق العربي الحديث - مسعود ضاهر " مجلة الوحدة(المغرب) السنة الأولى ، العدد (١) أب / اغسطس ١٩٨٥ .
٢٢. الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي- محمد زهير مشارقه ، (دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٨). .
٢٣. معتزلة اليمن - محمد بن زيد.
٢٤. روضة الحجوري - فضائل ومكارم.
٢٥. "سيرة الهادي"— علي بن محمد العلوي
٢٦. غاية الأماني - يحيى أبن الحسين ابن القاسم .
٢٧. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة
٢٨. قرة العيون — لابن الديبع .
٢٩. أخبار القرامطة في اليمن — السلوك من طبقات العلماء والملوك — بهاء الدين الجندي .

٣٠. حارث الشوكاني – مقالة بجريد ة الثورة ٢٠٠٥ م.
٣١. أئمة اليمن – زبارة.
٣٢. تاريخ بني رسول – مؤلف مجهول " تحقيق محمد الحبشي.
٣٣. المظاهر الحضارية في اليمن القرن الخامس– د.السروري
٣٤. مجلة المسار – العدد الثاني " المدارس الإسلامية في اليمن".
٣٥. ابن الأمير وعصره " حسين احمد السياغي و محمد بن علي الاكوع " و آخرون.
٣٦. الأدب اليمني في العصر العباسي – احمد محمد الشامي.
٣٧. روح الروح – عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين.
٣٨. سيرة القاسم – الجرموزي
٣٩. بغية المريد – الجرموزي
٤٠. البدر الطالع " ترجمة القاسم بن محمد "- محمد بن علي الشوكاني
٤١. الإمامة وخطرها على وحدة اليمن – أبو الأحرار محمد محمود الزبيري .
٤٢. تاريخ اليمن فيما بعد المائة العاشرة – أبو طالب.
٤٣. نشر العرف – لزبارة.
٤٤. نفحات العنبر..
٤٥. مائة عام من تاريخ اليمن الحديث– د .حسين العمري..
٤٦. كتاب الأحكام في الحلال والحرام " باب القول في صفة الإمام – الإمام الهادي يحيى بن الحسين.
٤٧. المقتطف – الجرافي .
٤٨. من كوبنهاجن إلى صنعاء.
٤٩. تاريخ المخلاف السليماني – العقيلي .
٥٠. المقدمة – ابن خلدون
٥١. التقصار – الشجني .
٥٢. الحوليات – المجهول
٥٣. تاريخ جحاف ..
٥٤. نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر – محمد بن محمد زبارة .
٥٥. سيرة المهدي– جحاف.
٥٦. .ذكريات الشوكاني – تحقيق د. صلاح رمضان محمود
٥٧. تاريخ الحركة القومية – عبد الرحمن الرافعي .
٥٨. البطريق : من تاريخ اليمن .
٥٩. الشوكاني فقهه وفكره – دكتور حسين العمري.
٦٠. اليمن والغرب – ماكرو
٦١. اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية – بدر الدين محمد بن إسماعيل الكبسي.
٦٢. ذكريات الشوكاني "رسائل للمؤرخ اليمني محمد بن علي الشوكاني "– تحقيق د. صلاح رمضان محمود .
٦٣. نظام الحسبة عند الزيدية – د. يحيى بن حسين النونو .
٦٤. مختصر من تاريخ اليمن – عبد الله احمد الثور
٦٥. طبائع الاستبداد – عبد الرحمن الكواكبي .

الفهرس

المبحث الرابع

الفصل التاسع

المبحث الأول :-

المبحث الثاني :-

المبحث الثالث :-

الفصل العاشر

المبحث الأول:

المبحث الثاني :-

المبحث الثالث :-

المبحث الرابع


